٨٢٥

كتاب

الفصل في الملل والاهواء والنحل

للامام ابي محمد علي بن احمد بن حزم
الظاهري المتوفي سنة ٤٥٦

الفصل بكسر ففتح جمع فصلة بفتح فسكون كفصعة وقصع النخلة المنقولة
من محلها الى محل آخر لتثمر

الجزء الرابع

(طبعت على نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد امين الخانجي واخيه)

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ طبع بمطبعة التمدن سنة ١٣٢١ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هل تعصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس في هل تعصى الانبياء عليهم السلام ام لا فذهبت طائفة الى ان رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمداً حاشى الكذب في التبليغ فقط وهذا قول الكرامية من المرجئة وقول ابن الطيب الباقلاني من الاشعرية ومن اتبعه وهو قول اليهود والنصارى وسمعت من يحكي عن بعض الكرامية انهم يجوزون على الرسل عليهم السلام الكذب في التبليغ ايضاً واما هذا الباقلاني فانا رأينا في كتاب صاحبه أبي جعفر السمناني قاضي الموصل انه كان يقول ان كل ذنب دق او جل فانه جائز على الرسل حاشى الكذب في التبليغ فقط قال وجائز عليهم ان يكفروا قال واذا نهى النبي عليه السلام عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلا علي ان ذلك النهي قد نسخ لانه قد يفعله عاصياً لله عز وجل قال وليس لاصحابه ان ينكروا ذلك عليه وجوز ان يكون في أمة محمد عليه السلام من هو افضل من محمد عليه الصلاة والسلام مذ بعث الى أن مات

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كله كفر مجرد وشرك محض وردة عن الاسلام قاطعة للولاية مبيحة دم من دان بها وما له موجبة للبراءة منه في الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وذهبت طائفة الى ان الرسل عليهم الصلاة والسلام لايجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلا وجوزوا عليهم الصغائر بالعمد وهو قول ابن فورك الاشعري وذهبت جميع اهل الاسلام من اهل السنة والمعتزلة والنجارية والخوارج والشيعة الا انه لا يجوز البتة ان يقع من نبي أصلا معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة وهو قول ابن مجاهد الاشعري شيخ ابن فورك والباقلاني المذكورين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا قول الذي ندين الله تعالى به ولا يحل لاحد ان يدين بسواه ونقول انه يقع من الانبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم ايضاً قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى

والتقرب به منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى الا انه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين أصلا بل ينبههم على ذلك ولا يداثر وقوعه منهم ويظهر عز وجل ذلك لعباده ويبين لهم كما فعل نبيه صلى الله عليه وسلم في سلامه من اثنتين وقيامه من اثنتين وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل نبيه عليه السلام في أمر زينب أم المؤمنين وطلاق زيد لها رضي الله عنهما وفي قصة ابن مكتوم رضي الله عنه وربما يبغض المكروه في الدنيا كالذي اصاب آدم ويونس عليهما الصلاة والسلام والانبياء عليهم السلام بخلافنا في هذا فانا غير مؤآخذين بما سهونا فيه ولا بما قصدنا به وجه الله عز وجل فلم يصادف مراده تعالى بل نحن مأجورون على هذا الوجه أجراً واحداً وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قرن بكل احد شيطاناً وان الله تعالى أعانه على شيطانه فاسلم فلا يأمره الا بخير واما الملائكة فبرآء من كل هذا لانهم خلقوا من نور محض لا شوب فيه والنور خير كله لا كدر فيه حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد بن علي حدثنا مسلم بن الحجاج عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتجت الطائفة الاولى بآيات من القرآن وأخبار وردت ونحن ان شاء الله عز وجل نذكرها ونبين غلطهم فيها بالبراهين الواضحة الضرورية وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في آدم عليه السلام ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ فما احتجوا به قول الله عز وجل * وعصى آدم ربه فغوى * وقوله تعالى * ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * قالوا فقربها آدم فكان من الظالمين وقد عصى وغوى وقال تعالى * فتاب عليه * والمتاب لا يكون الا من ذنب وقال تعالى * فازلهما الشيطان * وازلال الشيطان معصية وذكروا قول الله تعالى * فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما * هذا كل ما ذكروا في آدم عليه السلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كله بخلاف ما ظنوا اما قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى فقد علمنا ان كل خلاف لأمر آمر فصورته صورة المعصية فيسمى معصية لذلك وغواية الا انه منه

ما يكون عن عمد وذكر فهذه معصية على الحقيقة لان فاعلها قاصد الى المعصية وهو يدرى انها معصية وهذاهو الذي نزهنا عنه الانبياء عليهم السلام ومنه ما يكون عن قصد الى خلاف ما امر به وهو يتاول في ذلك الخير ولا يدري انه عاص بذلك بل يظن انه مطيع لله تعالى او ان ذلك مباح له لانه يتاول ان لامر الوارد عليه ليس على معنى الايجاب ولا على التحريم لكن اما على الندب ان كان بلفظ الامر او الكراهية ان كان بلفظ النهي وهذا شيء يقع فيه العلماء والفقهاء والافاضل كثيراً وهذا هو الذي يقع من الانبياء عليهم السلام ويؤاخذون به اذا وقع منهم وعلى هذا السبيل اكل آدم من الشجرة ومعنى قوله تعالى * فتكونا من الظالمين * اي ظالمين لانفسكما والظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه فمن وضع الأمر أو النهي في موضع الندب او الكراهة فقد وضع الشيء في غير موضعه وهذا الظلم من هذا النوع من الظلم الذي يقع بغير قصد وليس معصية لا الظلم الذي هو القصد الى المعصية وهو يدري انها معصية وبرهان هذا ما قد نصه الله تعالى من ان آدم عليه السلام لم يأكل من الشجرة الا بعد ان اقسم له ابليس ان نهى الله عز وجل لهما عن اكل الشجرة ليس على التحريم وانهما لا يستحقان بذلك عقوبة اصلا بل يستحقان بذلك الجزآء الحسن وفوز الابد قال تعالى حاكياً عن ابليس انه *قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور *وقد قال عز وجل* ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلما نسي آدم عليه السلام عهد الله اليه في أن ابليس عدوله احسن الظن بيمينه

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا سلامة ولا براءة من القصد الى المعصية ولا ابعد من الجراءة على الذنوب اعظم من حال من ظن ان احداً لا يحلف حانثاً وهكذا فعل آدم عليه السلام فانه انما اكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ناسياً بنص القرآن ومتأولا وقاصداً الى الخير لانه قدر انه يزداد حظوة عند الله تعالى فيكون ملكا مقرباً او خالداً فيما هو فيه أبدا فأداه ذلك الى خلاف ما امره الله عز وجل به وكان الواجب ان يحمل أمر ربه عز وجل على ظاهره لكن تأول وأراد الخير فلم يصبه ولو فعل هذا عالم من علماء المسلمين لكان مأجور ولكن آدم عليه السلام لما فعله ووجد به خراجه عن الجنة الى نكد الدنيا كان بذلك ظالماً لنفسه وقد

سمى

سمى الله عز وجل قاتل الخطا قاتلا كما سمى العامد والمخطئ لم يتعمد معصية وجعل في الخطأ في ذلك كفارة عتق رقبة او صيام شهرين متتابعين لمن عجز عن الرقبة وهو لم يتعمد ذنباًواما قوله عز وجل * لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما * فهذا تكفير لآدم عليه السلام ومن نسب لآدم عليه السلام الشرك والكفر كفراً مجرداً بلا خلاف من احد من الامة ونحن ننكر على من كفر المسلمين العصاة العشارين القتالين والشرط الفاسقين فكيف من كفر الانبياء عليهم السلام وهذا الذي نسبوه الى آدم عليه السلام من انه سمى ابنه عبد الحارث خرافة موضوعة مكذوبة من تأليف من لا دين له ولا حياء لم يصح سندها قط وانما نزلت في المشركين على ظاهرها وحتى لو صح انها نزلت في آدم وهذا لا يصح اصلا لما كانت فيه للمخالف حجة لانه كان يكون الشرك او الشركاء المذكورون في الآية حينئذ على غير الشرك الذي هو الكفر لكن بمعنى انهما جعلا مع توكلهما شركة من حفظه ومعناه كما قال يعقوب عليه السلام * يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون * فاخبرنا عز وجل ان يعقوب عليه السلام أمرهم ان يدخلوا من ابواب متفرقة اشفاقاً عليهم اما من اصابة العين وأما من تعرض عدو او مستريب باجماعهم او ببعض ما يخوّفه عليهم وهو عليه السلام معترف ان فعله ذلك وامره اياهم بما امرهم به من ذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً يريده عز وجل بهم ولكن لما كانت طبيعة البشر جارية في يعقوب عليه السلام وفي سائر الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى حاكياً عن الرسل انهم قالوا *ان نحن الا بشر مثلكم * حملهم ذلك على بعض النظر المخفف لحاجة النفس ونزاعها وتوقها الى سلامة من يحب وان كان ذلك لا يغني شيئاً كما كان عليه السلام يحب الفال الحسن فكان يكون على هذا معنى الشرك والشركاء ان يكون عوذة او تميمة او نحو هذا فكيف ولم تنزل الآية قط الا في الكفار لا في آدم عليه السلام

الكلام في نوح عليه السلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذكروا قول الله عز وجل لنوح * فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك

ان تكون من الجاهلين *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا حجة لهم فيه لان نوحاً عليه السلام تاول وعد الله تعالى ان يخلصه واهله فظن ان ابنه من اهله على ظاهر القرابة وهذا لو فعله احد لكان مأجوراً ولم يسأل نوح تخليص من ايقن انه ليس من اهله فتفرع على ذلك نهي عن ان يكون من الجاهلين فتندم عليه السلام من ذلك ونزع وليس هاهنا عمد للمعصية البتة وبالله تعالى التوفيق

الكلام في ابراهيم عليه السلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذكروا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات وانه قال اذ نظر في النجوم اني سقيم وبقوله في الكوكب والشمس والقمر هذا ربي وبقوله في سارة هذه اختي وبقوله في الاصنام اذ كسرها بل فعله كبيرهم هذا وبطلبه اذ طلب رؤية احياء الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كله ليس على ما ظنوه بل هو حجة لنا والحمد لله رب العالمين اما الحديث انه عليه السلام كذب ثلاث كذبات فليس كل كذب معصية بل منه ما يكون طاعة لله عز وجل وفرضاً واجباً يعصى من تركه صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمى خيراً وقد اباح عليه السلام كذب الرجل لامرأته فيما يستجلب به مودتها وكذلك الكذب في الحرب وقد اجمع اهل الاسلام على ان انساناً لو سمع مظلوماً قد ظلمه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق ويأخذ ماله غصباً فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصداً بذلك السلطان فسأل السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فانه ان كتم ما سمع وانكر ان يكون سمعه او انه يعرف موضعه أوموضع ماله فانه محسن مأجور مطيع لله عز وجل وانه ان صدقه فاخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقاً عاصياً لله عز وجل فاعل كبيرة مذموماً تماماً وقد ابيح الكذب في اظهار الكفر في التقية وكل ما روى عن ابراهيم عليه السلام في تلك الكذبات فهو داخل في الصفة المحمودة لا في الكذب الذي نهى عنه واما قوله عن سارة هي اختي فصدق هي اخته من وجهين قال الله تعالى * انما المؤمنون اخوة * وقال عليه السلام لا يخطب احدكم على خطبة اخيه والوجه الثاني القرابة وانها من قومه ومن مستجيبيه قال عز وجل * والى مدين أخاهم شعيباً *

فمن عد هذا كذباً مذموماً من ابراهيم عليه السلام فليعده كذباً من ربه عز وجل وهذا كفر مجرد فصح انه عليه السلام صادق في قوله سارة اخته واما قوله * فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم * فليس هذا كذباً ولسنا ننكر ان تكون النجوم دلائل على الصحة والمرض وبعض مايحدث في العالم كدلالة البرق على نعول البحر وكدلالة الرعد على تولد الكماة وكتولد المد والجزر على طلوع القمر وغروبه واعذاره وارتفاعه وامتلائه ونقصه وانما المنكر قول من قال ان الكواكب هي الفاعلة المدبرة لذلك دون الله تعالى اومشتركة معه فهذا كفر من قائله واما قوله عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فانما هو تقريع لهم وتوبيخ كما قال تعالى * ذق انك أنت العزيز الكريم * وهو في الحقيقة مهان ذليل مهين معذب في النار فكلا القولين توبيخ لمن قيلا له على ظنهم ان الاصنام تفعل الخير والشر وعلى ظن المعذب في نفسه في الدنيا انه عزيز كريم ولم يقل ابراهيم هذا على انه محقق لان كبيرهم فعله اذ الكذب انما هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه قصدا الى تحقيق ذلك واما قوله عليه السلام اذ رأى الشمس والقمر هذا ربي فقال قوم ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك محققاً أول خروجه من الغار وهذا خرافة موضوعة مكذوبة ظاهرة الافتعال ومن المحال الممتنع ان يبلغ أحد حد التمييز والكلام بمثل هذا وهو لم ير قط شمساً ولا قمراً ولا كوكباً وقد اكذب الله هذا الظن الكاذب بقوله الصادق * ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * فمحال أن يكون من اتاه الله رشده من قبل يدخل في عقله ان الكواكب ربه أو ان الشمس ربه من اجل انها اكبر قرصاً من القمر هذا مالا يظنه الا مجنون العقل والصحيح من ذلك انه عليه السلام انما قال ذلك موبخاً لقومه كما قال لهم نحو ذلك في الكبير من الاصنام ولا فرق لانهم كانوا على دين الصابئين يعبدون الكواكب ويصورون الاصنام على صورها واسمائها في هياكلهم ويعيدون لها الاعياد ويذبحون لها الذبائح ويقربون لها القرب والقرابين والدخن ويقولون انها تعقل وتدبر وتضر وتنفع ويقيمون لكل كوكب منها شريعة محدودة فوبخهم الخليل عليه السلام على ذلك وسخر منهم وجعل يريهم تعظيم الشمس لكبر جرمها كما قال تعالى * فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * فاراهم ضعف عقولهم في تعظيمهم لهذه الاجرام المسخرة الجمادية وبين لهم انهم مخطئون وانها مدبرة تنقل في الاماكن ومعاذ الله

ان يكون الخليل عليه السلام اشرك قط بربه او شك في ان الفلك بكل ما فيه مخلوق وبرهان قولنا هذا ان الله تعالى لم يعاتبه على شيء مما ذكر ولا عنفه على ذلك بل صدقه تعالى بقوله * وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء * فصح ان هذا بخلاف ما وقع لآدم وغيره بل وافق مراد الله عز وجل بما قال من ذلك وبما فعل واما قوله عليه السلام * رب أرني كيف تحيي الموت قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي * فلم يقرره ربنا عز وجل وهو يشك في ايمان ابراهيم عبده وخليله ورسوله عليه السلام تعالى الله عن ذلك ولكن تقرير الايمان في قلبه وان لم ير كيفية احياء الموتى فاخبر عليه السلام عن نفسه انه مؤمن مصدق وانما اراد ان يرى الكيفية فقط ويعتبر بذلك وما شك ابراهيم عليه السلام في ان الله تعالى يحيي الموتى وانما أراد أن يرى الهيئة كما أننا لا نشك في صحة وجود الفيل والتمساح والكسوف وزيادة النهر والخليفة ثم يرغب من لم ير ذلك منا في ان يرى كل ذلك ولا يشك في انه حق لكن ليرى العجب الذي يمثله ولم تقع عليه حاسة بصره فقط واما ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فمن ظن ان النبي صلى الله عليه وسلم شك قط في قدرة ربه عز وجل على احياء الموتى فقد كفر وهذا الحديث حجة لنا على نفي الشك عن ابراهيم اي لو كان الكلام من ابراهيم عليه السلام شكا لكان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد ابراهيم عليه السلام احق بالشك فاذا كان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد ابراهيم غير شاك فابراهيم عليه السلام ابعد من الشك

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن نسب هاهنا الى الخليل عليه السلام الشك فقد نسب اليه الكفر ومن كفر نبياً فقد كفر وايضاً فان كان ذلك شكا من ابراهيم عليه السلام وكنا نحن احق بالشك منه فنحن اذا شكاك جاحدون كفار وهذا كلام نعلم والحمد لله بطلانه من أنفسنا بل نحن ولله الحمد مؤمنون مصدقون بالله تعالى وقدرته على كل شيء يسأل عنه السائل وذكروا قول ابراهيم عليه السلام لأبيه واستغفاره له وهذا لا حجة لهم فيه لانه لم يكن نهى عن ذلك قال تعالى * فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه * فاثنى الله تعالى عليه بذلك فصح ان استغفار ابراهيم لأبيه انما كان مدة حياته راجياً ايمانه فلما مات كافراً تبرأ منه ولم يستغفر له بعدها تم الكلام في ابراهيم عليه السلام

﴿ الكلام في لوط عليه السلام ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ وذكروا قول الله تعالى في لوط عليه السلام انه قال * لو ان لي بكم قوة او آوى الى ركن شديد * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطاً لقد كان يأوي الى ركن شديد فظنوا ان هذا القول منه عليه السلام انكار على لوط عليه السلام ايضاً * هؤلاء بناتي هن اطهر لكم *

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا لا حجة لهم فيه اما قوله عليه السلام لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد فليس مخالفاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطاً لقد كان يأوي الى ركن شديد بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه لان لوطاً عليه السلام انما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة او عشيرة او اتباع مؤمنين وما جهل قط لوط عليه السلام انه يأوي من ربه تعالى الى امنع قوة واشد ركن ولا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس فقد قال تعالى * ولولى دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض * فهذا الذي طلب لوط عليه السلام وقد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار والمهاجرين منعة حتى يبلغ كلام ربه تعالى فكيف ينكر على لوط أمراً هو فعله عليه السلام تالله ما انكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اخبر عليه السلام ان لوطاً كان يأوي الى ركن شديد يعني من نصر الله له بالملائكة ولم يكن لوط علم بذلك ومن اعتقد ان لوطاً كان يعتقد انه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر اذ نسب الى نبي من الانبياء هذا الكفر وهذا ايضاً ظن سخيف اذ من الممتنع ان يظن برب اراه المعجزات وهو دائباً يدعو اليه هذا الظن واما قوله عليه السلام هؤلاء بناتي هن فانما اراد التزويج والوطء في المكان المباح فصح ما قلنا اذ من المحال ان يدعوهم الى منكر وهو ينهاهم عن المنكر انقضى الكلام في لوط عليه السلام

﴿ الكلام في اخوة يوسف عليهم السلام ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتجوا بفعل اخوة يوسف وبيعهم اخاهم وكذبهم لابيهم وهذا لا حجة لهم فيه لان اخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا انبياء ولا جاء قط في انهم انبياء نص لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا من اجماع ولا من قول احد من الصحابة رضي الله عنهم وأما

يوسف صلى الله عليه وسلم فرسول الله بنص القرآن قال عز وجل * ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به * الى قوله *من بعده رسولا *واما اخوته فافعالهم تشهد انهم لم يكونوا متورعين عن العظائم فكيف ان يكونوا انبياء ولكن الرسولين اباهم واخاهم قد استغفرا لهم وأسقطا التثريب عنهم وبرهان ما ذكرنا من كذب من يزعم انهم كانوا انبياء قول الله تعالى حاكياً عن الرسول اخيهم عليه السلام انه قال لهم * انتم شر مكاناً *ولا يجوز البتة ان يقوله نبي من الانبياء نعم ولا لقوم صالحين اذ توقير الانبياء فرض على جميع الناس لان الصالحين ليسوا شراً مكانا وقد عق ابن نوح اباه باكثر مما عق به اخوة يوسف اباهم الا ان اخوة يوسف لم يكفروا ولا يحل لمسلم ان يدخل في الانبياء من لم يأت نص ولا اجماع أو نقل كافة بصحة نبوته ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبياً وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم فان ذكروا في ذلك ما روى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم وهو زيد بن ارقم انما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لا نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد الانبياء انبياء فهذه غفلة شديدة وزلة عالم من وجوه أولها أنه دعوى لا دليل على صحتها وثانيها انه لو كان ما ذكر لأمكن ان ينبأ ابراهيم في المهد كما نبئ عيسى عليه السلام وكما اوتي يحيى الحكم صبيا فعلى هذا القول لعل ابراهيم كان نبيا وقد عاش عامين غير شهرين وحاشا لله من هذا وثالثها ان ولد نوح كان كافراً بنص القرآن عمل عملا غير صالح فلو كان أولاد الانبياء انبياء لكان هذا الكافر المسخوط عليه نبيا وحاشا لله من هذا ورابعها لو كان ذلك لوجب ولا بد ان تكون اليهود كلهم انبياء الى اليوم بل جميع اهل الارض انبياء لانه يلزم أن يكون الكل من ولد آدم لصلبه انبياء لان اباهم نبي واولاد اولاده انبياء أيضاً لان آباءهم انبياء وهم أولاد انبياء وهكذا أبداً حتى يبلغ الامر الينا وفي هذا من الكفر لمن قامت عليه الحجة وثبت عليه ما لا خفاء به وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولعل من جهل مرتين يقول عنا هذا ينكر نبوة اخوة يوسف ويثبت نبوة نبي المجوس ونبوة ام موسى وام عيسى وام اسحق عليهم السلام فنحن نقول وبالله تعالى التوفيق وبه نعتصم لسنا نقر بنبوة من لم يخبر الله عز وجل بنبوته ولم ينص رسول الله صلى الله عليه وسلم على نبوته ولا نقلت الكواف عن امثالها نقلا متصلا منه الينا معجزات النبوة

عنه ممن كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بل ندفع نبوة من قام البرهان على بطلان نبوته لان تصديق نبوة من هذه صفته افتراء على الله تعالى لا يقدم عليه مسلم ولا ندفع نبوة من جاء القرآن بان الله تعالى نبأه فأما أم موسى وام عيسى وأم اسحق فالقرآن قد جاء بمخاطبة الملائكة لبعضهن بالوحي والى بعض منهن عن الله عز وجل بالانباء بما يكون قبل ان يكون وهذه النبوة نفسها التي لا نبوة غيرها فصحت نبوتهن بنص القرآن واما نبي المجوس فقد صح انهم اهل كتاب بأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية منهم ولم يبح الله تعالى له اخذ الجزية الا من اهل الكتاب فقط فمن نسب الى محمد صلى الله عليه وسلم انه اخذ الجزية من غير اهل الكتاب فقد نسب اليه انه خالف ربه تعالى واقدم على عظيمة تقشعر منها جلود المؤمنين فاذ نحن على يقين من انهم اهل كتاب فلا سبيل البتة الى نزول كتاب من عند الله تعالى على غير نبي مرسل بتبليغ ذلك الكتاب فقد صح بالبرهان الضروري انهم قد كان لهم نبي مرسل يقيناً بلا شك ومع هذا فقد نقلت عنه كواف عظيمة معجزات الانبياء عليهم السلام وكل ما نقلته كافة على شرط عدم التواطئ فواجب قبوله ولا فرق بين ما نقلته كواف الكافرين او كواف المسلمين فيما شاهدته حواسهم ومن قال لا اصدق الا ما نقلته كواف المسلمين فانا نسأله بأي شئ صح عنده موت ملوك الروم ولم يحضرهم مسلم اصلا وانما نقلته الينا يهود عن نصارى ومثل هذا كثير فان كذب هذا غالط نفسه وعقله وكابر حسه وايضاً فان المسلمين انما علمنا انهم محقون لتحقيق نقل الكافة لصحة ما بايديهم فبنقل الكافة علمنا هدى المسلمين ولا نعلم بالاسلام صحة نقل الكافة بل هو معلوم بالبينة وضرورة العقل وقد اخبر تعالى ان الاولين زبر وقال تعالى * ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك * وفي هذا كفاية وبالله تعالى التوفيق

الكلام في يوسف عليه السلام

وذكروا ايضاً اخذ يوسف عليه السلام اخاه وايحاشه أباه عليه السلام منه وانه اقام مدة يقدر فيها على ان يعرف اباه خبره وهو يعلم ما يقاسى به من الوجد عليه فلم يفعل وليس بينه وبينه الا عشر ليال وبادخاله صواع الملك في وعاء اخيه ولم يعلم بذلك سائر اخوته ثم أمر من هتف ايتها العير انكم لسارقون وهم لم يسرقوا شيئاً وبقول الله تعالى * ولقد همت به وهم بها لولا ان

رأى برهان ربه ٭ وبخدمته لفرعون وبقوله للذي كان معه في السجن ٭ اذكرني عند ربك

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذا لا حجة لهم في شيء منه ونحن نبين ذلك بحول الله تعالى وقوته فنقول وبالله تعالى نتأيد اما اخذه أخاه وايحاشه أباه منه فلا شك في ان ذلك ليرفق باخيه وليعود اخوته اليه ولعلهم لو مضوا باخيه لم يعودوا اليه وهم في مملكة اخرى وحيث لا طاعة ليوسف عليه السلام ولا لملك مصر هنالك وليكون ذلك سبباً لاجتماعه وجمع شمل جميعهم ولا سبيل الى أن يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اوتى العلم والمعرفة بالتأويل الا احسن الوجوه وليس مع من خالفنا نصّ بخلاف ما ذكرنا ولا يحل ان يظن بمسلم فاضل عقوق أبيه فكيف برسول الله صلي الله عليه واما ظنهم انه اقام مدة يقدر فيها على تعريف أبيه خبره ولم يفعل فهذا جهل شديد ممن ظن هذا لان يعقوب في أرض كنعان من عمل فلسطين في قوم رحالين خصاصين في لسان آخر وطاعة اخرى ودين آخر وأمة أخرى كالذي بيننا اليوم وبين من يضافينا من بلاد النصارى كنفاليش وغيرها أو كصحراء البربر فلم يكن عند يوسف عليه السلام علم بعد فراقه أباه بما فعل ولا حي هو أو ميت اكثر من وعد الله تعالى بان ينبئهم بفعلهم به ولا وجد احدا يثق به فيرسل اليه للاختلاف الذي ذكرنا وانما يستسهل هذا اليوم من يرى أرض الشام ومصر لامير واحد وملة واحدة ولساناً واحداً وأمة واحدة والطريق سابل والتجار ذاهبون وراجعون والرفاق سائرة ومقبلة والبرد ناهضة وراجعة فظن كل بيضاء شحمة ولم يكن الامر حينئذ كذلك ولكن كما قدمنا ودليل ذلك انه حين أمكنه لم يؤخره واستجلب أباه وأهله أجمعين عند ضرورة الناس اليه وانقيادهم له للجوع الذي كان عم الارض وامتيارهم من عنده فانتظر وعد ربه تعالى الذي وعده حين ألقوه في الجب فاتوه ضارعين راغبين كما وعده تعالى في رؤياه قبل أن يأتوه ورب رئيس جليل شاهدنا من أبناء البشاكس والافرنج لو قدر على أن يستجلب أبويه لكان أشد الناس بداراً الى ذلك ولكن الامر تعذر عليهم تعذراً أخرجه عن الامكان الى الامتناع فهذا كان أمر يوسف عليه السلام واما قول يوسف لاخوته انكم لسارقون وهم لم يسرقوا الصواع بل هو الذي كان قد أدخله في وعاء أخيه دونهم فقد صدق عليه السلام لانهم سرقوه من أبيه وباعوه ولم يقل عليه السلام انكم سرقتم الصواع وانما قال نفقد صواع الملك وهو في ذلك صادق لانه كان

غير

غير واجد له فكان فاقداً له بلا شك واما خدمته عليه السلام لفرعون فانما خدمه تقية وفي حق لاستنقاذ الله تعالى بحسن تدبيره ولعل الملك أو بعض خواصه قد آمن به الا ان خدمته له على كل حال حسنة وفعل خير وتوصل الى الاجتماع بابيه والى العدل والى حياة النفوس اذ لم يقدر على المغالبة ولا امكنه غير ذلك ولا مرية في ان ذلك كان مباحاً في شريعة يوسف عليه السلام بخلاف شريعتنا قال الله تعالى ٭ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ٭ واما سجود ابويه فلم يكن ذلك محظوراً في شريعتها بل كان فعلا حسناً وتحقيق رؤياه الصادق من الله تعالي ولعل ذلك السجود كان تحية كسجود الملائكة لآدم عليه السلام الا ان الذي لا شك فيه انه لم يكن سجود عبادة ولا تذلل وانما كان سجود كرامة فقط بلا شك واما قوله عليه السلام للذي كان معه في السجن اذكرني عند ربك فما علمنا الرغبة في الانطلاق من السجن محظورة على احد وليس في قوله ذلك دليل على انه أغفل الدعاء الى الله عز وجل لكنه رغب هذا الذي كان معه في السجن في فعل الخير وحضه عليه وهذا فرض من وجهين احدهما وجوب السعي في كف الظلم عنه والثاني دعاؤه الى الخير والحسنات واما قوله تعالى ٭ فانساه الشيطان ذكر ربه ٭ فالضمير الذي في انساه وهو الهاء راجع الى الفتى الذي كان معه في السجن اي ان الشيطان انساه ان يذكر ربه أمر يوسف عليه السلام ويحتمل ايضاً ان يكون انساه الشيطان ذكر الله تعالى ولو ذكر الله عز وجل لذكر حاجة يوسف عليه السلام وبرهان ذلك قول الله عز وجل ٭ وادكر بعد أمة ٭ فصح يقيناً ان المذكور بعد أمة هو الذي انساه الشيطان ذكر ربه حتى تذكر وحتى لو صح ان الضمير من انساه راجع الى يوسف عليه السلام لما كان في ذلك نقص ولا ذنب اذ ما كان بالنسيان فلا يبعد عن الانبياء واما قوله ٭ همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه ٭ فليس كما ظن من لم يمعن النظر حتى قال من المتأخرين من قال انه قعد منها مقعد الرجل من المرأة ومعاذ الله من هذا ان يظن برجل من صالحي المسلمين او مستوريهم فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل ان هذا قد روى عن ابن عباس رضي الله عنه من طريق جيدة الاسناد قلنا نعم ولا حجة في قول احد الا فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط والوهم في تلك الرواية انما هي بلا شك عمن دون ابن عباس او لعل ابن عباس لم يقطع بذلك اذ انما اخذه عمن لا يدري من هو

ولا شك في انه شيء سمعه فذكره لانه رضي الله عنه لم يحضر ذلك ولا ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحال أن يقطع ابن عباس بما لا علم له به لكن معنى الآية لا يعدو أحد وجهين اما انه هم بالايقاع بها وضربها كما قال تعالى * وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه * وكما يقول القائل لقد هممت بك لكنه عليه السلام امتنع من ذلك ببرهان اراه الله اياه استغنى به عن ضربها وعلم ان الفرار اجدى عليه واظهر لبراءته على ماظهر بعد ذلك من حكم الشاهد بامر قد من القميص والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولقد همت به ثم ابتدأ تعالى خبراً آخر فقال وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وهذا ظاهر الآية بلا تكلف تأويل وبهذا نقول حدثنا احمد بن محمد ابن عبد الله الطلمنكي حدثنا ابن عون الله انبأنا ابراهيم بن احمد ابن فراس حدثنا احمد بن محمد بن سالم النيسابوري انا اسحق ابن راهوية أنا المومل بن اسماعيل الحميري حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية * ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قالها يوسف عليه السلام قال له جبريل يا يوسف اذكر همك فقال يوسف * وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء * فليس في هذا الحديث على معنى من المعاني تحقيق الهم بالفاحشة ولكنه فيه انه هم بامر ما وهذا حق كما قلنا فسقط هذا الاعتراض وصح الوجه الاول والثاني معاً الا ان الهم بالفاحشة باطل مقطوع على كل حال وصح ان ذلك الهم ضرب سيدته وهي خيانة لسيده اذ هم بضرب امرأته وبرهان ربه هاهنا هو النبوة وعصمة الله عز وجل اياه ولولا البرهان لكان يهم بالفاحشة وهذا لا شك فيه ولعل من ينسب هذا الى النبي المقدس يوسف ينزه نفسه الرذلة عن مثل هذا المقام فيهلك وقد خشى النبي صلى الله عليه وسلم الهلاك على من ظن به ذلك الظن اذ قال للانصاريين حين لقيهما هذه صفية

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن الباطل الممتنع ان يظن ظان ان يوسف عليه السلام هم بالزنا وهو يسمع قول الله تعالى * كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء * فنسأل من خالفنا عن الهم بالزنا بسوء هو ام غير سوء فلا بد انه سوء ولو قال انه ليس بسوء لعاند الاجماع فاذهو سوء وقد صرف عنه السوء فقد صرف عنه الهم بيقين وايضاً فانها قالت * ماجزاء من أراد باهلك سوءاً * وانكر هو ذلك فشهد الصادق المصدق * ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من

الصادقين * فصح انها كذبت بنص القرآن واذ كذبت بنص القرآن فما اراد بها قط سوء فما هم بالزنا قط ولو اراد بها الزنا لكانت من الصادقين وهذا بين جداً وكذلك قوله تعالى عنه انه قال * والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن وا كن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن * فصح عنه انه قط لم يصب اليها وبالله تعالى التوفيق تم الكلام في يوسف عليه السلام

الكلام في موسى عليه السلام وأمه

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذكروا قول الله تعالى * وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ان كادت لتبدي به لو لا أن ربطنا على قلبها * فمعناه فارغا من الهم بموسى جملة لان الله عز وجل قد وعدها برده اليها اذ قال لها تعالى * انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين * فمن الباطل المحض ان يكون الله تعالى ضمن لها رده اليها ثم يصبح قلبها مشغولا بالهم بأمره هذا ما لا يظن بذي عقل أصلاً وانما معنى قوله تعالى ان كادت لتبدي به أي سروراً بما اتاه الله عز وجل من الفضل وقولها لاخته قصيه انما هو لترى اخته كيفية قدرة الله تعالى في تخليصه من يدي فرعون عدوه بعد وقوعه فيها وليتم بها ما وعدها الله تعالى من رده اليها فبعثت اخته لترده بالوحي وذكروا قول الله تعالى عن موسى عليه السلام فاخذ برأس أخيه يجره اليه * قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي * قالوا وهذه معصية أن يأخذ بلحية أخيه وشعره وهو نبي مثله وأسن منه ولا ذنب له

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا ليس كما ظنوا وهو خارج على وجهين احدهما ان اخذه برأس اخيه ليقبل بوجهه عليه ويسمع عتابه له اذ تأخر عن اتباعه اذ رآهم ضلوا ولم يأخذ بشعر اخيه قط اذ ليس ذلك في الآية اصلا ومن زاد ذلك فيها فقد كذب على الله تعالى لكن هارون عليه السلام خشي بادرة من موسى عليه السلام وسطوة اذ رآه قد اشتد غضبه فاراد توقيفه بهذا الكلام عما تخوفه منه وليس في هذه الآية ما يوجب غير ما قلناه ولا انه مد يده الى اخيه اصلاً وبالله تعالى التوفيق والثاني ان يكون هارون عليه السلام قد يكون استحق في نظر موسى عليه السلام النكير لتأخيره عن لحاقه اذ رآهم ضلوا فاخذ برأسه منكراً عليه ولو كان هذا لكان انما فعله موسى عليه السلام غضباً لربه عز وجل وقاصداً بذلك رضاء الله تعالى ولسنا نبعد هذا من الانبياء عليهم السلام وانما نبعد القصد الى المعصية وهم يعلمون انها

معصية وهـذا هو معنى ما ذكره الله تعالى عن ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم اذ قال * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين * وقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم * ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر * انما الخطيئة المذكورة والذنوب المغفورة ما وقع بنسيان او بقصد الى الله تعالى ارادة الخير فلم يوافق رضا الله عز وجل بذلك فقط وذكروا قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام * اقتلت نفساً زكية بغير نفس * فانكر موسى عليه السلام الشيء وهو لا يعلمه وقد كان اخذ عليه العهد ان لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً فهذا ايضاً لا حجة لهم فيه لان ذلك كان على سبيل النسيان وقد بين موسى عليه السلام ذلك بقوله * لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسراً * فرغب اليه انه لا يؤاخذه بنسيانه ومؤاخذة الخضر له بالنسيان دليل على صحة ما قلنا من انهم عليهم السلام مؤاخذون بالنسيان وبما قصدوا به الله عز وجل فلم يصادفوا بذلك مراد الله عز وجل وتكلم موسى عليه السلام على ظاهر الامر وقدر ان الغلام زكي اذ لم يعلم له ذنباً وكان عند الخضر العلم الجلي بكفر ذلك الغلام واستحقاقه القتل فقصد موسى عليه السلام بكلامه في ذلك وجه الله تعالى والرحمة وانكار ما لم يعلم وجهه وذكروا قول موسى عليه السلام * فعلتها اذاً وانا من الضالين * فقول صحيح وهو حاله قبل النبوة فانه كان ضالا عما اهتدى له بعد النبوة وضلال الغيب عن العلم كما تقول اضللت بعيري لا ضلال القصد الى الاثم وهكذا قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم * ووجدك ضالا فهدى * اي ضالا عن المعرفة وبالله تعالى التوفيق وذكروا قول الله عز وجل عن بني اسرائيل * فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم * قالوا وموسى قد سأل ربه مثل ذلك فقال * رب ارني انظر اليك قال لن تراني * قالوا فقد سأل موسى عليه السلام امراً عوقب سائلوه قبله

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا حجة لهم فيه لانه خارج على وجهين احدهما ان موسى عليه السلام سأل ذلك قبل سؤال بني اسرائيل رؤية الله تعالى وقبل ان يعلم ان سؤال ذلك لا يجوز فهذا لا مكروه فيه لانه سألَ فضيلة عظيمة اراد بها علو المنزلة عند ربه تعالى والثاني ان بني اسرائيل سألوا ذلك متعنتين وشكاكا في الله عز وجل وموسى سأل ذلك على الوجه الحسن الذي ذكرنا آنفاً

الكلام على يونس عليه السلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ وذكروا أمر يونس عليه السلام وقول الله تعالى عنه * وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * وقوله تعالى * فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون * وقوله لنبيه عليه السلام * فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * وقوله تعالى * فالتقمه الحوت وهو مليم * قالوا ولا ذنب اعظم من المغاضبة لله عز وجل ومن اكبر ذنباً ممن ظن ان الله لا يقدر عليه وقد اخبر الله تعالى انه استحق الذم لولا ان تداركه نعمة الله عز وجل وانه استحق الملامة وانه اقر على نفسه انه كان من الظالمين ونهى الله تعالى نبيه ان يكون مثله

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا كله لا حجة لهم فيه بل هو حجة لنا على صحة قولنا والحمد لله رب العالمين اما اخبار الله تعالى ان يونس ذهب مغاضباً فلم يغاضب ربه قط ولا قال الله تعالى انه غاضب ربه فمن زاد هذه الزيادة كان قائلا على الله الكذب وزائداً في القرآن ما ليس فيه هذا لا يحل ولا يجوز ان يظن بمن له ادنى مسكة من عقل انه يغاضب ربه تعالى فكيف أن يفعل ذلك نبي من الانبياء فعلمنا يقيناً انه انما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله عز وجل فعوقب بذلك وان كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك الا رضاء الله عز وجل واما قوله تعالى * فظن ان لن نقدر عليه * فليس على ما ظنوه من الظن السخيف الذي لا يجوز ان يظن بضعيفة من النساء او بضعيف من الرجال الا ان يكون قد بلغ الغاية من الجهل فكيف بنبي مفضل على الناس في العلم ومن المحال المتيقن ان يكون نبي يظن ان الله تعالى الذي أرسله بدينه لا يقدر عليه وهو يرى ان آدميا مثله يقدر عليه ولا شك في ان من نسب هذا للنبي صلى الله عليه وسلم الفاضل فانه يشتد غضبه لو نسب ذلك اليه او الى ابنه فكيف الى يونس عليه السلام الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فقد بطل ظنهم بلا شك وصح ان معنى قوله * فظن ان لن نقدر عليه * اي لن نضيق عليه كما قال تعالى * واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه * اي ضيق عليه فظن يونس عليه السلام ان الله تعالى لا يضيق عليه في مغاضبته لقومه اذ ظن انه محسن في فعله ذلك وانما نهى الله عز

وجل لمحمد صلى الله عليه وسلام عن ان يكون كصاحب الحوت فنعم نهاه الله عز وجل عن مغاضبته قومه وامره بالصبر على اذاهم وبالمطاولة لهم واما قول الله تعالى انه استحق الذم والملامة لولا النعمة التي تداركه بها للابث معاقباً في بطن الحوت فهذا نفس ما قلناه من ان الانبياء عليهم السلام يؤاخذون في الدنيا على ما فعلوه مما يظنونه خيراً وقربة الى الله عز وجل اذا لم يوافق مراد ربهم وعلى هذا الوجه اقر على نفسه بانه كان من الظالمين والظلم وضع الشيء في غير موضعه فلما وضع النبي صلى الله عليه وسلم المغاضبة في غير موضعها اعترف في ذلك بالظلم لا على انه قصده وهو يدرى انه ظلم انقضى الكلام في يونس عليه السلام وبالله تعالى التوفيق

الكلام في داود عليه السلام

وذكروا ايضاً قول الله تعالى حاكياً عن داود عليه السلام * وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان * الى قوله فغفرنا له ذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزؤن الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود وانما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم بغى احدهما على الآخر على نص الآية ومن قال انهم كانوا ملائكة معرضين بامر النساء فقد كذب على الله عز وجل وقوله ما لم يقل وزاد في القرآن ما ليس فيه وكذب الله عز وجل واقر على نفسه الخبيثة انه كذب الملائكة لان الله تعالى يقول * هل اتاك نبأ الخصم * فقال هو لم يكونوا قط خصمين ولا بغي بعضهم على بعض ولا كان قط لاحدهما تسع وتسعون نعجة ولا كان للآخر نعجة واحدة ولا قال له اكفلنيها فاعجبوا لم يقحمون فيه اهل الباطل انفسهم ونعوذ بالله من الخذلان ثم كل ذلك بلا دليل بل الدعوى المجردة وتالله ان كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن ان يتعشق امرأة جاره ثم يعرض زوجها للقتل عمداً ليتزوجها وعن ان يترك صلاته لطائر يراه هذه افعال السفهاء المتكهوكين الفساق المتمردين لا افعال اهل البر والتقوى فكيف برسول الله داود صلى الله عليه وسلم الذي اوحي اليه كتابه واجرى على لسانه كلامه لقد نزهه الله عز وجل عن ان يمر مثل هذا الفحش بباله فكيف ان يستضيف الى افعاله واما استغفاره وخروره ساجداً ومغفرة الله تعالى له فالانبياء عليهم السلام اولى الناس بهذه الأفعال الكريمة والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا

من

من نبيّ ولا من مذنب ولا من غير مذنب فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الارض والملائكة كما قال الله تعالى * ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام * وظن داود انما فتناه * وقوله تعالى * فغفرنا له ذلك فقد ظن داود عليه السلام ان يكون ما أتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في ان يثبت الله قلبه على دينه فأستغفر الله تعالى من هذا الظن فغفر الله تعالى له هذا الظن اذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة

الكلام في سليمان عليه السلام

وذكروا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام * ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب *

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولا حجة لهم في هذا اذ معنى قوله تعالى فتنا سليمان أي أتيناه من الملك ما أختبرنا به طاعته كما قال تعالى مصدقاً لموسى عليه السلام في قوله تعالى * ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء * ان من الفتنة من يهدي الله من يشاء * وقال تعالى * ألم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * فهذه الفتنة هي الاختبار حتى يظهر المهتدي من الضال فهذه فتنة الله تعالى لسليمان انما هي اختباره حتى ظهر فضله فقط وما عدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود واشباههم واما الجسد الملقى على كرسيه فقد اصاب الله تعالى به ما اراد نؤمن بهذا كما هو ونقول صدق الله عز وجل كل من عند الله ربنا ولو جاء نص صحيح في القرآن او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفسير هذا الجسد ما هو لقلنا به فاذا لم يأت بتفسيره ما هو نص ولا خبر صحيح فلا يحل لاحد القول بالظن الذي هو اكذب الحديث في ذلك فيكون كاذباً على الله عز وجل الا اننا لا نشك البتة في بطلان قول من قال انه كان جنيا تصور بصورته بل نقطع على انه كذب والله تعالى لا يهتك ستر رسوله صلى الله عليه وسلم هذا الهتك وكذلك نبعد قول من قال انه كان ولداً له ارسله الى السحاب ليربيه فسليمان عليه السلام كان اعلم من ان يربي ابنه بغير ما طبع الله عز وجل بنية البشر عليه من اللبن

والطعام وهذه كلها خرافات موضوعة مكذوبة لم يصح اسنادها قط وذكروا ايضاً قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام * اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها عليَّ فطفق مسحا بالسوق والاعناق * وتأولوا ذلك على ما قد نزه الله عنه من له ادنى مسكة من عقل من اهل زماننا وغيره فكيف بنبي معصوم مفضل في انه قتل الخيل اذ اشتغل بها عن الصلاة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة قد جمعت افانين من القول والظاهر انها من اختراع زنديق بلا شك لان فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها واتلاف مال منتفع به بلا معنى ونسبة تضييع الصلاة الى نبي مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها وهذا امر لا يستجيزه صبي ابن سبع سنين فكيف بنبي مرسل ومعنى هذه الآية ظاهر بين وهو انه عليه السلام اخبر انه احبَّ حب الخير من اجل ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب او حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها ثم امر بردها فطفق مسحا بسوقها واعناقها بيده براً بها واكراماً لها هذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره وليس فيها اشارة اصلاً الى ما ذكروه من قتل الخيل وتعطيل الصلاة وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين فكيف ولا حجة في قول احد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا ايضاً الحديث الثابت من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان عليه السلام قال لاطوفنَّ الليلة على كذا وكذا امرأة كل امرأة منهنَّ تلد فارساً يقاتل في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا ما لا حجة لهم فيه فان من قصد تكثير المؤمنين المجاهدين في سبيل الله عز وجل فقد احسن ولا يجوز ان يظن به انه يجهل ان ذلك لا يكون الا ان يشاء الله عز وجل وقد جاء في نصّ الحديث المذكور انه انما ترك ان شاء الله نسياناً فأوخذ بالنسيان في ذلك وقد قصد الخير وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين تم الكلام في سليمان عليه الصلاة والسلام

﴿ فصل ﴾ وذكروا قوله تعالى * واتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا ما لا حجة لهم فيه لانه ليس في نص الآية ولا عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان هذا المذكور كان نبياً وقد يكون انباء الله تعالى لهذا المذكور آياته انه ارسل اليه رسولاً بآياته كما فعل بفرعون وغيره فأنسلخ منها بالتكذيب فكان من الغاوين واذا صح ان نبياً لا يعصى الله عز وجل تعمدا فمن المحال ان يعاقبه الله تعالى على ما لا يفعل ولا عقوبة اعظم من الحط عن النبوة ولا يجوز ان يعاقب بذلك نبي البتة لانه لا يكون منه ما يستحق به هذا العقاب وبالله تعالى التوفيق فصح يقيناً ان هذا المنسلخ لم يكن قط نبياً وذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ما من أحد الا من الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كلاماً هذا معناه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا صحيح وليس خلافاً لقولنا اذ قد بينا ان الانبياء عليهم السلام يقع منهم النسيان وقصد الشيء يظنونه قربة الى الله تعالى فأخبر عليه السلام انه لم ينج من هذا احد الا يحيى ابن زكريا عليهما السلام فيقوم من هذا ان يحيى لم ينس شيأ واجباً عليه قط ولا فعل الا ما وافق فيه مراد ربه عز وجل

الكلام في محمد صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وذكروا قول الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم * وقوله تعالى * عبس وتولى ان جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى * وبالحديث الكاذب الذي لم يصح قط في قراءته عليه السلام في والنجم اذا هوى وذكروا تلك الزيادة المفتراة التي تشبه من وضعها من قولهم وانها لهي الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجي وذكروا * قول الله تعالى * وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته * وبقوله تعالى * ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله * وان الوحي امتسك عنه عليه السلام لتركه الاستثناء اذ سأله اليهود عن الروح وعن ذي القرنين واصحاب الكهف * وبقوله تعالى * وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه * وبما روى من قوله عليه السلام لقد عرض على عذابكم ادنى من هذه الشجرة اذ قبل الفداء وترك قتل الاسرى يبدر وبما روى من قوله عليه السلام لو نزل عذاب ما نجى منه الا عمر لان عمر اشار

بقتلهم وذكروا انه عليه السلام مال الى رأى ابي بكر في الفدا والاستبقاء وبقوله تعالى «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» قالوا فان لم يكن له ذنب فماذا غفر له وبأي شيء أمتن الله عليه في ذلك وبقوله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى ما دعى اليه يوسف لاجبت فانما هذا اذ دعى الى الخروج من السجن فلم يجب الى الخروج حتى قال للرسول «ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم» فأمسك عن الخروج من السجن وقد دعى الى الخروج عنه حتى اعترف النسوة بذنبهن وبراءته وتيقن بذلك ما كان شك فيه فأخبر محمد صلى الله عليه وسلم انه لو دعى الى الخروج من السجن لاجاب وهذا التفسير منصوص في الحديث نفسه كما ذكرنا من كلامه عليه السلام او لبثت في السجن ما لبث يوسف عليه السلام ثم دعيت لاجبت الداعي او كلاماً هذا معناه واما قول الله عز وجل «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» فقد بينا ان ذنوب الانبياء عليهم السلام ليست الا ما وقع بنسيان او بقصد الى ما يظنون خيراً مما لا يوافقون مراد الله تعالى منهم فهذان الوجهان هما اللذان غفر الله عز وجل له واما قوله «لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم» فانما الخطاب في ذلك للمسلمين لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان ذلك اذ تنازعوا في غنائم بدر فكانوا هم المذنبين المتشتين عليه يبين ذلك قوله تعالى «يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم» وقوله تعالى في هذه السورة نفسها النازلة في هذا المعنى «يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون» وقوله تعالى قبل ذكره الوعيد بالعذاب الذي احتج به من خالفنا «تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة» فهذا نص القرآن وقد رد الله عز وجل الامر في الانفال المأخوذة يومئذ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الخبر المذكور الذي فيه لقد عرض على عذابكم ادنى من هذه الشجرة ولو نزل عذاب ما نجى منه الا عمر فهذا خبر لا يصح لان المنفرد بروايته عكرمة بن عمار اليمامي وهو ممن قد صح عليه وضع الحديث او سوء الحفظ او الخطأ الذي لا يجوز معها الرواية عنه ثم لو صح لكان القول فيه كما قلنا من انه قصد الخير بذلك واما قوله «عبس وتولى» الآيات فانه كان عليه السلام قد جلس اليه عظيم من عظماء قريش ورجا اسلامه وعلم عليه السلام انه

لو أسلم لاسلم باسلامه ناس كثير واظهر الدين وعلم ان هذا الاعمى الذي يسأله عن اشياء من امور الدين لا يفوته وهو حاضر معه فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير عما لا يخاف فوته وهذا غاية النظر للدين والاجتهاد في نصرة القرآن في ظاهر الامر ونهاية التقرب الى الله الذي لو فعله اليوم منا فاعل لأجر فعاتبه الله عز وجل على ذلك اذ كان الاولى عند الله تعالى ان يقبل على ذلك الاعمى الفاضل البر التقي وهذا نفس ما قلناه وكما سهى عليه السلام من اثنتين ومن ثلاث وقام من اثنتين ولا سبيل الى ان يفعل من ذلك شيئاً تعمداً اصلا نعم ولا يفعل ذلك تعمداً انسان منا فيه خير واما الحديث الذي فيه وانهن الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى فكذب بحت موضوع لانه لم يصح قط من طريق النقل ولا معنى للاشتغال به اذ وضع الكذب لا يعجز عنه احد واما قوله تعالى «وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمني القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان» الآية فلا حجة لهم فيها لان الاماني الواقعة في النفس لا معنى لها وقد تمنى النبي صلى الله عليه وسلم اسلام عمه ابي طالب ولم يرد الله عز وجل كون ذلك فهذه الاماني التي ذكرها الله عز وجل لا سواها وحاشا لله ان يتمنى نبي معصية وبالله تعالى التوفيق وهذا الذي قلنا هو ظاهر الآية دون مزيد تكلف ولا يحل خلاف الظاهر الا بظاهر آخر وبالله تعالى التوفيق واما قوله «ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت» فقد كفى الله عز وجل الكلام في ذلك ببيانه في اخر الآية ان ذلك كان نسياناً فعوتب عليه السلام في ذلك واما قوله تعالى «وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه» فقد انفنا من ذلك اذ لم يكن فيه معصية اصلا ولا خلاف فيما أمره الله تعالى به وان ما كان اراده زواج مباح له فعله ومباح له تركه ومباح له طيه ومباح له اظهاره وانما خشى النبي صلى الله عليه وسلم الناس في ذلك خوف ان يقولوا قولا ويظنوا ظنا فيهلكوا كما قال عليه السلام للانصاريين انها صفية فاستعظما ذلك فاخبرهما النبي صلى الله عليه وسلم انه انما اخشى ان يلقي الشيطان في قلوبهما شيئاً وهذا الذي خشيه عليه السلام على الناس من هلاك اديانهم بظن يظنونه به عليه السلام هو الذي يحققه هؤلاء المخذولون المخالفون لنا في هذا الباب من نسبتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم تعمد المعاصي فهلكت اديانهم وضلوا ونعوذ بالله من

الخذلان وكان مراد الله عز وجل ان يبدي ما في نفسه لما كان سلف في علمه من السعادة لأمنا زينب رضي الله عنها

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان قال قائل انكم تحتجون كثيراً بقول الله عز وجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * وبقوله * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما * وبقوله تعالى * لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكروا الله كثيراً * وبقوله عليه السلام اني لا تقاكم لله واعلمكم بما آتي وآذر وتقولون من اجل هذه النصوص ان كل قول قاله عليه السلام فبوحي من الله قاله وكل عمل عمله فباذن من الله تعالى ورضي منه عمله فاخبرونا عن سلامه صلى الله عليه وسلم من ركعتين ومن ثلاث وقيامه من اثنتين وصلاته الظهر خمساً واخباره بانه يحكم بالحق في الظاهر لمن لا يحل له اخذه ممن يعلم انه في باطن الامر بخلاف ما حكم له به من ذلك أبوحي من الله تعالى وبرضاه فعل كل ذلك ام كيف تقولون وهل يلزم المحكوم عليه والمحكوم له الرضا بحكمه ذلك وهما يعلمان ان الامر بخلاف ذلك ام لا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان كل ما ذكر هاهنا فبوحي من الله تعالى فعله وكل من قدّر ولم يشك في انه قد أتم صلاته فالله تعالى امره بان يسلم فاذا علم بعد ذلك انه سهى فقد لزمته شريعة الاتمام وسجود السهو برهان ذلك انه لو تمادى ولم يسلم قاصداً الى الزيادة في صلاته على تقديره انه قد أتمها لبطلت صلاته كلها بلا شك باطناً وظاهراً ولاستحق اسم الفسق والمعصية وكذلك من قدر انه لم يصل الا ركعة واحدة وانه لم يتم صلاته فان الله امره بالزيادة في صلاته يقيناً حتى لا يشك في الاتمام وبان يقوم الى ثانية عنده فمتى علم بان الامر كان بخلاف ذلك فصلاته تامة ولزمته حينئذ شريعة سجود السهو وبرهان ذلك انه لو قعد من واحدة عنده متعمداً مستهزئاً او سلم من ثلاث عنده متعمداً لبطلت صلاته جملة ولاستحق اسم الفسق والمعصية لانه فعل خلاف ما امره الله تعالى به وكذلك امره الله وامرنا بالحكم بالبينة العدلة عندنا وباليمين من المنكر وباقرار المقر وان كانت البينة عامدة للكذب في غير علمنا وكانت اليمين والاقرار كاذبين في الباطن وافترض الله علينا بذلك سفك الدماء التي لو علمنا الباطن لحرمت علينا وهكذا في الفروج والاموال

برهان ذلك ان حاكماً لو شهد عنده بينة عدل عنده فلم يقض بها وقضى باليمين على المنكر الذي لا بينة عليه فحلف ثم قضى عليه لكان القاضي فاسقاً بلا خلاف عاصياً لله عز وجل لخلافه ما امره الله سبحانه وتعالى به وان وافق حقاً لم يكن علم به وفرض على المحكوم عليه والمحكوم له ان يرضيا بالحكم بالبينة واليمين وان يصيرا في انفسهما الى حقيقة علمهما في اخذ الحق واعطائه وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وذكروا قول الله تعالى * حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا * بتخفيف الذال وليس هذا على ما ظنه الجهال وانما معناه ان الرسل عليهم السلام ظنوا بمن وعدهم النصر من قومهم انهم كذبوهم فيما وعدوهم من نصرهم ومن المحال البين ان يدخل في عقل من له ادنى رمق ان الله تعالى يكذب فكيف بصفوة الله تعالى من خلقه واتمهم علما واعرفهم بالله عز وجل ومن نسب هذا الى نبي فقد نسب اليه الكفر ومن اجاز الى نبي الكفر فهو الكافر المرتد بلا شك والذي قلنا هو ظاهر الآية وليس فيها ان الله تعالى كذبهم حاشا لله من هذا وذكروا ايضاً قول الله تعالى * فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك *

﴿ قال ابو محمد ﴾ انما عهدنا هذا الاعتراض من اهل الكتاب وغيرهم واما من يدعى انه مسلم فلا ولا يمكن البتة أن يكون مسلم يظن ان رسول الله صلى الله عليه السلام كان شاكا في صحة الوحي اليه ولنا في هذه الآية رسالة مشهورة وجملة حل هذا الشك ان إن في هذه الآية المذكورة بمعنى ما التي للجحد بمعنى * وما كنت في شك مما انزلنا اليك * ثم امره ان يسأل اهل الكتاب تقريراً لهم على انهم يعلمون انه نبي مرسل مذكور عندهم في التوراة والانجيل وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا كل ما موهوا به قد تقصيناه وبيناه وأرينا انه موافق لقولنا ولا يشهد شيء منه لقول مخالفنا وبالله التوفيق ونحن الآن نأخذ بحول الله وقوته في الاتيان بالبراهين الضرورية الواضحة على صحة قولنا وبطلان قول مخالفنا قال الله تعالى * وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة * وقال تعالى * وما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله * فوجدنا الله تعالى وهو اصدق القائلين

قد نفى عن الانبياء عليهم السلام الغلول والكفر والتجبر ولا خلاف بين احد من الامة في ان حكم الغلول كحكم سائر الذنوب فدصح الاجماع بذلك وان من جوز على الانبياء عليهم السلام شيئاً من تعمد الذنوب جوز عليهم الغلول ومن نفى عنهم الغلول نفى عنهم سائر الذنوب وقد صح نفي الغلول عنهم بكلام الله تعالى فوجب انتفاء تعمد الذنوب عنهم بصحة الاجماع على انها سواء الغلول وقال عز وجل * ام حسب الذين اجترحوا السيئآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم سآء ما يحكمون *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلا يخلو مخالفنا الذي يجيز ان يكون الانبياء عليهم السلام قد اجترحوا السيئآت من احد وجهين لا ثالث لهما اما ان يقول ان في سائر الناس من لم يعص ولا اجترح سيئة قيل له فمن هؤلاء الذين نفى الله عنهم ان يكون الذين اجترحوا السيئآت مثلهم اذ كانوا غير موجودين في العالم فلا بد من ان يجعل كلام الله عز وجل هذا فارغا لا معنى له وهذا كفر من قائله او يقول هم الملائكة فان قال ذلك رد قوله هذا قول الله تعالى في الآية نفسها * سواء محياهم ومماتهم سآء ما يحكمون * ولا نص ولا اجماع على ان الملائكة تموت ولو جاء بذلك نص لقلنا به بل البرهان موجب ان لا يموتوا لان الجنة دار لا موت فيها والملائكة سكان الجنان فيها خلقوا وفيها يخلدون ابداً وكذلك الحور العين وايضاً فان الموت انما هو فراق النفس للجسد المركب وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الملائكة خلقوا من نور فليس فيهم شيء يفارق شيئاً فيسمى موتاً فان اعترض معترض بقوله * كل نفس ذائقة الموت * لزمه ان حمل هذه الآية على عمومها ان الحور العين يمتن فيجعل الجنة دار موت وقد ابعدها الله تعالى عنه قال الله تعالى * وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون * فعلمنا بهذا النص ان قوله تعالى * كل نفس ذائقة الموت * انما عنى به من كان في غير الجنة من الجن والانس وسائر الحيوان المركب الذي يفارق روحه جسده وبالله تعالى التوفيق ويرد ايضاً قوله ان قال بهذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وقد الم اوكاد الا يحيى بن زكريا أو يقول ان في الناس من لم يجترح سيئة قط وان من اجترح السيئات لا يساويهم كما قال عز وجل فان قال ذلك فان الانبياء عليهم السلام عنده يجترحون السيئات وفي سائر الناس من لا يجترحها فوجب ان يكون في الناس من هو افضل من الانبياء عليهم

السلام

السلام وهذا كفر وما قدرنا ان أحداً ممن ينتمي الى اهل الاسلام ولا الى اهل الكتاب ينطلق لسانه بهذا حتى رأينا المعروف بابن الباقلاني فيما ذكر عنه صاحبه ابو جعفر السمناني قاضي الموصل انه قد يكون في الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم من هو أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم من حين يبعث الى حين يموت(١) فاستعظمنا ذلك وهذا شرك مجرد وقدح في النبوة لا خفاء به وقد كنا نسمع عن قوم من الصوفية انهم يقولون ان الولي افضل من النبي وكنا لا نحقق هذا على احد يدين بدين الاسلام الى ان وجدنا هذا الكلام كما اوردنا فنعوذ بالله من الارتداد

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولو ان هذا الضال المضل يدري ما معنى لفظة افضل ويدري فضيلة النبوة لما انطلق لسانه بهذا الكفر وهذا التكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول اني لاتقاكم لله واني لست كهيئتكم واني لست مثلكم فاذ قد صح بالنص ان في الناس من لم يجترح السيئة وان من اجترح السيئآت لا يساويهم عند الله عز وجل فالأنبياء عليهم السلام احق بهذه الدرجة وبكل فضيلة بلا خلاف من احد من أهل الاسلام بقول الله عز وجل * الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس * فأخبر تعالى ان الرسل صفوته من خلقه وقد اعترض علينا بعض المخالفين بان قال فما تقول فيمن بلغ فآمن وذكر الله مرات ومات أثر ذلك او في كافر اسلم وقاتل مجاهداً وقتل فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان نقول اما من كان كافراً ثم اسلم فقد اجترح من السيئآت بكفره ما هو اعظم من السموات والارض وان كان قد غفر له بايمانه ولكن قد حصل بلا شك من جملة من قد اجترح السيئآت واما من بلغ فآمن وذكر الله تعالى ثم مات فقد كان هذا ممكنا في طبيعة العالم وفي بنيته لولا قول الله عز وجل * أم حسب الذين اجترحوا السيئآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون * فان الله تعالى قطع قطعاً لا يرده الا كافر بانه لا يجعل من اجترح السيئآت كمن لم يجترحها ونحن نوقن ان الصحابة رضى الله عنهم وهم افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام ليس منهم أحد الا وقد اجترح سيئة فكان يلزم على هذا ان يكون من اسلم أثر بلوغه ومات أفضل من الصحابة رضي الله عنهم وهذا خلاف قول النبي صلى الله عليه وسلم انه لو كان

---

(١) هذا غير معروف عن الباقلاني اصلا فلعل الناقل حرف الاسم او سها المصنف اهـ مصححه

لاحدنا مثل احد ذهبا فأنفقه لم يبلغ مداحدهم ولا نصيفه فاذ هذا كما قلنا فقول الله عز وجل وقول رسوله صلى الله عليه وسلم أحق بالتصديق لا سيما مع قوله عليه السلام ما من احد الا ألمّ بذنب اوكاد الا يحيى بن زكريا فنحن نقطع قطعاً بما ذكرنا انه لا سبيل الى ان يبلغ احد حد التكليف الا ولا بد له من ان يجترح سيئآت الله اعلم بها وبالله التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن البرهان على انه لم يكن البتة ان يعصي نبي قوله صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خائنة الا عين لما قال له الانصاري هلا او مأت الي في قصة عبد الله بن سعد بن ابي سرح فنفى عليه السلام عن جميع الأنبياء عليهم السلام ان تكون لهم خائنة الا عين وهو اخف ما يكون من الذنوب ومن خلاف الباطن للظاهر فدخل في هذا جميع المعاصي صغيرها وكبيرها سرها وجهرها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وايضاً فاننا مندوبون الى الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام والى الايتساء بهم في افعالهم كلها قال الله تعالى * لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر * وقال تعالى * اؤلئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * فصح يقيناً انه لو جاز ان يقع من احد من الانبياء عليهم السلام ذنب تعمد صغيراً وكبيراً كان الله عز وجل قد حضنا على المعاصي وندبنا الى الذنوب وهذا كفر مجرد ممن اجازه فقد صح يقيناً ان جميع افعال الانبياء التي يقصدونها خير وحق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وايضاً فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم عظيم انكاره على ذي الخويصرة لعنه الله ولعن امثاله اذ قال الكافر اعدل يامحمد ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك من يعدل اذا أنا لم اعدل ايأمنني الله ولا تأمنوني وقوله عليه السلام لام سلمة ام المؤمنين اذ سألته عن الذي قبل امرأته في رمضان الا اخبرتها اني فعلت ذلك وغضب عليه السلام اذ قال له لست مثلنا قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانكر عليه السلام اذ جعل له ذنباً بعمد وان صغر وقال عليه السلام اني والله لاعلمكم بالله واتقاكم لله او كلاماً هذا معناه فان قال قائل فهلا نفيتم عنهم عليهم السلام السهو بدليل الندب الى الايتساء بهم عليهم السلام قلنا وبالله تعالى التوفيق انكار ما ثبت كاجازة ما لم يثبت سواء ولا فرق والسهو منهم قد ثبت بيقين وايضاً فان ندب الله تعالى

لنا الى الايتساء بهم عليهم السلام لا يمنع من وقوع السهو منهم لان الايتساء بالسهو لا يمكن الا بسهو منا ومن المحال ان نندب الى السهو او نكلف السهو لاننا لو قصدنا اليه لم يكن حينئذ سهواً ولا يجوز ايضاً ان ننهى عن السهو لان الانتهاء عن السهو ليس في بنيتنا ولا في وسعنا وقد قال تعالى * لا يكلف الله نفساً الا وسعها * ونقول ايضاً اننا مأمورون اذا سهونا ان نفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سها وايضاً فان الله تعالى لا يقر الانبياء عليهم السلام على السهو بل ينبههم في الوقت ولو لم يفعل ذلك تعالى لكان لم يبين لنا مراده منا في الدين وهذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول تعالى *تبياناً لكل شيء* واذ يقول * اليوم اكملت لكم دينكم * وقوله تعالى *وقد فصل لكم ما حرم عليكم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فسقط قول من نسب الى الانبياء عليهم السلام شيئاً من الذنوب بالعمد صغيرها وكبيرها اذا لم يبق لهم شبهة يموهون بها اصلا واذ قد قامت البراهين على بطلانها ولحقوا بذي الخويصرة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولو جاز من الانبياء عليهم السلام شيء من المعاصي وقد ندبنا الى الايتساء بهم وبافعالهم لكنا قد ابيحت لنا المعاصي وكنا لا ندري لعل جميع ديننا ضلال وكفر ولعل كل ما عمله عليه السلام معاص ولقد قلت يوماً لبعضهم ممن كان يجيز عليهم الصغائر بالعمد أليس من الصغائر تقبيل المرأة الاجنبية وقرصها فقال نعم قلت فتجوز انه يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم انه يقبل امرأة غيره متعمداً فقال معاذ الله من هذا ورجع الى الحق من حينه والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ قال الله تعالى * انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما *

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن الباطل المحال ان يتم الله نعمته على عبد ويعصى الله بما كبر وما صغر اذ لو كان ذلك لما كانت نعمة الله تعالى عليه تامة بل ناقصة اذ خذله فيما عصى فيه وقال تعالى * انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعذروه وتوقروه * وقال الله تعالى * قل اباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وما وقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بلغ الغاية القصوى في الاستهزاء

برسل الله صلى الله عليهم وسلم من جوز ان يكونوا سراقا زناة ولاطة وبغائين ووالله ما نعلم
كفراً اعظم من هذا ولا استهزاء بالله تعالى وبرسله وبالدين اعظم من كفر اهل هذه المقالة
وليت شعري ما الذي أمنهم من كذبهم في التبليغ لانا لا ندري لعلهم بلغوا الينا الكذب
عن الله تعالى

﴿ قال ابو محمد ﴾ فنقول لهم ولعل افعاله التي نأتسى بها تبديل للدين ومعاص لله عز وجل ولا فرق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وما نعلم اهل فرية اشد سعياً في افساد الاسلام وكيده من الرافضة واهل
هذه المقالة فان كلتا الطائفتين الملعونتين اجازتا تبديل الدين وتحريفه وصرحت هذه الفئة
مع ما اطلقت على الانبياء من المعاصي بان الله تعالى انما تعبدنا في دينه بغالب ظنوننا وانه لا
حكم لله الا ما غلب عليه ظن المرء منا وان كان مختلفاً متناقضاً وما نمتري في انهم ساعون في
افساد أغمار المسلمين المحسنين بهم الظن نعوذ بالله من الضلال

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان قال قائل انكم تقولون ان الانبياء عليهم السلام مؤاخذون بما أتوا على
سبيل السهو والقصد الى الخير اذا لم يوافق مراد الله تعالى فهلا اوخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بسهوه في الصلاة قلنا له وبالله تعالى التوفيق قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وهذه فضيلة مما فضل به على جميع النبيين عليهم السلام وهكذا نص عليه السلام في حديث
الشفاعة يوم القيامة ومصير الناس من نبي الى نبي فكل ذكر خطيئة او سكت فلما ذكروا
النبي صلى الله عليه وسلم قال قائلهم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فبطل ان يؤاخذ
بما غفره الله وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان قال قائل ايجوز ان يكون نبي من الانبياء عليهم السلام يأتي معصية قبل
ان يتنبأ قلنا لا يخلو من احد وجهين لا ثالث لهما اما ان يكون متعبداً بشريعة نبي اتى قبله كما
كان عيسى عليه السلام واما ان يكون قد نشأ في قوم قد درست شريعتهم ودثرت ونسيت
كما في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم في قوم قد نسوا شريعة اسماعيل وابراهيم عليهما السلام
قال تعالى ٭ ووجدك ضالا فهدى ٭ وقال تعالى ٭ لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم ٭ فان كان النبي
متعبداً بشريعة ما فقد ابطلنا آنفا ان يكون نبي يعصى ربه اصلا وان كان نشأ في قوم دثرت
شريعتهم فهو غير متعبد ولا مأمور بما لم يأته امر الله تعالى به بعد فليس عاصياً لله تعالى في

شيء يفعله او يتركه الا اننا ندري ان الله عز وجل قد طهر انبياءه وصانهم من كل ما يعابون
به لان العيب اذى وقد حرم الله عز وجل ان يؤذى رسوله قال تعالى ٭ ان الذين يؤذون
الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً ٭

﴿ قال ابو محمد ﴾ فبيقين ندري ان الله تعالى صان انبياءه عن ان يكونوا لبغية او من اولاد
بغي او من بغايا بل بعثهم الله تعالى في حسب قومهم فاذ لا شك في هذا فبيقين ندري ان
الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة فدخل في ذلك السرقة والعدوان
والقسوة والزنا واللياطة والبغي واذى الناس في حريمهم واموالهم وانفسهم وكل ما يعاب به
المرء ويتشكى منه ويؤذى بذكره وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا ما حدثناه
احمد بن محمد الطلمنكي انا ابن فرج انا ابراهيم بن احمد فراس انبانا احمد بن محمد بن سالم
النيسابوري انا اسحاق بن راهويه انا وهب بن جرير بن حازم انا ابي انبانا محمد بن اسحاق
حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما كان اهل الجاهلية يهمون
به الا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمني الله منها قلت لفتى كان معي من قريش باعلى مكة في
اغنام لها ترعى ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم فلما خرجت
فجئت ادنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمير فقلت ما هذا قالوا فلان
تزوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما ايقظني
الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت فاخبرته ثم قلت له ليلة اخرى مثل
ذلك ففعل فخرجت فسمعت مثل ذلك فقيل لي مثل ما قيل لي فلهوت بما سمعت حتى غلبتني
عيني فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت قلت ما فعلت شيئاً
فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل اهل الجاهلية حتى اكرمني الله بنبوته

﴿ قال ابو محمد ﴾ فصح انه عليه السلام لم يعص قط بكبيرة ولا بصغيرة لا قبل النبوة ولا
بعدها ولا هم قط بمعصية صغرت او كبرت لا قبل النبوة ولا بعدها الا مرتين بالسمر حيث
ربما كان بعض ما لم يكن نهى عنه بعد والهم حينئذ بالسمر ليس هماً بزنا ولكنه بما يحذوا اليه
طبع البرية من استحسان منظر حسن فقط وبالله تعالى التوفيق تم الكلام في الانبياء عليهم السلام

الكلام في الملائكة عليهم السلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ قد ذكرنا قبل أمر هاروت وماروت ونزيدها هنا بياناً في ذلك وبالله تعالى التوفيق ان قوما نسبوا الى الله تعالى مالم يأت به قط اثر يجب ان يشتغل به وانما هو كذب مفترى من انه تعالى انزل الى الارض ملكين وهما هاروت وماروت وانهما عصيا الله تعالى وشربا الخمر وحكما بالزور وقتلا النفس وزنيا وعلما زانية اسم الله الاعظم فطارت به الى السماء فمسخت كوكباً وهي الزهرة وانهما عذبا في غار ببابل وانهما يعلمان الناس السحر وحجتهم على ما في هذا الباب خبر رويناه من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول مرة يقال له النخعي ومرة يقال له الحنفي ما نعلم له رواية الا هذه الكذبة وليس ايضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه اوقفها عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكذبة اخرى في ان حد الخمر ليس سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو شيء فعلوه وحاشا لهم رضي الله عنهم من هذا

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن البرهان على بطلان هذا كله قول الله تعالى * الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذاً منظرين * فقطع الله عز وجل ان الملائكة لا تنزل الا بالحق وليس شرب الخمر ولا الزنا ولا قتل النفس المحرمة ولا تعليم العواهر اسماءه عز وجل التي يرتفع بها الى السماء ولا السحر من الحق بل كل ذلك من الباطل ونحن نشهد ان الملائكة ما نزلت قط بشيء من هذه الفواحش والباطل واذا لم تنزل به فقد بطل ان تفعله لانها لو فعلته في الارض لنزلت به وهذا باطل وشهد عز وجل انه لو انزل علينا الملائكة لما نظرنا فصح انه لم ينزل قط ملك ظاهر الا للنبي بالوحي فقط وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكذلك قوله تعالى * ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا * فابطل عز وجل انه يمكن ظهور ملك الى الناس وقال تعالى * ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون * فكذب الله عز وجل كل من قال ان ملكا نزل قط من السماء ظاهراً الا الى الانبياء بالحق من عند الله عز وجل فقط وقال عز وجل * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتواً كبيراً يوم يرون الملائكة لا

لا بشرى يومئذ للمجرمين * الآية فرفع الله تعالى الاشكال بهذا النص في هذه المسألة وقرن عز وجل نزول الملائكة في الدنيا برؤيته عز وجل فيها فصح ضرورة ان نزولهم في الدنيا الى غير الانبياء ممتنع البتة لا يجوز وان من قال ذلك فقد قال حجراً محجوراً أي ممتنعاً وظهر بها كذب من ادعى ان ملكين نزلا الى الناس فعلماهم السحر وقد استعظم الله عز وجل ذلك من رغبة من رغب نزول الملائكة الى الناس وسمى هذا الفعل استكباراً وعتواً وأخبر عز وجل أننا لا نرى الملائكة ابداً الى يوم القيامة فقط وانه لا بشرى يومئذ للمجرمين فاذ لا شك في هذا كله فقد علمنا ضرورة انه لا يخلو من احد وجهين لا ثالث لهما كما قدمنا قبل اما ان هاروت وماروت لم يكونا ملكين وان ما في قوله * وما انزل على الملكين * نفي لان ينزل على الملكين ويكون هاروت وماروت حينئذ بدلا من الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت ويكون هاروت وماروت قبيلتان من قبائل الجن كانتا يعلمان الناس السحر وقد روينا هذا القول عن خالد ابن أبي عمران وغيره وروي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام وكان يقول ان هاروت وماروت علجان من أهل بابل الا ان الذي لا شك فيه على هذا القول انهما لم يكونا ملكين وقد اعترض بعض الجهال فقال لي أبلغ من رفق الشيطان ان يقول للذي يتعلم السحر لا تكفر فقلت له هذا الاعتراض يبطل من ثلاث جهات أحدها ان نقول لك وما المانع من ان يقول الشيطان ذلك اما سخرياً واما لما شاء الله فلا سبيل لك الى دليل مانع من هذا والثاني انه قد نص الله عز وجل على ان الشيطان قال اني أخاف الله فقال تعالى * واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله تعالى * اني أخاف الله والله شديد العقاب * وقال تعالى * كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين * فقد أمر الشيطان الانسان بالكفر ثم تبرأ منه واخبره انه يخاف الله وغره الكفار ثم تبرأ منهم وقال اني أخاف الله فأي فرق بين ان يقول الشيطان للانسان اكفر ويغره ثم يتبرأ منه ويقول اني اخاف الله وبين ان يعلمه السحر ويقول له لا تكفر والثالث ان معلم السحر بنص الآية قد قال للذي يتعلم منه لا تكفر فسواء كان ملكاً أو شيطاناً قد علمه على قولك ما لا يحل وقال له لا تكفر فلم تنكر هذا من الشيطان ولا تنكره بزعمك من الملك وانت

تنسب اليه انه يعلم السحر الذي عندك ضلال وكفر وأما ان يكون هاروت وماروت ملكين نزلا بشريعة حق بعلم ما على انبياء فعلماهم الدين وقالا لهم لا تكفروا نهياً عن الكفر بحق واخبراهم انهم فتنة يضل الله تعالى بهما وبما أتيا به من كفر به ويهدي بهما من آمن به قال تعالى عن موسى انه قال له * ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء * وكما قال تعالى * الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ثم نسخ ذلك الذي أنزل على الملكين فصار كفراً بعد ان كان ايماناً كما نسخ تعالى شرائع التوراة والانجيل فتمادت الجن على تعليم ذلك المنسوخ وبالجملة فما في الآية من نص ولا دليل على ان الملكين علما السحر وانما هو اقحام أقحم بالآية بالكذب والافك بل وفيها بيان انه لم يكن سحرا بقوله تعالى *ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل *ولا يجوز ان يجعل المعطوف والمعطوف عليه شيئاً واحد الا ببرهان من نص او اجماع او ضرورة والا فلا اصلا وايضاً فان بابل هي الكوفة وهي بلد معروف بقربها محدودة معلومة ليس فيها غار فيه ملك فصح انه خرافة موضوعة اذ لو كان ذلك لما خفي مكانهما على أهل الكوفة فبطل التعلق بهاروت وماروت والحمد لله رب العالمين

﴿قال أبو محمد﴾ وقد ادعى قوم ان ابليس كان ملكا فعصى وحاشا لله من هذا لان الله تعالى قد اكذب هذا القول بقوله تعالى * الا ابليس كان من الجن * وبقوله * افتتخذونه وذريته اولياء من دوني* ولا ذرية للملائكة وبقوله تعالى * انه يرا كم هو وقبيله من حيث لا ترونهم * وباخباره انه خلق ابليس من نار السموم وصح عن النبي صلى عليه وسلم انه قال خلقت الملائكة من نور والنور غير النار بلا شك فصح ان الجن غير الملائكة والملائكة كلهم خيار مكرمون بنص القرآن والجن والانس فيهما مذموم ومحمود فان قال قائل ان الله عز وجل ذكر انهم قالوا * اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك * وهذا تزكية لانفسهم وقد قال تعالى * ولا تزكوا انفسكم * قلنا وبالله تعالى التوفيق مدح المرء نفسه ينقسم قسمين احدهما ما قصد به المرء افتخاراً بغياً وانتقاصاً لغيره فهذه هي التزكية وهو مذموم جداً والآخر ما خرج مخرج الاخبار بالحق كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وفضلت على الانبياء وكقول يوسف عليه السلام اجعلني

على خزائن الارض اني حفيظ عليم * ولا يسمى هذا تزكية ومن هذا الباب قول الملائكة ههنا برهان هذا انه لو كان قولهم مذموماً لانكره الله عز وجل عليهم فاذ لم ينكره الله تعالى فهو صدق ومن هذا الباب قولنا نحن المسلمون ونحن خير أمة أخرجت للناس وكقول الحواريين نحن انصار الله فكل هذا اذا قصد به الحض على الخير لا الفخر فهو خير فان قال قائل ان الله تعالى قال لهم * اني أعلم مالا تعلمون * قلنا نعم وما شك الملائكة قط ان الله تعالى يعلم ما لا يعلمون وليس هذا انكاراً واما الجن فقد قلنا انهم متعبدون بملة الاسلام وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الروث والعظام طعام اخواننا من الجن وهذا بخلاف حكمنا فقد يخصهم الله عز وجل بأوامر خلاف اوامرنا كما للنساء شرائع ليست للرجال من الحيض وقطع الصلاة وغير ذلك وكما لقريش الامامة وليست لغيرهم وكل ذلك دين الاسلام وبالله تعالى التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل

هل يكون مؤمناً من اعتقد الاسلام دون استدلال

(ام لا يكون مؤمناً مسلماً الا من استدل)

﴿قال ابو محمد﴾ ذهب محمد بن جرير الطبري والاشعرية كلها حاشا السمناني الى انه لا يكون مسلما الا من استدل والا فليس مسلما وقال الطبري من بلغ الاحتلام او الاشعار من الرجال والنساء او بلغ المحيض من النساء ولم يعرف الله عز وجل بجميع اسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر حلال الدم والمال وقال انه اذا بلغ الغلام او الجارية سبع سنين وجب تعليمها وتدريبهما على الاستدلال على ذلك وقالت الاشعرية لا يلزمهما الاستدلال على ذلك الا بعد البلوغ

﴿قال ابو محمد﴾ وقال سائر اهل الاسلام كل من اعتقد بقلبه اعتقاداً لا يشك فيه وقال بلسانه لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وان كل ما جاء به حق وبرئ من كل دين سوى دين محمد صلى الله عليه وسلم فانه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك

﴿قال ابو محمد﴾ فاحتجت الطائفة الاولى بان قالت قد اتفق الجميع على ان التقليد مذموم وما لم يكن يعرف باستدلال فانما هو تقليد لا واسطة بينهما وذكروا قول الله عز وجل * انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون * وقال تعالى * قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم

عليه آباءكم * وقال تعالى *أولو كان اٰباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون * وقال تعالى * وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا * وقالوا فذم الله تعالى اتباع الآباء والرؤساء قالوا وبيقين ندري انه لا يعلم أحد أي الامرين اهدى ولاهل يعلم الآباء شيأ أولا يعلمون الا بالدليل وقالوا كل ما لم يكن يصح بدليل فهو دعوي ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما لكن بالدليل قال الله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * قالوا فمن لا برهان له فليس صادقاً في قوله وقالوا ما لم يكن علما فهو شك وظن والعلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة او استدلال قالوا والديانات لا يعرف صحة الصحيح منها من بطلان الباطل منها بالحواس اصلا فصح انه لا يعلم ذلك الامن طريق الاستدلال فاذا لم يكن الاستدلال فليس المرء عالما بما لم يستدل عليه واذا لم يكن عالما فهو شاك ضال وذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسآئلة الملك في القبر ما تقول في هذا الرجل فاما المؤمن او الموقن فانه يقول هو محمد رسول الله قال وأما المنافق او المرتاب فانه يقول لا ادري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته قالوا وقد ذكر الله عز وجل الاستدلال على الربوبية والنبوة في غير موضع من كتابه وامر به واوجب العلم به والعلم لا يكون الا عن دليل كما قلنا

﴿قال ابو محمد﴾ هذا كلما موهوا به قد تقصيناه لهم غاية التقصي وكل هذا لا حجة لهم في شيء منه على ما نبين بحول الله وقوته ان شاء الله تعالى لا اله الا هو بعد ان نقول قولا تصححه المشاهدة ان جمهور هذه الفرقة ابعد من كل من ينتمي الى البحث والاستدلال عن المعرفة بصحة الدلائل فاعجبوا لهذا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين

﴿قال ابو محمد﴾ اما قولهم قد اجمع الجميع على ان التقليد مذموم وان ما لا يعرف باستدلال فانما هو اخذ تقليد اذ لا واسطة بينهما فانهم شغبوا في هذا الامكان ووابوا فتركوا التقسيم الصحيح ونعم ان التقليد لا يحل البتة وانما التقليد اخذ المرء قول من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يأمرنا الله عز وجل باتباعه قط ولا بأخذ قوله بل حرم علينا ذلك ونهانا عنه واما اخذ المرء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي افترض علينا طاعته والزمنا اتباعه وتصديقه وحذرنا عن مخالفة امره وتوعدنا على ذلك اشد الوعيد فليس تقليداً بل هو ايمان وتصديق واتباع للحق وطاعة لله عز وجل واداء للمفترض فموه هؤلاء القوم بان اطلقوا

على الحق الذي هو اتباع الحق اسم التقليد الذي هو باطل وبرهان ما ذكرنا ان امرأً لو اتبع احداً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول قاله لان فلانا قاله فقط واعتقد انه لو لم يقل ذلك الفلان ذلك القول لم يقل به هو ايضاً فان فاعل هذا القول مقلد مخطئ عاص لله تعالى ولرسوله ظالم آثم سواء كان قد وافق قوله ذلك الحق الذي قاله الله ورسوله او خالفه وانما فسق لانه اتبع من لم يؤمر باتباعه وفعل غير ما امره الله عز وجل ان يفعله ولو ان امرأً اتبع قول الله عز وجل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان مطيعاً محسناً مأجوراً غير مقلد وسواء وفق الحق او وهم فاخطأ وانما ذكرنا هذا لنبين ان الذى امرنا به وافترض علينا هو اتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط وان الذي حرم علينا هو اتباع من دونه او اختراع قول لم يأذن به الله تعالى فقط وقد صح ان التقليد باطل لا يحل فمن الباطل الممتنع ان يكون الحق باطلا معا والمحسن مسيئاً من وجه واحد معا فاذ ذلك كذلك فمتبع من امر الله تعالى باتباعه ليس مقلداً ولا فعله تقليداً وانما المقلد من اتبع من لم يأمره الله تعالى باتباعه فسقط تمويههم بذم التقليد وصح انهم وضعوه في غير موضعه واوقعوا اسم التقليد على ما ليس تقليداً وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بذم الله تعالى اتباع الاباء والكبراء فهو مما قلنا آنفا سواء بسواء لان اتباع الاباء والكبراء وكل من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من التقليد المحرم المذموم فاعله فقط قال الله عز وجل * اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء *فهذا نص ما قلنا ولله الحمد

﴿قال ابو محمد﴾ واما احتجاجهم انه لا يعرف اي الامرين اهدى ولاهل يعلم الاباء شيئاً ام لا الا بالدلايل وان كل ما لم يصح به دليل فهو دعوى ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما وذكرهم قول الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فان هذا ينقسم قسمين فمن كان من الناس تنازعه نفسه الى البرهان ولا تستقر نفسه الى تصديق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسمع الدلايل فهذا فرض عليه طلب الدلايل لانه ان مات شاكا او جاحداً قبل ان يسمع من البرهان ما يثلج صدره فقد مات كافراً وهو مخلد في النار وهو بمنزلة من لم يؤمن ممن شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى راى المعجزات فهذا ايضاً لو مات مات كافراً بلا خلاف من احد من اهل الاسلام وانما اوجبنا على من هذه

صفته طلب البرهان لان فرضاً عليه طلب ما فيه نجاته من الكفر قال الله عز وجل * قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة * فقد افترض الله عز وجل على كل احد ان يقي نفسه النار فهؤلاء قسم وهم الاقل من الناس والقسم الثاني من استقرت نفسه الى تصديق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن قلبه الى الايمان ولم تنازعه نفسه الى طلب دليل توفيقاً من الله عز وجل له وتيسيراً لما خلق له من الخير والحسنى فهؤلآء لا يحتاجون الى برهان ولا الى تكليف استدلال وهؤلآء هم جمهور الناس من العامة والنساء والتجار والصناع والاكرة والعباد واصحاب الحديث الائمة الذين يذمون الكلام والجدل والمرآء في الدين

﴿ قال ابو محمد ﴾ هم الذين قال لهم الله فيهم * ولكن حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم * وقال تعالى * فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء *

﴿ قال ابو محمد ﴾ قد سمى الله عز وجل راشدين القوم الذين زين الايمان في قلوبهم وحببه اليهم وكره اليهم الكفر والمعاصي فضلا منه ونعمة وهذا هو خلق الله تعالى للايمان في قلوبهم ابتدأ وعلى السنتهم ولم يذكر الله تعالى في ذلك استدلالا اصلا وبالله تعالى التوفيق وليس هؤلا. مقلدين لابائهم ولا لكبرائهم لان هؤلاء مقرون بالسنتهم محققون في قلوبهم ان اباؤهم ورؤساءهم لو كفروا لما كفروا هم بل كانوا يستحلون قتل ابائهم ورؤسائهم والبرأة منهم ويحسون من انفسهم النفار العظيم عن كل من سمعوا منه ما يخالف الشريعة ويرون ان حرقهم بالنار اخف عليهم من مخالفة الاسلام وهذا امر قد عرفناه من انفسنا حساً وشاهدناه في ذواتنا يقيناً فلقد بقينا سنين كثيرة ولا نعرف الاستدلال ولا وجوهه ونحن ولله الحمد في غاية اليقين بدين الاسلام وكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم نجد انفسنا في غاية السكون اليه وفي غاية النفار عن كل ما يعترض فيه بشك ولقد كانت تخطر في قلوبنا خطرات سوء في خلال ذلك ينبذها الشيطان فنكاد لشدة نفارنا عنها ان نسمع خفقان قلوبنا استبشاعاً لها كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن ذلك فقالوا له ان احدنا ليحدث نفسه

بالشيء

بالشيء ما انه يقدم فتضرب عنقه احب اليه من ان يتكلم به فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك محض الايمان واخبر انه من وسوسة الشيطان وأمر صلى الله عليه وسلم في ذلك بما امر به من التعوذ والقرأة والتفل عن اليسار ثم تعلمنا طرق الاستدلال واحكمناها ولله تعالى الحمد فما زادنا يقيناً على ما كنا بل عرفنا انا كنا ميسرين للحق وصرنا كمن عرف وقد ايقن بان الفيل موجود سماعاً ولم يره ثم رآه فلم يزدد يقيناً بصحة أنيته اصلا لكن ارانا صحيح الاستدلال رفض بعض الاراء الفاسدة التي نشأنا عليها فقط كالقول في الدين بالقياس وعلمنا انا كنا مقتدين بالخطأ في ذلك ولله تعالى الحمد وان المخالفين لنا ليعرفون من انفسهم ما ذكرنا الا انهم يلزمهم ان يشهدوا على انفسهم بالكفر قبل استدلالهم ولا بد فصح بما قلنا ان كل من امحض اعتقاد الحق بقلبه وقاله بلسانه فهم مؤمنون محققون وليسوا مقلدين اصلا وانما كانوا مقلدين لو انهم قالوا واعتقدوا اننا انما نتبع في الدين اباءنا وكبرآءنا فقط ولو ان اباءنا وكبرآءنا تركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم لتركناه فلو قالوا هذا واعتقدوه لكانوا مقلدين كفاراً غير مؤمنين لأنهم انما اتبعوا آباءهم وكبرآءهم الذين نهوا عن اتباعهم ولم يتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم الذين امروا باتباعه وبالله تعالى التوفيق وانما كلف الله تعالى الاتيان بالبرهان ان كانوا صادقين يعني الكفار المخالفين لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هذا نص الآية ولم يكلف قط المسلمين الاتيان بالبراهين والاسقط اتباعهم حتى يأتوا بالبرهان والفرق بين الامرين واضح وهو ان كل من خالف النبي صلى الله عليه وسلم فلا برهان له اصلا فكلف المجيء بالبرهان تبكيتاً وتعجيزاً ان كانوا صادقين وليسوا صادقين بلا برهان لهم واما من اتبع ما جآء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اتبع الحق الذي قامت البراهين بصحته ودان بالصدق الذي قامت الحجة البالغة بوجوبه فسواء علم هو بذلك البرهان او لم يعلم حسبه انه على الحق الذي صح بالبرهان ولا برهان على ما سواه فهو محق والحمد لله رب العالمين واما قولهم ما لم يكن علما فهو شك وظن والعلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة او استدلال قالوا والديانات لا تعرف صحتها الا بالاستدلال فان لم يستدل المرء فليس عالما واذا لم يكن عالماً فهو جاهل شاك او ظان واذا كان لا يعلم الدين فهو كافر

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذا ليس كما قالوا لانهم قضوا قضية باطلة فاسدة بنوا عليها هذا الاستدلال

وهي اقحامهم في حد العلم قولهم عن ضرورة او استدلال فهذه زيادة فاسـدة لا نوافقهم عليها ولا جآء بصحتها قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا لغة ولا طبيعة ولا قول صاحب وحد العلم على الحقيقة انه اعتقاد الشيء على ما هو به فقط وكل من اعتقد شيئاً على ما هو به ولم يتخالجه شك فيه فهو عالم به وسواء كان عن ضرورة حس او عن بديهة عقل او عن برهان استدلال او عن تيسير الله عز وجل له وخلقه لذلك المعتقد في قلبـه ولا مزيد ولا يجوز البتة ان يكون محقق في اعتقاد شيء كما هو ذلك الشيء وهو غير عالم به وهذا تناقض وفساد وتعارض وبالله تعالى التوفيق واما قولهم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة الملك فلا حجة لهم فيه بل هو حجة عليهم كما هو لمجرده لان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال فيه فاما المؤمن او الموقن فيقول هو رسول الله ولم يقل عليه الصلاة والسلام فاما المستدل فحسبنا فوز المؤمن الموقن كيف كان ايمانه ويقينه وقال عليه الصلاة والسلام واما المنافق او المرتاب ولم يقل غير المستدل فيقول سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته فنعم هـذا قولنا لان المنافق والمرتاب ليسا موقنين ولا مؤمنين وهذا صفة مقلد للناس لا محقق فظهر ان هذا الخبر حجة عليهم كافية وبالله تعالى التوفيق واما قولهم ان الله عز وجل قد ذكر الاستدلال في غير موضع من كتابه وامر به واوجب العلم به والعلم لا يكون الا عن استدلال فهذه ايضاً زيادة اقحموها وهي قولهم وامر به فهذا لا يجدونه ابداً ولـكن الله تعالى ذكر الاستدلال وحض عليه ونحن لا ننكر الاستدلال بل هو فعل حسن مندوب اليه محضوض عليه كل من اطاقه لانه تزود من الخير وهو فرض على كل من لم تسكن نفسه الى التصديق نعوذ بالله عز وجل من البلا وانما ننكر كونه فرضاً على كل احد لا يصح اسلام احد دونه هذا هو الباطل المحض واما قولهم ان الله تعالى أوجب العلم به فنعم واما قولهم والعلم لا يكون الا عن استدلال فهذا هي الدعوى الكاذبة التي أبطلناها آنفاً واول بطلانها انها دعوى بلا برهان وبالله تعالى العزيز الحكيم نتأيد

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا كلما شنعوا به قد نقضناه والحمد لله رب العالمين فسقط قولهم اذ تعرى من البرهان وكان دعوى منهم مفتراة لم يأت بها نص قط ولا اجماع وبالله التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونحن الآن ذاكرون بعون الله وتوفيقه وتأييده البراهين على بطلان قولهم

ولا

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ قال ابو محمد ﴾ يقال لمن قال لا يكون مسلما الا من استدل اخبرنا متى يجب عليه فرض الاستدلال اقبل البلوغ ام بعده ولا بد من احد الامرين فاما الطبري فانه أجاب بان ذلك واجب قبل البلوغ

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا خطأ لان من لم يبلغ ليس مكلفاً ولا مخاطباً وقد قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة فذكر الصغير حتى يحتلم فبطل جواب الطبري رحمه الله واما الاشعرية فانهم اتوا بما يملأ الفم وتقشعر منها جلود اهل الاسلام وتصدء منها المسامع ويقطع ما بين قائلها وما بين الله عز وجل وهي انهم قالوا لا يلزم طلب الادلة الا بعد البلوغ ولم يقنعوا بهذه الجملة حتى كفونا المؤنة وصرحوا بما كنا نريد ان نلزمهم فقالوا غير مساترين لا يصح اسلام احد حتى يكون بعد بلوغه شاكا غير مصدق

﴿ قال ابو محمد ﴾ ما سمعنا قط في الـكفر والانسلاخ من الاسلام باشنع من قول هؤلاء القوم انه لا يكون احد مسلما حتى يشك في الله عز وجل وفي صحة النبوة وفي هل رسول الله صلي الله عليه وسلم صادق ام كاذب ولا سمع قط سامع في الهوس والمناقضة والاستخفاف بالحقائق باقبح من قول هؤلاء انه لا يصح الايمان الا بالـكفر ولا يصح التصديق الا بالجحد ولا يوصل الى رضاء الله عز وجل الا بالشك فيه وان من اعتقد موقناً بقلبه ولسانه ان الله تعالى ربه لا اله الا هو وان محمداً رسول الله وان دين الاسلام دين الله الذي لا دين غيره فانه كافر مشرك اللهم انا نعوذ بك من الخذلان فو الله لولا خذلان الله تعالى الذي هو غالب على امره ما انطلق لسان ذي مسكة بهذه العظيمة وهذا يكفي من تكلف النقص لهذه المقالة الملعونة ومن يبلغ هذا المبلغ حسن السكوت عنه ونعوذ بالله من الضلال ثم نقول لهم اخبرونا عن هذا الذي اوجبتم عليه الشك في فرض اوالشك في صحة النبوة والرسالة كم تكون هذه المدة التي اوجبتم عليه فيه البقا شاكا مستدلا طالباً للدلائل وكيف ان لم يجد في قريته او مدينته ولا في اقليمه محسناً للدلائل فرحل طالباً للدلائل فاعترضته اهوال ومخاوف وتعذر من بحر او مرض فاتصل له ذلك ساعات واياماً وجمعاً وشهوراً وسنين ما قولكم في ذلك فان حدوا في المدة يوماً او يومين او ثلاثة او اكثر من ذلك كانوا متحكمين بلا دليل

وقائلين بلا هدي من الله تعالى ولم يعجز احد عن ان يقول في تحديد تلك المدة بزيادة او نقصان ومن بلغ ها هنا فقد ظهر فساد قوله وان قالوا لا نحد في ذلك حداً قلنا لهم فان امتد كذلك حتى فنى عمره ومات في مدة استدلاله التى حددتم له وهو شاك في الله تعالى وفي النبوة ايموت مؤمناً ويجب له الجنة ام يموت كافراً وتجب له النار فان قالوا يموت مؤمناً تجب له الجنة اتوا باعظم الطوام وجعلوا الشكاك في الله الذين هم عندهم شكاك مؤمنين من اهل الجنة وهذا كفر محض وتناقض لاخفاء به وكانوا مع ذلك قد سمحوا في ان يبقى المرء دهره كله شاكا في الله عز وجل وفي النبوة والرسالة فان قالوا بل يموت كافراً تجب له النار قلنا لهم لقد امر تموه بما فيه هلاكه واوجبتم عليه ما فيه دماره وما يفعل الشيطان الا هذا في امره بما يؤدي الى الخلود في النار وان قالوا بل هو في حكم اهل الفترة قلنا لهم هذا باطل لان اهل الفترة لم تأتهم النذارة ولا بلغهم خبر النبوة والنص انما جاء في اهل الفترة ومن زاد في الخبر ما ليس فيه فقد كذب على الله عز وجل ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ما حد الاستدلال الموجب لاسم الايمان عندكم وقد يسمع دليلا عليه اعتراض الجزية ذلك الدليل ام لا فان قالوا يجزيه قلنا لهم ومن اين وجب ان يجزيه وهو دليل معترض فيه وليس هذه الصفة من الدلائل المخرجة عن الجهل الى العلم بل هي مؤدية الى الجهل الذي كان عليه قبل الاستدلال فان قالوا بل لا يجزيه الا حتى يوقن انه قد وقع على دليل لا يمكن الاعتراض فيه تكلفوا ما ليس في وسع اكثرهم وما لا يبلغه الا قليل من الناس في طويل من الدهر وكثير من البحث ولقد درى الله تعالى انهم اصفار من العلم بذلك يعني اهل هذه المقالة الملعونة الخبيثة

﴿قال ابو محمد﴾ ومن البرهان الموضح لبطلان هذه المقالة الخبيثة انه لا يشك أحد ممن يدري شيئاً من السير من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمنانية والدهرية في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مذ بعث لم يزل يدعو الناس الجماء الغفير الى الايمان بالله تعالى وبما أتى به ويقاتل من أهل الارض من يقاتله ممن عند ويستحل سفك دمائهم وسبي نسائهم واولادهم واخذ اموالهم متقرباً الى الله تعالى بذلك واخذ الجزية واصغاره ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه واهله وولده ويحكم له بحكم الاسلام وفيهم المرأة البدوية والراعي والراعية والغلام

الصحراوي والوحشي والزنجي والمسبي والزنجية المجلوبة والرومي والرومية والاغثر الجاهل والضعيف في فهمه فما منهم احد ولا من غيرهم قال عليه السلام اني لا اقبل اسلامك ولا يصح لك دين الا حتى تستدل على صحة ما ادعوك اليه

﴿قال ابو محمد﴾ لسنا نقول انه لم يبلغنا انه عليه السلام قال ذلك لاحد بل نقطع نحن وجميع اهل الارض قطعاً كقطعنا على ما شاهدناه انه عليه السلام لم يقل قط هذا لاحد ولا رد اسلام احد حتى يستدل ثم جرى على هذه الطريقة جميع الصحابة رضي الله عنهم اولهم عن آخرهم ولا يختلف احد في هذا الامر ثم جميع اهل الارض الى يومنا هذا ومن المحال الممتنع عند اهل الاسلام ان يكون عليه السلام يغفل ان يبين للناس ما لا يصح لاحد الاسلام الا به ثم تتفق على اغفال ذلك أو تعمد عدم ذكره جميع اهل الاسلام وتبينه لهم هؤلاء الاشقياء ومن ظن انه وقع من الدين على ما لا يقع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بلا خلاف فصح ان هذه المقالة خلاف للاجماع وخلاف لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وجميع اهل الاسلام قاطبة فان قالوا فما كانت حاجة الناس الى الآيات المعجزات والى احتجاج الله عز وجل عليهم بالقرآن واعجازه به وبدعاء اليهود الى تمنى الموت ودعاء النصارى الى المباهلة وشق القمر قلنا وبالله تعالى التوفيق ان الناس قسمان قسم لم تسكن قلوبهم الى الاسلام ولا دخلها التصديق فطلبوا منه عليه السلام البراهين فأراهم المعجزات فانقسموا قسمين طائفة آمنت وطائفة عندت وجاهرت فكفرت واهل هذه الصفة اليوم هم الذين يلزمهم طلب الاستدلال فرضاً ولا بد كما قلنا وقسم آخر وفقهم الله تعالى لتصديقه عليه السلام وخلق عز وجل في نفوسهم الايمان كما قال تعالى ﴿بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين﴾ فهؤلاء آمنوا به عليه السلام بلا تكليف

﴿قال ابو محمد﴾ ويلزم اهل هذه المقالة ان جميع اهل الارض كفار لا الاقل وقد قال بعضهم انهم مستدلون

﴿قال ابو محمد﴾ وهذه مجاهرة هو يدري انه فيها كاذب وكل من سمعه يدري انه فيها كاذب لان اكثر العامة من حاضرة وبادية لا يدري ما معنى الاستدلال فكيف ان يستعمله

﴿قال ابو محمد﴾ ويلزم من قال بهذه المقالة ان لا يأكل من اللحم الا ما ذبحه هو أو من

يدري انه مستدل وان لا يطأ الا زوجة يدرى انها مستدلة ويلزمه ان يشهد على نفسه بالكفر ضرورة قبل استدلاله ومدة استدلاله وأن يفارق امرأته التي تزوج في تلك المدة وان لا يرث اخاه ولا اباه ولا امه الا ان يكونوا مستدلين وان يعمل عمل الخوارج الذين يقتلون غيلة وعمل المغيرية المنصورة في ذبح كل من امكنهم وقتله وان يستحلوا اموال اهل الارض بل لا يحل لهم الكف عن شيء من هذا كله لان جهاد الكفار فرض وهذا كله ان التزموا طرد اصولهم وكفروا انفسهم وان لم يقولوا بذلك تناقضوا فصح ان كل من اعتقد الاسلام بقلبه ونطق به لسانه فهو مؤمن عند الله عز وجل ومن اهل الجنة سواء كان ذلك عن قبول أو نشأة أو عن استدلال وبالله تعالى التوفيق وأيضاً فنقول لهم هل استدل من مخالفيكم في اقوالكم التي تدينون بها أحد أم لم يستدل قط احد غيركم فلا بد من اقرارهم بان مخالفيهم أيضاً قد استدلوا وهم عندكم مخطئون كمن لم يستدل وانتم عندهم أيضاً مخطئون فان قالوا ان الادلة امنتنا من ان نكون مخطئين قلنا لهم وهذا نفسه هو قول خصومكم فانهم يدعون ان ادلتهم على صواب قولهم وخطأ قولكم ولا فرق ما زالوا على هذه الدعوى مذ كانوا الى يومنا هذا فأرنا كم حصلتم من استدلالكم الا على ما حصل عليه من لم يستدل سواء بسواء ولا فرق فان قالوا لنا فعلى قولكم هذا يبطل الاستدلال جملة ويبطل الدليل كافة قلنا معاذ الله من هذا لكن اريناك انه قد يستدل من يخطئ وقد يستدل من يصيب بتوفيق الله تعالى فقط وقد لا يستدل من يخطئ وقد لا يستدل من يصيب بتوفيق الله تعالى وكل ميسر لما خلق له والبرهان والدلائل الصحاح غير المموهة فمن وافق الحق الذي قامت عند غيره البراهين الصحاح بصحته فهو مصيب محق مؤمن استدل او لم يستدل ومن يسر للباطل الذي قام البرهان عند غيره ببطلانه فهو مبطل مخطئ أو كافر سواء استدل أو لم يستدل وهذا هو الذي قام البرهان بصحته والحمد لله رب العالمين وبالله تعالى التوفيق

الكلام في الوعد والوعيد

﴿ قال أبو محمد ﴾ اختلف الناس في الوعد والوعيد فذهبت كل طائفة لقول منهم من قال ان صاحب الكبيرة ليس مؤمناً ولكنه كافر وفاسق وان كل من مات مصراً على كبيرة من الكبائر فلم يمت مسلماً واذا لم يمت مسلما فهو مخلد في النار ابداً وان من مات ولا كبيرة

له

له او تاب عن كبائره قبل موته فانه مؤمن من أهل الجنة لا يدخل النار اصلا ومنهم من قال بأن كل ذنب صغير او كبير فهو يخرج عن الايمان والاسلام فان مات عليه فهو غير مسلم وغير المسلم مخلد في النار وهذه مقالات الخوارج والمعتزلة الا ان بكر ابن اخت عبد الواحد ابن زيد قال في طلحة والزبير رضي الله عنهما انهما كافران من اهل الجنة لانهما من اهل بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال لاهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم قال فأهل بدر ان كفروا فمغفور لهم لانهم بخلاف غيرهم وقال بعض المرجئة لا تضر مع مع الاسلام سيئة كما لا ينفع مع الكفر حسنة قالوا فكل مسلم ولو بلغ على معصية فهو من اهل الجنة لا يرى ناراً وانما النار للكفار وكل هاتين الطائفتين تقربان احداً لا يدخل النار ثم يخرج عنها بل من دخل النار فهو مخلد فيها أبداً ومن كان من أهل الجنة فهو لا يدخل النار وقال اهل السنة والحسين النجار وأصحابه وبشر بن غياث المريسي وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن كيسان الأصم البصري وغيلان ابن مروان الدمشقي القدري ومحمد بن شبيب ويونس بن عمران وأبو العباس الناشي والاشعري وأصحابه ومحمد بن كرام واصحابه ان الكفار مخلدون في النار وان المؤمنين كلهم في الجنة وان كانوا اصحاب كبائر ماتوا مصرين عليها وانهم طائفتان طائفة يدخلون النار ثم يخرجون منها اي من النار الى الجنة . وطائفة لا تدخل النار الا ان كل من ذكرنا قالوا الله عز وجل ان يعذب من شاء من المؤمنين اصحاب الكبائر بالنار ثم يدخلهم الجنة وله أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة بدون ان يعذبهم . ثم افترقوا فقالت طائفة منهم وهو محمد بن شبيب ويونس والناشي ان عذب الله تعالى واحداً من اصحاب الكبائر عذب جميعهم ولا بد ثم ادخلهم الجنة . وان غفر لواحد منهم غفر لجميعهم ولا بد . وقالت طائفة بل يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وان كانت ذنوبهم كثيرة مستوية وقد يغفر لمن هو اعظم جرماً ويعذب من هو اقل جرماً . وقال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم يغفر لمن يشاء من اصحاب الكبائر ويعذب من يشاء منهم الا القاتل عمداً فانه مخلد في النار ابداً وقالت طائفة منهم من لقى الله عز وجل مسلماً تائباً من كل كبيرة او لم يكن عمل كبيرة قط فسيئاته كلها مغفورة وهو من أهل الجنة لا يدخل النار ولو بلغت سيئاته ما شاء الله ان يبلغ ومن لقى الله عز وجل وله كبيرة لم يتب منها فاكثر فالحكم في ذلك الموازنة

فمن رجحت حسناته على كبائره وسيئاآته فان كبائره وسيئاآته كلها تسقط وهو من اهل
الجنة لايدخل النار وان استوت حسناته مع كبائره وسيئاآته فهؤلاء اهل الاعراف ولهم
وقفة ولا يدخلون النار ثم يدخلون الجنة ومن رجحت كبائره وسيئاآته بحسناته فهؤلاء
مجازون بقدر ما رجح لهم من الذنوب فمن لفحة واحدة الى بقاء خمسين الف سنة في النار
ثم يخرجون منها الى الجنة بشفاعة رسول الله صلي الله عليه وسلم وبرحمة الله تعالى وكل من
ذكرنا يجازون في الجنة بعد بما فضل لهم من الحسنات واما من لم يفضل له حسنة من اهل
الاعراف فمن دونهم وكل من خرج من النار بالشفاعة وبرحمة الله تعالى فهم كلهم سواء في
الجنة ممن رجحت له حسنة فصاعداً

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاما من قال بان صاحب الكبيرة يخلد وصاحب الذنب كذلك فان حجتهم
قول الله عز وجل * ألا إن اولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون * وقوله تعالى * من جاء
بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار *
وقوله تعالى * والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم
كانما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون * وقوله
تعالى * ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها * وبقوله تعالى * ومن
يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً عظيما *
وقوله * ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاماً يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهاناً
الا من تاب وآمن * وقوله تعالى * ان الذين يا كلون اموال اليتامى ظلما انما يا كلون في
بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً * وقوله تعالى * ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات
لعنوا في الدنيا والآخرة * الآية وقوله تعالى * ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او
متحيزاً الى فئة فقد بأ بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير * وقوله * انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا * الى قوله تعالى * ولهم
في الآخرة عذاب عظيم * وقوله تعالى * الذين ياكلون الربا * الآية وذكروا احاديث
صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم في وعيد شارب الخمر وقاتل الهرة ومن قتل نفسه بسم
او حديد او تردى من جبل فانه يفعل ذلك به في جهنم خالداً ومن قتل نفسه حرم الله عليه

الجنة واوجب له النار وذكروا ان الكبيرة تزيل اسم الايمان فبعضهم قال الى شرك وبعضهم
قال الى كفر نعمة وبعضهم قال الى نفاق وبعضهم قال الى فسق قالوا فاذ ليس مؤمناً فلا
يدخل الجنة لانه لا يدخل الجنة الا المؤمنون هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة اصلا
غير ما ذكرنا وأما من خص القاتل بالتخليد فانهم احتجوا بقوله تعالى * ومن يقتل مؤمناً
متعمداً فقط واما من قطع باسقاط الوعيد عن كل مسلم فاحتجوا بقول الله تعالى * لا يصلاها
الا الاشقى الذي كذب وتولى * قالوا وهذه الآية مثبتة ان كل من توعده الله عز وجل
على قتل اوزنا اوربا او غير ذلك فانما هم الكفار خاصة لا غيرهم واحتجوا بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة وان سرق وان شرب
الخمر على رغم انف ابي ذر وقول الله عز وجل * ان رحمة الله قريب من المحسنين * قالوا
ومن قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقد احسن فهو محسن فرحمة الله قريب منه ومن
رحمه الله فلا يعذب وقالوا كما ان الكفر محبط لكل حسنة فان الايمان يكفر كل سيئة والرحمة
والعفو اولى بالله عز وجل

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة غير هذا اصلا او يدخل فيما
ذكرنا ولا يخرج عنه وبالله تعالى التوفيق واما من قال ان الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء وقد يعذب من هو اقل ذنوباً ممن يغفر له فانهم احتجوا بقول الله عز وجل * ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * وبعموم قوله تعالى * يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العبد
من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئاً كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يأت
بهن لم يكن له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له وجعلوا الآيتين اللتين ذكرنا
قاضيتين على جميع الآيات التي تعلقت بها سائر الطوائف وقالوا لله الامر كله لا معقب لحكمه
فهو يفعل ما يشاء ما نعلم لهم حجة غير ما ذكرنا

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما من قال بمثل هذا الا انه قال الله تعالى ان عذب واحداً منهم عذب
الجميع وان غفر لواحد منهم غفر للجميع فانهم قدرية جنحوا بهذا القول نحو العدل ورأوا
ان المغفرة لواحد وتعذيب من له مثل ذنوبه جور ومحاباة ولا يوصف الله عز وجل بذلك

واما من قال بالموازنة فانهم احتجوا فقالوا ان آيات الوعيد واخبار الوعيد التي احتج بها من ذهب مذهب المعتزلة والخوارج فانها لا يجوز ان تخص بالتعلق بها دون آيات العفو واحاديث العفو التي احتج بها من اسقط الوعيد وهي لا يجوز التعلق بها دون الآيات التي احتج بها من اثبت الوعيد بل الواجب جمع جميع تلك الآيات وتلك الاخبار وكلها حق وكلها من عند الله وكلها مجمل تفسيرها بآيات الموازنة واحاديث الشفاعة التي هي بيان لعموم تلك الآيات وتلك الاخبار وكلها من عند الله قالوا ووجدنا الله عز وجل قد قال * يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احداً * وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل * الآية وقال تعالى * فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره * وقال تعالى * وما كان الله ليضيع ايمانكم * وقال تعالى * فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئاً * الآية وقال تعالى * ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب * وقال تعالى * وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون * وقال تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى * وقال تعالى * وان ليس للانسان الا ما سعى * الى قوله * الجزاء الاوفى * وقال تعالى * وان للذين ظلموا عذاباً دون ذلك * وقال تعالى * ليجزى الذين اساؤا بما عملوا الآية وقال تعالى * هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت * وقال تعالى * وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم * وقال تعالى * وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله * الآية وقال تعالى * ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له * الآية وقال تعالى * وما تفعلوا من خير فلن تكفروه * وقال تعالى * ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤتي من لدنه اجراً عظيما * وقال تعالى * اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او أنثى * وقال تعالى * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * الى قوله تعالى * قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد * الى قوله تعالى * وما أنا بظلام للعبيد * وقال تعالى * فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه * الى آخر السورة وقال تعالى * ان الحسنات يذهبن السيئآت * وقال تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاؤلئك حبطت أعمالهم * وقال تعالى * من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة

فلا يجزى الا مثلها * وقال تعالى * اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم * هذا نص كلامه يوم القيامة وهو القاضي على كل مجمل قالوا فنص الله عز وجل انه يضع الموازين القسط وانه لا يظلم احداً شيئاً ولا مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة من خير ومن شر فصح ان السيئة لا تحبط الحسنة وان الايمان لا يسقط الكبائر ونص الله تعالى انه تجزى كل نفس بما كسبت وما عملت وما سعت وانه ليس لأحد الا ما سعى وانه سيجزى بذلك من أساء بما عمل ومن أحسن بالحسنى وانه تعالى يوفي الناس أعمالهم فدخل في ذلك الخير والشر وانه تعالى يجازى بكل خير وبكل سوء وعمل وهذا كله يبطل قول من قال بالتخليد ضرورة وقول من قال باسقاط الوعيد جملة لان المعتزلة تقول ان الايمان يضيع ويحبط وهذا خلاف قول الله تعالى انه لا يضيع إيماننا ولا عمل عامل منا وقالوا هم ان الخير ساقط بسيئة واحدة وقال تعالى * ان الحسنات يذهبن السيئآت * فقالوا هم ان السيئآت يذهبن الحسنات وقد نص تعالى ان الاعمال لا يحبطها الا الشرك والموت عليه وقال تعالى * من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها * فلو كانت كل سيئة أو كبيرة توجب الخلود في جهنم وتحبط الاعمال الحسنة لكانت كل سيئة أو كل كبيرة كفراً ولتساوت السيئآت كلها وهذا خلاف النصوص وعلمنا بما ذكرنا ان الذين قال الله تعالى فيهم * لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * هم الذين رجحت حسناتهم على سيئآتهم فسقط كل سيئة قدموها وصح ان قوله تعالى * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار * هو فيمن رجحت كبائرهم حسناتهم وان السيئة الموجبة للخلود هي الكفر لان النصوص جاءت بتقسيم السيئات فقال تعالى * ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم * فهذه سيئآت مغفورة باجتناب الكبائر وقال تعالى * وجزاء سيئة سيئة مثلها * وقال تعالى * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره * فاخبر تعالى ان من السيئات المجازى لها ما هو مقدار ذرة ومنها ما هو أكبر ولا شك ان الكفر أكبر السيئآت فلو كانت كل كبيرة جزاءها الخلود لكانت كلها كفراً ولكانت كلها سواء وليست كذلك بالنص واما وعيد الله بالخلود في القاتل وغيره فلو لم يأت الا هذه النصوص لوجب الوقوف عندها لكنه قد قال تعالى * لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى * وكلامه تعالى لا يختلف ولا يتناقض وقد صح ان القاتل ليس كافراً وان الزاني ليس كافراً وان أصحاب تلك الذنوب المتوعد عليها ليسوا كفاراً بما ذكرنا

قبل من انهم مباح لهم نكاح المسلمات وانهم مأمورن بالصلوات وان زكاة أموالهم مقبوضة وانهم لا يقتلون وانه ان عفى عن القاتل فقتله مسلم فانه يقتل به وانه يرث ويورث وتؤكل ذبيحته فاذ ليس كافراً فبيقين ندري ان خلوده انما هو مقام مدة ما وان الصلى الذي نفاه الله تعالى عن كل من لم يكذب ولا تولى انما هو صلى الخلود لايجوز البتة غير هذا وبهذا تتألف النصوص وتتفق ومن المعهود في المخاطبة ان من وفد من بلد الى بلد فحبس فيه لامر أوجب احتباسه فيه مدة ما فانه ليس من أهل ذلك البلد الذي حبس فيه فمن دخل في النار ثم أخرج منها فقد انقطع عنه صليها فليس من أهلها وانما أهلها وأهل صليها على الاطلاق والجملة هم الكفار المخلدون فيها أبداً فهكذا جاء في الحديث الصحيح فقد ذكر عليه السلام فيه من يدخل النار بذنوبه ثم يخرج منها ثم قال صلى الله عليه وسلم واما أهل النار الذين هم أهلها يعني الكفار المخلدين فيها وقد قال عز وجل * وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضياً ثم نجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً * فقد بين عليه السلام ذلك بقوله في الخبر الصحيح ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فبالقرآن وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صح ان ممر الناس من محشرهم الى الجنة انما هو بخوضهم وسط جهنم وينجي الله أولياءه من حرها وهم الذين لا كبائر لهم أو لهم كبائر تابوا عنها ورجحت حسناتهم بكبائرهم او تساوت كبائرهم وسيئاتهم بحسناتهم وانه تعالى يمحص من رجحت كبائره وسيئاته بحسناته ثم يخرجهم عنها الى الجنة بايمانهم ويمحق الكفار بتخليدهم في النار كما قال تعالى * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين * وايضاً فان كل آية وعيد وخبر وعيد تعلق به من قال بتخليد المذنبين فان المحتجين بتلك النصوص هم اول مخالف لها لانهم يقولون ان من أتى بتلك الكبائر ثم تاب سقط عنه الوعيد فقد تركوا ظاهر تلك النصوص فان قالوا انما قلنا ذلك بنصوص اخر اوجبت ذلك قيل لهم نعم وكذلك فعلنا بنصوص اخر وهي آيات الموازنة وانه تعالى لا يضيع عمل عامل من خير او شر ولا فرق ويقال لمن اسقط آيات الوعيد جملة وقال انها كلها انما جاءت في الكفار ان هذا باطل لان نص القرآن بالوعيد على الفار من الزحف ليس الا على المؤمن بيقين بنص الآية في قوله تعالى * ومن يولهم يومئذ دبره * ولا يمكن ان يكون هذا في كافر اصلا فسقط قول من قال بالتخليد وقول من قال باسقاط الوعيد ولم يبق الا قول

من

من اجمل جواز المغفرة وجوز العقاب

﴿ قال أبو محمد ﴾ فوجدنا هذا القول مجملا قد فسرته آيات الموازنة وقوله تعالى الذي تعلقوا به * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * حق على ظاهرها وعلى عمومها وقد فسرتها باقرارهم آيات اخر لانه لا يختلف في ان الله تعالى يغفر ان يشرك به لمن تاب من الشرك بلا شك وكذلك قوله تعالى * ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * فهذا كله حق الا انه قد بين من هم الذين شاء ان يغفر لهم فان صرتم الى بيان الله تعالى فهو الحق وان ابيتم الا الثبات على الاجمال فاخبرونا عن قول الله تعالى * يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً * وقوله تعالى * بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء * أترون ان هذا العموم تقولون به فتجيزون انه يغفر الكفر لانه ذنب من الذنوب ام لا واخبرونا عن قول الله عز وجل حاكياً عن عيسى عليه السلام انه يقول له تعالى يوم القيمة * يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك * الى قوله * وانت على كل شيء شهيد * الى قوله تجري من تحتها الانهار أيدخل النصارى الذين اتخذوا عيسى وامه الهين من دون الله تعالى في جواز المغفرة لهم لصدق قول الله تعالى في هذا القول من التخيير بين المغفرة لهم او تعذيبهم واخبرونا عن قوله تعالى * قال عذابي اصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة * فمن قولهم ان المغفرة لا تكون البتة لمن كفر ومات كافراً وانهم خارجون من هذا العموم ومن هذه الجملة بقوله تعالى * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * قيل لهم ولم خصصتم هذه الجملة بهذا النص ولم تخصوا قوله تعالى * ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * بقوله * فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية * وبقوله تعالى * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * وبقوله تعالى * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت * وهذا خبر لا نسخ فيه فان قالوا نعم الا ان يشاء ان يغفر لهم قيل لهم قد اخبر الله تعالى انه لا يشاء ذلك باخباره تعالى انه في ذلك اليوم يجزي كل نفس ما كسبت ولا فرق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل يأتي يوم القيمة وله صدقة

وصيام وصلاة فيوجد قد سفك دم هذا وشتم هذا فتؤخذ حسناته كلها فيقتص لهم منها
فاذا لم يبق له حسنة قذف من سيئاتهم عليه ورمى في النار وهكذا اخبر عليه السلام في قوم
يخرجون من النار حتى اذا نقوا وهذبوا ادخلوا الجنة وقد بين عليه السلام ذلك بانه يخرج
من النار من في قلبه مثقال حبة شعير من خير ثم من في قلبه مثقال برة من خير ثم من في قلبه
مثقال حبة من خردل ثم من في قلبه مثقال ذرة الى ادنى ادنى ادنى من ذلك ثم من لم يعمل
خيراً قط الا شهادة الاسلام فوجب الوقوف عند هذه النصوص كلها المفسرة للنص المجمل
ثم يقال اخبرونا عمن لم يعمل شراً قط الا اللمم ومن هم بالشر فلم يفعله فمن قول اهل الحق انه
مغفور له جملة بقوله تعالى ﴿ الا اللمم ﴾ وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز
لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تخرجه بقول او عمل

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا ينقسم اقساماً احدها من هم بسيئة اي شيء كانت من السيئات ثم
تركها مختاراً لله تعالى فهذا تكتب له حسنة فان تركها مغلوباً لا مختاراً لم تكتب له حسنة ولا
سيئة تفضلا من الله عز وجل ولو عملها كتبت له سيئة واحدة ولو هم بحسنة ولم يعملها كتبت
له حسنة واحدة فان عملها كتبت له عشر حسنات وهذا كله نص رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد ناظرت بعض المنكرين لهذا فذهب الى ان الهم بالسيئة اصرار عليها فقلت له
هذا خطأ لان الاصرار لا يكون الا على ما قد فعله المرء بعد تماد عليه ان يفعله واما من هم
بما لم يفعل بعد فليس اصراراً قال الله تعالى ﴿ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ ثم نسألهم
عمن عمل بالسيئات حاشا الكبائر عدداً عظيما ولم يأت كبيرة قط ومات على ذلك أيجوزون
ان يعذبه الله تعالى على ما عمل من السيئات أم يقولون انها مغفورة له ولا بد فان قالوا انها
مغفورة ولا بد صدقوا وكانوا قد خصوا قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتركوا
حمل هذه الآية على عمومها فلا ينكروا ذلك على من خصها ايضاً بنص آخر وان قالوا بل
جائز ان يعذبهم الله تعالى على ذلك اكذبهم الله تعالى بقوله ﴿ ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً ﴾ ونعوذ بالله من تكذيب الله عز وجل ثم نسألهم
عمن عمل من الكبائر ومات عليها وعمل حسنات رجحت بكبائره عند الموازنة ايجوز ان
يعذبه الله تعالى بما عمل من تلك الكبائر ام هي مغفورة له ساقطة عنه فان قالوا بل هي مغفورة

وساقطة

وساقطة عنه صدقوا وكانوا قد خصوا عموم قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وجعلوا
هؤلاء ممن شاء ولا بد ان يغفر لهم وان قالوا بل جائز ان يعذبهم أكذبهم الله تعالى بقوله
﴿ فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ﴾ وبقوله ﴿ ان الحسنات يذهبن السيئات ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكذلك القول فيمن تساوت حسناته وكبائره وهم اهل الاعراف فلا
يعذبون اصلا فقد صح يقيناً ان هؤلاء الطبقات الاربع هم الذين شاء الله تعالى ان يغفر لهم
بلا شك فبقي الذين لم يشاء الله تعالى ان يغفر لهم ولم يبق من الطبقات احد الا من رجحت
كبائره في الموازنة على حسناته فهو الذين يجازون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون من النار بالشفاعة
وبرحمة الله عز وجل فقالوا من هؤلاء من يغفر الله تعالى له ومنهم من يعذبه قلنا لهم اعندكم
بهذا البيان نص وهم لا يجدونه ابداً فظهر تحكمهم بلا برهان وخلافهم لجميع الايات التي تعلقوا
بها فانهم مقرون على انها ليست على عمومها بل هي مخصوصة لان الله تعالى قال ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولا خلاف في انه تعالى يغفر الشرك لمن آمن
فصح انها مجملة تفسرها سائر الايات والاخبار وكذلك حديث عبادة خمس صلوات كتبهن
الله تعالى على العباد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئاً كان له عند الله عهد ان يدخله
الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء غفر له وان شاء عذبه فانهم متفقون
على ان من جاء بهن لم ينتقص من حدودهن شيئاً الا أنه قتل وزنى وسرق فانه قد يعذب
ويقولون ان لم يأت بهن فانه لا يعذب على التأبيد بل يعذب ثم يخرج عن النار

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا ترك منهم ايضاً لظاهر هذا الخبر

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا فرق بين قول الله تعالى ﴿ فامامن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية
وبين قوله ﴾ واما من خفت موازينه فامه هاوية ﴾ كلاهما خبران جاز ابطال احدهما جاز ابطال
الآخر ومعاذ الله من هذا القول وكذلك قد منع الله تعالى من هذا القول بقوله تعالى ﴿ لا
تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ﴾ ونحن نقول
ان الله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وانه تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء وان كل
احد فهو في مشيئة الله تعالى الا اننا نقول انه تعالى قد بين من يغفر له ومن يعذب وان
الموازين حق والموازنة حق والشفاعة حق وبالله تعالى التوفيق حدثنا محمد بن سعيد بن

بيان حدثنا احمد بن عبد النصير حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني حدثنا
محمد بن المثنى حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن مجاهد عن
ابن عباس في قول الله تعالى * وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص * قال ما وعدوا فيه من خير
وشر وهذا هو نص قولنا وقد ادعى قوم ان خلاف الوعيد حسن عند العرب وانشدوا

واني وان اوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا شيء قد جعل فخر صبي أحمق كافر حجة على الله تعالى والعرب
تفخر بالظلم قال الراجز

احيا اباه هاشم بن حرمله * ترى الملوك حوله مغربله
يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له * وقد جعلت العرب مخلف الوعد كاذبا

قال الشاعر انشده ابو عبيدة معمر بن المثنى

اتوعدني وراء بني رباح * كذبت لتقصرن يداك دوني

فان قالوا خصوا وعيد الشرك بالموازنة قلنا لا يجوز لان الله تعالى منع من ذلك قال تعالى *
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم * فمن حبط عمله فلا خير له

﴿ قال ابو محمد ﴾ واهل النار متفاضلون في عذاب النار فاقلهم عذابا ابو طالب فانه توضع
جمرتان من نار في اخمصيه الى ان يبلغ الامر الى قوله تعالى * ادخلوا آل فرعون أشد
العذاب * وقوله تعالى * ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار * ولا يكون الاشد الا الى
جنب الا دون وقال تعالى * ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر *

﴿ قال ابو محمد ﴾ والكفار معذبون على المعاصي التي عملوا من غير الكفر برهان ذلك قول
الله سبحانه وتعالى * ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا
نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين * فنص تعالى على ان الكفار
يعذبون على ترك الصلاة وعلى ترك الطعام للمسكين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وأما من عمل منهم العتق والصدقة او نحو ذلك من اعمال البر فحابط كل
ذلك لان الله عز وجل قال انه من مات وهو كافر حبط عمله لكن لا يعذب الله احداً الا
على ما عمل لا على ما لم يعمل قال الله تعالى * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * فلما كان من

لا

لا يطعم المسكين من الكفار يعذب على ذلك عذاباً زائداً فالذي اطعم المسكين مع كفره لا
يعذب ذلك العذاب الزائد فهو اقل عذاباً لأنه لم يعمل من الشر ما عمل من هو اشد عذاباً
لانه عمل خيراً

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل كافر عمل خيراً وشراً ثم اسلم فان كل ما عمل من خير مكتوب مجازى
به في الجنة وأما ما عمل من شر فان تاب عنه مع توبته من الكفر سقط عنه وان تمادى
عليه أخذ بما عمل في كفره وبما عمل في اسلامه برهان ذلك حديث حكيم بن حزام عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يا رسول الله اشياء كنت اتحنث بها في الجاهلية من
عتق وصدقة وصلة رحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمت على ما سلف لك من
خير فاخبر انه خير وانه له اذا اسلم وقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ارأيت ابن
جدعان فانه كان يصل الرحم ويقرى الضيف أينفع ذلك قال لا لانه لم يقل يوما * رب اغفر
لي خطيئتي يوم الدين * فاخبر عليه السلام انه لم ينتفع بذلك لانه لم يسلم فاتفقت الاخبار كلها
على انه لو اسلم لنفعه ذلك واما مؤاخذته بما عمل فحديث ابن مسعود رضي الله عنه بنص ما
قلنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قلناه فان اعترض معترض بقول الله تعالى * لئن
اشركت ليحبطن عملك * قلنا انما هذا لمن مات مشركا فقط برهان ذلك ان الله تعالى قال لئن
اشركت ليحبطن عملك * ومن اسلم فليس من الخاسرين وقد بين ذلك بقوله * ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم * وان اعترضوا فيما قلنا من المؤاخذة
بما عمل في الكفر بقوله تعالى * قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف * قلنا لهم هذا
حجة لنا لان من انتهى عن الكفر غفر له وان انتهى عن الزنا غفر له وان لم ينته عن الزنا لم
يغفر له فانما يغفر له ما انتهى عنه ولم يغفر له ما لم ينته عنه ولم يقل تعالى ان ينتهوا عن الكفر
يغفر لهم سائر ذنوبهم والزيادة على الاية كذب على الله تعالى وهي اعمال متغايرة كما ترى ليست
التوبة عن بعضها توبة عن سائرها فلكل واحد منها حكم فان ذكروا حديث عمرو بن العاص
عن النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله فقد قلنا ان الاسلام اسم لجميع الطاعات فمن
اصر على المعصية فليس فعله في المعصية التي يتمادى عليها اسلاماً ولا ايماناً كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فصح ان الاسلام والايمان هو جميع

الطاعات فاذا اسلم من الكفر وتاب من جميع معاصيه فهو الاسلام الذي يجب ما قبله واذا
لم يتب من معاصيه فلم يحسن في الاسلام فهو مأخوذ بالاول والآخر كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبهذا تتفق الاحاديث وكذلك قوله عليه السلام والهجرة تجب ما قبلها فقد
صح عنه عليه السلام ان المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه فمن تاب من جميع المعاصي التي سلفت
منه فقد هجر ما نهاه الله عنه فهذه هي الهجرة التي تجب ما قبلها واما قوله عليه السلام والحج
يجب ما قبله فقد جاء ان العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا
الجنة فهذا على الموازنة التي ربنا عز وجل عالم بمراتبها ومقاديرها وانما نقف حيث وقفنا الله
تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ واستدركنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في قاتل نفسه حرم عليه الجنة
واوجب له النار مع قوله من قال لا اله الا الله مخلصاً من قلبه حرم عليه النار واوجب له الجنة

﴿ قال ابو محمد ﴾ قال الله تعالى « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » فصح ان
كلامه صلى الله عليه وسلم كله وحي من عند الله تعالى وقال عز وجل « ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » فصح ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن
عند الله تعالى وانه لا اختلاف في شيء منه وانه كله متفق عليه فاذ ذلك كذلك فواجب ضم
هذه الاخبار بعضها الى بعض فيلوح الحق حينئذ بحول الله وقوته فمعنى قوله صلى الله عليه
وسلم في القاتل حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار مبني على الموازنة فان رجحت كبيرة
قتله نفسه على حسناته حرم الله عليه الجنة حتى يقتص منه بالنار التي اوجبها الله تعالى جزاء
على فعله وبرهان هذا حديث الذي اسلم وهاجر مع عمرو بن الحمة الدوسي ثم قتل نفسه
لجراح جرح به فتألم به فقطع عروق يده فنزف حتى مات فرآه بعض اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم في حال حسنة الا يده وذكر انه قيل له لن يصلح منك ما افسدت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم وليديه فاغفر ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
لا اله الا الله مخلصاً من قلبه حرم الله عليه النار واوجب له الجنة فهذا لا يختلف فيه مسلمان
انه ليس على ظاهره منفرداً لكن يضمه الى غيره من الايمان لمحمد صلى الله عليه وسلم والبراءة
من كل دين حاشا دين الاسلام ومعناه حينئذ ان الله عز وجل اوجب له الجنة ولا بد اما

بعد

بعد الاقتصاص واما دون الاقتصاص على ما توجبه الموازنة وحرم الله عليه ان يخلد فيها
ويكون من اهلها القاطنين فيها على ما بينا قبل من قوله تعالى « لا أضيع عمل عامل منكم من
ذكر او انثى ومن يعمل سوءاً يجز به وما كان الله ليضيع ايمانكم وما تفعلوا من خير فلن تكفروه »
وقوله تعالى « يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها » فنص الآية انها في الكفار
هكذا في نص الآية

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما الكفارة فان الله تعالى قال « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريماً »

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن المحال ان يحرم الله تعالى علينا امراً ويفرق بين احكامه ويجعل بعضه
مغفوراً باجتناب بعض ومؤاخذاً به ان لم يجتنب البعض الآخر ثم لا يبين لنا المهلكات من
غيرها فنظرنا في ذلك فوجدنا قوماً يقولون ان كل ذنب فهو كبيرة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا خطأ لان نص القرآن مفرق كما قلنا بين الكبائر وغيرها وبالضرورة
ندري انه لا يقال كبيرة الا بالاضافة الى ما هو أصغر منها والكبائر ايضاً تتفاضل فالشرك
اكبر مما دونه والقتل اكبر من غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهما ليعذبان وما
يعذبان في كبير وانه لكبير اما احدهما فكان لا يستبرئ من بوله واما الآخر فكان يمشي
بالنميمة فاخبر عليه السلام انهما كبير وما هما بكبير وهذا بين لانهما كبيران بالاضافة الى
الصغائر المغفورة باجتناب الكبائر وليسا بكبيرين بالاضافة الى الكفر والقتل

﴿ قال ابو محمد ﴾ فبطل القول المذكور فنظرنا في ذلك فوجدنا معرفة الكبير من الذنوب
مما ليس بكبير منها لا يعلم البتة الا بنص وارد فيها اذ هذا من احكام الله تعالى التي لا تعرف
الا من عنده تعالى فبحثنا عن ذلك فوجدنا الله تعالى قد نص بالوعيد على ذنوب في القرآن
وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ووجدنا ذنوباً أخر لم ينص عليها بوعيد فعلمنا يقيناً
ان كل ما توعد الله تعالى عليه بالنار او توعد عليه رسوله صلى الله عليه وسلم بالنار فهو كبير
وكل ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باستعظامه فهو كبير كقوله عليه السلام
اتقوا السبع الموبقات الشرك والسحر والقتل والزنا وذكر الحديث وكقوله عليه السلام عقوق
الوالدين من الكبائر وكل ما لم يأت نص باستعظامه ولا جاء فيه وعيد بالنار فليس بكبير ولا

يمكن ان يكون الوعيد بالنار على الصغائر على انفرادها لانها مغفورة باجتناب الكبائر فصح ما قلناه وبالله تعالى التوفيق

﴿ الموافاة ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف المتكلمون في معنى عبروا عنه بلفظ الموافاة وهم انهم قالوا في انسان مؤمن صالح مجتهد في العبادة ثم مات مرتداً كافراً وآخر كافر متمرد أوفاسق ثم مات مسلما تائباً كيف كان حكم كل واحد منهما قبل ان ينتقل الى ما مات عليه عند الله تعالى فذهب هشام بن عمرو الفوطي وجميع الاشعرية الى ان الله عز وجل لم يزل راضياً عن الذي مات مسلما تائباً ولم يزل ساخطاً على الذي مات كافراً او فاسقاً واحتجوا في ذلك بان الله عز وجل لا يتغير علمه ولا يرضى ما سخط ولا يسخط ما رضي وقالت الاشعرية الرضا من الله عز وجل لا يتغير منه تعالى صفات الذات لاين ولآن ولا يتغيران وذهب سائر المسلمين الى ان الله عز وجل كان ساخطاً على الكافر والفاسق ثم رضي الله عنهما اذا أسلم الكافر وتاب الفاسق وانه كان تعالى راضياً عن المسلم وعن الصالح ثم سخط عليهما اذا كفر المسلم وفسق الصالح

﴿ قال ابو محمد ﴾ احتجاج الاشعرية هاهنا هو احتجاج اليهود في ابطال النسخ ولا فرق ونحن نبين بطلان احتجاجهم وبطلان قولهم وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله عز وجل نتأيد أما قولهم عن علم الله عز وجل لا يتغير فصحيح ولكن معلوماته تتغير ولم نقل ان علمه يتغير ومعاذ الله من هذا ولم يزل علمه تعالى واحداً يعلم كل شيء على تصرفه في جميع حالاته فلم يزل يعلم ان زيداً سيكون صغيراً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم ميتاً ثم مبعوثاً ثم في الجنة أو في النار ولم يزل يعلم انه سيؤمن ثم يكفر أو انه يكفر ثم يؤمن أو انه يكفر ولا يؤمن او انه يؤمن ولا يكفر وكذلك القول في الفسق والصلاح ومعلوماته تعالى في ذلك متغيرة مختلفة ومن كابر هذا فقد كابر العيان والمشاهدات واما قولهم ان الله تعالى لا يسخط ما رضي ولا يرضى ما سخط فباطل وكذب بل قد أمر الله تعالى اليهود بصيانة السبت وتحريم الشحوم ورضى لهم ذلك وسخط منهم خلافه وكذلك احل لنا الخمر ولم يلزمنا الصلاة ولا الصوم برهة من زمن الاسلام ورضي لنا شرب الخمر وا كل رمضان والبقاء بلا صلاة وسخط تعالى بلا شك المبادرة بتحريم ذلك كما قال تعالى * ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه *

ثم

ثم فرض علينا الصلاة والصوم وحرم علينا الخمر فسخط لنا ترك الصلاة وا كل رمضان وشرب الخمر ورضي لنا خلاف ذلك وهذا لا ينكره مسلم ولم يزل الله تعالى عليما انه سيحل ما كان أحل من ذلك مدة كذا وانه سيرضى منه ثم انه سيحرمه ويسخطه وانه سيحرم ماحرم من ذلك ويسخطه مدة ثم انه يحله ويرضاه كما علم عز وجل انه سيحيي من احياه مدة كذا وانه يعز من اعزه مدة ثم يذله وهكذا جميع ما في العالم من آثار صنعته عز وجل لا يخفى ذلك على من له ادنى حس وهكذا المؤمن يموت مرتداً والكافر يموت مسلما فان الله تعالى لم يزل يعلم انه سيسخطه فعل الكافر ما دام كافراً ثم انه يرضى عنه اذا أسلم وان الله تعالى لم يزل يعلم انه يرضى عن افعال المسلم وافعال البر ثم انه يسخط افعاله اذا ارتد أوفسق ونص القرآن يشهد بذلك قال تعالى * ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم * فصح يقيناً ان الله تعالى يرضى الشكر ممن شكره فيما شكره ولا يرضى الكفر ممن كفر اذا كفر متي كفر كيف كان انتقال هذه الاحوال من الانسان الواحد وقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم * فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم ان لا يمكن ان يحبط عمل الا وقد كان غير حابط ومن المحال ان يحبط عمل لم يكن محسوباً قط فصح ان عمل المؤمن الذي ارتد ثم مات كافراً انه كان محسوباً ثم حبط اذا ارتد وكذلك قال الله تعالى * يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب * فصح انه لا يمحو الا ما كان قد كتبه ومن المحال ان يمحى ما لم يكن مكتوبا وهذا بطلان قولهم يقيناً ولله الحمد وكذلك نص قوله تعالى * اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات * فهذا نص قولنا وبطلان قولهم لان الله تعالى سمى افعالهم الماضية سيئات والسيئات مذمومة عنده تعالى بلا شك ثم اخبر تعالى انه أحالها وبدلها حسنات مرضية فمن انكر هذا فهو مكذب لله تعالى والله تعالى مكذب له وكذلك قال الله تعالى انه سخط اكل آدم من الشجرة وذهاب يونس مغاضباً ثم اخبر عز وجل انه تاب عليهما واجتبى يونس بعد ان لامه ولا يشك كل ذي عقل ان اللائمة غير الاجتباء

﴿ قال ابو محمد ﴾ ثم نقول لهم افي الكافر كفر اذ كان كافراً قبل ان يؤمن وفي الفاسق فسق قبل ان يتوب وفي المؤمن ايمان قبل ان يرتد ام لا فان قالوا لا كابروا واحالوا وان قالوا نعم قلنا لهم فهل يسخط الله الكفر والفسق او يرضى عنهما فان قالوا بل يسخطها تركوا قولهم

وان قالوا بل يرضى عن الكفر والفسق كفروا ونسألهم عن قتل وحشي حمزة رضي الله عنه ارضاء كان لله تعالى فان قالوا نعم كفروا وان قالوا بل ماكان الا سخطاً سألناهم ايؤاخذه الله تعالى به اذا اسلم فمن قولهم لا وهكذا في كل حسنة وسيئة فظهر فساد قولهم وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الكلام في من لم تبلغه الدعوة ومن تاب عن ذنب او كفر ثم رجع فيما تاب عنه

﴿ قال ابو محمد ﴾ قال الله عز وجل * لا نذركم به ومن بلغ * وقال تعالى * وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * فنص تعالى ذلك على ان النذارة لا تلزم الا من بلغته لا من لم تبلغه وانه تعالى لا يعذب احداً حتى يأتيه رسول من عند الله عز وجل فصح بذلك ان من لم يبلغه الاسلام اصلا فانه لا عذاب عليه وهكذا جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يؤتى يوم القيامة بالشيخ الخرف والاصلح الاصم ومن كان في الفترة والمجنون فيقول المجنون يا رب أتاني الاسلام وأنا لا اعقل ويقول الخرف والاصم والذي في الفترة أشياء ذكرها فيوقد لهم نار ويقال لهم ادخلوها فمن دخلها وجدها برداً وسلاماً وكذلك من لم يبلغه الباب من واجبات الدين فانه معذور لا ملامة عليه وقد كان جعفر بن ابي طالب واصحابه رضي الله عنهم بارض الحبشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والقرآن ينزل والشرائع تشرع فلا يبلغ الى جعفر واصحابه اصلا لانقطاع الطريق جملة من المدينة الى ارض الحبشة وبقوا كذلك ست سنين فما ضرهم ذلك في دينهم شيئاً اذ عملوا بالمحرم وتركوا المفروض

﴿ قال ابو محمد ﴾ ورأيت قوماً يذهبون الى أن الشرائع لا تلزم من كان جاهلا بها ولا من لم تبلغه

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا باطل بل هي لازمة له لان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس كلهم والى الجن كلهم والى كل من لم يولد اذ بلغ بعد الولادة

﴿ قال ابو محمد ﴾ قال الله تعالى آمراً ان يقول * اني رسول الله اليكم جميعاً * وهذا عموم لا يجوز ان يخص منه احداً وقال تعالى * أيحسب الانسان ان يترك سدى * فابطل سبحانه ان يكون احد سدى والسدى هو المهمل الذي لا يؤمر ولا ينهي فابطل عز وجل هذا الامر ولكنه معذور بجهله ومغيبه عن المعرفة فقط وان من بلغه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حيث ماكان من أقاصي الارض ففرض عليه البحث عنه فاذا بلغته نذارته ففرض عليه التصديق به واتباعه

وطلب الدين اللازم له والخروج عن وطنه لذلك والا فقد استحق الكفر والخلود في النار والعذاب بنص القرآن وكل ما ذكرنا يبطل قول من قال من الخوارج ان في حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم يلزم من في أقاصي الارض الايمان به ومعرفة شرائعه فان ماتوا في تلك الحال ماتوا كفاراً الى النار ويبطل هذا قول الله عز وجل * لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وليس في وسع احد علم الغيب فان قالوا فهذه حجة الطائفة القائلة انه لا يلزم أحداً شيء من الشرائع حتى تبلغه قلنا لا حجة لهم فيها لان كل ما كلف الناس فهو في وسعهم واحتمال بنيتهم الا أنهم معذورون بمغيب ذلك عنهم ولم يكلفوا ذلك تكليفاً يعذبون به ان لم يفعلوه وانما كلفوه تكليف من لا يعذبون حتى يبلغهم ومن بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له أمراً من الحكم مجملا ولم يبلغه نصه ففرض عليه اجتهاد نفسه في طلب ذلك الامر والا فهو عاص لله عز وجل قال الله تعالى * فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * وبقوله تعالى * فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * واما من تاب عن ذنب او كفر ثم رجع الى ما تاب عنه فانه ان كان توبته تلاث وهو معتقد للعودة فهو عابث مستهزئ مخادع لله تعالى قال الله تعالى * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم * الى قوله * عذاب اليم بما كانوا يكذبون * واما من كانت توبته نصوحاً ثابت العزيمة في ان لا يعود فهي توبة صحيحة مقبولة بلا شك مسقطة لكل ما تاب عنه بالنص قال عز وجل * واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً * فان عاد بعد ذلك الى الذنب الذي تاب منه فلا يعود عليه ذنب قد غفره الله له ابداً فان ارتد ومات كافراً فقد سقط عمله والتوبة عمل فقد حبطت فهذا يعود عليه ما عمل خاصة واما من راجع الاسلام ومات عليه فقد سقط عنه الكفر وغيره

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولا تكون التوبة الا بالندم والاستغفار وترك المعاودة والعزيمة على ذلك والخروج من مظلمة ان تاب عنها الى صاحبها بتحلل او انصاف ورأيت لأبي بكر احمد بن علي بن يفجور المعروف بابن الاخشيد وهو أحد أركان المعتزلة وكان أبوه من أبناء ملوك فرغانة من الأتراك وولى أبوه الثغور وكان هذا ابو بكر ابنه يتفقه للشافعي فرأيت له في بعض كتبه يقول ان التوبة هي الندم فقط وان لم ينو مع ذلك ترك المراجعة لتلك الكبيرة

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا اشنع ما يكون من قول المرجئة لان كل معتقد للاسلام فبلاشك ندري انه نادم على كل ذنب يعمله عالما بانه مسيء فيه مستغفر منه ومن كان بخلاف هذه الصفة لكن مستحسنا لما فعل غير نادم عليه فليس مسلما فكل صاحب كبيرة فهو على قول ابن الاخشيد غير مؤاخذ بها لانه تائب منها وهذا خلاف الوعيد فان قال قائل فانكم تقطعون على قبول ايمان المؤمن أفتقطعون على قبول توبة التائب وعمل العامل للخيرات كل ذلك مقبول وهل تقطعون على المكثر من السيئآت انه في النار قلنا وبالله تعالى التوفيق ان الاعمال لها شروط من توفية النية حقها وتوفية العمل حقه فلو ايقنا ان العمل وقع كاملا كما امر الله تعالى لقطعنا على قبول الله عز وجل له واما التوبة فاذا وقعت نصوحا فنحن نقطع بقبولها واما القطع على مظهر الخير بانه في الجنة وعلى مظهر الشر والمعاصي بانه في النار فهذا خطأ لاننا لا نعلم ما في النفوس ولعل المظهر الخير مبطن للكفر او مبطن على كباير لا نعلمها فواجب ان لا نقطع من اجل ذلك عليه بشيء وكذلك المعلن بالكبائر فانه يمكن ان يبطن الكفر في باطن امره فاذا قرب من الموت آمن فاستحق الجنة او لعل له حسنات في باطن امره تفيء على سيئآته فيكون من اهل الجنة فلهذا وجب ان لا نقطع على احد بعينه بجنة ولا نار حاشا من جاء النص فيه من الصحابة رضي الله عنهم بانهم في الجنة وبان الله علم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واهل بدر واهل السوابق فانا نقطع على هؤلاء بالجنة لان الله تعالى أخبرنا بذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحاشا من مات معلنا للكفر فانا نقطع عليه بالنار ونقف فيمن عدا هؤلاء الا اننا نقطع على الصفات فنقول من مات معلنا للكفر او مبطنا له فهو في النار خالدا فيها ومن اتى الله تعالى راجح الحسنات على السيئات والكبائر او متساويها فهو في الجنة لا يعذب بالنار ومن اتى الله تعالى راجح الكبائر على الحسنات ففي النار ويخرج منها بالشفاعة الى الجنة وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ ورأيت بعض أصحابنا يذهب الى شيء يسميه شاهد الحال وهو ان من كان مظهر الشيء من الديانات متحملا للأذى فيه غير مستجلب بما يلقى من ذلك حالا فانه مقطوع على باطنه وظاهره قطعا لاشك فيه كعمر بن عبد العزيز وسعيد بن المسيب والحسن البصري وابن سيرين ومن جرى مجراهم ممن قبلهم او معهم او بعدهم فان هؤلاء رضي الله عنهم

رفضوا من الدنيا مالو استعملوه لما حطمن وجاهتهم شيئا واحتملوا من المضض مالو خففوه عن أنفسهم لم يقدح ذلك فيهم عند أحد فهؤلاء مقطوع على اسلامهم عند الله عز وجل وعلى خيرهم وفضلهم وكذلك نقطع على ان عمر بن عبيد كان يدين بأبطال القدر بلا شك في باطن امره وان ابا حنيفة والشافعي رضى الله عنهما كانا في باطن امرهما يدينان الله تعالى بالقياس وان داود بن علي كان في باطن الامر يدين الله تعالى بابطال القياس بلا شك وان احمد بن حنبل رضي عنه كان يدين الله تعالى بالتدين بالحديث في باطن امره بلاشك وبان القرآن غير مخلوق بلا شك وهكذا كل من تناصرت أحواله وظهر جده في معتقده وترك المسامحة فيه واحتمل الأذى والمضض من أجله

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا قول صحيح لاشك فيه اذ لا يمكن البتة في بنية الطبائع ان يحتمل احد أذى ومشقة لغير فائدة يتعجلها او يتأجلها وبالله تعالى التوفيق ولا بد لكل ذي عقد من ان تبين عليه شاهد عقده بما يبدو منه من مسامحة فيه او صبر عليه واما من كان بغير هذه الصفة فلا نقطع على عقده وبالله تعالى التوفيق

الكلام في الشفاعة والميزان والحوض وعذاب القبر والكتبة

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبع ان لا يخرج احد من النار بعد دخوله فيها وذهب أهل السنة والاشعرية والكرامية وبعض الرافضة الى القول بالشفاعة واحتج المانعون بقول الله عز وجل * فما تنفعهم شفاعة الشافعين * وبقوله عز وجل * يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله * وبقوله تعالى * قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * وبقوله تعالى * واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة * وبقوله تعالى * من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة * وبقوله تعالى * فما لنا من شافعين ولا صديق حميم * وبقوله تعالى * ولا يؤخذ منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون *

﴿ قال ابو محمد ﴾ من يؤمن بالشفاعة انه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض ولا على بعض السنن دون بعض ولا على القرآن دون بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال له ربه عز وجل * لتبين للناس ما أنزل اليهم * وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة في

القرآن فقال تعالى * لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً * فأوجب عز وجل الشفاعة الا من اتخذ عنده عهداً بالشفاعة وصحت بذلك الاخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكواف لها قال تعالى * يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً * وقال تعالى * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له * فنص تعالى على ان الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضي قوله ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لانه أفضل ولد آدم عليه السلام وقال تعالى * من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى * وقال تعالى * ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون * وقال تعالى * ما من شفيع الا من بعد اذنه * فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فصح يقيناً ان الشفاعة التي أبطلها الله عز وجل هي غير الشفاعة التي أثبتها عز وجل واذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطل عز وجل هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار قال تعالى لا يخفف عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا نعوذ بالله منها فاذ لا شك فيه فقد صح يقيناً ان الشفاعة التي أوجب الله عز وجل لمن أذن له واتخذ عنده عهداً ورضي قوله فانما هي لمذنبي أهل الاسلام وهكذا جاء الخبر الثابت

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهما شفاعتان احداهما الموقف ومسعه الحال وهو المقام المحمود الذي جاء النص في القرآن به في قوله * عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً * وهكذا جاء الخبر الثابت نصاً والشفاعة الثانية في اخراج اهل الكبائر من النار طبقة طبقة على ما صح في ذلك الخبر واما قول الله تعالى * قل لا املك لكم ضراً ولا رشداً ولا تملك نفس لنفس شيئاً * فما خالفناهم في هذا اصلا وليس هذا من الشفاعة في شيء فنعم لا يملك لاحد نفعاً ولا ضراً ولا رشداً ولا هدى وانما الشفاعة رغبة الى الله تعالى وضراعة ودعاء وقال بعض منكري الشفاعة ان الشفاعة ليست الا في المحسنين فقط واحتجوا بقوله تعالى * ولا يشفعون الا لمن ارتضى *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا حجة لهم فيه لان من اذن الله في اخراجه من النار وادخله الجنة واذن للشافع في الشفاعة له في ذلك فقد ارتضاه وهذا حق وفضل لله تعالى على من قد غفر

له

له ذنوب بان رجحت حسناته على كبائره او بان لم تكن له كبيرة او بان تاب عنها فهو مغن له عن شفاعة كل شافع فقد حصلت له الرحمة والفوز من الله تعالى وأمر به الى الجنة ففيماذا يشفع له وانما الفقير الى الشفاعة من غلبت كبائره حسناته فادخل النار ولم يأذن تعالى باخراجه منها الا بالشفاعة وكذلك الخلق في كونهم في الموقف هم ايضاً في مقام شنيع فهم ايضاً محتاجون الى الشفاعة وبالله تعالى التوفيق وبما صحت الاخبار من ذلك نقول

(واما الميزان) فقد انكره قوم فخالفوا كلام الله تعالى جراءة واقداماً وتنطع اخرون فقالوا هو ميزان بكفتين من ذهب وهذا اقدام آخر لا يحل قال الله عز وجل * ويقولون بافواههم ما ليس لهم به علم ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم *

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأمور الآخرة لا تعلم الا بما جاء في القرآن او بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأت عنه عليه السلام شيء يصح في صفة الميزان ولو صح عنه عليه السلام في ذلك شيء لقلنا به فاذ لا يصح عنه عليه السلام في ذلك شيء فلا يحل لاحد ان يقول على الله عز وجل ما لم يخبرنا به لكن نقول كما قال الله عز وجل * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة * الى قوله * وكفى بنا حاسبين * وقال تعالى * والوزن يومئذ الحق * وقال تعالى * فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فأمه هاوية * فنقطع على ان الموازين توضع يوم القيامة لوزن اعمال العباد قال تعالى عن الكفار * فلا نقيم لهم يوم القيمة وزناً * وليس هذا على ان لا توزن اعمالهم بل توزن لكن اعمالهم شائلة وموازينهم خفاف قد نص الله تعالى على ذلك اذ يقول * ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون * الى قوله * فكنتم بها تكذبون * فاخبر عز وجل ان هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم والمكذبون بآيات الله عز وجل كفار بلا شك ونقطع على ان تلك الموازين أشياء يبين الله عز وجل بها لعباده مقادير اعمالهم من خير أو شر من مقدار الذرة التي لا تحس وزنها في موازيننا أصلا فما زاد ولا ندري كيف تلك الموازين الا انا ندري انها بخلاف موازين الدنيا وان ميزان من تصدق بدينار أو بلؤلؤة اثقل ممن تصدق بكذانة وليس هذا وزنا وندري ان اثم القاتل اعظم من اثم اللاطم وان ميزان مصلى الفريضة أعظم من ميزان مصلى التطوع بل بعض الفرائض أعظم من بعض فقد صح عن النبي

صلى الله عليه وسلم ان من صلى الصبح في جماعة كمن قام ليلة ومن صلى العتمة في جماعة فكانما قام نصف ليلة وكلاهما فرض وهكذا جميع الاعمال فانما يوزن عمل العبد خيره مع شره ولو نصح المعتزلة انفسهم لعلموا ان هذا عين العدل واما من قال بما لا يدري ان ذلك الميزان ذو كفتين فانما قاله قياساً على موازين الدنيا وقد اخطأ في قياسه اذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرسطون واما نحن فانما اتبعنا النصوص الواردة في ذلك فقط ولا نقول الا بما جاء به قرآن أو سنة صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا ننكر الا ما لم يأت فيهما ولا نكذب الا بما فيهما ابطاله وبالله تعالى التوفيق

(وأما الحوض) فقد صحت الآثار فيه وهو كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن ورد عليه من أمته ولا ندري لمن انكره متعلقاً ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا وغيره وبالله تعالى التوفيق

(وأما الصراط) فقد ذكرناه في الباب الاول الذي قبل هذا وانه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع الصراط بين ظهراني جهنم ويمر عليه الناس فمخدوج وناج ومكردس في نار جهنم وان الناس يمرون عليه على قدر أعمالهم كمر الطرف فما دون ذلك الى من يقع في النار وهو طريق أهل الجنة اليها من المحشر في الارض الى السماء وهو معنى قول الله تعالى * وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً * واما كتاب الملائكة لاعمالنا فحق قال الله تعالى * وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين * وقال تعالى * انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون * وقال تعالى * وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك * وقال تعالى * اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذا ما لا خلاف فيه بين أحد ممن ينتمي الى الاسلام الا انه لا يعلم أحد من الناس كيفية ذلك الكتاب

(عذاب القبر) قال ابو محمد ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة الى انكار عذاب القبر وهو قول من لقينا من الخوارج وذهب أهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي وسائر المعتزلة الى القول به وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به

قال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد احتج من انكره بقول الله تعالى * ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين * وبقوله تعالى * كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم الآية *

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا حق لا يدفع عذاب القبر لان فتنة القبر وعذابه والمساءلة انما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد اثر ذلك قبر أو لم يقبر برهان ذلك قول الله تعالى * ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم * الآية وهذا قبل القيامة بلا شك وأثر الموت وهذا هو عذاب القبر وقال * انما توفون أجوركم يوم القيامة * وقال تعالى في آل فرعون * النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب * فهذا العرض المذكور هو عذاب القبر وانما قيل عذاب القبر فاضيف الى القبر لان المعهود في اكثر الموتى انهم يقبرون وقد علمنا ان فيهم اكيل السبع والغريق تأكله دواب البحر والمحرق والمصلوب والمعلق فلو كان على ما يقدر من يظن انه لا عذاب الا في القبر المعهود لما كان لهؤلاء فتنة ولا عذاب قبر ولا مساءلة ونعوذ بالله من هذا بل كل ميت فلا بد له من فتنة وسؤال وبعد ذلك سرور أو نكد الى يوم القيمة فيوفون حينئذ أجورهم وينقلبون الى الجنة أو النار وأيضاً فان جسد كل انسان فلا بد من العود الى التراب يوماً ما كما قال الله تعالى * منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى * فكل من ذكرنا من مصلوب أو معلق أو محرق أو أكيل سبع أو دابة فانه يعود رماداً أو رجيعاً أو يتقطع فيعود الى الارض ولا بد وكل مكان استقرت فيه النفس أثر خروجها من الجسد فهو قبرها الى يوم القيامة وأما من ظن ان الميت يحيي في قبره فخطأ لان الآيات التي ذكرنا تمنع من ذلك ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثاً وأحيانا ثلاثاً وهذا باطل وخلاف القرآن الا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الانبياء و* الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم * و* الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال اني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه * وكذلك قوله تعالى * الله يتوفى الانفس حين موتها * الى قوله * الى أجل مسمى * فصح بنص القرآن ان روح من مات لا يرجع الى جسده الا الى أجل مسمى وهو يوم القيامة وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى الارواح ليلة اسرى به عند سماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام ارواح اهل السعادة

وعن شماله ارواح اهل الشقاء واخبر عليه السلام يوم بدر اذ خاطب القتلى واخبر انهم وجدوا ما توعدهم به حقاً قبل ان يكون لهم قبور فقال المسلمون يارسول الله أتخاطب قوماً قد جيفوا فقال عليه السلام ما انتم بأسمع لما اقول منهم فلم ينكر عليه السلام على المسلمين قولهم انهم قد جيفوا واعلمهم انهم سامعون فصح ان ذلك لارواحهم فقط بلا شك واما الجسد فلاحس له

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر يصح ان ارواح الموتى ترد الى اجسادهم عند المساءلة ولو صح ذلك عنه عليه السلام لقلنا به فاذ لا يصح فلا يحل لاحد ان يقوله وانما انفرد بهذه الزيادة من رد الارواح المنهال بن عمرو وحده وليس بالقوى تركه شعبة وغيره وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك وهذا الذي قلنا هو الذي صح ايضاً عن الصحابة رضي الله عنهم لم يصح عن احد منهم غير ما قلنا كما حدثنا محمد بن سعيد بن بيان حدثنا اسماعيل بن اسحاق حدثنا عيسى بن حبيب حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله بن يزيد المقري عن جده محمد بن عبد الله عن سفيان بن عيينة عن منصور ابن صفية عن أمه صفية بنت شيبة قالت دخل ابن عمر المسجد فابصر ابن الزبير مطروحا قبل أن يصلب فقيل له هذه اسماء بنت ابي بكر الصديق فمال اليها فعزاها وقال ان هذه الجثث ليست بشيء وان الارواح عند الله فقالت اسماء وما يمنعني وقد اهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل وحدثنا محمد بن بيان ثنا أحمد بن عون الله حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الحسيني ثنا ابو موسى محمد بن المثنى الزمن ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان الثوري عن ابي اسحق السبيعي عن ابي الاحوص عن ابن مسعود في قول الله عز وجل * ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين * قال ابن مسعود هي التي في البقرة * وكنتم امواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * فهذا ابن مسعود واسماء بنت ابي بكر الصديق وابن عمر رضي الله عنهم ولا مخالف من الصحابة رضي الله عنهم تقطع اسماء وابن عمر على ان الارواح باقية عند الله وان الجثث ليست بشيء ويقطع ابن مسعود بان الحياة مرتان والوفاة كذلك وهذا قولنا وبالله التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى موسى عليه السلام قائماً في قبره يصلي ليلة الاسراء واخبر انه رآه في السماء السادسة او السابعة وبلا شك انما رأى

روحه واما جسده فموارى بالتراب بلا شك فعلى هذا ان موضع كل روح يسمى قبراً فتعذب الارواح حينئذ وتسأل حيث كانت وبالله تعالى التوفيق

(مستقر الارواح) قال ابو محمد اختلف الناس في مستقر الارواح وقد ذكرنا بطلان قول اصحاب التناسخ في صدر كتابنا هذا والحمد لله رب العالمين فذهب قوم من الروافض الى ان أرواح الكفار ببرهوت وهو بئر بحضرموت وان أرواح المؤمنين بموضع آخر أظنه الجابية وهذا قول فاسد لانه لادليل عليه اصلا ومالا دليل عليه فهو ساقط ولا يعجز أحد عن أن يدعي للارواح مكاناً آخر غير ما ادعاه هؤلاء وما كان هكذا فلا يدين به الا مخذول وبالله تعالى التوفيق وذهب عوام أصحاب الحديث الى ان الارواح على أفنية قبورها وهذا قول لا حجة له اصلا تصححه الا خبر ضعيف لا يحتج بمثله لانه في غاية السقوط لا يشتغل به أحد من علماء الحديث وما كان هكذا فهو ساقط ايضاً وذهب ابو الهذيل العلاف والاشعرية الى ان الارواح أعراض تفنى ولا تبقى وقتين فاذا مات الميت فلا روح هنالك اصلا ومن عجائب أصحاب هذه المقالة الفاسدة قولهم ان روح الانسان الآن غير روحه قبل ذلك وانه لا ينفك تحدث له روح ثم تفنى ثم روح ثم تفني وهكذا أبداً وان الانسان يبدل الف الف روح واكثر في مقدار اقل من ساعة زمانية وهذا يشبه تخليط من هاج به البرسام وزاد بعضهم فقال ان صحت الآثار في عذاب الارواح فان الحياة ترد الى أقل جزء لا يتجزأ من الجسم فهو يعذب وهذا أيضاً حمق آخر ودعاوي في غاية الفساد وبلغني عن بعضهم انه يزعم ان الحياة ترد الى عجب الذنب فهو يعذب أو ينعم وتعلق بالحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا الخبر صحيح الا انه لا حجة فيه لانه ليس فيه ان عجب الذنب يحيا ولا انه يركب فيه حياة ولا انه يعذب ولا ينتقم وهذا كله مقحم في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وانما في الحديث ان عجب الذنب خاصة لا يأكله التراب فلايحول تراباً وانه منه ابتداء خلق المرء ومنه يبتدأ انشاؤه ثانية فقط وهذا خارج احسن خروج على ظاهره وان عجب الذنب خاصة تتبدد اجزاؤه وهي عظام تحسها لا تحول تراباً وان الله تعالى يبتدئ الانشاء الثاني بجمعها ثم يركب تمام الخلق للانسان عليه وانه اول ما خلق من جسم الانسان ثم ركب

عليه سائره واذ هذا ممكن لو لم يأت به نص نخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالتصديق من كل خبر لانه عن الله عز وجل قال تعالى * هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم * وقال تعالى * ما اشهدتم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم * وقال ابو بكر بن كيسان الاصم لا ادري ما الروح ولم يثبت شيء غير الجسد

﴿ قال ابو محمد ﴾ وسنبين ان شاء الله تعالى فساد هاتين المقالتين في باب الكلام في الروح والنفس من كتابنا هذا بحول الله وقوته والذي نقول به في مستقر الارواح هو ما قاله الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم لا يتعداه فهو البرهان الواضح وهو ان الله تعالى قال * واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين * وقال تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا * فصح ان الله عز وجل خلق الارواح جملة وهي الانفس وكذلك اخبر عليه السلام ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهي العاقلة الحساسة واخذ عز وجل عهدها وشهادتها وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام وقبل أن يدخلها في الاجساد والاجساد يومئذ تراب وماء ثم أقرها تعالى حيث شاء لان الله تعالى ذكر ذلك بلفظة ثم التي توجب التعقيب والمهلة ثم أقرها عز وجل حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع اليه عند الموت لا تزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الاجساد المتولدة من المنى المنحدر من أصلاب الرجال وارحام النساء كما قال تعالى * ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى * وقال عز وجل * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً * الآية وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجمع خلق ابن آدم في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح وهذا نص قولنا والحمد لله فيبلوهم الله عز وجل في الدنيا كما شاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عند سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه الصلاة والسلام وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عليه السلام وذلك عند منقطع العناصر وتعجل أرواح الانبياء عليهم

السلام وأرواح الشهداء الى الجنة وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن اسحاق بن راهويه انه ذكر هذا القول الذي قلنا بعينه وقال على هذا أجمع أهل العلم

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهو قول جميع أهل الاسلام حتى خالف من ذكرنا وهذا هو قول الله عز وجل * وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم * وقوله تعالى * فاما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو الحق اليقين * ولا تزال الارواح هنالك حتى يتم عدد الارواح كلها بنفخها في اجسادها ثم برجوعها الى البرزخ المذكور فتقوم الساعة ويعيد عز وجل الارواح ثانية الى الاجساد وهي الحياة الثانية ويحاسب الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير مخلدين ابداً

﴿ قال ابو محمد ﴾ قول بعض الاشعرية معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المأخوذ في قول الله عز وجل * واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم * ان اذ هاهنا بمعنى اذا فقول في غاية السقوط لوجوه خمسة اولها انه دعوى بلا دليل والثانية ان اذ بمعنى اذا لا يعرف في اللغة وثالثها انه لو صح له تأويله هذا الفاسد وهو لا يصح لكان كلاماً لا يعقل ولا يفهم وانما اورده عز وجل حجة علينا ولا يحتج الله عز وجل الا بما يفهم لا بما لا يفهم لان الله تعالى قد تطول علينا باسقاط الاصر عنا ولا اصر اعظم من تكليفنا فهم ما ليس في بنيتنا فهمه ورابعها انه لو كان كما ادعى لما كان على ظهر الارض الا مؤمن والعيان يبطل هذا لاننا نشاهد كثيراً من الناس لم يقولوا قط ربنا الله ممن نشأ على الكفر وولد عليه الى ان مات وممن يقول بان العالم لم يزل ولا محدث له من الاوائل والمتأخرين وخامسها ان الله عز وجل انما اخبر بهذه الآية عما فعل ودلنا بذلك على ان الذكر يعود بعد فراق الروح للجسد كما كان قبل حلوله فيه لانه تعالى اخبرنا انه اقام علينا الحجة بذلك الاشهاد دليلا كراهية ان نقول يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين اي عن ذلك الاشهاد المذكور فصح ان ذلك الاشهاد قبل هذه الدار التي نحن فيها التي اخبرنا الله عز وجل فيها بذلك الخبر وقبل يوم القيمة ايضاً فبطل بذلك قول بعض الاشعرية وغيرها وصح ان قولنا هو نص الآية والحمد لله رب العالمين

﴿قال ابو محمد﴾ وانما أتى المخالفون منهم انهم عقدوا على اقوال ثم راموا رد كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها وهذا هو الباطل الذي لا يحل ونحن ولله الحمد انما اتينا الى ما قاله الله عز وجل وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم فقلنا به ولم نحكم في ذلك بطراً ولا هوى ولا رددناهما الى قول أحد بل رددنا جميع الاقوال الى نصوص القرآن والسنن والحمد لله رب العالمين كثيراً وهذا هو الحق الذي لا يحل تعديه

﴿قال أبو محمد﴾ وأما أرواح الانبياء عليهم السلام فهم الذين ذكر الله تعالى انهم المقربون في جنات النعيم وانهم غير أصحاب اليمين وكذلك أخبر عليهم السلام انه رآهم في السموات ليلة أسرى به في سماء سماء وكذلك الشهداء أيضا هم في الجنة لقول الله عز وجل * ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * وهذا الرزق للارواح بلا شك ولا يكون الا في الجنة وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث الذي روي نسمة المؤمن طائر يعلق من ثمار الجنة ثم تأوى الى قناديل تحت العرش وروينا هذا الحديث مبيناً من طريق ابن مسعود رضي الله عنه وانهم الشهداء وبهذا تتألف الاحاديث والآيات والحمد لله رب العالمين فان قال قائل كيف تخرج الانبياء عليهم السلام والشهداء من الجنة الى حضور الموقف يوم القيامة قيل له وبالله التوفيق لسنا ننكر شهادة القرآن والحديث الصحيح بدخول الجنة والخروج عنها قبل يوم القيمة فقد خلق الله عز وجل فيها آدم عليه السلام وحواء ثم أخرجهما منها الى الدنيا والملائكة في الجنة ويخرجون منها برسالات رب العالمين الى الرسل والانبياء الى الدنيا وكل ما جاء به نص قرآن أو سنة فلا ينكره الا جاهل أو مغفل او رديء الدين واما الذي ينكر ولا يجوز ان يكون البتة فخروج روح من دخل الجنة الى النار فالمنع من هذا اجماع من جميع الامة متيقن مقطوع به وكذلك من دخلها يوم القيمة جزاء او تفضلا من الله عز وجل فلا سبيل الى خروجه منها ابداً بالنص وبالله تعالى التوفيق

الكلام على من مات من اطفال المسلمين والمشركين قبل البلوغ

﴿قال ابو محمد﴾ اختلف الناس في حكم من مات من اطفال المسلمين والمشركين ذكورهم واناثهم فقالت الازارقة من الخوارج اما اطفال المشركين ففي النار وذهبت طائفة الى انه يوقد لهم يوم القيمة نار ويؤمرون باقتحامها فمن دخلها منهم دخل الجنة ومن لم يدخلها منهم

ادخل النار وذهب آخرون الى الوقوف فيهم وذهب جمهور الناس الى انهم في الجنة وبه نقول

﴿قال ابو محمد﴾ فاما الازارقة فاحتجوا بقول الله تعالى حاكياً عن نوح عليه السلام انه قال * رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً * وبقول روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت يا رسول الله اين اطفالي منك قال في الجنة قالت فاطفالي من غيرك قال في النار فاعادت عليه فقال لها ان شئت اسمعتك تضاغيهم وبحديث آخر فيه الوائدة والموؤدة في النار وقالوا ان كانوا عندكم في الجنة فهم مؤمنون لانه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة فان كانوا مؤمنين فيلزمكم ان تدفنوا اطفال المشركين مع المسلمين وان لا تتركوه يلتزم اذا بلغ دين ابيه فتكون ردة وخروجاً عن الاسلام والكفر وينبغي لكم ان ترثوه وتورثوه من اقاربه من المسلمين

﴿قال ابو محمد﴾ هذا كلما احتجوا به ما يعلم لهم حجة غير هذا اصلا وكله لا حجة لهم فيه البتة اما قول نوح عليه السلام فلم يقل ذلك على كل كافر بل قال ذلك على كفار قومه خاصة لان الله تعالى قال له * انه لا يؤمن من قومك الا من قد آمن * فايقن نوح عليه السلام بهذا الوحي انه لا يحدث فيهم مؤمن ابداً وان كل من ولدوه ان ولدوه لم يكن الا كافراً ولا بد وهذا هو نص الآية لانه تعالى حكي انه قال * رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً * وانما اراد كفار وقته الذين كانوا على الارض حينئذ فقط ولو كان للازارقة ادنى علم وفقه لعلموا ان هذا من كلام نوح عليه السلام ليس على كل كافر لكن على قوم نوح خاصة لان ابراهيم ومحمداً صلى الله عليهما وسلم كانا ابواهما كافرين مشركين وقد ولدا خير الانس والجن من المؤمنين واكمل الناس ايماناً ولكن الازارقة كانوا اعراباً جهالا كالانعام بل هم اضل سبيلا وهكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق الاسود بن سريع التميمي انه عليه السلام قال اوليس خياركم اولاد المشركين

﴿قال ابو محمد﴾ وهل كان افاضل الصحابة رضي الله عنهم الذين يتولاهم الازارقة كابن ابي قحافة وعمر بن الخطاب وخديجة ام المؤمنين وغيرهم رضي الله عنهم الا اولاد الكفار فهل ولد اباؤهم كفاراً وهل ولدوا الا اهل الايمان الصريح ثم آباء الازارقة انفسهم كوالد نافع ابن

الازرق وغيرهم من شيوخهم هل كانوا الا اولاد المشركين ولكن من يضلل الله فلا هادي له واما حديث خديجة رضي الله عنها فساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير واما حديث الوائدة فانه جاء كما نذكره حدثنا يوسف بن عبد البر انا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا بكر بن حماد حدثنا مسدد عن المعتمر بن سليمان التيمي قال سمعت داود بن ابي هند يحدث عن عامر الشعبي عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد الجعفي قال اتيت انا واخي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم فهل ينفعها من عملها ذلك شئ قال لا قلنا فان أمنا وادت اختالنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموؤدة والوائدة في النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فتسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه اللفظة يعني لم تبلغ الحنث ليست بلا شك من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنها من كلام سلمة بن يزيد الجعفي واخيه فلما اخبر عليه السلام بان تلك الموؤدة في النار كان ذلك انكاراً وابطالاً لقولهما انها لم تبلغ الحنث وتصحيحها لانها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظنها لا يجوز الا هذا القول لان كلامه عليه السلام لا يتناقض ولا يتكاذب ولا يخالف كلام ربه عز وجل بل كلامه عليه السلام يصدق بعضه بعضاً ويوافق لما اخبر به عز وجل ومعاذ الله من غير ذلك وقد صح اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بان اطفال المشركين في الجنة قال الله تعالى * واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت * فنص تعالى على انه لا ذنب للموؤدة فكان هذا مبين لان اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بان تلك الموؤدة في النار اخبار عن انها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظن اخويها وقد روى هذا الحديث عن داود بن ابي هند محمد بن عدى وليس هو دون المعتمر ولم يذكر فيه لم تبلغ الحنث ورواه ايضاً عن داود بن ابي هند عبيدة بن حميد فلم يذكر هذه اللفظة التي ذكرها المعتمر فاما حديث عبيدة فحدثناه احمد بن محمد بن الجسور قال انا وهب بن ميسرة قال حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبيدة ابن حميد عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم انا واخي فقلنا يا رسول الله ان امنا كانت تقرى الضيف وتصل الرحم في الجاهلية فهل ينفعها

ذلك شيئاً قال لا قال فانها وادت اختالنا في الجاهلية فهل ينفع ذلك اختنا شيئاً قال لا الوائدة والموؤدة في النار الا ان تدرك الاسلام فيعفوا الله عنها واما حديث ابن ابي عدي فحدثناه احمد ابن عمر بن انس العذرى حدثنا ابو بدر عبد بن احمد الهروي الانصاري حدثنا ابو سعيد الخليل بن احمد السجستاني حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا احمد بن محمد بن حنبل حدثنا محمد بن ابي عدى عن داود ابن ابي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن يزيد الجعفي قال انطلقت انا واخي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ان مليكة كانت تصل الرحم وتقرى الضيف وتفعل وتفعل هلكت في الجاهليه فهل ذلك نافعها شيئاً قال لا قال فأنها وادت اختالها في الجاهلية فهل ذلك ينفع اختها قال لا الوائدة والموؤدة في النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فيعفوا الله عنها

﴿ قال ابو محمد ﴾ هكذا رويناه لها بالهاء على انها اخت الوائدة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا حديث قد رويناه مختصراً كما حدثناه عبد الله ابن ربيع التميمي حدثنا عمر ابن عبد الملك الخولاني حدثنا محمد ابن بكر الوراق البصري حدثنا ابو داود السجستاني حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا يحيي بن زكريا بن ابي زائدة حدثني ابي عن عامر الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة في النار قال يحيى بن زكريا بن ابي زائدة قال ابي فحدثني ابو اسحق بن عامر حدثه بذلك عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا مختصر وهو على ما ذكرنا انه عليه السلام انما عنى بذلك التي بلغت لا يجوز غير هذا لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هم من آبائهم فانما قاله عليه السلام في الحكم لا في الدين ولله تعالى ان يفرق بين احكام عباده ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه وايضاً فلا متعلق لهم بهذا اللفظ اصلا لانه انما فيه انهم من آبائهم وهذا لا شك فيه انهم تولدوا من آبائهم ولم يقل عليه السلام انهم على دين آبائهم واما قولهم ينبغي ان تصلوا على اطفال المشركين وتورثوهم وترثوهم وان لا تتركونهم يلتزموا دين آبائهم اذا بلغوا فانها ردة فليس لهم ان يعترضوا على الله تعالى فليس تركنا الصلاة عليهم يوجب انهم ليسوا مؤمنين فهؤلاء الشهداء وهم افاضل المؤمنين لا يصلى عليهم واما انقطاع المواريث بيننا وبينهم فلا حجة في ذلك على انهم ليسوا مؤمنين فان العبد مؤمن فاضل لا يرث ولا يورث وقد

يأخذ المسلم مال عبده الكافر اذا مات وكثير من الفقهاء يورثون الكافر مال العبد من عبيده يسلم ثم يموت قبل ان يباع عليه وكثير من الفقهاء يورثون المسلمين مال المرتد اذا مات كافراً مرتداً أو قتل على الردة وهذا معاذ بن جبل ومعاوية بن ابي سفيان ومسروق بن الاجدع وغيرهم من الأئمة رضي الله عنهم يورثون المسلمين من اقاربهم الكفار اذا ماتوا ولله تعالى ان يفرق بين أحكام من شاء من عباده وانما نقف حيث اوقفنا النص ولا مزيد وكذلك دفنهم في مقابر آبائهم أيضاً وكذلك تركهم يخرجون الى اديان آبائهم اذا بلغوا فان الله تعالى أوجب علينا ان نتركهم وذلك ولا نعترض على احكام الله عز وجل ولا يسأل عما يفعل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الملة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشركانه

﴿ قال ابو محمد ﴾ فبطل ان يكون لهم في شيء مما ذكرنا متعلق وانما هو تشغيب موهوا به لان كل ما ذكرنا فانما هي احكام مجردة فقط وليس في شيء من هذه الاستدلالات نص على ان اطفال المشركين كفار ولا على انهم غير كفار وهذه النكتتان هما اللتان قصدنا بالكلام فقط وبالله تعالى التوفيق واما من قال فيهم بالوقف فانهم احتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاطفال يموتون فقال عليه السلام الله اعلم بما كانوا عاملين وبقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها اذا مات صبي من ابناء الانصار فقالت عصفور من عصافير الجنة فقال لها عليه السلام وما يدريك يا عائشة ان الله خلق خلقاً للنار وهم في اصلاب آبائهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذان الخبران لاحجة لهم في شيء منهما الا انهما انما قالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه انهم في الجنة وقد قال تعالى آمراً لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ قبل ان يخبره الله عز وجل بانه قد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه وما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي وكان هذا قبل ان يخبره الله عز وجل بانه لا يدخل النار من شهد بدراً أو هو عليه السلام لا يقول الا ما جاء به الوحي كما أمر الله عز وجل ان يقول ﴿ان اتبع الا ما يوحى الي﴾ فحكم كل شيء من الدين لم يأت به الوحي ان يتوقف فيه المرء

فاذا

فاذا جاء للبيان فلا يحل التوقف عن القول بما جاء به النص وقد صح الاجماع على ان ما علمت الاطفال قبل بلوغهم من قتل او وطئ اجنبية أو شرب خمر أو قذف او تعطيل صلاة أو صوم فانهم غير مؤاخذين في الآخرة بشيء من ذلك ما لم يبلغوا وكذلك لا خلاف في انه لا يؤاخذ الله عز وجل احداً بما لم يفعله بل قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فمن المحال المنفي ان يكون الله عز وجل يؤاخذ الاطفال بما لم يعملوا مما لو عاشوا بعده لعملوه وهم لا يؤاخذهم بما عملوا ولا يختلف اثنان في ان انساناً بالغاً مات ولو عاش لزنا انه لا يؤاخذ بالزنا الذي لم يعمله وقد ا كذب الله عز وجل من ظن هذا بقوله الصادق ﴿اليوم تجزى كل نفس ما عملت﴾ وبقوله تعالى ﴿هل تجزون الا ما كنتم تعملون﴾ فصح انه لا يجزي أحد بما لم يعمل ولا مما لم يسن فصح ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم بما كانوا عاملين ليس فيهم انهم كفار ولا انهم في النار ولا انهم مؤاخذون بما لو عاشوا لكانوا عاملين به مما لم يعملوه بعد وفي هذا اختلفنا لا فيما عداه وانما فيه ان الله تعالى يعلم ما لم يكن وما لا يكون لو كان كيف كان يكون فقط ونعم هذا حق لا يشك فيه مسلم فبطل ان يكون لاهل التوقف حجة في شيء من هذين الخبرين اذ لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة بيان واما من قال انهم يعذبون بعذاب آبائهم فباطل لان الله تعالى يقول ﴿ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وأما من قال انهم توقد لهم نار فباطل لان الأثر الذي فيه هذه القصة انما جاء في المجانين وفيمن لا يبلغه ذكر الاسلام من البالغين على ما نذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلما بطلت هذه الاقاويل كلها وجب النظر فيما صح من النصوص من حكم هذه المسألة ففعلنا فوجدنا الله تعالى قد قال ﴿فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ وقال عز وجل ﴿قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط﴾ الى قوله ﴿لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ الى قوله ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ فنص عز وجل على ان فطر الناس على الايمان وان الايمان هو صبغة الله تعالى وقال عز وجل ﴿واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى﴾

فصح يقيناً ان كل نفس خلقها الله تعالى من بني آدم ومن الجن والملائكة فمؤمنون كلهم عقلا مميزون فاذ ذلك كذلك فقد استحقوا كلهم الجنة بايمانهم حاشا من بدل هذا العهد وهذه الفطرة وهذه الصبغة وخرج عنها الى غيرها ومات على التبديل وبيقين ندري ان الاطفال لم يغيروا شيئاً من ذلك فهم من اهل الجنة وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة وروي عنه عليه السلام انه قال على الملة فاباه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشركانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا وهل يجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم الذي تجدعونها وهذا تفسير الآيات المذكورات حدثنا عبدالله بن ربيع حدثنا محمد بن اسحاق السكن حدثنا ابو سعيد بن الاعرابي حدثنا ابو داود سليمان بن الاشعث حدثنا الحسن بن علي حدثنا الحجاج بن المنهال قال سمعت حماد بن سلمة يفسر حديث كل مولود يولد على الفطرة فقال هذا عندنا حيث اخذ الله العهد عليهم في اصلاب آبائهم حيث قال * الست بربكم قالوا بلى * وقد صح أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق عياض بن حمار المجاشعي قال عن الله تعالى انه قال خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين عن دينهم فصح يقيناً انه كل من مات قبل ان تجتاله الشياطين عن دينه فقد مات حنيفاً وهذا حديث تدخل فيه الملائكة والجن والانس عباد له عز وجل مخلوقين وأيضاً فان الله عز وجل أخبر بقول ابليس له تعالى ان يغوي الناس فقال تعالى * ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين * فصح يقيناً ان الغواية داخلة على الايمان وان الاصل من كل واحد فهو الايمان وكل مؤمن ففي الجنة وأيضاً فان الله تعالى قال * فانذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى * وليست هذه صفة الصبيان فصح انهم لا يدخلون النار ولا دار الا الجنة أو النار فاذا لم يدخلو النار فهم بلا شك في الجنة وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤيا الكبيرة التي رآها انه رآى ابراهيم عليه السلام في روضة خضرا مفتخر وفيها من كل نور ونعيم وحواليه من احسن صبيان واكثرهم فسأل عليه السلام عنهم فاخبر انهم من مات من اولاد الناس قبل ان يبلغوا فقيل له يا رسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين فارتفع الاشكال وصح بالثابت من السنن وصحيحها ان جميع من لم يبلغ من اطفال المسلمين والمشركين ففي الجنة ولا يحل لاحد تعدى ما صح بالقرآن والسنن وبالله

تعالى

تعالى التوفيق فان قال قائل اذا قلتم ان النار دار جزآء فالجنة كذلك ولا جزآء للصبيان قلنا وبالله تعالى التوفيق انما نقف عند ما جاءت به النصوص في الشريعة قد جاء النص بان النار دار جزآء فقط وان الجنة دار جزاء وتفضل فهي لاصحاب الاعمال دار جزاء بقدر اعمالهم ولمن لا عمل له دار تفضل من الله تعالى مجرد وقد قال قوم ان الصبيان هم خدم اهل الجنة وقد ذكر الله تعالى الولدان المخلدين في غير موضع من كتابه وانهم خدم اهل الجنة فلعلهم هؤلاء والله اعلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما المجانين الذين لا يعقلون حتى يموتوا فانهم كما ذكرنا يولدون على الملة حنفاء مؤمنين ولم يغيروا ولا بدلوا فماتوا مؤمنين فهم في الجنة حدثنا احمد بن محمد الطلمنكي بالثغرى قال حدثنا محمد بن احمد بن يحيي بن المفرج القاضي حدثنا محمد بن ايوب السموط البرقي انبأنا محمد بن عمر بن عبد الخالق البزاز حدثنا محمد بن المثني ابو موسى الزمن حدثنا معاذ بن هشام الدستواي حدثنا ابي عن قتادة عن الاسود بن سريع التميمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعرض على الله الاصم الذي لا يسمع شيئاً والاحمق والهرم ورجل مات في الفترة فيقول الاصم رب جاء الاسلام وما اسمع شيئاً ويقول الاحمق جاء الاسلام وما اعقل شيئاً ويقول الذي مات في الفترة ما اتانا لك من رسول قال البزاز وذهب عني ما قال الرابع قال فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل الله اليهم ادخلوا النار فوا الذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلام

الكلام في القيامة وتغيير الاجساد

اتفق جميع اهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيمة وعلى تكثير من انكر ذلك ومعنى هذا القول ان لمكث الناس وتناسلهم في دار الابتلا التي هي الدنيا امداً يعلمه الله تعالى فاذا انتهى ذلك الامد مات كل من في الارض ثم يحيي الله عز وجل كل من مات مذ خلق الله عز وجل الحيوان الى انقضاء الامد المذكور ورد ارواحهم التي كانت باعيانها وجمعهم في موقف واحد وحاسبهم عن جميع اعمالهم ووفاهم جزآوهم ففريق من الجن والانس في الجنة وفريق في السعير وبهذا جاء القرآن والسنن قال تعالى * من يحيي العظام وهي رميم قل يحيها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم * وقال تعالى * وان الله يبعث من في

القبور * وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام انه قال * رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي * الى آخر الآية وقال تعالى * الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم * وقال تعالى * فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام * الى قوله * وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً * الآية وقال تعالى عن المسيح عليه السلام * واحيي الموتى باذن الله * ولا يمكن البتة ان يكون الاحيا المذكور في جميع هذه الآيات الارد الروح الى الجسد ورجوع الحس والحركة الارادية التي بعد عدمها منه لم يكن غير هذا البتة الا ان ابا العاص حكم بن المنذر بن سعيد القاضي اخبرني عن اسماعيل بن عبد الله الرعيني انه كان ينكر بعث الاجساد ويقول ان النفس حال فراقها الجسد تصير الى معادها في الجنة او النار ووقفت على هذا القول بعض العارفين باسماعيل فذكر لي ثقاة منهم انهم سمعوه يقول ان الله تعالى يأخذ من الاجساد جزء الحياة منها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا تلبيس من القول لم يخرج به عن ما حكي لي عنه حكم بن المنذر لانه ليس في الاجساد جزء الحياة الا النفس وحدها

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولم الق اسماعيل الرعيني قط على اني قد ادركته وكان ساكنا معي في مدينة من مداين الاندلس تسمى بجاية مدة ولكنه كان مختفياً وكان له اجتهاد عظيم ونسك وعبادة وصلاة وصيام والله أعلم وحكم بن المنذر ثقة في قوله بعيد من الكذب وتبرأ منه حكم بن المنذر وكان قبل ذلك يجمعهما مذهب بن مسرة في القدر وتبرأ منه أيضاً ابراهيم بن سهل الارياني وكان من روس المرية وتبرأ منه أيضاً صهره احمد الطبيب وجماعة من المرية وتولته جماعة منهم وبلغني عنه انه كان يحتج لقوله هذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف على ميت فقال اما هذا فقد قامت قيامته وبانه عليه السلام كانت الاعراب تسأله عن الساعة فينظر الى اصغرهم فيخبرهم انه استوفى عن يمت حتى تقوم قيامتهم أو ساعتهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وانما عني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا قيام الموت فقط بعد ذلك الى يوم البعث كما قال عز وجل * ثم انكم يوم القيامة تبعثون * فنص تعالى على ان البعث يوم القيمة بعد الموت بلفظة ثم التي هي للمهلة وهكذا اخبر عز وجل عن قولهم يوم القيامة * يا ويلنا من

بعثنا

بعثنا من مرقدنا هذا * وانه يوم مقداره خمسون الف سنة وانه يحيي العظام ويبعث من في القبور في مواضع كثيرة من القرآن وبرهان ضروري وهو ان الجنة والنار موضعان ومكانان وكل موضع ومكان ومساحة متناهية بحدوده بالبرهان الذي قدمنا على وجوب تناهي الاجسام وتناهي كل ما له عدد وبقول الله تعالى * جنة عرضها السموات والارض * فلو لم يكن لتولد الخلق نهاية لكانوا ابداً يحدثون بلا آخر وقد علمنا ان مصيرهم الجنة أو النار ومحال ممتنع غير ممكن ان يسع ما لا نهاية له فيما له نهاية من الاماكن فوجب ضرورة ان للخلق نهاية فاذ ذلك واجب فقد وجب تناهي عالم الذر والتناسل ضرورة وانما كلامنا هذا مع من يؤمن بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وادعى الاسلام واما من انكر الاسلام فكلامنا معه على ما رتبناه في ديواننا هذا من النقض على اهل الالحاد حتى تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به فنرجع اليه بعد التنازع وبالله تعالى التوفيق وقد نص الله تعالى على ان العظام يعيدها ويحييها كما كانت أول مرة واما اللحم فانما هو كسوة كما قال * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * الى قوله * فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * فاخبر عز وجل ان عنصر الانسان انما هو العظام الذي انتقلت عن السلالة التي من طين الى النطفة الى العلقة الى المضغة الى العظام وان اللحم كسوة العظام وهذا أمر مشاهد لان اللحم يذهب بالمرض حتى لا يبقى منه ما لا قدر له ثم يكثر عليه لحم آخر اذا خصب الجسم وكذلك اخبرنا عز وجل انه يبدل الخلق في الآخرة فقال * كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب * وفي الآثار الثابتة ان جلود الكفار تغلظ حتى تكون نيفاً وسبعين ذراعا وان ضرسه في النار كاحد وكذلك نجد اللحم الذي في جسد الانسان يتغذى به حيوان اخر فيستحيل لحماً لذلك الحيوان اذ ينقلب دوداً فصح بنص القرآن ان العظام هي التي تحيي يوم القيامة ومن انكر ما جاء به القرآن فلا حظ له في الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان

الكلام في خلق الجنة والنار

ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج الى ان الجنة والنار لم يخلقا بعد وذهب جمهور المسلمين الى انهما قد خلقتا وما نعلم لمن قال انهما لم يخلقا بعد حجة أصلا اكثر من ان بعضهم قال قد

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وذكر اشياء من اعمال البر من عملها غرس له في الجنة كذا وكذا شجرة وبقول الله تعالى حاكياً عن امرأة فرعون انها قالت * رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة * قالوا ولو كانت مخلوقة لم يكن في الدعاء في استئناف البناء والغرس معنى

﴿ قال ابو محمد ﴾ وانما قلنا انهما مخلوقتان على الجملة كما ان الارض مخلوقة ثم يحدث الله تعالى فيها ما يشاء من البنيان

﴿ قال ابو محمد ﴾ والبرهان على انهما مخلوقتان بعد اخبار النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى الجنة ليلة الاسراء واخبر عليه السلام انه رأى سدرة المنتهى في السماء السادسة وقال تعالى * عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * فصح ان جنة المأوى هي السماء السادسة وقد اخبر الله عز وجل انها الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة فقال تعالى * لهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون * فليس لاحد بعد هذا ان يقول انها جنة غير جنة الخلد واخبر عليه السلام انه رأي الانبياء عليهم السلام في السموات سماء سماء ولا شك في ان أرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الجنة فصح ان الجنات هي السموات وكذلك اخبر عليه السلام ان الفردوس الاعلى من الجنة التي أمرنا الله تعالى ان نسأله اياها فوقها عرش الرحمن والعرش مخلوق بعد الجنة فالجنة مخلوقة وكذلك اخبر عليه السلام ان النار اشتكت الى ربها فاذن لها بنفسين وان ذلك أشد ما نجده من الحر والبرد وكان القاضي منذر بن سعيد يذهب الى ان الجنة والنار مخلوقتان الا انه كان يقول انها ليست التي كان فيها آدم عليه السلام وامرأته واحتج في ذلك باشياء منها انه لو كانت جنة الخلد لما اكل من الشجرة رجاء ان يكون من الخالدين واحتج أيضاً بان جنة الخلد لا كذب فيها وقد كذب فيها ابليس وقال من دخل الجنة لم يخرج منها وآدم وامرأته عليهما السلام قد خرجا منها

﴿ قال ابو محمد ﴾ كل هذا لا دليل له فيه اما قوله ان آدم عليه السلام اكل من الشجرة رجاء ان يكون من الخالدين فقد علمنا ان اكله من الشجرة لم يكن ظنه فيه صوابا ولا اكله لها صواباً وانما كان ظناً ولا حجة فيما كان هذه صفته والله عز وجل لم يخبره بانه مخلد في الجنة بل قد كان في علم الله تعالى انه سيخرجه منها فاكل عليه السلام من الشجرة رجاء الخلد الذي لم يضمن له ولا تيقن به لنفسه وأما قوله ان الجنة لا كذب فيها وان من دخلها لم يخرج منها

وقد كذب فيها ابليس وقد خرج منها آدم وامرأته فهذا لا حجة له فيه وانما تكون كذلك اذا كانت جزاء لاهلها كما اخبر عز وجل عنها حيث يقول * لا تسمع فيها لاغية * فانما هذا على المستأنف لا على ما سلف ولا نص معه على ما ادعى ولا اجماع واحتج أيضاً بقول الله عز وجل لآدم عليه السلام * انك لا تجوع فيها ولا تعرى * قال وقد عرى فيها آدم عليه السلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا حجة فيه بل هو حجة عليه لان الله عز وجل وصف الجنة التي اسكن فيها آدم بانها لا يجاع فيها ولا يعرى ولا يظمأ فيها ولا يضحى وهذه صفة الجنة بلا شك وليس في شيء مما دون السماء مكان هذه صفته بلا شك بل كل موضع دون السماء فانه لا بد ان يجاع فيه ويعرى ويظمأ ويضحى ولا بد من ذلك ضرورة فصح انه انما سكن المكان الذي هذه صفته وليس هـذا غير الجنة البتة وانما عرى آدم حين اكل من الشجرة فاهبط عقوبة له وقال ايضاً قال الله عز وجل * لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً * واخبر آدم انه لا يضحى

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا أعظم حجة عليه لانه لو كان في المكان الذي هو فيه شمس لاضحى فيه ولا بد فصح ان الجنة التي اسكن فيها آدم كانت لا شمس فيها فهي جنة الخلد بلا شك وأيضاً فان قوله عز وجل * اسكن انت وزوجك الجنة * اشارة بالالف واللام ولا يكون ذلك الا على معهود ولا تنطلق الجنة هكذا الاعلى جنة الخلد ولا ينطلق هذا الاسم على غيرها الا بالاضافة وأيضاً فلو اسكن آدم عليه السلام جنة في الارض لما كان في اخراجه منها الى غيرها من الارض عقوبة بل قد بين تعالى انها ليست في الارض بقوله تعالى * اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين * فصح يقيناً بالنص انه قد اهبط من الجنة الى الارض فصح انها لم تكن في الارض البتة وبالله تعالى التوفيق

الكلام في بقاء اهل الجنة والنار ابداً

﴿ قال ابو محمد ﴾ اتفقت فرق الامة كلها على انه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها الا جهم بن صفوان وابا الهذيل العلاف وقوما من الروافض فاما جهم فقال ان الجنة والنار يفنيان ويفنى اهلهما وقال ابو الهذيل ان الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى اهلهما الا ان حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك احياء متلذذون او معذبون وقالت تلك الطائفة

من الروافض ان اهل الجنة يخرجون من الجنة وكذلك اهل النار من النار الى حيث شاء الله

﴿ قال ابو محمد ﴾ اما هذه المقالة ففي غاية الغثاثة والتعري من شيء يشغب به فكيف من اقناع او برهان وما كان هكذا فهو ساقط واما قول ابي الهذيل فانه لا حجة له الا انه قال كلما احصاه العدد فهو ذو نهاية ولا بد والحركات ذات عدد فهي متناهية

﴿ قال ابو محمد ﴾ فظن ابو الهذيل لجهله بحدود الكلام وطبايع الموجودات أن ما لم يخرج الى الفعل فانه يقع عليه العدد وهذا خطأ فاحش لان ما لم يخرج الى الفعل فليس شيئاً ولا يجوز ان يقع العدد الا على شيء وانما يقع العدد على ما خرج الى الفعل من حركات اهل النار والجنة متى ما خرج فهو محدود متناه وهكذا ابداً وقد احكمنا هذا المعنى في اول هذا الكتاب في باب ايجاب حدوث العالم وتناهي الموجودات فاغنى عن اعادته وبالله تعالى التوفيق فبطل ما موه به ابو الهذيل ولله الحمد ثم نقول ان قوله هذا خلاف للاجماع المتيقن وايضاً فان الذي فر منه في الحركات فانه لازم له في مدد سكونهم وتنعمهم وتألمهم لانه مقر بانهم يبقون ساكنين متنعمين متألمين بالعذاب وبالضرورة ندري ان للسكون والنعيم والعذاب مدداً بعد كل ذلك كما تعد الحركة ومددها ولا فرق وايضاً فلو كان ما قاله ابو الهذيل صحيحاً لكان اهل الجنة في عذاب واصب وفي صفة المخدور والمفلوج ومن اخذه الكابوس ومن سقي البنج وهذا غاية النكد والشقاء ونعوذ بالله من هذا الحال واما جهم بن صفوان فانه احتج بقول الله تعالى * واحصى كل شيء عدداً * وبقوله تعالى * كل شيء هالك الا وجهه * وقال كما لا يجوز ان يوجد شيء لم يزل غير الله تعالى فكذلك لا يجوز ان يوجد شيء لا يزال غير الله تعالى

﴿ قال ابو محمد ﴾ ما نعلم له حجة غير هذا اصلا وكل هذا لا حجة له فيه اما قوله تعالى * كل شيء هالك الا وجهه * فانما عنى تعالى الاستحالة من شيء الى شيء ومن حال الى حال وهذا عام لجميع المخلوقات دون الله تعالى وكذلك مدد النعيم في الجنة والعذاب في النار كلما فنيت مدة أحدث الله عز وجل اخرى وهكذا ابداً بلا نهاية ولا آخر يدل على هذا ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى من الدلائل على خلود الجنة والنار واهلها واما قوله تعالى * واحصى كل شيء عدداً * فان اسم الشيء لا يقع الا على موجود والاحصاء لا يقع على ما ذكرنا الا على ما خرج الى الفعل ووجد بعد واذا لم يخرج من الفعل فهو لا شيء بعد ولا يجوز ان يعد لا شيء وكل ما خرج الى الفعل من مدة

بقاء

بقاء الجنة والنار واهلها فمحصي بلا شك ثم يحدث الله تعالى لهم مدداً اخر وهكذا ابداً بلا نهاية ولا اخر وقالوا هل احاط الله تعالى علما بجميع مدة الجنة والنار ام لا فان قلتم لا جهلتم الله وان قلتم نعم جعلتم مدتها محاطا بها وهذا هو التناهي نفسه

﴿ قال ابو محمد ﴾ ان الله تعالى انما يعلم بالاشياء على ما هي عليه لان من علم الشيء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطئ في اعتقاده ظان للباطل وليس علما ولا حقا ولا هو عالم به وهذا ما لا شك فيه وعلم الله عز وجل هو الحق اليقين على ما هي معلوماته عليه فكل ما كان ذا نهاية فهو في علم الله تعالى ذو نهاية ولا سبيل الى غير هذا البتة وليس للجنة والنار مدد غير متناهية محاط بها وانما لهما مدد كل ما خرج منها الى الفعل فهو محصي محاط بعدده وما لم يخرج الى الفعل فليس بمحصى لكن علم الله تعالى احاط انه لا نهاية لهما واما قوله كما لا يجوز ان يوجد شيء غير الله تعالى لا نهاية له لم يزل فان هذه قضية فاسدة وقياس فاسد لا يصح والفرق بينهما ان اشياء ذوات عدد لا اول لها ولم تزل لا يمكن ان تتوهم البتة ولا يشكك بل هي محال في الوجود كما ذكرنا في الرد على من قال بان العالم لم يزل فاغنى عن اعادته وليس كذلك قولنا لا يزال لأن احداث الله تعالى شيئاً بعد شيء ابداً بلا غاية متوهم ممكن لا حوالة فيه فقياس الممكن المتوهم على الممتنع المستحيل الذي لا يتوهم باطل عند القائلين بالقياس فكيف عند من لا يقول به فان قال قائل ان كل ما ماله اول فله آخر قلنا له هذه قضية فاسدة ودعوى مجردة وما وجب هذا قط لا بقضية عقل ولا بخبر لان كون الموجودات لها أوائل معلوم بالضرورة لان ما وجد بعد فقد حصره عدد حصره عدد زمان وجوده وكل ما حصره عدد فلذلك العدد اول ضرورة وهو قولنا واحد ثم يتمادى العدد ابداً فيمكن الزيادة بلا نهاية وتمادي الموجود بخلاف المبدأ لانه اذا ابقى وقتاً جاز ان يبقى وقتين وهكذا ابدا بلا نهاية وكل ما خرج من مدد البقاء الى حد الفعل فذو نهاية بلا شك كذلك من العدد ايضاً ولم نقل ان بقاء الناس في هذه الدنيا له نهاية الا من طريق النص ولو اخبر الله تعالى بذلك لامكن وجاز ان تبقى الدنيا ابداً بلا نهاية ولكان الله تعالى قادراً على ذلك ولكن النص لا يحل خلافه وكذلك لولا اخبار الله تعالى لحل احترامها وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ والبرهان على بقاء الجنة والنار بلا نهاية قول الله تعالى * خالدين فيها ما دامت

السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ * وقوله تعالى في غير موضع من القرآن * خالدين فيها ابداً * وقوله تعالى * لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى * مع صحة الاجماع بذلك وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص لو اقام اهل النار في النار ماشاء الله ان يبقوا لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه منها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا انما هو في اهل الاسلام الداخلين في النار بكبائرهم ثم يخرجون منها بالشفاعة ويبقى ذلك المكان خالياً ولا يحل لاحد ان يظن في الصالحين الفاضلين خلاف القرآن وحاشا لهما من ذلك وبالله تعالى التوفيق تم كتاب الايمان والوعيد وتوابعه بحمد الله وشكره على حسن تأييده وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لا اله الا الله عدة للقائه الكلام في الامامة والمفاضلة)

قال الفقيه الامام الاوحد ابو محمد علي بن احمد بن حزم رضي الله عنه اتفق جميع اهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الامامة وان الامة واجب عليها الانقياد لامام عادل يقيم فيهم احكام الله ويسوسهم باحكام الشريعة التي اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حاشا النجدات من الخوارج فانهم قالوا لا يلزم الناس فرض الامامة وانما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم وهذه فرقة ما نرى بقي منهم احد وهم المنسوبون الى نجدة بن عمير الحنفي القائم باليمامة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقول هذه الفرقة ساقط يكفي من الرد عليه وابطاله اجماع كل من ذكرنا على بطلانه والقرآن والسنة قد ورد بايجاب الامام من ذلك قول الله تعالى * اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم * مع احاديث كثيرة صحاح في طاعة الائمة وايجاب الامامة وايضاً فان الله عز وجل يقول * لا يكلف الله نفساً الا وسعها * فوجب اليقين بان الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس في بنيتهم واحتمالهم وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته ان قيام الناس بما اوجبه الله تعالى من الاحكام عليهم في الاموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الاحكام كلها ومنع الظالم وانصاف المظلوم واخذ القصاص على تباعد اقطارهم وشواغلهم واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى في كل ذلك ممتنع غير ممكن اذ قد يريد واحد او جماعة ان يحكم عليهم انسان ويريد آخر او جماعة اخرى ان لا يحكم عليهم اما لانها ترى في اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء واما خلافاً مجرداً عليهم وهذا الذي لا بد منه ضرورة وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها فانه لا يقام هناك حكم حق ولا خد حتى قد ذهب الدين في اكثرها فلا تصح اقامة الدين الا بالاسناد الى واحد او الى اكثر من واحد فاذ لا بد من احد هذين الوجهين فان الاثنين فصاعدا بينهما او بينهم ما ذكرنا فلا يتم امر البتة فلم يبق وجه تتم به الامور الا الاسناد الى واحد فاضل عالم حسن السياسة قوي على الانفاذ الا انه وان كان بخلاف ما ذكرنا فالظلم والاهمال معه اقل منه مع الاثنين فصاعدا واذ ذلك كذلك ففرض لازم لكل الناس ان يكفوا من الظلم ما امكنهم ان قدروا على كف كله لزمهم ذلك

والا فكف ما قدروا على كفه منه ولو قضية واحدة لا يجوز غير ذلك ثم اتفق من ذكرنا
ممن يرى فرض الامامة على انه لا يجوز كون امامين في وقت واحد في العالم ولا يجوز
الا امام واحد الا محمد بن كرام السجستاني وابا الصباح السمرقندي واصحابهما فانهم اجازوا
كون امامين في وقت واكثر في وقت واحد واحتج هؤلاء بقول الانصار او من قال منهم
يوم السقيفة للمهاجرين منا امير ومنكم امير واحتجوا ايضاً بامر علي والحسن مع معاوية رضي
الله عنهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذا لا حجة لهم فيه لان قول الانصار رضي الله عنهم ما ذكرنا لم
يكن صواباً بل كان خطأ اذ اداهم اليه الاجتهاد وخالفهم فيه المهاجرون ولا بد اذا اختلف
القائلان على قولين متنافيين من ان يكون احدهما حقاً والآخر خطأ واذ ذلك كذلك فواجب
رد ما تنازعوا فيه الى ما افترض الله عز وجل الرد اليه عند التنازع اذ يقول تعالى * فان
تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * فنظرنا في
ذلك فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال اذا بويع لامامين فاقتلوا الآخر منهما وقال
تعالى * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا * وقال تعالى * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم * فحرم الله عز وجل التفرق والتنازع واذا كان امامان فقد حصل التفرق المحرم فوجد
التنازع ووقعت المعصية لله تعالى وقلنا ما لا يحل لنا واما من طريق النظر والمصلحة فلو جاز
ان يكون في العالم امامان لجاز ان يكون فيه ثلاثة واربعة واكثر فان منع من ذلك مانع كان
متحكماً بلا برهان ومدعياً بلا دليل وهذا الباطل الذي لا يعجز عنه أحد وان جاز ذلك زاد
الامر حتى يكون في كل عالم امام او في كل مدينة امام او في كل قرية امام او يكون كل
احد اماماً وخليفة في منزله وهذا هو الفساد المحض وهلاك الدين والدنيا فصح ان قول
الانصار رضي الله عنهم وهلة وخطأ رجعوا عنه الى الحق وعصمهم الله تعالى من التمادي عليه
واما أمر علي والحسن ومعاوية فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه انذر بخارجة تخرج
من طائفتين من امة يقتلها اولي الطائفتين بالحق فكان قاتل تلك الطائفة علي رضي الله عنه
فهو صاحب الحق بلا شك وكذلك انذر عليه السلام بان عماراً تقتله الفئة الباغية فصح ان
علياً هو صاحب الحق وكان علي السابق الى الامامة فصح بعد انه صاحبها وان من نازعه

فيها

فيها فمخطئ فمعاوية رحمه الله مخطئ مأجور مرة لانه مجتهد ولا حجة في خطأ المخطئ فبطل
قول هذه الطائفة وأيضاً فان قول الانصار رضي الله عنهم منا امير ومنكم امير يخرج على انهم
انما ارادوا ان يلي وال منهم فاذا مات ولي من المهاجرين آخر وهكذا أبداً لا على ان يكون
امامان في وقت وهذا هو الاظهر من كلامهم واما علي ومعاوية رضي الله عنهما فما سلم قط
احدهما للآخر بل كل واحد منهما يزعم انه المحق وكذلك كان الحسن رضي الله عنه الى ان
أسلم الامر الى معاوية فاذ هذا كذلك فقد صح الاجماع على بطلان قول ابن كرام وابي الصباح
وبطل ان يكون لهم تعلق في شيء أصلاً وبالله تعالى التوفيق ثم اختلف القائلون بوجوب
الامامة على قريش فذهب اهل السنة وجميع الشيعة وبعض المعتزلة وجمهور المرجئة الى ان
الامامة لا تجوز الا في قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك وانها لا تجوز فيمن كان
أبوه من غير بني فهر بن مالك وان كانت أمه من قريش ولا في حليف ولا في مولى وذهبت
الخوارج كلها وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة الى انها جائزة في كل من قام بالكتاب والسنة
قرشياً كان أو عربياً أو ابن عبد وقال ضرار بن عمرو الغطفاني اذا اجتمع حبشي وقرشي كلاهما
قائم بالكتاب والسنة فالواجب ان يقدم الحبشي لانه أسهل لخلعه اذا حاد عن الطريقة

﴿ قال أبو محمد ﴾ وبوجوب الامامة في ولد فهر بن مالك خاصة نقول بنص رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ان الأئمة من قريش وعلى ان الامامة في قريش وهذه رواية جاءت
مجيء التواتر ورواها أنس بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومعاوية وروي جابر بن
عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها ومما يدل على صحة ذلك اذعان الانصار
رضي الله عنهم يوم السقيفة وهم أهل الدار والمنعة والعدة والعدد والسابقة في الاسلام رضي
الله عنهم ومن المحال ان يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لو لا قيام الحجة عليهم بنص رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ان الحق لغيرهم في ذلك فان قال قائل ان قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم الأئمة من قريش يدخل في ذلك الحليف والمولى وابن الاخت لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم ومن أنفسهم وابن اخت القوم منهم فالجواب وبالله تعالى
التوفيق ان الاجماع قد تيقن وصح على ان حكم الحليف والمولى وابن الاخت كحكم من ليس
له حليف ولا مولى ولا ابن اخت فمن أجاز الأمامة في غير هؤلاء جوزها في هؤلاء ومن

منعها من غير قريش منعها من الحليف والمولى وابن الاخت فاذا صح البرهان بان لا يكون الا في قريش لا فيمن ليس قرشياً صح بالاجماع ان حليف قريش ومولاهم وابن اختهم كحكم من ليس قرشياً وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقال قوم ان اسم الامامة قد يقع على الفقيه العالم وعلى متولى الصلاة بأهل مسجد ما قلنا نعم لا يقع على هؤلاء الا بالاضافة لا بالاطلاق فيقال فلان امام في الدين وامام بني فلان فلا يطلق لاحدهم اسم الأمامة بلا خلاف من احد من الأمة الا على المتولى لامور اهل الاسلام فان قال قائل بان اسم الامارة واقع بلا خلاف على من ولى جهة من جهات المسلمين وقد سمى بالأمارة كل من ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهة من الجهات أو سرية أو جيشاً وهؤلاء مؤمنون فما المانع من ان يوقع على كل واحد اسم أمير المؤمنين فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الكذب محرم بلا خلاف وكل ما ذكرنا فانما هو أمير لبعض المؤمنين لا لكلهم فلو سمي أمير المؤمنين لكان مسميه بذلك كاذبا لان هذه اللفظة تقتضي عموم جميع المؤمنين وهو ليس كذلك وانما هو أمير بعض المؤمنين فصح انه ليس يجوز البتة ان يوقع اسم الامامة مطلقاً ولا اسم أمير المؤمنين الا على القرشي المتولي لجميع أمور المؤمنين كلهم او الواجب له ذلك وان عصاه كثير من المؤمنين وخرجوا عن الواجب عليهم من طاعته والمفترض عليهم من بيعته فكانوا بذلك فئة باغية حلالا قتالهم وحربهم وكذلك اسم الخلافة باطلاق لا يجوز أيضاً الا لمن هذه صفته وبالله التوفيق واختلف القائلون بان الامامة لا تجوز الا في صلبة قريش فقالت طائفة هي جائزة في جميع ولد فهر بن مالك فقط وهذا قول اهل السنة وجمهور المرجئة وبعض المعتزلة وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد العباس بن عبد المطلب وهو قول الراوندية وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد علي ابن ابي طالب ثم قصروها على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وبلغنا عن بعض بني الحارث بن عبد المطلب انه كان يقول لا تجوز الخلافة الا في بني عبد المطلب خاصة ويراها في جميع ولد عبد المطلب وهم ابو طالب وابو لهب والحارث والعباس وبلغنا عن رجل كان بالاردن يقول لا تجوز الخلافة الا في بني أمية بن عبد شمس وكان له في ذلك تأليف مجموع وروينا كتابا مؤلفا لرجل من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحتج فيه بان الخلافة

لا تجوز الا لولد ابي بكر وعمر رضي الله عنهما

﴿ قال ابو محمد ﴾ فأما هذه الفرق الاربع فما وجدنا لهم شبهة يستحق ان يشتغل بها الا دعاوي كاذبة لا وجه لها وانما الكلام مع الذين يرون الامر لولد العباس او لولد علي فقط لكثرة عددهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ احتج من ذهب الى ان الخلافة لا تجوز الا في ولد العباس فقط على ان الخلفاء من ولده وكل من له حظ من علم من غير الخلفاء منهم لا يرضون بهذا ولا يقولون به لكن تلك الطائفة قالت كان العباس عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارثه فاذا كان ذلك كذلك فقد ورث مكانه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا ليس بشيء لان ميراث العباس رضي الله عنه لو وجب له لكان ذلك في المال خاصة وأما المرتبة فما جاء قط في الديانات انها تورث فبطل هذا التمويه جملة ولله الحمد ولو جاز ان تورث المراتب لكان من ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانا ما اذا مات وجب ان يرث تلك الولاية عاصبه ووارثه وهذا ما لا يقولونه فكيف وقد صح باجماع جميع اهل القبلة حاشا الروافض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة فان اعترض معترض بقول الله عز وجل * وورث سليمان داوده * وبقوله تعالى حاكيا عن زكريا عليه السلام انه قال * فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا حجة فيه لان الرواة حملة الاخبار وجميع التواريخ القديمة كلها وكواف بني اسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلا يوجب العلم ان داود عليه السلام كان له بنون غير سليمان عليه السلام فصح انه ورث النبوة وبرهان ذلك انهم كلهم مجمعون على انه عليه السلام ولي مكان ابيه عليهما السلام وليس له الا اثنتي عشرة سنة ولداود اربعة وعشرون ابنا كباراً وصغاراً وهكذا القول في ميراث يحيي بن زكريا عليهما السلام وبرهان ذلك من نص الآية نفسها قوله عليه السلام * يرثني ويرث من آل يعقوب * وهم مئوا الوف يرث عنه النبوة فقط وايضا فمن المحال ان يرغب زكريا عليه السلام في ولد يحجب عصبته عن ميراث فانما يرغب في هذه الخطة ذو الحرص على الدنيا وحطامها وقد نزه الله عز وجل مريم عليها

السلام التي كانت في كفالته من المعجزات قال تعالى * كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب * الى قوله * انك سميع الدعاء * وعلى هذا المعنى دعا فقال * هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا * واما من اغتر بقوله تعالى حاكيا عنه عليه السلام انه قال * واني خفت الموالي من ورائي * قيل له بطلان هذا الظن ان الله تعالى لم يعطه ولداً يكون له عقب فيتصل الميراث لهم بل اعطاه ولداً حصوراً لا يقرب النساء قال تعالى * وسيداً وحصوراً ونبيا من الصالحين * فصح ضرورة انه عليه السلام انما طلب ولداً نبيا لا ولداً يرث المال وايضاً فلم يكن العباس محيطاً بميراث النبي صلى الله عليه وسلم وانما كان يكون له ثلاثة اثمانه فقط واما ميراث المكانة فقد كان العباس رضي الله عنه حيا قائما اذ مات النبي صلى الله عليه وسلم فما ادعي العباس لنفسه قط في ذلك حقا لا حينئذ ولا بعد ذلك وجاءت الشوري فما ذكر فيها ولا انكر هو ولا غيره ترك ذكره فيها فصح انه رأى محدث فاسد لا وجه للاشتغال به والخلفاء من ولده والافاضل منهم من غير الخلفاء لا يرون لانفسهم بهذه الدعوى ترفعا عن سقوطها ووهيها وبالله تعالى التوفيق * واما القائلون بان الامامة لا تكون الا في ولد علي رضي الله عنه فانهم انقسموا قسمين فطائفة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على علي بن ابي طالب انه الخليفة بعده وان الصحابة بعده عليه السلام اتفقوا على ظلمه وعلى كتمان نص النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء المسمون الروافض وطائفة قالت لم ينص النبي صلى الله عليه وسلم على علي لكنه كان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحقهم بالامر وهؤلاء هم الزيدية نسبوا الى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ثم اختلفت الزيدية فرقا فقالت طائفة ان الصحابة ظلموه وكفروا من خالفه من الصحابة وهم الجارودية وقالت اخرى ان الصحابة رضي الله عنهم لم يظلموه لكنه طابت نفسه بتسليم حقه الى ابى بكر وعمر رضي الله عنهما وانهما اماما هدى ووقف بعضهم في عثمان رضي الله عنه وتولاه بعضهم وذكرت طائفة ان هذا كان مذهب الفقيه الحسن بن صالح بن حي الهمداني

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا خطأ وقد رأيت لهشام بن الحكم الرافضي الكوفي في كتابه المعروف

بالميزان

بالميزان وقد ذكر الحسن بن حي وأن مذهبه كان ان الامامة في جميع ولد فهر بن مالك

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا الذي لا يليق بالحسن بن حي غيره فانه كان احد ائمة الدين وهشام ابن الحكم أعلم به ممن نسب اليه غير ذلك لان هشاماً كان جاره بالكوفة واعرف الناس به وأدركه وشاهده والحسن بن حي رحمه الله يحتج بمعاوية رضي الله عنه وبا بن الزبير رضي الله عنهما وهذا مشهور عنه في كتبه وروايات من روي عنه وجميع الزيدية لا يختلفون في ان الامامة في جميع ولد علي بن ابي طالب من خرج منهم يدعو الى الكتاب والسنة وجب سل السيف معه وقالت الروافض الامامة في علي وحده بالنص عليه ثم في الحسن ثم في الحسين وادعوا نصاً آخر من النبي صلى الله عليه وسلم عليهما بعد ابيهما ثم علي بن الحسين لقول الله عز وجل * واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله * قالوا فولد الحسين احق من اخيه ثم محمد بن علي بن الحسين ثم جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وهذا مذهب جميع متكلميهم كهشام بن الحكم وهشام الجواليقي وداود الحواري وداود الرقي وعلي بن منصور وعلي بن هيثم وابي علي السكاك تلميذ هشام بن الحكم ومحمد بن جعفر بن النعمان شيطان الطاق وابي مالك الحضرمي وغيرهم ثم افترقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين وموت جعفر بن محمد فقالت طائفة بامامة ابنه اسماعيل بن جعفر وقالت طائفة بامامة ابنه محمد بن جعفر وهم قليل وقالت طائفة جعفر حي لم يمت وقال جمهور الرافضة بامامة ابنه موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي بن موسى ثم علي بن محمد بن علي بن موسى ثم الحسن بن علي ثم مات الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقاً وثبت جمهورهم على انه ولد للحسن بن علي ولد فاخفاه وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقيل وهو الاشهر وقال بعضهم بل من جارية له اسمها نرجس وقال بعضهم بل من جارية له اسمها سوسن والاظهران اسمها صقيل لان صقيل هذه ادعت الحمل بعد الحسن بن علي سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين ونازعها في ذلك اخوه جعفر بن علي وتعصب لها جماعة من ارباب الدولة وتعصب لجعفر آخرون ثم انفش ذلك الحمل وبطل واخذ الميراث جعفر اخوه وكان موت الحسن هذا سنة ستين ومائتين وزادت فتنة الروافض بصقيل هذه ودعواها الى ان حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها وقد عير بها انها في منزل الحسن بن جعفر النوبختي

الكاتب فوجدت فيه وحملت الى قصر المعتضد فبقيت هنالك الى ان ماتت في القصر في ايام المقتدر فهم الى اليوم ينتظرون ضالة منذ مائة عام وثمانين عاماً وكانت طائفة قديمة قد بادت كان رئيسهم المختار بن ابي عبيد وكيسان ابا عمرة وغيرهما يذهبون الى ان الامام بعد الحسين محمد اخوه المعروف بابن الحنفية ومن هذه الطائفة كان السيد الحميري وكثير عزة الشاعران وكانوا يقولون ان محمد ابن الحنفية حي بجبل رضوي ولهم من التخليط ما تضيق عنه الصحف

﴿ قال ابو محمد ﴾ وعمدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج احاديث موضوعة مكذوبة لا يعجز عن توليد مثلها من لا دين له ولا حياء

﴿ قال ابو محمد ﴾ لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونا ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها وانما يجب ان يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به سواء صدقه المحتج او لم يصدقه لان من صدق بشيء لزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضروري فيصير الخصم يومئذ مكابراً منقطعاً ان ثبت على ما كان عليه الا ان بعض ما يشغبون به احاديث صحاح نوافقهم على صحتها منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا يوجب له فضلا على من سواه ولا استحقاق الامامة بعده عليه السلام لان هارون لم يل أمر بني اسرائيل بعد موسي عليهما السلام وانما ولي الامر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام كما ولي الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه في الغار الذي سافر معه الى المدينة واذا لم يكن علي نبياً كما كان هارون نبياً ولا كان هارون خليفة بعد موت موسي على بني اسرائيل فقد صح ان كونه رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى انما هو في القرابة فقط وأيضاً فانما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول اذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك فقال المنافقون استقله فخلفه فلحق على برسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى ذلك اليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ انت مني بمنزلة هارون من موسى يريد عليه السلام انه استخلفه على المدينة مختاراً استخلافه كما استخلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام أيضاً مختاراً لاستخلافه ثم قد استخلف عليه

السلام قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة في اسفاره رجالا سوى على رضي الله عنه فصح ان هذا الاستخلاف لا يوجب لعلى فضلا على غيره ولا ولاية الامر بعده كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وعمدة ما احتجت به الامامية ان قالوا لا بد من ان يكون امام معصوم عنده جميع علم الشريعة ترجع الناس اليه في احكام الدين ليكونوا مما تعبدوا به على يقين

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا لاشك فيه وذلك معروف ببراهينه الواضحة واعلامه المعجزة وآياته الباهرة وهو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا تبيان دينه الذي الزمنا اياه صلى الله عليه وسلم فكان كلامه وعهوده ومابلغ من كلام الله تعالى حجة نافذة معصومة من كل آفة الى من بحضرته والى من كان في حياته غائباً عن حضرته والى كل من يأتي بعد موته صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة من جن وانس قال عز وجل « اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء » فهذا نص ما قلنا وابطال اتباع أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما الحاجة الى فرض الامامة لتنفيذ الامام عهود الله تعالى الواردة الينا على من عند فقط لا لان يأتي الناس ما لا يشاؤنه في معرفته من الدين الذي اتاهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدنا عليا رضي الله عنه اذ دعي الى التحاكم الى القرآن أجاب وأخبر ان التحاكم الى القرآن حق فان كان على اصاب في ذلك فهو قولنا وان كان أجاب الى الباطل فهذه غير صفته رضي الله عنه ولو كان التحاكم الى القرآن لا يجوز بحضرة الامام لقال على حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن وانا الامام المبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قالوا اذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بد من امام يبلغ الدين قلنا هذا باطل ودعوى بلا برهان وقول لا دليل على صحته وانما الذي يحتاج اليه اهل الارض من رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانه وتبليغه فقط سواء في ذلك من كان بحضرته ومن غاب عنه ومن جاء بعده اذ ليس في شخصه صلى الله عليه وسلم اذا لم يتكلم بيان عن شيء من الدين فالمراد منه عليه السلام كلام باق ابداً مبلغ الى كل من في الارض وايضا فلو كان ما قالوا من الحاجة الى امام موجود ابداً لا نتقض ذلك عليهم بمن كان غائبا عن حضرة الامام في اقطار الارض اذ لا سبيل الى ان يشاهد الامام جميع أهل الارض الذين في المشرق والمغرب من فقير وضعيف

وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه الذي يضيع ان اغفله فلا بد من التبليغ عن الامام فالتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بالاتباع من التبليغ عمن هو دونه وهذا مالا انفكاك لهم منه

﴿قال ابو محمد﴾ لا سيما وجميع أئمتهم الذين يدعون بعد علي والحسن والحسين رضي الله عنهم ما امروا قط في غير منازل سكناهم وما حكموا على قرية فما فوقها بحكم فما الحاجة اليهم لا سيما مذ مائة عام وثمانين عاماً فانهم يدعون اماماً ضالا لم يخلق كعنقاء مغرب وهم اولو نخش وقحة وبهتان ودعوى كاذبة لم يعجز عن مثلها احد وايضاً فان الامام المعصوم لا يعرف انه معصوم الا بمعجزة ظاهرة عليه او بنص تنقله العلماء عن النبي صلى الله عليه وسلم على كل امام بعينه واسمه ونسبه والا فهي دعوى لا يعجز عن مثلها احد لنفسه او لمن شاء ولقد يلزم كل ذي عقل سليم ان يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الجهل الغث البارد السخيف الذي ترتفع عقول الصبيان عنه وما توفيقنا الا بالله عز وجل وبرهان آخر ضروري وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وجمهور الصحابة رضي الله عنهم حاشا من كان منهم في النواحي يعلم الناس الدين فما منهم احد اشار الى عليّ بكلمة يذكر فيها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نصّ عليه ولا ادعى ذلك عليّ قط لا في ذلك الوقت ولا بعده ولا ادعاه له احد في ذلك الوقت ولا بعده ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة ولا يجوز اتفاق اكثر من عشرين الف انسان متنابذى الهمم والنيات والانساب اكثرهم موتون في صاحبة في الدماء من الجاهلية على طي عهد عاهده رسول الله صلى الله علية وسلم اليهم وما وجدنا قط رواية عن احد بهذا النص المدعى الا رواية واحدة واهية عن مجهولين الى مجهول يكنى بالحمراء لا يعرف من هو في الخلق ووجدنا علياً رضي الله عنه تأخر عن البيعة ستة اشهر فما اكرهه ابو بكر على البيعة حتى بايع طائعاً مراجعاً غير مكره فكيف حل لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء النوكى ان يبائع طايعاً رجلا اما كافراً واما فاسقاً جاحداً لنصّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعينه على امره ويجالسه في مجالسه ويواليه الى ان مات ثم يبائع بعده عمر بن الخطاب مبادراً غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره بل طائعاً وصحبه واعانه على امره وانكحه من ابنته فاطمة رضي الله عنها ثم اقبل ادخاله في الشورى احد ستة رجال فكيف حل لعلي عند هؤلاء الجهال ان يشارك بنفسه في شورى ضالة وكفر ويغر الامة هذا الغرور وهذا الامر ادى ابا كامل

الى

الى تكفير علي بن ابي طالب رضي الله عنه لانه في زعمه اعان الكفار على كفرهم وايدهم على كتمان الديانة وعلى ما لا يتم الدين الا به

﴿قال ابو محمد﴾ ولا يجوز ان يظن بعلي رضي الله عنه انه أمسك عن ذكر النصّ عليه خوف الموت وهو الاسد شجاعة قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات ثم يوم الجمل وصفين فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين وما الذي الف بين بصار الناس على كتمان حق علي ومنعه ما هو احق به مذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قتل عثمان رضي الله عنه ثم ما الذي جلى بصائرهم في عونه اذ دعا الى نفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة وبذلوا دماءهم دونه ورأوه حينئذ صاحب الامر والاولى بالحق ممن نازعه فما الذي منعه ومنعهم من الكلام واظهار النص الذي يدعيه الكذابون اذ مات عمر رضي الله عنه وبقى الناس بلا رأس ثلاثة ايام او يوم السقيفة واظرف من هذا كله بقاؤه ممسكا عن بيعة ابي بكر رضي الله عنه ستة اشهر فما سئلها ولا اجبر عليها ولا كلفها وهو متصرف بينهم في اموره فلولا انه رأى الحق فيها واستدرك امره فبايع طالباً حظ نفسه في دينه راجعاً الى الحق لما بايع فان قالت الروافض انه بعد ستة اشهر رأى الرجوع الى الباطل فهذا هو الباطل حقاً لا ما فعل علي رضي الله عنه ثم ولى علي رضي الله عنه فما غير حكماً من احكام ابي بكر وعمر وعثمان ولا ابطل عهداً من عهودهم ولو كان ذلك عنده باطلا لما كان في سعة من ان يمضي الباطل وينفذه وقد ارتفعت التقية عنه وايضاً فقد نازع الانصار رضي الله عنهم ابا بكر رضي الله عنه ودعوا الى بيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه ودعا المهاجرون الى بيعة ابي بكر رضي الله عن جميعهم وقعد علي رضي الله عنه في بيته لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ليس معه احد غير الزبير بن العوام ثم استبان الحق للزبير رضي الله عنه فبايع سريعاً وبقي علي وحده لا يرقب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ولا يمنع احد من لقائه فلا يخلو رجوع الانصار كلهم الى بيعة ابي بكر من ان يكون عن غلبة او عن ظهور حقه اليهم فاوجب ذلك الانقياد لبيعته او فعلوا ذلك مطارفة لغير معنى ولا سبيل الى قسم رابع بوجه من الوجوه فان قالوا بايعوه بغلبة كذبوا لانه لم يكن هنالك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد ولا وقت طويل ينفسح للوعيد ولا سلاح مأخوذ ومحال ان يترك أزيد من الفي فارس انجاد ابطال كلهم عشيرة واحدة قد ظهر من

شجاعتهم ما لا مرمى وراءه وهو انهم بقوا ثمانية اعوام متصلة محاربين لجميع العرب في اقطار بلادهم موطنين على الموت متعرضين مع ذلك للحرب مع قيصر والروم بمؤتة وغيرها ولكسرى والفرس ببصرى من يخاطبهم يدعوه الى اتباعه وان يكون كاحد من بين يديه هذه صفة الانصار التي لا ينكرها الا رقيع مجاهر بالكذب فمن المحال الممتنع ان يرهبوا ابا بكر ورجلين أتيا معه فقط لا يرجع الى عشيرة كثيرة ولا الى موال ولا الى عصبة ولا مال فرجعوا اليه وهو عندهم مبطل وبايعوه بلا تردد ولا تطويل وكذلك يبطل ان يرجعوا عن قولهم وما كانوا قد رأوه من ان الحق حقهم وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا خوف ولا ظهور الحق اليهم فمن المحال اتفاق اهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون انه باطل دون خوف يضطرهم الى ذلك دون طمع يتعجلونه من مال او جاه بل فيما فيه ترك العز والدنيا والرياسة وتسليم كل ذلك الى رجل لا عشيرة له ولا منعة ولا حاجب ولا حرس على بابه ولا قصر ممتنع فيه ولا موالي ولا مال فاين كان على وهو الذي لا نظير له في الشجاعة ومعه جماعة من بني هاشم وبني المطلب من قتل هذا الشيخ الذي لا دافع دونه لو كان عنده ظالماً وعن منعه وزجره بل قد علم والله على رضي الله عنه ان ابا بكر رضي الله عنه على الحق وان من خالفه على الباطل فاذعن للحق بعد ان عرضت له فيه كبوة كذلك الانصار رضي الله عنهم واذ قد بطل كل هذا فلم يبق الا ان علياً والانصار رضي الله عنهم انما رجعوا الى بيعة ابي بكر رضي الله عنه لبرهان حق صح عندهم عن النبي صلى الله عليه لا لاجتهاد كاجتهادهم ولا لظن كظنونهم فاذ قد بطل أن يكون الامر في الانصار وزالت الرياسة عنهم فما الذي حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على ان يتفقوا على جحد نص النبي صلى الله عليه وسلم على امامة علي ومن المحال ان تتفق آراؤهم كلهم على معونة من ظلمهم وغصبهم حقهم الا ان تدعي الروافض انهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك العهد فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعي فيما شاء من المحال انه قد كان وان الناس كلهم نسوه وفي هذا ابطال الحقائق كلها وأيضاً فان كان جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه واتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه فمن أين وقع الى الروافض أمره ومن بلغه اليهم وكل هذا عن هوس ومحال فبطل أمر النص على علي رضي الله عنه بيقين لا اشكال فيه والحمد لله رب العالمين فان قال قائل

ان

ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان قد قتل الاقارب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتولد له بذلك حقد في قلوب جماعة من الصحابة ولذلك انحرفوا عنه قيل له هذا تمويه ضعيف كاذب لانه ان ساغ لكم ذلك في بني عبد شمس وبني مخزوم وبني عبد الدار وبني عامر لانه قتل من كل قبيلة من هذه القبائل رجلا أو رجالا فقتل من بني عامر بن لؤى رجلا واحداً وهو عمرو بن ود وقتل من بني مخزوم وبنى عبد الدار رجالا وقتل من بني عبد شمس الوليد بن عقبة والعاص بن سهل بن العاص بلا شك وشارك في قتل عتبة بن ربيعة وقيل قتل عقبة بن ابي معيط وقيل قتله غيره وهو عاصم بن ثابت الانصاري ولا مزيد فقد علم كل من له أقل علم بالاخبار انه لم يكن لهذه القبائل ولا لاحد منها يوم السقيفة حل ولا عقد ولا رأي ولا أمر اللهم الا ان ابا سفيان بن حرب بن امية كان مائلا الى علي في ذلك الوقت عصبية للقرابة لا تدينا وكان ابنه يزيد وخالد بن سعيد بن العاص والحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومى مائلين الى الانصار تدينا والانصار قتلوا أبا جهل بن هشام أخاه وقد كان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة شديد الميل الى علي حين قصة عثمان وبعدها حتى قتله معاوية على ذلك فعرفونا من قتل علي من بني تيم بن مرة أو من بني عدي بن كعب حتى يظن أهل القحة انهما حقدا عليه ثم اخبرونا من قتل من الانصار أو من جرح منهم أو من أذى منهم ألم يكونوا معه في تلك المشاهد كلها بعضهم متقدم وبعضهم مساوله وبعضهم متأخر عنه فأي حقد كان له في قلوب الانصار حتى يتفقوا كلهم على جحد النص عليه وعلى ابطال حقه وعلى ترك ذكر اسمه جملة وايثار سعد بن عبادة عليه ثم على ايثار ابي بكر وعمر عليه والمسارعة الى بيعته بالخلافة دونه وهو معهم وبين أظهرهم يرونه غدواً وعشياً لا يحول بينهم وبينه أحد ثم اخبرونا من قتل علي من أقارب أولاد المهاجرين من العرب من مضر وربيعة واليمن وقضاعة حتى يصفقوا كلهم على كراهية ولايته ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه ان هذه لعجائب لا يمكن اتفاق مثلها في العالم أصلا ولقد كان لطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص من القتل في المشركين كالذي كان لعلي فما الذي خصه باعتقاد الاحقاد له دونهم لو كان للروافض حياء أو عقل ولقد كان لابي بكر رحمه الله ورضي عنه في مضادة قريش في الدعاء الى الاسلام ما لم يكن لعلي فما منعهم ذلك من بيعته وهو اسوأ الناس اثراً عند كفارهم ولقد

كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في مغالبة كفار قريش واعلانه الاسلام على زعمهم ما لم
يكن لعلي رضي الله عنه فليت شعري ما الذي أوجب أن ينسى آثار هؤلاء كلهم ويعادوا علياً
من بينهم كلهم لو لا قلة حياء الروافض وصفاقة وجوههم حتى بلغ الامر بهم الى ان عدوا على
سعد بن ابي وقاص وابن عمر واسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورافع بن
خديج الانصاري ومحمد بن مسلمة الانصاري وزيد بن ثابت الانصاري وابي هريرة وأبي
الدرداء وجماعة غير هؤلاء من المهاجرين انهم لم يبايعوا علياً اذ ولي الخلافة ثم بايعوا معاوية
ويزيد ابنه من ادركه وادعوا ان تلك الاحقاد حملتهم على ذلك

﴿ قال أبو محمد ﴾ حمق الرافضة وشدة ظلمة جهلهم وقلة حيائهم هورهم في الدمار والبوار
والعار والنار وقلة المبالاة بالفضائح وليت شعري اي حماسة وأي كلمة حسنة كانت بين علي
وبين هؤلاء أو احد منهم وانما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لا يرون بيعة في فرقة فلما
أصفق المسلمون على ما اصفقوا عليه كائنا من كان دخلوا في الجماعة وهكذا فعل من ادرك
من هؤلاء ابن الزبير رضى الله عنه ومروان فانهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبد الملك بن
مروان بايعه من ادركه منهم لا رضاعنه ولا عداوة لابن الزبير ولا تفضيلاً لعبد الملك على
ابن الزبير لكن لما ذكرنا وهكذا كان امرهم في علي ومعاوية فلاحت نوكة هؤلاء المجانين
والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا زيد بن حارثة قتل يوم بدر حنظلة بن ابي سفيان وهذا الزبير بن
العوام قتل يوم بدر ايضاً عبيدة بن سعيد بن العاص وهذا عمر بن الخطاب قتل يومئذ العاص بن
هشام بن المغيرة فهلا عاداهم اهل هؤلاء المقتولين وما الذي خص علياً اولياء من قتل دون سائر
من قتلنا لولا جنون الرافضة وعدم الحياء من وجوههم ثم لو كان ما ذكروه حقاً فما الذي كان دعا
عمر الى ادخاله في الشورى مع من ادخله فيها ولو اخرجه منها كما اخرج سعيد بن زيد او
قصد الى رجل غيره فولاه ما اعترض عليه أحد في ذلك بكلمة فصح ضرورة بكل ما ذكرنا ان
القوم انزلوه منزلته غير غالين ولا مقصرين رضي الله عنهم اجمعين وانهم قدموا الاحق فالاحق
والافضل فالافضل وساووه بنظرائه منهم ثم اوضح برهان وابين بيان في بطلان اكاذيب الرافضة
ان علياً رضي الله عنه لما ادعي الى نفسه بعد قتل عثمان رضي الله عنه سارعت طوائف المهاجرين

والانصار

والانصار الى بيعته فهل ذكر احد من الناس ان احدا منهم اعتذر اليه مما سلف من بيعتهم
لابي بكر وعمر وعثمان او هل تاب احد منهم من جحده للنص على امامته او قال احد منهم
لقد ذكرت هذا النص الذي كنت انسيته في امر هذا الرجل ان عقولا خفي عليها هذا
الظاهر اللائح لعقول مخذولة لم يرد الله ان يهديها ثم مات عمر رضي الله عنه وترك الامر
شورى بين ستة من الصحابة علي احدهم ولم يكن في تلك الايام الثلاثة سلطان يخاف ولا
رئيس يتوقى ولا مخافة من احد ولا جند معد للتغلب أفترى لو كان لعلي رضي الله عنه
حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من فضل بائن
على من معه ينفرد به عنهم اما كان الواجب على علي ان يقول ايها الناس كم هذا
الظلم لي وكم هذا الكتمان بحقي وكم هذا الجحد لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكم هذا الاعراض عن فضلي البائن على هؤلاء المقرونين لي فاذ لم يفعل لا يدري لما ذا اما
كان في بني هاشم احد له دين يقول هذا الكلام أما العباس عمه وجميع العالمين على توقيره
وتعظيمه حتى ان عمر توسل به الى الله تعالى بحضرة الناس في الاستسقاء واما احد بنيه واما
عقيل اخوه واما احد بني جعفر اخيه او غيرهم فاذ لم يكن في بني هاشم احد يتقي الله عزوجل
ولا يأخذه في قول الحق مداهنة اما كان في جميع اهل الاسلام من المهاجرين والانصار
وغيرهم واحد يقول يا معشر المسلمين قد زالت الرقبة وهذا علي له حق واجب بالنص وله
فضل بائن ظاهر لا يمترى فيه فبايعوه فامره بين ان اصفاق جميع الامة اولها عن آخرها من
برقة الى اول خراسان ومن الجزيرة الى اقصى اليمن اذ بلغهم الخبر على السكوت عن حق هذا
الرجل واتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه وليس هناك شيء يخافونه لاحدى عجائب المحال
الممتنع وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك اذ صار الحق حقه وقتلوا انفسهم دونه فاين كانوا عن
اظهار ما تنبهت له الروافض الانذال ثم العجب اذ كان غيظهم عليه هذا الغيظ واتفاقهم على
جحده حقه هذا الاتفاق كيف تورعوا عن قتله ليستريحوا منه ام كيف اكرموه وبروه
وادخلوه في الشورى وقال هشام بن الحكم كيف يحسن الظن بالصحابة ان لا يكتموا النص
على علي وهم قد اقتتلوا وقتل بعضهم بعضاً فهل يحسن بهم الظن في هذا

﴿ قال ابو محمد ﴾ لو علم الفاسق ان هذا القول اعظم حجة عليه لم ينطق بهذا السخف لان

علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول من قاتل حين افترق الناس فكل ما لحق المقتلين منهم
من حسن الظن بهم او من سوء الظن بهم فهو لاحق لعلي في قتاله ولا فرق بينه وبين سائر
الصحابة في ذلك كله وبالله تعالى التوفيق فان خصه متحكم كان كمن خص غيره منهم متحكما
ولا فرق وايضاً فان اقتتالهم رضي الله عنهم أوكد برهان على انهم لم يغاروا على ما رأوه باطلا
بل قاتل كل فريق منهم على ما رأوه حقاً ورضي بالموت دون الصبر على خلاف ما عنده وطائفة
منهم قعدت اذ لم تر الحق في القتال فدل على انه لو كان عندهم نص على علي او عند واحد
منهم لاظهروه اولاظهره كما اظهروا ما رأوا ان يبذلوا انفسهم للقتال والموت دونه فان قالوا
قد اقررتم انه لا بد من امام فبأي شيء يعرف الامام لا سيما وانتم خاصة معشر اهل الظاهر
لا بنص قرآن او خبر صحيح وهذا ايضاً مما سألنا عنه اصحاب القياس والرأي

﴿ قال ابو محمد ﴾ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على
وجوب الامامة وانه لايحل بقاء ليلة دون بيعة وافترض علينا بنص قوله الطاعة للقرشي اماماً
واحداً لاينازع اذا قادنا بكتاب الله عز وجل فصح من هذه النصوص النص على صفة
الامام الواجب طاعته كما صح النص على صفة الشهود في الاحكام وصفة المساكين والفقراء
الواجب لهم الزكاة وصفة من يؤم في الصلاة وصفة من يجوز نكاحها من النساء وكذلك
سائر الشريعة كلها ولا يحتاج الى ذكر الاسماء اذ لم يكلفنا الله عز وجل ذلك فكل قرشي
بالغ عاقل بادر اثر موت الامام الذي لم يعهد الى أحد فبايعه واحد فصاعداً فهو الامام
الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله تعالى وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي امر
الكتاب باتباعها فان زاغ عن شيء منهما منع من ذلك واقيم عليه الحد والحق فان لم يؤمن اذاه
الا بخلعه خلع وولي غيره منهم فان قالوا قد اختلف الناس في تأويل القرآن والسنة ومنع من
تأويلهما بغير نص آخر قلنا ان التأويل الذي لم يقم عليه برهان تحريف الكلم عن مواضعه وقد
جاء النص بالمنع من ذلك وليس الاختلاف حجة وانما الحجة في نص القرآن والسنن وما
اقتضاه لفظهما العربي الذي خوطبنا به وبه ألزمتنا الشريعة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ثم نسألهم فنقول لهم ان عمدة احتجاجكم في ايجاب امامتكم التي تدعيها
جميع فرقكم انما هي وجهان فقط احدهما النص عليه باسمه والثاني شدة الفاقة اليه في بيان

الشريعة

الشريعة اذ علمها عنده لاعند غيره ولامزيد فاخبروني باي شيء صار محمد بن علي بن الحسين
اولى بالامامة من اخوته زيد وعمرو وعبد الله وعلي والحسين فان ادعوا نصاً من أبيه عليه او
من النبي صلى الله عليه وسلم أنه الباقر لم يكن ذلك ببدع من كذبهم ولم يكونوا أولى بتلك الدعوى
من الكيسانية في دعواهم النص على ابن الحنفية وان ادعوا انه كان ما فضل من اخوته كانت
أيضاً دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند الله عز وجل فيه بما يبدو من الانسان
فقد يكون باطنه خلاف ظاهره وكذلك يسألون ايضاً ما الذي جعل موسى بن جعفر أولى
بالامامة من أخيه محمد أو اسحاق او علي فلا يجدون الى غير الدعوى سبيلا وكذلك أيضاً
يسألون ما الذي خص علي بن موسى بالامامة دون اخوته وهم سبعة عشر ذكراً فلا يجدون
شيئاً غير الدعوى وكذلك يسألون ما الذي جعل محمد بن علي بن موسى اولى بالامامة من
اخيه علي بن علي وما الذي جعل علي بن محمد أولى بالامامة من أخيه موسى بن محمد وما
الذي جعل الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى احق بالامامة من اخيه جعفر بن علي
فهل هاهنا شيء غير الدعوى الكاذبة الذي لا حياء لصاحبها والتي لو ادعى مثلها مدع للحسن
بن الحسن او لعبد الله بن الحسن او لاخيه الحسن بن الحسن او لابن اخيه علي بن الحسن
او لمحمد بن عبدالله القائم بالمدينة او لاخيه ابراهيم او لرجل من ولد العباس او من بني أمية
او من اي قوم من الناس كان لساواهم في الحماقة ومثل هذا لايشتغل به من له مسكة من عقل
او منحة من دين ولو قلت او رقعة من الحياء فبطل وجه النص واما وجه الحاجة اليه في بيان
الشريعة فما ظهر قط من اكثر أئمتهم بيان لشيء مما اختلف فيه الناس وما بايديهم من ذلك شيء
الا دعاوي مفتعلة قد اختلفوا ايضاً فيها كما اختلف غيرهم من الفرق سواء سواء الا انهم اسوأ
حالا من غيرهم لان كل من قلد انساناً كاصحاب ابي حنيفة لابي حنيفة واصحاب مالك لمالك واصحاب
الشافعي للشافعي واصحاب احمد لاحمد فان لهؤلاء المذكورين اصحاباً مشاهير نقلت عنهم اقوال
صاحبهم ونقلوها هم عنه ولا سبيل الى اتصال خبر عندهم ظاهر مكشوف يضطر الخصم الى ان هذا قول
موسى بن جعفر ولا انه قول علي بن موسى ولا انه قول محمد بن علي بن موسى ولا انه قول علي بن محمد
ولا انه قول الحسن بن علي وامامن بعد الحسن بن علي فعدم بالكلية وحماقة ظاهرة واما من قبل موسى
بن جعفر فلو جمع كل ما روى في الفقه عن الحسن والحسين رضي الله عنهما لما بلغ عشر اوراق فما ترى

المصلحة التي يدعونها في امامهم ظهرت ولا نفع الله تعالى بها قط في علم ولا عمل لا عندهم ولا عند غيرهم ولا ظهر منهم بعد الحسين رضي الله عنه من هؤلاء الذين سموا احداً ولا أمر منهم احد قط بمعروف معلن وقد قرأنا صفة هؤلاء المخاذلين المنتمين الى الامامية القائلين بان الدين عند أئمتهم فما رأينا الا دعاوي باردة وآراء فاسدة كأسخف ما يكون من الاقوال ولا يخلو هؤلاء الأئمة الذين يذكرون من ان يكونوا مأمورين بالسكوت اومفسوحاً لهم فيه فان يكونوا مأمورين بالسكوت فقد ابيح للناس البقاء في الضلال وسقطت الحجة في الديانة عن جميع الناس وبطل الدين ولم يلزم فرض الاسلام وهذا كفر مجرد وهم لا يقولون بهذا أو يكونوا مأمورين بالكلام والبيان فقد عصوا الله اذ سكتوا وبطلت امامتهم وقد لجأ بعضهم اذ سئلوا عن صحة دعواهم في الائمة الى ان ادعوا الالهام في ذلك فاذ قد صاروا الى هذا الشغب فانه لا يضيق عن احد من الناس ولا يعجز خصومهم عن ان يدعوا انهم الهموا بطلان دعواهم قال هشام بن الحكم لا بد ان يكون في اخوة الامام آفات يبين بها انهم لا يستحقون الامامة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه دعوى مردودة تزيد في الحماقة ولا ندري في زيد وعمرو وعبدالله والحسن وعلي بن علي بن الحسين آفات تمنع الا ان الحسن اخا زيد ومحمد كان اعرج وما علمنا ان العرج عيب يمنع من الامامة انما هو عيب في العبيد المتخذين للمشي وما يعجز خصومهم ان يدعوا في محمد بن علي وفي جعفر بن محمد وفي سائر أئمتهم تلك الآفات التي ادعاها هشام لاخوتهم ثم ان بعض أئمتهم المذكورين مات ابوه وهو ابن ثلاث سنين فنسألهم من اين علم هذا الصغير جميع علم الشريعة وقد عدم توقيف ابيه له عليها لصغره فلم يبق الا ان يدعوا له الوحي فهذه نبوة وكفر صريح وهم لا يبلغون الى ان يدعوا له النبوة وان يدعوا له معجزة تصحح قوله فهذه دعوى باطلة ما ظهر منها قط شيء او يدعوا له الالهام فما يعجز احد عن هذه الدعوى

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولو لم يكن من الحجة على ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وزين لكل أمة عملها الا وجود من يعتقد هذه الاقوال السخيفة لكان اقوى حجة واوضح برهان والا فما خلق الله عقلا يسع فيه مثل هذه الحماقات والحمد لله على عظيم منته علينا وهو المسؤل منه دوامها بمنه آمين

قال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وايضاً فلو كان الامر في الامامة على ما يقول هؤلاء السخفاء لما كان الحسن رضي الله عنه في سعة من ان يسلمها لمعاوية رضي الله عنه فيعينه على الضلال وعلى ابطال الحق وهدم الدين فيكون شريكه في كل مظلمة ويبطل عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوافقه على ذلك الحسين اخوه رضي الله عنهما فما نقض قط بيعة معاوية الى ان مات فكيف استحل الحسن والحسين رضي الله عنهما ابطال عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما طائعين غير مكرهين فلما مات معاوية قام الحسين يطلب حقه اذ رأى انها بيعة ضلالة فلولا انه رأى بيعة معاوية حقاً لما سلمها له ولفعل كما فعل بيزيد اذ ولي يزيد هذا مالا يمتري فيه ذو انصاف هذا ومع الحسن أزيد من مائة الف عنان يموتون دونه فتالله لولا ان الحسن رضي الله عنه علم انه في سعة من اسلامها الى معاوية وفي سعة من ان لا يسلمها لما جمع بين الامرين فامسكها ستة اشهر لنفسه وهي حقه وسلمها بعد ذلك لغير ضرورة وذلك له مباح بل هو الافضل بلاشك لان جده رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطب بذلك على المنبر بحضرة المسلمين واراهم الحسن معه على المنبر وقال ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين رويناه من طريق البخاري حدثنا صدقة انبأنا ابن عيينة انا موسى انا الحسن سمع ابا بكرة يقول انه سمع ذلك وشهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اعلامه صلى الله عليه وسلم وانذاره بالغيوب التي لا تعلم البتة الا بالوحي ولقد امتنع زياد وهو فقعة القاع لا عشيرة ولا نسب ولا سابقة ولا قدم فما اطاقه معاوية الا بالمداراة وحتى ارضاه وولاه فان ادعوا انه قد كان في ذلك عند الحسن عهد فقد كفروا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر أحداً بالعون على اطفاء نور الاسلام بالكفر وعلى نقض عهود الله تعالى بالباطل عن غير ضرورة ولا اكراه وهذه صفة الحسن والحسين رضي الله عنهما عند الروافض واحتج بعض الامامية وجميع الزيدية بان علياً كان احق الناس بالامامة لبينونة فضله على جميعهم ولكثرة فضائله دونهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا يقع الكلام فيه ان شاء الله تعالى في الكلام في المفاضلة بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الكلام هاهنا في الامامة فقط فنقول وبالله تعالى التوفيق هبكم انكم وجدتم لعلي رضي الله عنه فضائل معلومة كالسبق الى الاسلام والجهاد مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم وسعة العلم والزهد فهل وجدتم مثل ذلك للحسن والحسين رضي الله عنهما حتى اوجبتم لهما بذلك فضلا في شيء مما ذكرنا على سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن عمر وعبد الله بن العباس هذا ما لا يقدر احد على ان يدعي لهما فيه كلمة فما فوقها يعني مما يكونان به فوق من قد ذكرنا في شيء من هذه الفضائل فلم يبق الا دعوى النص عليهما وهذا ما لا يعجز عن مثله احد ولو استجازت الخوارج التوقح بالكذب في دعوى النص على عبدالله بن وهب الراسي لما كانوا الا مثل الرافضة في ذلك سوآء بسوآء ولو استحلت الاموية ان تجاهر بالكذب في دعوى النص على معاوية لكان امرهم في ذلك اقوى من امر الرافضة لقوله تعالى * ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً * ولكن كل امة ما عدا الرافضة والنصارى فانها تستحي وتصون انفسها عما لا تصون النصارى والروافض انفسهم عنه من الكذب الفاضح البارد وقلة الحياء فيما يأتون به ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكذلك لا يجدون لعلي بن الحسين بسوقا في علم ولا في عمل على سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير ولا على ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ولا على ابن عمه الحسن بن الحسن وكذلك لا يجدون لمحمد بن علي بن الحسين بسوقا في علم ولا في عمل ولا ورع على عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ولا على محمد بن عمر وبن أبي بكر بن المنكدر ولا على ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ولا على اخيه زيد بن علي ولا على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ولا على عمر بن عبد العزيز وكذلك لا يجدون لجعفر بن محمد بسوقا في علم ولا في دين ولا في عمل على محمد بن مسلم الزهري ولا على ابن ابي ذؤيب ولا على عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبدالله بن عمر ولا على عبيد الله بن عمرو بن حفص بن عاصم بن عمر ولا على ابني عمه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وعلى بن الحسن بن الحسن بن الحسن بل كل من ذكرنا فوقه في العلم والزهد وكلهم ارفع محلا في الفتيا والحديث لا يمنع احد منهم من شيء من ذلك وهذا ابن عباس رضي الله عنه قد جمع فقهه في عشرين كتاباً ويبلغ حديثه نحو ذلك اذ اتقصى ولا تبلغ فتيا الحسن والحسين ورقتين ويبلغ حديثهما ورقة أو ورقتين وكذلك على بن الحسين الا ان محمد بن علي يبلغ حديثه وفتياه جزأ صغيراً وكذلك جعفر بن محمد وهم يقولون ان الامام

عنده جميع علم الشريعة فما بال من ذكرنا اظهروا بعض ذلك وهو الاقل الانقص وكتموا سائره وهو الاكثر الاعظم فان كان فرضهم الكتمان فقد خالفوا الحق اذ أعلنوا ما اعلنوا وان كان فرضهم البيان فقد خالفوا الحق اذ كتموا ما كتموا وأما من بعد جعفر بن محمد فما عرفنا لهم علما اصلا لا من رواية ولا من فتيا على قرب عهدهم منا ولو كان عندهم من ذلك شيء لعرف كما عرف عن محمد بن علي وابنه جعفر وعن غيره منهم ممن حدث الناس عنه فبطلت دعواهم الظاهرة الكاذبة اللائحة السخيفة التي هي من خرافات السمر ومضاحك السخفاء فان رجعوا الى ادعاء المعجزات لهم قلنا لهم ان المعجزات لا تثبت الا بنقل التواتر لا بنقل الاحاد الثقات فكيف بولد الوقحا الكذابين الذين لا يدري من هم وقد وجدنا من يروي لبشر الحافي وشيبان الراعي ورابعة العدوية اضعاف ما يدعونه من الكذب لأئمتهم واظهر وافشى وكل ذلك حماقة لا يشتغل ذو دين ولا ذو عقل بها ونحمد الله على السلامة فاذ قد بطل كل ما يدعونه ولله تعالى الحمد فلنقل على الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبرهان وبالله تعالى نتأيد

﴿ قال ابو محمد ﴾ قد اختلف الناس في هذا فقالت طائفة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف احداً ثم اختلفوا فقال بعضهم لكن لما استخلف ابا بكر رضي الله عنه على الصلاة كان ذلك دليلا على انه اولاهم بالامامة والخلافة على الامور وقال بعضهم لا ولكن كان ابينهم فضلا فقدموه لذلك وقالت طائفة بل نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على استخلاف ابي بكر بعده على امور الناس نصاً جلياً

﴿ قال ابو محمد ﴾ وبهذا نقول لبراهين احدها اطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم * للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون * فقد اصفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع اخوانهم من الانصار رضي الله عنهم على ان سموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الخليفة في اللغة هو الذي يستخلفه لا الذي يخلفه دون ان يستخلفه هو لا يجوز غير هذا البتة في اللغة بلا خلاف تقول استخلف فلان فلاناً يستخلفه فهو خليفته ومستخلفه فان قام مكانه دون ان يستخلفه هو لم يقل الا خلف فلان فلاناً يخلفه فهو خالف ومحال ان يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضرورين احدها انه لا يستحق ابو بكر هذا الاسم

على الاطلاق في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ خليفته على الصلاة فصح يقيناً ان خلافته المسمى هو بها هي غير خلافته على الصلاة والثاني ان كل من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كعلي في غزوة تبوك وابن ام مكتوم في غزوة الخندق وعثمان ابن عفان في غزوة ذات الرقاع وسائر من استخلفه على البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها لم يستحق احد منهم قط بلا خلاف من احد من الامة ان يسمى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاطلاق فصح يقيناً بالضرورة التي لا محيد عنها انها للخلافة بعده على امته ومن الممتنع ان يجمعوا على ذلك وهو عليه السلام لم يستخلفه نصاً ولو لم يكن هاهنا الا استخلافه اياه على الصلاة ما كان ابو بكر اولى بهذه التسمية من غيره ممن ذكرنا وهذا برهان ضروري نعارض به جميع الخصوم وايضاً فان الرواية قد صحت بان امرأة قالت يا رسول الله أرأيت ان رجعت ولم اجدك كانها تريد الموت قال فأت ابا بكر وهذا نص جلي على استخلاف ابي بكر وأيضاً فان الخبر قد جاء من الطرق الثابتة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها في مرضه الذي توفى فيه عليه السلام لقد هممت ان ابعث الى ابيك واخيك فاكتب كتاباً واعهد عهداً لكيلا يقول قائل انا احق أو يتمنى متمن ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر وروى أيضاً ويأبي الله والنبيون الا ابا بكر فهذا نص جلي على استخلافه عليه الصلاة والسلام ابا بكر على ولاية الامة بعده

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولو اننا نستجيز التدليس والامر الذي لو ظفر به خصومنا طاروا به فرحاً أو ابلسوا أسفاً لاحتججنا بما روى اقتدوا باللذين من بعدي ابى بكر وعمر

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولكنه لم يصح ويعيذنا الله من الاحتجاج بما لا يصح

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتج من قال لم يستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن أبيه انه قال ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني ابا بكر وان لا استخلف فلم يستخلف من هو خير مني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما روى عن عائشة رضي الله عنها امن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفاً لو استخلف فمن المحال ان يعارض الاجماع من الصحابة الذي ذكرنا والاثر ان الصحيحان المسندان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من لفظه بمثل هذين الاثرين الموقوفين على عمر وعائشة رضي الله عنهما

مما

مما لا يقوم به حجة مما له وجه ظاهر من ان هذا الاثر خفي على عمر رضي الله عنه كما خفي عليه كثير من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كالاستئذان وغيره أو انه أراد استخلافاً بعهد مكتوب ونحن نقر ان استخلاف ابى بكر لم يكن بكتاب مكتوب وأما الخبر في ذلك عن عائشة فكذلك نصاً وقد يخرج كلامها على سؤال سائل وانما الحجة في روايتها لا في قولها وأما من ادعى انه انما قدم قياسا على تقديمه الى الصلاة فباطل بيقين لانه ليس كل من استحق الامامة في الصلاة يستحق الامامة في الخلافة اذ يستحق الامامة في الصلاة اقرأ القوم وان كان أعجميا أو عربيا ولا يستحق الخلافة الا قرشي فكيف والقياس كله باطل

﴿ قال ابو محمد ﴾ في نص القرآن دليل على صحة خلافة ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وعلى وجوب الطاعة لهم وهو ان الله تعالى قال مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراب * فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابداً ولن تقاتلوا معي عدواً * وكان نزول سورة براءة التي فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلا شك التي تخلف فيها الثلاثة المعذورون الذين تاب الله عليهم في سورة براءة ولم يغز عليه السلام بعد غزوة تبوك الى ان مات صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ايضاً * سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل * فبين ان العرب لا يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تبوك لهذا ثم عطف سبحانه وتعالى عليهم اثر منعه اياهم من الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلق باب التوبة فقال تعالى * قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجراً حسناً وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً اليما * فاخبر تعالى انهم سيدعوهم غير النبي صلى الله عليه وسلم الى قوم يقاتلونهم او يسلمون ووعدهم على طاعة من دعاهم الى ذلك بجزيل الاجر العظيم وتوعدهم على عصيان الداعي لهم الى ذلك العذاب الاليم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وما دعا اولئك الاعراب احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوم يقاتلونهم او يسلمون الا ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فان ابا بكر رضي الله عنه دعاهم الى قتال مرتدي العرب بني حنيفة واصحاب الاسود وسجاح وطليحة والروم والفرس وغيرهم ودعاهم عمر الى قتال الروم والفرس وعثمان دعاهم الى قتال الروم والفرس والترك فوجب طاعة

ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بنص القرآن الذي لا يحتمل تأويلا واذ قد وجبت طاعتهم فرضاً فقد صحت امامتهم وخلافتهم رضي الله عنهم وليس هذا بموجب تقليدهم في غير ما امر الله تعالى بطاعتهم فيه لان الله تعالى لم يأمر بذلك الا في دعائهم الى قتال هؤلاء القوم وفيما يجب الطاعة فيه للأئمة جملة وبالله تعالى التوفيق . وأما ما أفتوا به باجتهادهم فما اوجبوا هم قط اتباع اقوالهم فيه فكيف ان يوجب ذلك غيرهم وبالله تعالى التوفيق . وايضا فان هذا اجماع الائمة كلها اذ ليس احد من اهل العلم الا وقد خالف بعض فتاوي هؤلاء الأئمة الثلاثة رضي الله عنهم فصح ما ذكرنا والحمد لله رب العالمين

﴿ فصل قال ابو محمد ﴾ وجميع فرق اهل القبلة ليس منهم احد يجيز امامة امرأة ولا امامة صبي لم يبلغ الا الرافضة فانها تجيز امامة الصغير الذي لم يبلغ والحمل في بطن أمه وهذا خطأ لان من لم يبلغ فهو غير مخاطب والامام مخاطب باقامة الدين وبالله تعالى التوفيق . قال الباقلاني واجب ان يكون الامام افضل الامة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا خطأ متيقن لبرهانين احدهما انه لا يمكن ان يعرف الافضل الا بالظن في ظاهر امره وقد قال تعالى « ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » والثاني ان قريشاً قد كثرت وطبقت الارض من اقصى المشرق الى اقصى المغرب ومن الجنوب الى الشمال ولا سبيل ان يعرف الافضل من قوم هذا مبلغ عددهم بوجه من الوجوه ولا يمكن ذلك اصلا ثم يكفي من بطلان هذا القول اجماع الامة على بطلانه فان جميع من ادرك من الصحابة رضي الله عنه من جميع المسلمين في ذلك العصر قد اجمعوا على صحة امامة الحسن او معاوية وقد كان في الناس افضل منهم بلا شك كسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وابن عمر وغيرهم فلو كان ما قاله الباقلاني حقا لكانت امامة الحسن ومعاوية باطلة وحاشا الله عز وجل من ذلك . وايضاً فان هذا القول الذي قاله هذا المذكور دعوي فاسدة ولا على صحتها دليل لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من قول صاحب ولا من قياس والعجب كله ان يقول انه جائز ان يكون في هذه الامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث بعث الى ان مات ثم لا يجيز ان يكون احد افضل من الامام

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا القول منه في النبي صلى الله عليه وسلم كفر مجرد ولا خفاء به وفيه

خلاف

خلاف لاهل الاسلام وانما يجب ان يكون الامام قرشياً بالغا ذكراً مميزاً بريئا من المعاصي الظاهرة حاكماً بالقرآن والسنة فقط ولا يجوز خلعه ما دام يمكن منعه من الظلم فان لم يمكن الا بازالته ففرض ان يقام كل ما يوصل به الى دفع الظلم لقول الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف المسلمون فيمن هو افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام فذهب بعض اهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة الى ان أفضل الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب وقد روينا هذا القول نصاً عن بعض الصحابة رضي الله عنهم وعن جماعة من التابعين والفقهاء وذهبت الخوارج كلها وبعض اهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة الى ان افضل الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر . وروينا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن ابي طالب وبهذا قال ابو عاصم النبيل وهو الضحاك بن مخلد وعيسى بن حاضر قال عيسى وبعد جعفر حمزة رضي الله عنه . وروينا عن نحو عشرين من الصحابة ان اكرم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وروينا عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وثلاث رجال لا يعد احد عليهم بفضل سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر وروينا عن ام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها انها تذكرت الفضل ومن هو خير فقالت ومن هو خير من ابي سلمة اول بيت هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وروينا عن مسروق بن الاجدع وتميم بن حذلم وابراهيم النخعي وغيرهم ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود قال تميم وهو من كبار التابعين رأيت ابا بكر وعمر فما رأيت مثل عبد الله بن مسعود وروينا عن بعض من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وانه افضل من ابي بكر رضي الله عنهما وبلغني عن محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري انه كان يذهب الى هذا القول . قال داود بن علي الفقيه رضي الله عنه افضل الناس بعد الانبياء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وافضل الصحابة

الاولون من المهاجرين ثم الاولون من الانصار ثم من بعدهم منهم ولا نقطع على انسان منهم
بعينه انه افضل من آخر من طبقته ولقد رأينا من متقدمي اهل العلم ممن يذهب الى هـذا
القول وقال لي يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري غير مامرة ان هذا هو قوله ومعتقده

﴿ قال ابو محمد ﴾ والذي نقول به وندين الله تعالى عليه ونقطع على انه الحق عند الله عز وجل
ان افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ابو بكر ولا
خلاف بين احد من المسلمين في ان امة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الامم لقول الله عز
وجل « كنتم خير أمة اخرجت للناس » وان هذه قاضية على قوله تعالى لبني اسرائيل « وفضلناكم
على العالمين » وانها مبينة لان مراد الله تعالى من ذلك عالم الامم حاشا هذه الامة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ثم نقول وبالله تعالى التوفيق ان الكلام المهمل دون تحقيق المعنى المراد
بذلك الكلام فانه طمس للمعاني وصد عن ادراك الصواب وتعريج عن الحق وابعاد عن
الفهم وتخليط وعمي فلنبدأ بعون الله تعالى وتأييده بتقسيم وجوه الفضل التي بها يستحق التفاضل
فاذا استبان معنى الفضل وعلى ما ذا تقع هذه اللفظة فبالضرورة نعلم حينئذ ان من وجدت
فيه هذه الصفات اكثر فهو افضل بلا شك فنقول ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ان الفضل ينقسم الى قسمين لا ثالث لهما فضل اختصاص من الله عز وجل بلا عمل وفضل
مجازاة من الله تعالى بعمل فاما فضل الاختصاص دون عمل فانه يشترك فيـه جميع المخلوقين
من الحيوان الناطق والحيوان غير الناطق والجمادات والاعراض كفضل الملائكة في ابتداء
خلقهم على سائر الخلق وكفضل الانبياء في ابتداء خلقهم على سائر الجن والانس وكفضل
ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الاطفال وكفضل ناقة صالح عليه السلام على
سائر النوق وكفضل ذبيحة ابراهيم عليه السلام على سائر الذبائح وكفضل مكة على سائر البلاد
وكفضل المدينة بعد مكة على غيرها من البلاد وكفضل المساجد على سائر البقاع وكفضل
الحجر الاسود على سائر الحجارة وكفضل شهر رمضان على سائر الشهور وكفضل يوم الجمعة
وعرفة وعاشوراء والعشر على سائر الايام وكفضل ليلة القدر على سائر الليالي وكفضل صلاة
الفرض على النافلة وكفضل صلاة العصر وصلاة الصبح على سائر الصلوات وكفضل السجود
على القعود وكفضل بعض الذكر على بعض فهذا هو فضل الاختصاص المجرد بلا عمل

فاما

فاما فضل المجازاة بالعمل فلا يكون البتة الا للحي الناطق من الملائكة والانس والجن فقط
وهذا هو القسم الذي تنازع الناس فيه في هذا الباب الذي نتكلم فيه الان من أحق به
فوجب ان ننظر أيضاً في اقسام هذا القسم التي بها يستحق الفضل فيـه والتقدم فنحصرها
ونذكرها بحول الله وقوته ثم ننظر حينئذ من هو أحق به واسعد بالتسوق فيه فيكون
بلا شك افضل ممن هو أقل حظا فيها بلا شك وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله تعالى نستعين
ان العامل يفضل العامل في عمله بسبعة أوجه لا ثامن لها وهي المائية وهي عين العمل وذاته
والكمية وهي العرض في العمل والكيفية والكم والزمان والمكان والاضافة فأما المائية فهي ان
تكون الفروض من أعمال احدهما موافاة كلها ويكون الآخر يضيع بعض فروضه وله نوافل
او يكون كلاهما وفي جميع فرضه ويعملان نوافل زائدة الا ان نوافل احدهما أفضل من نوافل
الآخر كأن يكون احدهما يكثر الذكر في الصلاة والآخر يكثر الذكر في حال جلوسه وما
أشبه هذا وكانسانين قاتل احدهما في المعركة والموضع المخوف وقاتل الآخر في الردء او جاهد
احدهما واشتغل الآخر بصيام وصلاة تطوع او يجتهدان فيصادف احدهما ويحرمه الآخر
فيفضل احدهما الآخر في هذه الوجوه بنفس عمله او بان ذات عمله افضل من ذات عمل
الآخر فهذا هو التفاضل في المائية من العمل وأما الكمية وهي العرض فان يكون احدهما
يقصد بعمله وجه الله تعالى لا يمزج به شيئاً البتة ويكون الآخر يساويه في جميع عمله الا انه
ربما مزج بعمله شيئاً من حب البر في الدنيا وان يستدفع بذلك الأذى عن نفسه وربما مزجه
بشيء من الرياء فيفضله الاول بعرضه في عمله وأما الكيفية فان يكون احدهما يوفي عمله جميع
حقوقه ورتبه لا منتقصاً ولا متزيداً ويكون الآخر ربما انتقص بعض رتب ذلك العمل
وسننه وان لم يعطل منه فرضاً او يكون احدهما يصفي عمله من الكبائر وربما أتى الآخر
ببعض الكبائر فيفضله الآخر بكيفية عمله وأما الكم فان يستويا في أداء الفرض ويكون احدهما
اكثر نوافل فيفضله هذا بكثرة عدد نوافله كما روي في رجلين اسلما وهاجرا ايام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم استشهد احدهما وعاش الآخر بعده سنة ثم مات على فراشه فرأى
بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما في النوم وهو آخرهما موتاً في أفضل من حال
الشهيد فسأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام كلاماً معناه فأين

صلاته وصيامه بعده ففضل احدهما الآخر بالزيادة التي زادها عليه في عدد اعماله وأما الزمان
فكمن عمل في صدر الاسلام او في عام المجاعة او في وقت نازلة بالمسلمين وعمل غيره بعد
قوة الاسلام وفي زمن رخاء وأمن فان الكلمة في اول الاسلام والتمرة والصبر حينئذ وركعة
في ذلك الوقت تعدل اجتهاد الازمان الطوال وجهادها وبذل الاموال الجسام بعد ذلك
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعو الى أصحابي فلو كان لاحدكم مثل احد ذهباً
فأنفقه ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه فكان نصف مد شعير او تمر في ذلك الوقت افضل من
جبل أحد ذهباً ننفقه نحن في سبيل الله عز وجل بعد ذلك قال الله تعالى «لا يستوي منكم من
انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا
وعد الله الحسنى «

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا في الصحابة فيما بينهم فكيف بمن بعدهم معهم رضي الله عنهم أجمعين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا يكذب قول أبي هاشم محمد بن علي الجبائي وقول محمد بن الطيب
الباقلاني فان الجبائي قال جائز ان طال عمر امرئ ان يعمل ما يوازي عمل نبي من الانبياء
وقال الباقلاني جائز ان يكون في الناس من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حيث بعث بالنبوة الى ان مات

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كفر مجرد وردة وخروج عن دين الاسلام بلا مرية وتكذيب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم في اخباره انا لا ندرك احداً من اصحابه وفي اخباره عليه السلام عن
اصحابه رضي الله عنهم بأنه ليس مثلهم وانه اتقاهم لله واعلمهم بما يأتي وما يذر وكذلك قالت
الخوارج والشيعة فان الشيعة يفضلون انفسهم وهم شر خلق الله عز وجل على ابي بكر وعمر
وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وجميع الصحابة رضي الله عنهم حاشا عليا والحسن والحسين
وعمار بن ياسر والخوارج يفضلون انفسهم وهم شر خلق الله تعالى وكلاب النار على عثمان
وعلي وطلحة والزبير ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكذلك القليل من الجهاد والصدقة في زمان الشدائد أفضل من كثيرهما
في وقت القوة والسعة وكذلك صدقة المرء بدرهم في زمان فقره وصحته يرجو الحياة ويخاف
الفقر أفضل من الكبير يتصدق به في عرض غناه وفي وصيته بعد موته وقد صح عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة الف وهو انسان كان له درهمان تصدق باحدهما
والآخر عمد الى عرض ماله تصدق منه بمائة الف وكذلك صبر المرء على اداء الفرائض في
حال خوفه ومرضه وقليل تنفله في زمان مرضه وخوفه افضل من عمله وكثير تنفله في زمان
صحته وامنه ففضل من ذكرنا غيرهم بزمان عملهم وكذلك من وفق لعمل الخير في زمان آخر
اجله هو افضل ممن خلط في زمان آخر اجله واما المكان فكصلاة في المسجد الحرام أو مسجد
المدينة فهما افضل من الف صلاة فيما عداهما وتفضل الصلاة في المسجد الحرام على الصلاة في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة درجة وكصيام في بلد العدو او في الجهاد على صيام
في غير الجهاد ففضل من عمل في المكان الفاضل غيره ممن عمل في غير ذلك المكان بمكان عمله
وان تساوى العملان واما الاضافة فركعة من نبي او ركعة مع نبي او صدقة من نبي او صدقة
معه او ذكر منه او ذكر معه وسائر اعمال البر منه او معه فقليل ذلك افضل من كثير الاعمال
بعده ويبين ذلك ما قد ذكرنا آنفاً من قول الله عز وجل « لا يستوي منكم من انفق من
قبل الفتح وقاتل « واخباره عليه السلام ان احدنا لو انفق مثل احد ذهباً ما بلغ نصف مد
من احد من الصحابة رضي الله عنهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وبهذا قطعنا على ان كل عمل عملوه بانفسهم بعد موت النبي صلى الله عليه
وسلم لا يوازي شيئاً من البر عمله ذلك الصاحب بنفسه مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا ماعمله
غير ذلك الصاحب بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان غير ما نقول لجاز ان يكون انس
وابو امامة الباهلي وعبدالله بن ابي اوفى وعبد الله بن بسر وعبدالله بن الحارث بن جزء وسهل
ابن سعد الساعدي رضي الله عنهم افضل من ابي بكر وعمر وعثمان وابي عبيدة وزيد بن حارثة
وجعفر بن ابي طالب ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وسعد بن معاذ وعثمان بن مظعون
وسائر السابقين من المهاجرين والانصار المتقدمين رضي الله عنهم اجمعين لان بعض اولئك
عبدوا الله عز وجل بعد موت اولئك بعضهم بعد موت بعض بتسعين عاماً فما بين ذلك الى
خمسين عاماً وهذا ما لا يقوله احد يعتد به

﴿ قال ابو محمد ﴾ وبهذا قطعنا على ان من كان من الصحابة حين موت رسول الله صلى الله
عليه وسلم أفضل من آخر منهم فان ذلك المفضول لا يلحق درجة الفاضل له حينئذ ابداً وان

طال عمر المفضول وتعجل موت الفاضل وبهذا ايضاً لم نقطع على فضل احد منهم رضي الله عنهم حاشا من ورد فيه النص من النبي صلى الله عليه وسلم ممن مات منهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بل نقف في هؤلاء على ما نبينه بعد هذا ان شاء الله تعالى

﴿قال ابو محمد﴾ فهذه وجوه الفضائل بالاعمال التي لا يفضل ذو عمل ذا عمل فيما سواها البتة ثم نتيجة هذه الوجوه كلها وثمرتها ونتيجة فضل الاختصاص المجرد دون عمل ايضاً لا ثالث لهما البتة احدهما ايجاب الله تعالى تعظيم الفاضل في الدنيا على المفضول فهذا الوجه يشترك فيه كل فاضل بعمل او اختصاص مجرد بلا عمل من عرض او جماد او حي ناطق او غير ناطق وقد امرنا الله تعالى بتعظيم الكعبة والمساجد ويوم الجمعة والشهر الحرام وشهر رمضان وناقة صالح وابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله والملائكة والنبيين على جميعهم صلوات الله وسلامه والصحابة اكثر من تعظيمنا وتوقيرنا غير ما ذكرنا ومن ذكرنا من المواضع والايام والنوق والاطفال والكلام والناس هذا ما لا شك فيه وهذا خاصة كل فاضل لا يخلو منها فاضل اصلا ولا يكون البتة الا لفاضل والوجه الثاني هو ايجاب الله تعالى للفاضل درجة في الجنة أعلى من درجة المفضول اذ لا يجوز عند احد من خلق الله تعالى ان يأمر باجلال المفضول اكثر من اجلال الفاضل ولا ان يكون المفضول اعلى درجة في الجنة من الفاضل ولو جاز ذلك لبطل معنى الفضل جملة ولكان لفظاً لا حقيقة له ولا معنى تحته وهذا الوجه الثاني الذي هو علو الدرجة في الجنة هو خاصة لكل فاضل بعمل فقط من الملائكة والانس والجن وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ فكل مأمور بتعظيمه فاضل وكل فاضل فمأمور بتعظيمه وليس الاحسان والبر والتوقير والتذلل المفترض في الابوين الكافرين من التعظيم في شيء فقد يحسن المرء الى من لا يعظم ولا يهين كاحسان المرء الى جاره وغلامه واجيره ولا يكون ذلك تعظيما وقد يبر الانسان جاره والشيخ من أكرته ولا يسمى ذلك تعظيما وقد يوقر الانسان من يخاف ضره ولا يسمى ذلك تعظيما وقد يتذلل الانسان للمتسلط الظالم ولا يسمى ذلك تعظيما وفرض على كل مسلم البراءة من ابويه الكافرين وعداوتهما في الله عز وجل قال الله عز وجل * لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او

اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه * وقال عز وجل * قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده * وقال عز وجل * وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم * فقد صح بيقين ان ما وجب للابوين الكافرين من بر واحسان وتذلل ليس هو التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل لان التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل هو مودة في الله ومحبة فيه وولاية له وأما البر الواجب للابوين الكافرين والتذلل لهما والاحسان اليهما فكل ذلك مرتبط بالعداوة لله تعالى وللبراءة منه واسقاط المودة كما قال الله تعالى في نص القرآن وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ وقد يكون دخول الجنة اختصاصاً مجرداً دون عمل وذلك للاطفال كما ذكرنا قبل فاذا قد صح ما ذكرنا قبل يقيناً بلا خلاف من احد في شيء منه فبيقين ندري انه لا تعظيم يستحقه احد من الناس في الدنيا بايجاب الله تعالى ذلك علينا بعد التعظيم الواجب علينا للانبيآء عليهم السلام اوجب ولا أوكد مما الزمناه الله تعالى من التعظيم الواجب علينا لنسآء النبي صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى * النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم * فاوجب الله لهن حكم الامومة على كل مسلم هذا سوى حق اعظامهن بالصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهن رضي الله تعالى عنهن مع ذلك حق الصحبة له كسائر الصحابة الا ان لهن من الاختصاص في الصحبة ووكيد الملازمة له عليه السلام ولطيف المنزلة عنده عليه السلام والقرب منه والحظوة لديه ما ليس لاحد من الصحابة رضي الله عنهم فهن اعلى درجة في الصحبة من جميع الصحابة ثم فضلن سائر الصحابة بحق زائد وهو حق الامومية الواجب لهن كلهن بنص القرآن فوجدنا الحق الذي به استحق الصحابة الفضل قد شاركنهم فيه وفضلنهم فيه ايضاً ثم فضلنهم بحق زائد وهو حق الامومية ثم وجدناهن لا عمل من الصلاة والصدقة والصيام والحج وحضور الجهاد يسبق فيه صاحب من الصحابة الا كان فيهن فقد كن يجهدن انفسهن في ضيق عيشهن على الكد في العمل بالصدقة والعتق ويشهدن الجهاد معه عليه السلام وفي هذا كفاية بينة في انهن افضل من كل صاحب ثم لا شك عند كل مسلم وبشهادة

نص القرآن اذ خيرهن الله عز وجل بين الدنيا وبين الدار الآخرة والله ورسوله فاخترن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الآخرة فهن ازواجه في الآخرة بيقين فاذهن كذلك فهن معه صلى الله عليه وسلم بلا شك في درجة واحدة في الجنة في قصوره وعلى سرره اذ لا يمكن البتة ان يحال بينه وبينهن في الجنة ولا ان يحط عليه السلام الى درجة يسفل فيها عن احد من الصحابة هذا ما لا يظنه مسلم فاذ لا شك في حصولهن على هذه المنزلة فبالنص والاجماع علمنا انهن لم يؤتين ذلك اختصاصاً مجرداً دون عمل بل باستحقاقهن لذلك باختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة اذ امره الله عز وجل ان يخيرهن فاخترن الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم وهو افضل الناس ثم قد حصل لهن افضل الاعمال في جميع الوجوه السبعة التي قدمنا أنفاً أنه لا يكون التفاضل الا بها في الاعمال خاصة ثم قد حصل لهن على ذلك اوكد التعظيم في الدنيا ثم قد حصل لهن ارفع الدرجات في الا خرة فلا وجه من وجوه الفضل الا ولهن فيه اعلى الحظوظ كلها بلا شك ومارية ام ابراهيم داخلة معهن في ذلك لانها معه عليه السلام في الجنة ومع ابنها منه بلا شك فاذ قد ثبت كل ذلك على رغم الأبي فقد وجب ضرورة ان يشهد لهن كلهن بانهن افضل من جميع الخلق كلهن بعد الملائكة والنبيين عليهم السلام وكيف ومعنا نص النبي صلى الله عليه وسلم كما حدثنا احمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي ثنا محمد بن احمد بن مفرج ثنا محمد بن أيوب الرقى الصموت ثنا احمد بن عمر وبن عبد الخالق البزاز ثنا احمد بن عمر وحدثنا المعتمر بن سليمان التيمي ثنا حميد الطويل عن انس بن مالك قال قيل يا رسول الله من احب الناس اليك قال عائشة قال من الرجال قال فابوها * حدثنا عبد الله بن يوسف بن نامي قال حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب ابن قيس حدثنا احمد بن محمد الاشقر حدثنا احمد بن علي القلانسي ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن يحيى بن خالد بن عبد الله هو الطحان عن خالد الحذاء عن ابي عثمان النهدي قال اخبرني عمر وبن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك فقال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا فهذان عدلان انس وعمرو يشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بان عائشة احب الناس اليه ثم ابوها وقد قال الله عز وجل عنه عليه السلام * وما ينطق عن

الهوى ان هو الا وحي يوحى * فصح ان كلامه عليه السلام انها احب الناس اليه وحي اوحاه الله تعالى اليه ليكون كذلك ويخبر بذلك لا عن هوى له ومن ظن ذلك فقد كذب الله تعالى لكن لاستحقاقها لذلك الفضل في الدين والتقدم فيه على جميع الناس الموجب لان يحبها رسول الله صلى الله عليه اكثر من محبته لجميع الناس فقد فضلها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابيها وعلى عمر وعلى وعلي فاطمة تفضيلا ظاهراً بلا شك فان قال قائل فقل ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لكونه مع ابيه عليه السلام في الجنة في درجة واحدة قلنا له وبالله تعالى التوفيق ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استحق تلك المنزلة بعمل كان منه وانما هو اختصاص مجرد وانما تقع المفاضلة بين الفاضلين اذا كان فضلهما واحداً من وجه واحد فتفاضلا فيه واما ان كان الفضل من وجهين اثنين فلا سبيل الى المفاضلة بينهما لان معنى قول القائل اي هذين افضل انما هو اي هذين اكثر اوصافاً في الباب الذي اشتركا فيه ألا ترى انه لا يقال ايهما افضل رمضان او ناقة صالح ولا ايهما افضل الكعبة او الصلاة بل نقول ايهما افضل مكة او المدينة وايهما افضل رمضان او ذو الحجة وايهما افضل الزكاة ام الصلاة وايهما افضل ناقة صالح او ناقة غيره من الانبياء فقد صح ان التفاضل انما يكون في وجه اشترك فيه المسؤل عنهما فبسق احدهما فيه فاستحق ان يكون افضل وفضل ابراهيم ليس على عمل اصلا وانما هو اختصاص مجرد واكرام لابيه صلى الله عليه وسلم واما نساؤه عليه السلام فكونهن وكون سائر اصحابه عليهم السلام في الجنة انما هو جزاء لهن ولهم على اعمالهن واعمالهم قال الله بعد ذكر الصحابة رضي الله عنهم * جزاءً بما كانوا يعملون * وقال بعد ذكر الصحابة * وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجراً عظيماً * وقال تعالى مخاطباً لنسائه عليه السلام * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين * وهذا نصٌ قولنا ولله الحمد وقال تعالى * وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون * وقال تعالى * غرف من فوقها غرف مبنية * وقال تعالى * وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى * فان قال قائل فكيف تقولون في قوله عليه السلام ان يدخل الجنة احد بعمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا نعم هذا حق موافق للآيات المذكورة

وهكذا نقول انه لو عمل الانسان دهره كله ما استحق على الله تعالى شيئاً لانه لا يجب على الله تعالى شيء اذ لا موجب للأشياء الواجبة غيره تعالى لانه المبتدي لكل ما في العالم والخالق له فلولا ان الله تعالى رحم عباده فحكم بأن طاعتهم له يعطيهم بها الجنة لما وجب ذلك عليه فصح انه لا يدخل احد الجنة بعمله مجرداً دون رحمة الله تعالى لكن يدخلها برحمة الله تعالى التي جعل بها الجنة جزاءً على أعمالهم التي اطاعوه بها فاتفقت الآيات مع هذا الحديث والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذ لا شك في هذا كله فقد امتنع يقيناً ان يجازى بالافضل من كان انقص فضلا وان يجازي بالانقص من كان اتم فضلا وصح ضرورة انه لا يجزى احد من اهل الاعمال في الجنة الا بما استحقه برحمة الله تعالى جزاء على عمله ولله تعالى ان يتفضل على من شاء بما شاء وجائز ان يقدم على ذوي الاعمال الرفيعة قال تعالى * يختص برحمته من يشاء * وقال تعالى * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء * فلا يجوز خلاف هذه النصوص لاحد لان من خالفها كذب القرآن ولو لا هذه النصوص لما ابعدنا ان يعذب الله تعالى على الطاعة له وان ينعم على معصيته وان يجازي الافضل بالأنقص والأنقص بالافضل لان كل شيء ملكه وخلقه لا مالك لشيء سواه ولا معقب لحكمه ولا حق لاحد عليه لكن قد أمنا ذلك كله باخبار الله تعالى انه لا يجازي ذا عمل الا بعمله وانه يتفضل على من يشاء فلزم الاقرار بكل ذلك وبالله تعالى التوفيق فلو قال قائل ايما أفضل في الجنة واعلى قدراً مكان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مكان ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم قلنا مكان ابراهيم اعلى بلا شك ولكن ذلك المكان اختصاص مجرد لابراهيم المذكور لم يستحقه بعمل ولا استحق ايضاً ان يقصر به عنه ومواضيع هؤلاء المذكورين جزاء لهم على قدر فضلهم وسوابقهم وكذلك نساؤه صلى الله عليه وسلم مكانهن جزاء لهن على قدر فضلهن وسوابقهن فلا يقال ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من ابي بكر اوعمر ولا يقال ايضاً ان أبا بكر وعمر افضل من ابراهيم والمفاضلة واقعة بين الصحابة وبين نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن اعمالهم وسوابقهم لها مراتب متناسبة بلا شك فان قال قائل انهن لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حصلن تلك الدرجة وانما تلك الدرجة له عليه السلام قلنا وبالله تعالى التوفيق

نعم ولا شك ايضاً في ان جميع الصحابة لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حصلوا ايضاً على الدرج التي لهم فيها فانما هي اذا على قولكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قلتم ولا فرق وبقي الفضل والتقدم لهن كما كان في كل ذلك ولا فرق

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما فضلهن على بنات النبي صلى الله عليه وسلم فبين بنص القرآن لاشك فيه قال الله عز وجل * يا نسآء النبي لستن كاحد من النسآء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول * فهذا بيان قاطع لا يسع احداً جهله فان عارضنا معارض بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائها فاطمة بنت محمد قلنا له وبالله تعالى التوفيق في هذا الحديث بيان جلي لما قلناوهو انه عليه السلام لم يقل خير النساء فاطمة وانما قال خير نسآئها فخص ولم يعم وتفضيل الله عز وجل لنسآء النبي صلى الله عليه وسلم على النسآء عموم لا خصوص لا يجوز ان يستثني منه احد الا من استثناه نص آخر فصح انه عليه السلام انما فضل فاطمة على نسآء المؤمنين بعد نسائه صلى الله عليه وسلم فاتفقت الآية مع الحديث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فهذا ايضاً عموم موافق الآية ووجب ان يستثني ما خصه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله نسائها من هذا العموم فصح ان نساءه عليه السلام افضل النساء جملة حاشا اللواتي خصهن الله تعالى بالنبوة كام اسحاق وام موسى وام عيسى عليهم السلام وقد نص الله تعالى على هذا بقوله الصادق * يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * ولا خلاف بين المسلمين في ان جميع الانبياء كل نبي منهم افضل ممن ليس بنبي من سائر الناس ومن خالف هذا فقد كفر وكذلك أخبر عليه السلام فاطمة انها سيدة نساء المؤمنين ولم يدخل نفسه صلى الله عليه وسلم في هذه الجملة بل اخبر عمن سواه وبرهان آخر وهو قول الله تعالى مخاطباً لهن * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها اجرها مرتين *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذا فضل ظاهر وبيان لائح في انهن افضل من جميع الصحابة رضي الله عنهم وبهذه الآية صحة متيقنة لا يمتري فيها مسلم فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة وسائر الصحابة رضي الله عنهم اذا عمل الواحد منهم عملا يستحق عليه مقداراً ما من الاجر وعملت امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك العمل بعينه كان لها مثل ذلك المقدار من

الاجر فاذا كان نصيف الصحابي وفاطمة رضي الله عنهم يفي بأكثر من مثل جبل احد ذهباً ممن بعده كان للمرأة من نسائه عليه السلام في نصيفها اكثر من مثلي جبلين اثنين مثل جبل احد ذهباً وهذه فضيلة ليست لاحد بعد الانبياء عليهم السلام الا هن وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يوعك كوعك رجلين من اصحابه لان له على ذلك كفلين من الاجر

﴿ قال ابو محمد ﴾ وليس بعد هذا بيان في فضلهن على كل احد من الصحابة الا من اعمى الله قلبه عن الحق ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد اعترض علينا بعض اصحابنا في هذا المكان بقول الله تعالى عن اهل الكتاب اذ آمنوا * اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا * قال فيلزم انهم افضل منا فقلت له ان هذه الآية والخبر الذي فيه ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر مؤمن اهل الكتاب والعبد الناصح ومعتق امته ثم يتزوجها فيها بيان الوجه الذي أجروا به مرتين وهو الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالنبي الاول المبعوث بالكتاب الاول ونحن نؤمن بهذا كله كما آمنوا فنحن شركاء ذلك المؤمن منهم في ذينك الايمانين وكذلك العبد الناصح يؤجر لطاعة سيده اجراً ولطاعة الله أجراً وكذلك معتق امته ثم يتزوجها يؤجر على عتقه اجراً ثم على نكاحه اذا اراد به وجه الله تعالى اجراً ثانياً فصح بالنص يقيناً ان هؤلاء انما يؤتون اجرهم مرتين في خاص من اعمالهم لا في جميع اعمالهم وليس في هذا ما يمنع من ان يؤجر غيرهم في غير هذه الاعمال اكثر من اجور هؤلاء وايضاً فانما يضاعف لهؤلاء على ما عمله اهل طبقتهم وليست المضاعفة لاجور نساء النبي صلى الله عليه وسلم مرتين من هذا في ورد ولا صدر لان المضاعفة لهن انما هي في كل عمل عملنه بنص القرآن اذ يقول تعالى * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها اجرها مرتين * فكل عمل عمله صاحب من الصحابة له فيه اجر فلكل امرأة منهن في مثل ذلك العمل اجران والمضاعفة لهن انما تكون على ما عمله طبقتهن من الصحابة وقد علمنا ان بين عمل الصاحب وعمل غيره اعظم مما بين احد ذهباً ونصف مد شعير فيقع لكل واحدة منهن مثلا ذلك مرتين وهذا لا يخفى على ذي حس سليم فبطلت المعارضة التي ذكرناها والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ واعترض علينا ايضاً بعض الناس في الحديث الذي فيه ان عائشة احب

الناس

الناس اليه ومن الرجال ابوها بان قال قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاسامة بن زيد ان اباه كان احب الناس الي وان هذا احب الناس الي بعده وصح انه عليه السلام قال للانصار انكم احب الناس الي

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما هذا اللفظ الذي في حديث اسامة بن زيد انه احب الناس اليه عليه السلام فقد روي من طريق حماد بن سلمة عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه واما الذي فيه ذكر اسامة وزيد رضي الله عنهما فانما رواه عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله عن ابيه وعمر بن حمزة هذا ضعيف والصحيح من هذا الخبر هو ما رواه عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد لا مغمز فيه فذكر فيه انه عليه السلام قال يعني لزيد بن حارثة وايم الله ان كان لخليق بالامارة وان كان لمن احب الناس الي وان هذا من احب الناس الي بعده وهذا يقضي على حديث موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه لانه مختصر من حديث عبد الله بن دينار وبهذا ينتفي التعارض بين الروايتين عن ابن عمر وعن انس وعمرو والا فليس احدهما اولى من الآخر واما حديث الانصار فرووه كما ذكره هشام بن زيد عن انس ورواه عبد العزيز بن صهيب عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انتم من احب الناس الي وهو حديث واحد وزيادة العدل مقبولة فصح بزيادة من في الحديث من طريق العدول أن الانصار وزيداً واسامة رضي الله عنهم من جملة قوم هم احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حق لا يشك فيه لانهم من اصحابه واصحابه احب الناس اليه بلا شك وليس هكذا جوابه في عائشة رضي الله عنها اذ سئل من احب الناس اليك فقال عائشة فقيل من الرجال قال ابوها لان هذا قطع على بيان ما سأل عنه السائل من معرفة من المنفرد البائن عن الناس بمحبته عليه السلام واعترض علينا بعض الاشعرية بان قال ان الله تعالى يقول * انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء * فصح ان محبته عليه السلام لمن أحب ليس فضلا لانه قد احب عمه وهو كافر

﴿ قال ابو محمد ﴾ فقلنا ان هذه الآية ليست على ما ظن وانما مراد الله تعالى * انك لا تهدي من احببت * اي احببت هداه برهان ذلك قوله تعالى * ولكن الله يهدي من يشاء * اي من يشاء هداه وفرض على النبي صلى الله عليه وسلم وعلينا ان نحب الهدى لكل كافر

لا ان نحب الكافر وايضاً فلو صح ان معنى الآية من احببت كما ظن هـذا المعترض لما كان علينا بذلك حجة لان هـذه آية مكية نزلت في ابي طالب ثم انزل الله تعالى في المدينة * لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولوكانوا أباءهم اوابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم* وانزل الله تعالى في المدينة * لقد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده * وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ابا طالب فقد حرم الله تعالى عليه بعد ذلك ونهاه عن محبته وافترض عليه عداوته وبالضرورة يدري كل ذي حس سليم ان العداوة والمحبة لا يجتمعان اصلا والمودة هي المحبة في اللغة التي بها نزل القرآن بلا خلاف من أحد من اهل اللغة فقد بطل ان يحب النبي صلى الله عليه وسلم احدا غير مؤمن وقد صحت النصوص والاجماع على ان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن احب فضيلة وذلك كقوله عليه السلام لعلي لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاذ لا شك ولا خلاف في ان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ما قال اهل الجهل والكذب فقد صح يقيناً ان كل من كان اتم حظاً في الفضيلة فهو افضل ممن هو اقل حظاً في تلك الفضيلة هذا شيء يعلم ضرورة فاذا كانت عائشة اتم حظاً في المحبة التي هي اتم فضيلة فهي افضل ممن حظه في ذلك اقل من حظها ولذلك لما قيل له عليه السلام من الرجال قال ابوها ثم عمر فكان ذلك موجباً لفضل أبي بكر ثم عمر على سائر الصحابة رضي الله عنهم فالحكم بالباطل لا يجوز في ان يكون يقدم أبو بكر ثم عمر في الفضل من اجل تقدمهما في المحبة عليهما وما نعلم نصاً في وجوب القول بتقديم ابن بكر ثم عمر على سائر الصحابة الا هذا الخبر وحده

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على ما ينكح له من النساء فذكر الحسب والمال والجمال والدين ونهي صلى الله عليه وسلم عن كل ذلك بقوله فعليك بذات الدين تربت يداك فمن المحال الممتنع ان يكون يحض على نكاح النساء واختيارهن للدين فقط ثم يكون هو عليه السلام يخالف ذلك فيحب عائشة لغير الدين وكذلك قوله عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام لا يحل لمسلم ان يظن في ذلك شيئاً غير الفضل عند الله تعالى في الدين فوصف الرجل امرأته للرجال لا يرضى به الاخسيس نذل ساقط ولا

يحل لمن له ادنى مسكة من عقل ان يمر هذا بباله عن فاضل من الناس فكيف عن المقدس المطهر البائن فضله على جميع الناس صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولولا انه بلغنا عن بعض من يصدر لنشر العلم من زماننا وهو المهلب بن ابي صفرة التميمي صاحب عبدالله بن ابراهيم الاصيل انه اشار الى هذا المعنى القبيح وصرح به ما انطلق لنا بالايماء اليه لسان ولكن المنكر اذا ظهر وجب على المسلمين تغييره فرضاً على حسب طاقتهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكذلك عرض الملك لها رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ولادتها في سرقة من حرير يقول له هذه زوجتك فيقول عليه السلام ان يكن من عند الله يمضه فهل بعد هذا في الفضل غاية

﴿ قال ابو محمد ﴾ واعترض علينا مكي بن ابي طالب المقري بان قال يلزم على هذا ان تكون امرأة ابي بكر افضل من على لان امرأة ابي بكر مع ابي بكر في الجنة في درجة واحدة وهي اعلى من درجة على فمنزلة امرأة ابي بكر اعلى من منزلة علي فهي افضل من علي

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاجبناه بان قلنا له وبالله تعالى نتأيد ان هذا الاعتراض ليس بشيء لوجوه احدها ان ما بين درجة ابي بكر ودرجة علي في الفضل الموجب لعلو درجته في الجنة على درجة علي ليست من التباين بحيث هو ما بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وبين درجة ابي بكر في الفضل الموجب لعلو درجته عليه السلام على درجات سائر الصحابة رضي الله عنهم بل قد ايقنا ان درجة اقل رجل منا في الفضل اقرب نسبة من اعلى درجة لاعلى رجل من الصحابة من نسبة درجة افضل الصحابة الى درجة النبي صلى الله عليه وسلم وايضاً فليس بين ابي بكر وعلي في المباينة في الفضل ما يوجب ان تكون امرأة ابي بكر التابعة له افضل من علي بل منازل المهاجرين الاولين الذين اوذوا في سبيل الله عز وجل متقاربة وان تفاضلت ثم كذلك اهل السوابق مشهداً مشهداً درجهم في الفضل متقاربة وان تفاضلت ثم منازل الانصار الاولين متقاربة وان تفاضلت ثم كذلك اهل السابق بعد الهجرة مشهداً مشهداً درجهم متقاربة في الفضل ثم كذلك من اسلم بعد الفتح ايضاً ويزداد الافضل فالافضل من المشركين في المشاهد جزاء على ذلك فنقول ان امرأة ابي بكر

المستحقة بعملها السكون معه في درجته مثل ام رومان لسنا ندري اهي افضل ام علي لانا لا نص معنا في ذلك والتفضيل لا يعرف الا بنص وقد قال عليه السلام خيركم القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم اوكما قال عليه السلام فجعلهم طبقات في الخير والفضل فلا شك هم كذلك في الجزآء في الجنة والا فكان يكون الفضل لا معنى له وقال عز وجل * هل تجزون الا ما كنتم تعملون *وايضاً فلسنا نشك ان المهاجرات الاولات من نساء الصحابة رضي الله عنهم يشاركن الصحابة في الفضل ففاضلة ومفضولة وفاضل ومفضول ففيهن من يفضل كثيراً من الرجال وفي الرجال من يفضل كثيراً منهن وما ذكر الله تعالى منزلة من الفضل الا وقرن النساء مع الرجال فيها كقوله تعالى * ان المسلمين والمسلمات * الآية حاشا الجهاد فانه فرض على الرجال دون النساء ولسنا ننكر ان يكون لابي بكر رضي الله عنه قصور ومنازل مقدمة على جميع الصحابة ثم يكون لمن لم تستأهل من نسائه تلك المنزلة منازل في الجنة دون منازل من هو افضل منهن من الصحابة فقد نكح الصحابة رضي الله عنهم التابعيات بعد الصاحبات وعليهن فتكون تلك المنازل زائدة في فضل ازواجهن من الصحابة فينزلون اليهن ثم ينصرفون الى منازلهن العالية بل قد صح هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم وانه قال كلاماً معناه واكثر نصه انه عليه السلام زعيم ببيت في ربض الجنة وفي وسط الجنة وفي أعلى الجنة لمن فعل كذا امراً وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصح نص ما قلنا من ان لمن دونه عليه السلام منازل عالية واخر مسفلة عن تلك المنازل ينزلون اليها ثم يصعدون الى الاعالي وهذا مبعد عن النبي صلى الله عليه وسلم لوجهين احدهما ان جميع نسائه عليه السلام لهن حق الصحبة التي يشتركن فيها جميع الصحابة ويفضلنهم فيها بقرب الخاصة فليس في نسائه عليه السلام ولا واحدة يفضلها بالصحبة التي هي فضيلتهم التي بها بانوا عمن سواهم فقط وقد كفينا الباب والوجه الثاني ان تأخر بعض الصحابة عن بعضهم في بعض الاماكن موجود وان كان ذلك المتأخر في بعض الاماكن متقدماً في مكان آخر فقد علمنا ان بلالا عذب في الله عز وجل ما لم يعذب علي وان عليا قاتل ما لم يقاتل بلال وان عثمان انفق ما لم ينفق بلال ولا علي فيكون المفضول منهم في الجملة متقدماً للذي فضله في بعض فضائله ولا سبيل ان يوجد هذا فيما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ان يتقدمه احد من ولد آدم في شيء من

الفضائل اولها عن آخرها ولا الى ان يلحقه لاحق في شيء من الفضائل من بني آدم فلا سبيل الى ان ينسفل النبي صلى الله عليه وسلم الى درجة يوازيه فيها صاحب من الصحابة فكيف ان يعلو عليه الصاحب هذا أمر تقشعر منه جلود المؤمنين وقد استعظم ابو أيوب رضي الله عنه ان يسكن في غرفة على بيت يسكنه النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يظن بأن هذا يكون في دار الجزاء فاذا كان العالي من الصحابة في اكثر منازله ينسفل أيضاً في بعضها عن صاحب آخر قد علاه في منازل أخر على قدر تفاضلهم في اعمالهم كما ذكرنا آنفاً فقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الصائمين يدعون من باب الريان وان المجاهدين يدعون من باب الجهاد وان المتصدقين يدعون من باب الصدقة وان ابا بكر يرجو له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعى من جميع تلك الابواب وقد يجوز ان يفضل ابا بكر رضي الله عنه غيره من الصحابة في بعض تلك الوجوه ممن انفرد بباب منها ولا يجوز ان يفضل احد رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من ابواب البر فبطل هذا الاعتراض جملة والحمد لله رب العالمين واعترض ايضاً علينا مكي بن ابي طالب بان قال اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من موسى عليه السلام ومن كل واحد من الانبياء عليهم السلام وكان عليه السلام اعلى درجة في الجنة من جميع الانبياء عليهم السلام وكان نساؤه عليه السلام معه في درجته في الجنة فدرجتهن فيها اعلى من درجة موسى عليه السلام ومن درج سائر الانبياء عليهم السلام فهن على هذا الحكم افضل من موسى وسائر الانبياء عليهم السلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاجبناه بان هذا الاعتراض ايضاً لا يلزمنا ولله الحمد لان الجنة دار ملك وطاعة وعلو منزلة ورياسة واتباع من التابع للمتبوع كما قال عز وجل * واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيراً * وقال تعالى عن موسى عليه السلام * وكان عند الله وجيهاً * واخبر عز وجل عن جبريل صلى الله عليه وسلم * فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين * فقد علمنا ان ملك الدنيا غرور وان ملك الآخرة هو الحقيقة وقد اخبر عليه السلام انه رأى الانبياء عليهم السلام مع اتباعهم فالنبي معه الواحد والاثنان والثلاثة والنفر والجماعة فاخبر عز وجل ان هنالك الملك الكبير والطاعة والوجاهة والاتباع والاستئمار وانما عرض الله تعالى علينا في الدنيا من الملك طرفاً لنعلم به مقدار الملك الذي في دار الجزاء كما عرض علينا من اللذات

والحرير والديباج والخمر والذهب والفضة والمسك والجواري والحلي واعلمنا ان هذا كله خالصة لنا هنالك وكما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آخر من يدخل الجنة يذكر على اعظم ملك عرفه في الدنيا فيتمنى مثل ملكه فيعطيه الله تعالى مثل الدنيا عشر مرات .

﴿قال ابو محمد﴾ فلما صح ما ذكرنا وكانت الملائكة طبقة واحدة الا انهم يتفاضلون فيها وكانت طبقة المرسلين النبيين طبقة واحدة والنبيون غير المرسلين طبقة واحدة لانهم ايضاً يتفاضلون فيها وكل الصحابة طبقة واحدة الا انهم يتفاضلون فيها فوجب بلا شك ان لا يكون اتباع الرسل من النساء والاصحاب كالمتبوعين الذين هم الرسل لان بالضرورة نعلم ان تابع الاعلى ليس لاحقا نظير متبوعه فكيف ان يكون اعلى منه كما ان التابعيات من نساء الصحابة رضي الله عنهم لا يلحقن نظراء ازواجهن من الصحابة اذ ليس هن معهم في طبقة وانما ينظر بين اهل كل طبقة ومن هو في طبقته ونساء النبي صلى الله عليه وسلم طبقة واحدة مع الصحابة فصح التفاضل بينهم وليس واحدة منهن ولا منهم مع الانبياء في طبقة فلم يجز ان ينظر بينهم وقد اخبر عليه السلام انه رأى ليلة الاسراء الانبياء عليهم السلام في السموات سماء سماء وبالضرورة نعلم ان منزلة النبي الذي هو متبوع في سماء الدنيا امره هناك مطاع اعلى من منزلة التابع في السماء السابعة للنبي الذي هناك واذ قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان كل نبي يأتي مع أمته فنحن مع نبينا صلى الله عليه وسلم فان كان ما الزمناه مكي لازماً لنا فيلزمه مثل ذلك فينا ايضاً ان نكون افضل من الانبياء وهذا غير لازم لما ذكرنا من انه لا ينظر في الفضل الا بين من كان من اهل طبقة واحدة فمن كان منهم اعلى منزلة من الآخر كان افضل منه بلا شك وليس ذلك في الطباق المختلفة الا ترى ان كون مالك خازن النار في مكان غير مكان خازن الجنة وغير مكان جبرائيل لا تحط درجته عن درجة من في الجنة من الناس الذين الملائكة جملة افضل منهم لان مالكا متبوع للنار ومقدم مطاع مفضل بذلك على التابعين والخدمة في الجنة بلا شك فبطل هذا الشغب ويجمع هذا الجواب باختصار وهو ان الرؤساء والمتبوعين في كل طبقة في الجنة اعلى من التابعين لهم ونساء النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كلهم اتباع له عليه السلام وجميع الانبياء متبوعون فانما ينظر بين المتبوعين ايهم افضل وينظر بين الاتباع ايهم افضل ويعلم الفضل بعلو درجة كل فاضل بمن دونه في الفضل ولا يجوز ان ينظر بين الاتباع والمتبوعين لان المتبوعين لا يكونون

البتة

البتة احط درجة من التابعين وبالله تعالى التوفيق . فان قال قائل فكيف يقولون في الحور العين أهن أفضل من الناس ومن الانبياء كما قلتم في الملائكة . فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الفضل لا يعرف الا ببرهان مسموع من الله تعالى في القرآن أو من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ولم نجد الله تعالى نص على فضل الحور العين كما نص على فضل الملائكة وانما نص على انهن مطهرات حسان عرب أتراب يجامعن ويشاركن أزواجهن في اللذات كلها وانهن خلقن ليلتذ بهن المؤمنون فاذ الامر هكذا فانما محل الحور العين محل من هن له فقط ان ذلك اختصاص لهن بلا عمل وتكليف فهن خلاف الملائكة في ذلك وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ ومما يؤكد قولنا قول الله تعالى ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون وهذا النص اذ قد صح فقد وجب الاقرار به فلو عجزنا عن تفضيل بعض أقسام هذه الاعتراضات لما ألزمنا في ذلك نقصاً اذ لا يجوز الاعتراض على هذا النص وكلما صح بيقين فلا يجوز ان يعارض بيقين آخر والبرهان لا يبطله برهان وقد أوضحنا ان الجنة دار جزاء على أعمال المكلفين فأعلاهم درجة أعلاهم فضلا ونساء النبي صلى الله عليه وسلم أعلا درجة في الجنة من جميع الصحابة فهن أفضل منهن فمن أبي هذا فليخبرنا ما معنى الفضل عنده اذ لا بد ان يكون لهذه الكلمة معنى فان قال لا معنى لها فقد كفانا مؤنته وان قال ان لها معنى سألناه ما هو فانه لا يجد غير ما قلناه وبالله تعالى التوفيق فكيف وقد أيدنا بتأييد الله عز وجل لنا على كلما اعترض علينا به في هذا الباب ولاح الوجه في ذلك بيناً والحمد لله رب العالمين

﴿قال أبو محمد﴾ واستدركنا بياناً زائداً في قول النبي صلى الله عليه وسلم في ان فاطمة سيدة نساء المؤمنين أو نساء هذه الامة فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الواجب مراعاة الفاظ الحديث وانما ذكر عليه السلام في هذا الحديث السادة ولم يذكر الفضل وذكر عليه السلام في حديث عائشة الفضل نصا بقوله عليه السلام وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

﴿قال أبو محمد﴾ والسادة غير الفضل ولا شك ان فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء العالمين بولادة النبي صلى الله عليه وسلم لها فالسادة من باب الشرف لا من باب الفضل فلا تعارض

بين الحديثين البتة والحمد لله رب العالمين وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما وهو حجة في اللغة العربية كان ابو بكر خيراً وافضل من معاوية وكان معاوية اسود من ابي بكر ففرق ابن عمر كما ترى بين السادة والفضل والخير وقد علمنا ان الفضل هو الخير نفسه لان الشيء اذا كان خيراً من شيء آخر فهو افضل منه بلا شك

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد قال قائل ممن يخالفنا في هذا قال الله عز وجل * وليس الذكر كالانثى * فقلنا وبالله تعالى التوفيق فأنت اذا عند نفسك افضل من مريم وعائشة وفاطمة لانك ذكر و هؤلاء أناث فان قال هذا الحق بالنوكي وكفر فان سئل عن معنى الآية قيل له الآية على ظاهرها ولا شك في ان الذكر ليس كالأنثى لانه لو كان كالأنثى لكان أنثى والانثى ايضاً ليست كالذكر لان هذه انثى وهذا ذكر وليس هذا من الفضل في شيء البتة وكذلك الحمرة غير الخضرة والخضرة ليست كالحمرة وليس هذا من باب الفضل فان اعترض معترض بقول الله تعالى * وللرجال عليهن درجة قيل له انما هذا في حقوق الازواج على الزوجات ومن اراد حمل هذه الآية على ظاهرها لزمه ان يكون كل يهودي وكل مجوسي وكل فاسق من الرجال افضل من أم موسى وأم عيسى وأم اسحاق عليهم السلام ومن نساء النبي صلى الله عليه وسلم وبناته وهذا كفر ممن قاله باجماع الامة وكذلك قوله تعالى * أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين * انما ذلك في تقصيرهن في الاغلب عن المحاجة لقلة ذريتهن وليس في هذا ما يحط من الفضل عن ذوات الفضل منهن فان اعترض معترض فقال الذي امرنا بطاعتهم من خلفاء الصحابة رضي الله عنهم افضل من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى * اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم * فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان هذا خطأ من جهات احداها ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم من جملة اولي الامر منا الذين أمرنا بطاعتهم فيما بلغن الينا عن النبي صلى الله عليه وسلم كالائمة من الصحابة سواء ولا فرق والوجه الثاني ان الخلافة ليست من قبل فضل الواحد في دينه فقط وجبت لمن وجبت له وكذلك الامارة لان الامارة قد تجوز لمن غيره افضل منه وقد كان عمر رضي الله عنه مأمورا بطاعة عمرو بن العاص اذ أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات السلاسل فبطل ان تكون الطاعة انما تجب للافضل فالافضل وقد أمر النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كثيراً ولم يؤمر أبا ذر وأبو ذر افضل خير منهما بلا شك وأيضاً فانما وجبت طاعة الخلفاء من الصحابة رضي الله عنهم في أوامرهم مذ ولوا لا قبل ذلك ولا خلاف في ان الولاية لم تزدهم فضلا على ما كانوا عليه وانما زادهم فضلا عدلهم في الولاية لا الولاية نفسها وعدلهم داخل في جملة اعمالهم التي يستحقون الفضل بها الا ترى ان معاوية والحسن اذ وليا كانت طاعتهما واجبة على سعد بن ابي وقاص وسعد افضل منهما ببون بعيد جداً وهو حي معهما مأمور بطاعتهما وكذلك القول في جابر وانس بن مالك وابن عمر رضي الله عنهم في وجوب طاعة عبد الملك بن مروان والذي بين جابر وانس وابن عمر وبين عبد الملك في الفضل كالذي بين النور والظلمة فليس في وجوب طاعة الولاة ما يوجب لهم فضلا في الجنة فان اعترض معترض بقول الله تعالى * والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين * فبيان اعتراضه ظاهر في آخر الآية وهو ان الحاق الذرية بالاباء لا يقتضي كونهم معهم في درجة ولا هذا مفهوم من نص الاية بل انما فيها الحاقهم بهم فيما ساووهم فيه بنص الاية ثم بين تعالى ذلك ولم يدعنا في شك بقوله * كل امرئ بما كسب رهين * فصح ان كل واحد من الاباء والابناء يجازى حسب ما كسب فقط وليس حكم الازواج كذلك بل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم معه في قصوره وعلى سرره ملتذ بهن ومعهن جزاء لهن بما عملن من الخير وبصبرهن واختيارهن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الاخرة وهذه منزلة لا يحلها احد بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فهن افضل من كل واحد دون الانبياء عليهم السلام فان شغب مشغب بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين اسلب للب الرجل الحازم من احداكن قلنا له وبالله تعالى التوفيق ان حملت هذا الحديث على ظاهره فيلزمك ان تقول انك اتم عقلا ودينا من مريم وأم موسى وام اسحاق ومن عائشة وفاطمة فان تمادى على هذا سقط الكلام معه ولم يبعد عن الكفر وان قال لا سقط اعتراضه واعترف بان من الرجال من هو انقص ديناً وعقلا من كثير من النساء فان سأل عن معنى هذا الحديث . قيل له قد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه ذلك النقص وهو كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل وكونها

اذا حاضت لا تصلي ولا تصوم وليس هذا بموجب نقصان الفضل ولا نقصان الدين والعقل في غير هذين الوجهين فقط اذ بالضرورة ندري ان في النساء من هن افضل من كثير من الرجال واتم دينا وعقلا غير الوجوه التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام لا يقول الا حقا فصح يقيناً انه انما عبر عليه السلام ما قد بينه في الحديث نفسه من الشهادة والحيض فقط وليس ذلك مما ينقص الفضل فقد علمنا ان ابا بكر وعمر وعلياً لو شهدوا في زنا لم يحكم بشهادتهم ولو شهد به اربعة منا عدول في الظاهر حكم بشهادتهم وليس ذلك بموجب اننا افضل من هؤلاء المذكورين وكذلك القول في شهادة النساء فليست الشهادة من باب التفاضل في ورد ولا صدر لكن يقفا فيها عند ما حده النص فقط ولا شك عند كل مسلم في ان صواحبه من نسائه وبناته عليهم السلام كخديجة وعائشة وفاطمة وأم سلمة افضل دينا ومنزلة عند الله تعالى من كل تابع اتى بعدهن ومن كل رجل يأتي في هذه الامة الى يوم القيامة فبطل الاعتراض بالحديث المذكور وصح انه على ما فسرناه وبيناه والحمد لله رب العالمين . وايضا فقول الله تعالى ﴿ يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ﴾ مخرج لهن عن سائر النساء في كل ما اعترض به معترض مما ذكرناه وشبهه

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان اعترض معترض بقول النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وامرأة فرعون فان هذا الكمال انما هو الرسالة والنبوة التي انفرد بها الرجال وشاركهم بعض النساء في النبوة وقد يتفاضلون أيضاً فيها فيكون بعض الانبياء اكمل من بعض ويكون بعض الرسل اكمل من بعض قال الله عز وجل ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ فانما ذكر في هذا الخبر من بلغ غاية الكمال في طبقته ولم يتقدمه منهم أحد وبالله تعالى التوفيق فان اعترض معترض بقوله عليه السلام لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة فلا حجة له في ذلك لانه ليس امتناع الولاية فيهن بموجب لهن نقص الفضل فقد علمنا ان ابن مسعود وبلالا وزيد ابن حارثة رضي الله عنهم لم يكن لهم حظ في الخلافة وليس بموجب ان يكون الحسن وابن الزبير ومعاوية أفضل منهم والخلافة جائزة لهؤلاء غير جائزة لاولئك ومنهم في الفضل ما لا يجهله المسلم

قال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وأما أفضل نسائه فعائشة وخديجة رضي الله عنهما لعظم فضائلهما واخباره عليه السلام ان عائشة أحب الناس اليه وان فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقد ذكر عليه السلام خديجة بنت خويلد فقال أفضل نسائها مريم بنت عمران وافضل نسائها خديجة بنت خويلد مع سابقة خديجة في الاسلام وثباتها رضي الله عنها ولام سلمة وسودة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وحفصة سوابق في الاسلام عظيمة واحمال للمشقات في الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والهجرة والغربة عن الوطن والدعاء الى الاسلام والبلاء في الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ولكنهن بعد ذلك الفضل المبين رضوان الله عليهن أجمعين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه مسألة نقطع فيها على اننا المحققون عند الله عز وجل وان من خالفنا فيها مخطئ عند الله عز وجل بلا شك وليست مما يسع الشك فيه أصلا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان قال قائل هل قال هذا أحد قبلكم قلنا له وبالله تعالى التوفيق وهل قال غير هذا أحد قبل من يخالفنا الآن وقد علمنا ضرورة ان لنساء النبي صلى الله عليه وسلم منزلة من الفضل بلا شك فلا بد من البحث عنها فليقل مخالفنا في أي منزلة نضعهن ابعد جميع الصحابة كلهم فهذا ما لا يقوله احد ام بعد طائفة منهم فعليه الدليل وهذا ما لا سبيل له الى وجوده واذ قد بطل هذان القولان احدهما بالاجماع على انه باطل والثاني لانه دعوى لا دليل عليها ولا برهان فلم يبق الا قولنا والحمد لله رب العالمين الموفق للصواب بفضله ثم نقول وبالله تعالى نستعين قد صح ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه خطب الناس حين ولي بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس اني وليتكم ولست بخيركم فقد صح عنه رضي الله عنه انه اعلن بحضرة جميع الصحابة رضي الله عنهم انه ليس بخيرهم ولم ينكر هذا القول منهم أحد فدل على متابعتهم له ولا خلاف انه ليس في احد من الحاضرين لخطبته انسان يقول فيه احد من الناس انه خير من ابي بكر الا علي وابن مسعود وعمر واما جمهور الحاضرين من مخالفينا في هذه المسألة من اهل السنة والمرجئة والمعتزلة والخوارج فانهم لا يختلفون في ان ابا بكر افضل من علي وعمر وابن مسعود وخير منهم فصح انه لم يبق الا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فان قال قائل انما قال ابو بكر هذا تواضعاً قلنا له هذا هو

الباطل المتيقن لان الصديق الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم لا يجوز ان يكذب وحاشا له من ذلك ولا يقول الا الحق والصدق فصح ان الصحابة متفقون في الاغلب على تصديقه في ذلك فاذ ذلك كذلك وسقط بالبرهان الواضح ان يكون احد من الصحابة رضي الله عنهم خيراً من ابي بكر لم يبق الا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ونساؤه ووضح انا لو قلنا انه اجماع من جمهور الصحابة لم يبعد من الصدق

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأيضاً فان يوسف ابن عبد الله النمري حدثنا قال حدثنا خلف بن قاسم ثنا أبو العباس احمد بن ابراهيم بن علي الكندي حدثنا محمد بن العباس البغدادي ثنا ابراهيم ابن محمد البصري ثنا أبو ايوب سليمان بن داود الشاذكوني قال كان عمار بن ياسر والحسن ابن علي يفضلان على بن ابي طالب علي ابي بكر الصديق وعمر حدثنا احمد بن محمد الخوزي ثنا احمد بن الفضل الدينوري ثنا محمد بن جرير الطبري ان علي بن ابي طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن علي الى الكوفة اذ خرجت أم المؤمنين الى البصرة فلما اتياها اجتمع اليهما الناس في المسجد فخطبهم عمار وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين الى البصرة ثم قال لهم اني أقول لكم ووالله اني لاعلم انها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة كما هي زوجته في الدنيا ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها او لتطيعوه فقال له مسروق او ابو الاسود يا ابا اليقظان فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له فسكت عمار وقال له الحسن اعن نفسك عنا فهذا عمار والحسن وكل من حضر من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والكوفة يومئذ مملوءة منهم يسمعون تفضيل عائشة على علي وهو عند عمار والحسن افضل من ابي بكر وعمر فلا ينكرون ذلك ولا يعترضونه احوج ما كانوا الى انكاره فصح انهم متفقون على انها وازواجه عليه السلام أفضل من كل الناس بعد الانبياء عليهم السلام ومما نبين ان ابا بكر رضي الله عنه لم يقل وليتكم ولست بخيركم الا محقاً صادقاً لا تواضعاً يقول فيه الباطل وحاشا له من ذلك ما حدثناه احمد بن محمد الطلمنكي قال حدثنا احمد بن محمد بن مفرج ثنا محمد بن أيوب الصموت الرقي انا أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار ثنا عبد الملك ابن سعد ثنا عقبة بن خالد ثنا شعبة بن الحجاج ثنا الجريري عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري قال قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ألست احق الناس بها اولست اول من

اسلم

اسلم ألست صاحب كذا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذا ابو بكر رضي الله عنه يذكر فضائل نفسه اذ كان صادقاً فيها فلو كان افضلهم لصرح به وما كتمه وقد نزهه الله تعالى عن الكذب فصح قولنا نصاً والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ ثم وجب القول فيمن هو افضل الصحابة بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم فلم نجد لمن فضل ابن مسعود او عمر او جعفر بن ابي طالب او ابا سلمة او الثلاثة الاسهليين على جميع الصحابة حجة يعتمد عليها ووجدنا من يوقف لم يزد على انه لم يلح له البرهان انهم افضل ولو لاح له لقال به ووجدنا العدد والمعارضة في القائلين بان عليا افضل اكثر فوجب ان آتي بما شغبوا به ليلوح الحق في ذلك وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وجدناهم يحتجون بان علياً كان اكثر الصحابة جهاداً وطعناً في الكفار وضرباً والجهاد افضل الاعمال

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا خطأ لان الجهاد ينقسم اقساماً ثلاثة احدها الدعاء الى الله عز وجل باللسان والثاني الجهاد عند الحرب بالرأي والتدبير والثالث الجهاد باليد في الطعن والضرب فوجدنا الجهاد في اللسان لا يلحق فيه احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر أما ابو بكر فان اكابر الصحابة رضي الله عنهم اسلموا على يديه فهذا افضل عمل وليس لعلي من هذا كثير حظ وأما عمر فانه من يوم اسلم عز الاسلام وعبد الله تعالى بمكة جهراً وجاهد المشركين بمكة بيديه فضرب وضرب حتى ملوه فتركوه فعبد الله تعالى علانية وهذا اعظم الجهاد فقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين الذين لا نظير لهما ولا حظ لعلي في هذا اصلا وبقي القسم الثاني وهو الرأي والمشورة فوجدناه خالصاً لابي بكر ثم لعمر وبقي القسم الثالث وهو الطعن والضرب والمبارزة فوجدناه اقل مراتب الجهاد ببرهان ضروري وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك عند كل مسلم انه المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده عليه السلام انما كان في اكثر اعماله واحواله القسمين الاولين من الدعاء الى الله عز وجل والتدبير والارادة وكان اقل عمله صلى الله عليه وسلم الطعن والضرب والمبارزة لا عن جبن بل كان عليه السلام اشجع اهل الارض قاطبة نفساً ويداً واتمهم نجدة ولكنه كان

يؤثر الافضل فالافضل من الافعال فقدمه عليه السلام ويشتغل به ووجدناه عليه السلام يوم بدر وغيره كان ابو بكر رضي الله عنه معه لا يفارقه ايثاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم له بذلك واستظهاراً برأيه في الحرب وأنساً بمكانه ثم كان عمر ربما شورك في ذلك ايضاً وقد انفرد بهذا المحل دون علي ودون سائر الصحابة الا في الندرة ثم نظرنا مع ذلك في هذا القسم من الجهاد الذي هو الطعن والضرب والمبارزة فوجدنا علياً رضي الله عنه لم ينفرد بالتسوق فيه بل قد شاركه في ذلك غيره شركة العنان كطلحة والزبير وسعد وممن قتل في صدر الاسلام كحمزة وعبيدة بن الحارث بن المطلب ومصعب بن عمير ومن الانصار سعد ابن معاذ وسماك ابن خرسة وغيرهما ووجدنا ابا بكر وعمر قد شاركاه في ذلك بحظ حسن وان لم يلحقا بحظوظ هؤلاء وانما ذلك لشغلهما بالافضل من ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وموازرته في حين الحرب وقد بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعوث اكثر مما بعث علياً وقد بعث ابا بكر الى بني فزارة وغيرهم وبعث عمر الى بني فلان وما نعلم لعلي بعثاً الا الى بعض حصون خيبر ففتحه وقد بعث قبله ابا بكر وعمر فلم يفتحاه فحصل اربع انواع الجهاد لابي بكر وعمر وقد شاركا عليا في اقل انواع الجهاد مع جماعة غيرهم

﴿قال ابو محمد﴾ واحتج ايضاً من قال بان علياً كان اكثرهم علما

﴿قال ابو محمد﴾ كذب هذا القائل وانما يعرف علم الصحابي لاحد وجهين لا ثالث لهما اخدهما كثرة روايته وفتاويه والثاني كثرة استعمال النبي صلى الله عليه وسلم له فمن المحال الباطل أن يستعمل النبي صلى الله عليه وسلم من لا علم له وهذه اكبر شهادات على العلم وسعته فنظرنا في ذلك فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد ولي ابابكر الصلاة بحضرته طول علته وجميع اكابر الصحابة حضور كعلي وعمر وابن مسعود وابي وغيرهم فآثره بذلك على جميعهم وهذا خلاف استخلافه عليه السلام اذا غزا لان المستخلف في الغزوة لم يستخلف الا على النساء وذو الاعذار فقط فوجب ضرورة ان نعلم ان ابا بكر اعلم الناس بالصلاة وشرايعها واعلم المذكورين بها وهي عمود الدين ووجدناه صلى الله عليه وسلم قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة ان عنده من علم الصدقات كالذى عند غيره من علماء الصحابة لا اقل وربما كان اكثر اذ قد استعمل عليه السلام ايضاً عليها غيره وهو عليه السلام لا يستعمل الا عالماً

بما

بما استعمله عليه والزكاة ركن من اركان الدين بعد الصلاة وبرهان ما قلنا من تمام علم ابي بكر رضي الله عنه بالصدقات ان الاخبار الواردة في الزكاة اصحها والذي يلزم العلم به ولا يجوز خلافه فهو حديث ابي بكر ثم الذي من طريق عمر وأما من طريق علي فمضطرب وفيه ما قد تركه الفقها جملة وهو ان في خمس وعشرين من الابل خمس شياه فوجدناه عليه السلام قد استعمل ابا بكر على الحج فصح ضرورة انه اعلم من جميع الصحابة بالحج وهذه دعايم الاسلام ثم وجدناه عليه السلام قد استعمله على البعوث فصح ان عنده من احكام الجهاد مثل ما عند سائر من استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعوث في الجهاد اذ لا يستعمل عليه السلام على العمل الا عالماً به فعند ابي بكر من الجهاد من العلم به كالذي عند علي وسائر امراء البعوث لا اكثر ولا أقل فاذ قد صح التقدم لابي بكر على علي وغيره في علم الصلاة والزكاة والحج وساواه في علم الجهاد فهذه عمدة العلم ثم وجدناه عليه السلام قد الزم نفسه في جلوسه ومآمرته وظعنه واقامته ابا بكر مشاهد احكامه عليه السلام وفتاويه اكثر من مشاهدة علي لها فصح ضرورة انه اعلم بها فهل بقيت من العلم بقية الا وأبو بكر المتقدم فيها الذي لا يلحق او المشارك الذي لا يسبق فبطلت دعواهم في العلم والحمد لله رب العالمين وأما الرواية والفتوى فان ابا بكر رضي الله عنه لم يعش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سنتين وستة اشهر ولم يفارق المدينة الا حاجاً او معتمراً ولم يحتج الناس الى ما عنده من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كل من حواليه ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك كله فقد روي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنان واربعون حديثاً مسندة ولم يرو عن علي الا خمس مائة وست وثمانون حديثاً مسندة يصح منها نحو خمسين وقد عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ازيد من ثلاثين سنة وكثر لقاء الناس اياه وحاجتهم الى ما عنده لذهاب جمهور الصحابة رضي الله عنهم وكثر سماع اهل الافاق منه مرة بصفين واعواماً بالكوفة ومرة بالبصرة والمدينة فاذا نسبنا مدة ابي بكر من حياته واضفنا تقري على البلاد بلداً بلداً وكثرة سماع الناس منه الى لزوم ابي بكر موطنه وانه لم تكثر حاجة من حواليه الى الرواية عنه ثم نسبنا عدد حديث من عدد حديث وفتاوي من فتاوي علم كل ذي حظ من العلم ان الذي كان عند ابي بكر من العلم اضعاف ما كان عند علي منه وبرهان ذلك ان من عمر من

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمراً قليلا قل النقل عنهم ومن طال عمره منهم كثر النقل عنهم الا اليسير من اكتفى بنيابة غيره عنه في تعليم الناس وقد عاش علي بعد عمر بن الخطاب سبعة عشر عاماً غير اشهر ومسند عمر خمسماية حديث وسبعة وثلاثون حديثاً يصح منها نحو خمسين كالذي عن علي سواء بسواء فكلما زاد حديث علي على حديث عمر تسعة واربعين حديثاً في هذه المدة الطويلة ولم يزد عليه في الصحيح الا حديثاً أو حديثين وفتاوي عمر موازنة لفتاوي علي في ابواب الفقه فاذا نسبنا مدة من مدة وضربنا في البلاد من ضرب فيها واضفنا حديثاً الى حديث وفتاوي الى فتاوي علم كل ذي حس علماً ضرورياً ان الذي كان عند عمر من العلم اضعاف ما كان عند علي من العلم ثم وجدنا الامر كل ما طال كثرت الحاجة الى الصحابة فيما عندهم من العلم فوجدنا حديث عائشة رضي الله عنها الفي مسند ومائتي مسند وعشرة مسانيد وحديث ابي هريرة خمسة آلاف مسند وثلثماية مسند واربع وسبعين مسنداً ووجدنا مسند بن عمر وانس قريباً من مسند عائشة لكل واحد منهما ووجدنا مسند جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس لكل واحد منهما ازيد من الف وخمسماية ووجدنا لابن مسعود ثمان ماية مسند ونيف ولكل من ذكرنا حاشا ابا هريرة وانس بن مالك من الفتاوي اكثر من فتاوي علي او نحوها فبطل قول هذه الوقاح الجهال فان عاندنا معاند في هذا الباب جاهل او قليل الحيا لاح كذبه وجهله فانا غير مهتمين على حط احد من الصحابة رضي الله عنهم عن مرتبته ولا على رفعه فوق مرتبته لاننا لو انحرفنا عن علي رضي الله عنه ونعوذ بالله من ذلك لذهبنا فيه مذهب الخوارج وقد نزهنا الله عز وجل عن هذا الضلال في التعصب ولو غلونا فيه لذهبنا فيه مذهب الشيعة وقد اعاذنا الله تعالى من هذا الافك في التعصب فصار غيرنا من المنحرفين عنه او الغالين فيه هم المتهمون فيه اما له واما عليه وبعد هذا كله وليس يقدر من ينتمي الى الاسلام ان يعاند في الاستدلال على كثرة العلم باستعمال النبي صلى الله عليه وسلم بمن استعمله منهم على ما استعمله عليه من امور الدين فان قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل علياً على الاخماس وعلى القضا باليمن قلنا لهم نعم ولكن مشاهدة ابي بكر لاقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم اقوى في العلم واثبت مما عند علي وهو باليمن وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على بعوث فيها الاخماس فقد

ساوي علمه علم علي في حكمها بلا شك اذ لا يستعمل عليه السلام الا عالماً بما يستعمله عليه وقد صح ان ابا بكر وعمر كانا يفتيان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام يعلم ذلك ومحال ذلك أن يبيح لهما ذلك الا وهما اعلم ممن دونهما وقد استعمل عليه السلام أيضاً على القضاء باليمن مع علي معاذ بن جبل وابا موسى الاشعري فلعلي في هذا شركاء كثير منهم ابو بكر وعمر ثم قد انفرد ابو بكر بالجمهور الاغلب من العلم على ما ذكرنا . وقال هذا القائل ان علينا كان اقرا الصحابة

﴿قال ابو محمد﴾ وهذه القحة المتجردة والبهتان لوجوه اولها انه رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام قال يوم القوم اقرؤهم فان استووا فافقههم فان استووا فاقدمهم هجرة ثم وجدناه عليه السلام قد قدم ابا بكر على الصلاة مدة الايام التي مرض فيها وعلي بالحضرة يراه النبي صلى الله عليه وسلم غدوة وعشية فما رأى لها عليه السلام احداً احق من ابي بكر بها فصح انه كان اقرؤهم وافقههم واقدمهم هجرة وقد يكون من لم يجمع حفظ القرآن كله على ظهر قلب اقرأ ممن جمعه كله عن ظهر قلب فيكون القفظ به واحسنهم ترتيلا هذا على ان ابا بكر وعمر وعلي لم يستكمل احد منهم حفظ سوار القرآن كله ظاهراً الا أنه قد وجب يقيناً بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر على الصلاة وعلي حاضر ان ابا بكر اقراء من علي وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقدم الى الامامة الاقل علماً بالقراة على الاقرأ او الاقل فقهاً على الافقة فبطل أيضاً شغبهم في هذا الباب والحمد لله رب العالمين

﴿قال ابو محمد﴾ كذب هذا الافك ولقد كان علي رضي الله عنه تقياً الا ان الفاضل يتفاضل فيها اهلها وما كان اتقاهم لله الا ابا بكر والبرهان على ذلك أنه لم يسوء قط ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمة ولا خالف ارادته عليه السلام في شيء قط ولا تأخر عن تصديقه ولا تردد عن الائتمار له يوم الحديبية اذ تردد من تردد وقد تظلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر اذ اراد علي نكاح ابنة ابي جهل بما قد عرف وما وجدنا قط لابي بكر توقفا عن شيء امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة عذره فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاز له فعله وهي اذ اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبا فوجده يصلي بالناس فلما رآه ابو بكر تأخر فاشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم ان اتم مكانك فحمد الله تعالى ابو بكر على ذلك

ثم تأخر فصار في الصف وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس فلما سلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت حين امرتك فقال ابو بكر ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿قال ابو محمد﴾ فهذا غاية التعظيم والطاعة والخضوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما انكر عليه السلام ذلك عليه واذ قد صح بالبرهان الضروري الذي ذكرنا ان ابا بكر اعلم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وجب انه اخشاهم لله عز وجل قال الله عز وجل * انما يخشى الله من عباده العلماء * والتقي هو الخشية لله عز وجل وقال قائلون علي كان ازهدهم

﴿قال ابو محمد﴾ كذب هذا الجاهل وبرهان ذلك ان الزهد انما هو عزوب النفس عن حب الصوت وعن المال وعن اللذات وعن الميل الى الولد والحاشية ليس الزهد معنى يقع عليه اسم الزهد الا هذا المعنى فاما عزوب النفس عن المال فقد علم كل من له ادنى بصر بشيء من الاخبار الخالية ان ابا بكر اسلم وله مال عظيم قيل اربعين الف درهم فانفقها كلها في ذات الله تعالى وعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين في ذات الله عز وجل ولم يعتق عبيداً جلداً يمنعونه لكن كل معذب ومعذبة في الله عز وجل حتى هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق لابي بكر من جميع ماله الا ستة الف درهم حملها كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق لبنيه منها درهم ثم انفقها كلها في سبيل الله عز وجل حتى لم يبق له شيء في عباءة له قد خللها بعود اذ انزل افترشها واذا ركب لبسها اذ تمول غيره من الصحابة رضي الله عن جميعهم واقتنوا الرباع الواسعة والضياع العظيمة من حلها وحقها الا ان من اثر بذلك سبيل الله عز وجل ازهد ممن انفق وامسك ثم ولي الخلافة فما اتخذ جارية ولا توسع في مال وعد عند موته ما انفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذي لم يستوف منه الا بعض حقه وامر بصرفه الى بيت المال من صلب ماله الذي حصل له من سهامه في المغازي والمقاسم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو الزهد في اللذات والمال الذي لا يدانيه فيه احد من الصحابة لا علي ولا غيره الا ان يكون ابا ذر وابا عبيدة من المهاجرين الاولين فانهما جريا على هذه الطريقة التي فارقا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسع من سواهم من الصحابة رضي الله عنهم في المباح الذي احله الله عز وجل لهم الا ان من أثر على نفسه

فضل ولولا ان أبا ذر لم يكن له سابقة غيره لما تقدمه الا من كان مثله فهذا هو الزهد في المال واللذات ولقد تلا أبو بكر عمر رضي الله عنهما في هذا الزهد فكان فوق علي في ذلك يعني في اعراضه عن المال واللذات وأما علي رضي الله عنه فتوسع في هذا الباب من حله ومات عن اربع زوجات وتسع عشرة أم ولد سوي الخدم والعبيد وتوفي عن أربعة وعشرين ولداً من ذكر وانثى وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به من اغنياء قومهم ومياسيرهم هذا أمر مشهور لا يقدر على انكاره من له اقل علم بالاخبار والاثار ومن جملة عقاره التي تصدق بها كانت تغل الف وسق تمراً سوى زرعها فاين هذا من هذا واما حب الولد والميل اليهم والى الحاشية فالامر في هذا ابين من ان يخفى على احد له اقل علم بالاخبار فقد كان لابي بكر رضي الله عنه من القرابة والولد مثل طلحة بن عبيد الله من المهاجرين الاولين والسابقين من ذوي الفضائل العظيمة في كل باب من ابواب الفضل في الاسلام ومثل ابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وله مع النبي صلى الله عليه وسلم صحبة قديمة وهجرة سابقة وفضل ظاهر فما استعمل ابو بكر رضي الله عنه منهم احداً على شيء من الجهات وهي بلاد اليمن كلها على سعتها وكثرة استعمالها وعمان وحضرموت والبحرين واليمامة والطائف ومكة وخيبر وسائر اعمال الحجاز ولو استعملهم لكانوا لذلك اهلا ولكن خشي المحاباة وتوقع ان يميله اليهم شيء من الهوى ثم جرى عمر على مجراه في ذلك فلم يستعمل من بني عدي بن كعب احداً على سعة البلاد وكثرتها وقد فتح الشام ومصر وجميع مملكة الفرس الى خراسان الا النعمان بن عدي وحده على ميسان ثم اسرع عزله وفيهم من الهجرة ما ليس في شيء من افخاذ قريش لان بني عدي لم يبق منهم احد بمكة الا هاجر وكان فيهم مثل سعيد بن زيد احد المهاجرين الاولين ذوي السوابق وابي الجهم ابن حذيفة وخارجة بن حذافة ومعمر بن عبد الله وابنه عبد الله بن عمر ثم لم يستخلف ابو بكر ابنه عبد الرحمن وهو صاحب من الصحابة ولا استعمل عمر ابنه عبد الله على الخلافة وهو من فضلاء الصحابة وخيارهم وقد رضي به الناس وكان لذلك أهلا ولو استخلفه لما اختلف عليه أحد فما فعل ووجدنا علياً رضي الله عنه اذ ولي قد استعمل اقاربه عبد الله بن عباس على البصرة وعبيد الله بن عباس على اليمن وقثم ومعبداً ابني العباس على مكة والمدينة وجعدة بن نبيرة وهو ابن اخته ام هاني بنت ابى طالب على خراسان ومحمد بن ابي بكر وهو ابن امرأته

وأخو ولده على مصير ورضى ببيعة الناس للحسن ابنه بالخلافة ولسنا ننكر استحقاق الحسن للخلافة ولا استحقاق عبد الله بن العباس للخلافة فكيف أمارة البصرة لكنا نقول ان من زهد في الخلافة لولد مثل عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر والناس متفقون عليه وفي تأمير مثل طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد فلا شك في انه أتم زهد أو أعرب عن جميع معاني الدنيا نفسا ممن أخذه منها ابيح له أخذه فصح بالبرهان الضروري ان ابا بكر أزهد من جميع الصحابة ثم عمر بن الخطاب بعده وقال هذا القائل وكان علي أكثرهم صدقة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه مجاهرة بالباطل لانه لم يحفظ لعلي مشاركة ظاهرة بالمال واما امر ابي بكر رضي الله عنه في انفاق ماله في سبيل الله عز وجل فاشهر من ان تخفى على اليهود والنصارى فكيف على المسلمين ثم لعثمان بن عفان رضى الله عنه في هذا المعنى من تجهيز جيش العسرة ما ليس لغيره فصح ان ابا بكر اعظم صدقة واكثر مشاركة وغنا في الاسلام بما له من علي رضي الله عنه وقالوا علي هو السابق الى الاسلام ولم يعبد قط وثنا

﴿ قال ابو محمد ﴾ اما السابقة فلم يقل قط احد يعتد به ان عليا مات وله اكثر من ثلاث وستين سنة ومات بلا شك سنة اربعين من الهجرة فصح انه كان حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وعشرين سنة وكانت مدة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في النبوة ثلاث عشرة سنة فبعث عليه السلام ولعلي عشرة اعوام فاسلام ابن عشرة اعوام ودعاؤه اليه انما هو كتدريب المرء ولده الصغير على الدين لا ان عنده غناء ولا ان عليه اثما ان ابى فان اخذ الامر على قول من قال ان علياً مات وله ثمان وخمسون سنة فانه كان اذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابن خمسة أعوام وكان اسلام ابي بكر ابن ثمان وثلاثين سنة وهو الاسلام المأمور به من عند الله عز وجل وأما من لم يبلغ الحلم فغير مكلف ولا مخاطب فسابقة ابي بكر وعمر بلا شك أسبق من سابقة علي ۰ وأما عمر فانه كان اسلامه تأخر بعد البعث بستة أعوام فان عناءه كان أكثر من عناء أكثر من أسلم قبله ولم يبلغ علي حد التكليف الا بعد أعوام من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ان أسلم كثير من الصحابة رجال ونساء بعد ان عذبوا في الله تعالى ولقوا فيه الالاقي وأما كونه لم يعبد وثنا فنحن وكل مولود في الاسلام لم يعبد قط وثنا وعمار والمقداد وسلمان وابو ذر وحمزة وجعفر رضى الله عنهم قد عبدوا الاوثان

افترانا أفضل منهم من أجل ذلك معاذ الله من هذا فانه لا يقوله مسلم فبطل ان يكون هذا يوجب لعلي فضلا زائداً والا لكانت عائشة سابقة لعلي رضي الله عنهما في هذا الفضل لانها كانت اذ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم بنت ثماني سنين واشهر ولم تولد الا بعد اسلام ابيها بسنين وعلي ولد وأبوه عابد وثن قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنين وعبد الله بن عمر ايضاً أسلم ابوه وله أربع سنين لم يعبد قط وثناً فهو شريك لعلي في هذه الفضيلة ۰ وقال بعضهم علي كان اسوسهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا باطل لا خفاء به على مؤمن ولا كافر فقد دري القريب والبعيد والعالم والجاهل والمؤمن والكافر من سائر الاسلام اذ كفر من كفر من أهل الارض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وأذعن الجميع للبقية وقبول ما ادعت اليه العرب حاشا ابا بكر فهل ثبت أحد ثبات ابي بكر على كلب العدو وشدة الخوف حتى دخلوا في الاسلام افواجا كما خرجوا منه أفواجا وأعطوا الزكاة طائعين وكارهين ولم تهله جموعهم ولا تضافرهم ولا قلة أهل الاسلام حتى أنار الله الاسلام واظهره ثم هل ناطح كسرى وقيصر على أسرة ملكها حتى اخضع حدود فارس والروم وصرع حدودهم ونكس راياتهم وظهر الاسلام في أقطار الارض وذل الكفر واهله وشبع جائع المسلمين وعز ذليلهم واستغنى فقيرهم وصاروا إخوة لا اختلاف بينهم وقرؤا القرآن وتفقهوا في الدين الا ابو بكر ثم ثنى عمر ثم ثلث عثمان ثم قد رأى الناس خلاف ذلك كله وافتراق كلمة المؤمنين وضرب المسلمين بعضهم وجوه بعض بالسيوف وشكت بعضهم قلوب بعض بالرماح وقتل بعضهم من بعض عشرات الالوف وشغلهم بذلك عن ان يفتح من بلاد الكفر قرية او يذعر لهم سرب او يجاهد منهم أحد حتى ارتجع أهل الكفر كثيراً مما صار بايدي المسلمين من بلادهم فلم يجتمع المسلمون الى يوم القيامة فاين سياسة من سياسة

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذ قد بطل كلما ادعاه هؤلاء الجهال ولم يحصلوا الا على دعاوي ظاهرة الكذب لا دليل على صحة شئ منها وصح بالبرهان كما أوردنا ان ابا بكر هو الذي فاز بالقدح المعلى والسبق المبرز والحظ الاسنى في العلم والقرآن والجهاد والزهد والتقوى والخشية والصدقة والعتق والمشاركة والطاعة والسياسة فهذه وجوه الفضل كلها فهو بلا شك أفضل من

جميع الصحابة كلهم بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولم يحتج عليهم بالأحاديث لأنهم لا يصدقون أحاديثنا ولا نصدق احاديثهم وانما اقتصرنا على البراهين الضررية بنقل الكواف فان كانت الامامة تستحق بالتقدم في الفضل فابو بكر أحق الناس بها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم يقينا فكيف والنص على خلافته صحيح واذ قد صحت أمامة ابي بكر رضي الله عنه فطاعته فرض في استخلافه عمر رضي الله عنه فوجبت أمامة عمر فرضاً بما ذكرنا وباجماع أهل الاسلام عليهما دون خلاف من أحد قطعاً ثم أجمعت الامة كلها أيضاً بلا خلاف من احد منهم على صحة أمامة عثمان والدينونة بها وأما خلافة علي فحق لا بنص ولا باجماع لكن ببرهان سنذكره ان شاء الله في الكلام في حروبه

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن فضائل ابي بكر المشهورة قوله عز وجل * إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا * فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد في انه ابو بكر فاوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة في اخراجه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه خصه باسم الصحبه له وبانه ثانيه في الغار وأعظم من ذلك كله ان الله معهما وهذا ما لا يلحقه فيه أحد

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاعترض في هذا بعض أهل القحة فقال قد قال الله عز وجل * اذ قال لصاحبه وهو يحاوره انا أكثر منك مالا * قال وقد حزن ابو بكر فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلو كان حزنه رضا لله عز وجل لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه مجاهرة بالباطل أما قوله تعالى في الآية لصاحبه وهو يحاوره قد أخبر الله تعالى بأن أحدهما مؤمن والآخر كافر وبانهما مختلفان فانما سماه صاحبه في المحاورة والمجالسة فقط كما قال تعالى والى مدين أخاهم شعيبا فلم يجعله أخاهم في الدين لكن في الدار والنسب فليس هكذا قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بل جعله صاحبه في الدين والهجرة وفي الاخراج وفى الغار وفى نصرة الله تعالى لهما واخافة الكفار لهما وفى كونه تعالى معهما فهذه الصحبة غاية الفضل وتلك الأخرى غاية النقص بنص القرآن . وأما حزن ابي بكر رضي الله عنه فانه قبل ان ينهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غاية الرضا لله لانه كان

اشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان الله معه وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل عليهم وما حزن ابو بكر قط بعد ان نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن ولو كان لهؤلاء الارذال حياء او علم لم يأتوا بمثل هذا اذ لو كان حزن ابي بكر عيباً عليه لكان ذلك على محمد وموسى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيباً لان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام * سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون * ثم قال تعالى عن السحرة انهم قالوا لموسى * اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى * فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكليمه قد كان اخبره الله عز وجل بان فرعون وملأه لا يصلون اليه وان موسى ومن اتبعه هو الغالب ثم اوجس في نفسه خيفة بعد ذلك اذ رآى امر السحرة حتى اوحي الله عز وجل اليه لا تخف فهذا امر اشد من امر ابي بكر واذا لزم ما يقول هؤلاء الفساق ابا بكر وحاشا لله ان يلزمه من ان حزنه لو كان رضا لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لزم اشد منه لموسى عليه السلام وان ايجاسه الخيفة في نفسه لو كان رضا لله تعالى ما نهاه الله تعالى عنه ومعاذ الله من هذا بل ايجاس موسى الخيفة في نفسه لم يكن الانسيان الوعد المتقدم وحزن ابي بكر رضي الله عنه رضاً لله تعالى قبل ان ينهى عنه ولم يكن تقدم اليه نهي عن الحزن واما محمد صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل * قال ومن كفر فلا يحزنك كفره * وقال تعالى * ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق * وقال تعالى * ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعاً * وقال تعالى * ولا تذهب نفسك عليهم حسرات * وقال تعالى * فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً * ووجدناه عز وجل قد قال * ولقد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون * وقاله أيضاً في الانعام فهذا الله تعالى اخبرنا انه يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنه الذي يقولون ونهاه عز وجل عن ذلك نصاً فيلزمهم في حزن رسول الله صلى الله عليه الذي نهاه الله تعالى عنه كالذي أرادوا في حزن ابي بكر سواء سواء ونعم ان حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله تعالى قبل ان ينهاه الله عز وجل وما حزن عليه السلام بعد ان نهاه ربه تعالى عن الحزن كما كان حزن ابي بكر طاعة لله عز

وجل قبل ان ينهاه الله عز وجل عن الحزن وما حزن ابو بكر قط بعد ان نهاه عليه السلام عن الحزن فكيف وقد يمكن ان يكون ابو بكر لم يحزن يومئذ لكن نهاه عليه السلام عن ان يكون منه حزن كما قال تعالى لنبيه عليه السلام * ولا تطع منهم آثماً او كفوراً * فنهاه عن ان يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم وهذا انما يعترض به اهل الجهل والسخافة ونعوذ بالله من الضلال

﴿ قال ابو محمد ﴾ واعترض علينا بعض الجهال ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب خلف ابي بكر رضي الله عنهما في الحجة التي حجها ابو بكر واخذ براءة من ابي بكر وتولى علي تبليغها الى اهل الموسم وقراءتها عليهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا من اعظم فضائل ابي بكر لانه كان اميراً على علي بن ابي طالب وغيره من اهل الموسم لا يدفعون الا بدفعه ولا يقفون الا بوقوفه ولا يصلون الا بصلاته وينصتون اذا خطب وعلي في الجملة كذلك وسورة براءة وقع فيها فضل ابي بكر رضي الله عنه وذكره في امر الغار وخروجه مع النبي صلى الله عليه وسلم وكون الله تعالى معهما فقراءة علي لها ابلغ في اعلان فضل ابي بكر على علي وعلى سواه وحجة لابي بكر قاطعة وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ الا ان ترجع الروافض الى انكار القرآن والنقص منه والزيادة فيه فهذا امر يظهر فيه قحتهم وجهلهم وسخفهم الى كل عالم وجاهل فانه لا يمتري كافر ولا مؤمن في ان هذا الذي بين اللوحين من الكتاب هو الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم واخبرنا بانه اوحاه الله تعالى اليه فمن تعرض هذا فقد اقر ببين عدوه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وما يعترض امامة ابي بكر الا زار علي رسول الله صلي الله عليه وسلم راد لامره في تقديمه ابا بكر الى الصلاة باهل الاسلام مريد لازالته عن مقام اقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولسنا من كذبهم في تأويلهم * ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً * وان المراد بذلك علي رضي الله عنه بل هذا لا يصح بل الآية على عمومها وظاهرها لكل من فعل ذلك

قال

﴿ قال ابو محمد ﴾ فصح بما ذكرنا فضل ابي بكر على جميع الصحابة رضي الله عنهم بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالبراهين المذكورة واما الاحاديث في ذلك فكثيرة كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابي بكر دعوا لي صاحبي فان الناس قالوا كذبت وقال ابو بكر صدقت وقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخي وصاحبي وهذا الذي لا يصح غيره واما أخوة علي فلا تصح الا مع سهل بن حنيف ومنها امره صلى الله عليه وسلم بسد كل باب وخوخة في المسجد حاشا خوخة ابي بكر وهذا هو الذي لا يصح غيره ومنها غضبه صلى الله عليه وسلم على من خارج ابا بكر وعلى من أشار عليه بغير ابي بكر للصلاة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان امن الناس عليّ في ماله ابو بكر وعمدتنا في تفضيل ابي بكر ثم عمر على جميع الصحابة بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سئل من احب الناس اليك يا رسول الله قال عائشة قيل فمن الرجال قال ابوها قيل ثم من يا رسول الله قال عمر

﴿ قال ابو محمد ﴾ فقطعنا بهذا ثم وقفنا ولو زادنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بياناً لزدنا لكننا لانقول في شيء من الدين الا بما جاء به النص

﴿ قال ابو محمد ﴾ واختلف الناس فيمن افضل اعثمان ام علي رضي الله عنهما

﴿ قال ابو محمد ﴾ والذي يقع في نفوسنا دون ان نقطع به ولا نخطيء من خالفنا في ذلك فهو ان عثمان افضل من علي والله اعلم لان فضائلها تتقاوم في الاكثر فكان عثمان اقرء وكان علي اكثر فتيا ورواية ولعلي ايضاً حظ قوي في القراءة ولعثمان ايضاً حظ قوي في الفتيا والرواية ولعلي مقامات عظيمة في الجهاد بنفسه ولعثمان مثل ذلك بماله ثم انفرد عثمان بان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ليساره المقدسة عن يمين عثمان في بيعة الرضوان وله هجرتان وسابقة قديمة وصهر مكرم محمود ولم يحضر بدراً فالحقه الله عز وجل فيهم باجره التام وسهمه فالحقه بمن حضرها فهو معدود فيهم ثم كانت له فتوحات في الاسلام عظيمة لم تكن لعلي وسيرة في الاسلام هادية ولم يتسبب بسفك دم مسلم وجاءت فيه آثار صحاح وان الملائكة تستحي منه وانه ومن اتبعه على الحق والذي صح من فضائل علي فهو قول النبي صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقوله عليه السلام لاعطين الراية

غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وهذه صفة واجبة لكل مؤمن وفاضل وعهده عليه السلام ان علياً لايحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وقد صح مثل هذه في الانصار رضي الله عنهم انه لايبغضهم من يؤمن بالله واليوم الاخر واما من كنت مولاه فعلي مولاه فلا يصح من طريق الثقات اصلا واما سائر الاحاديث التي تتعلق بها الرافضة فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالاخبار ونقلتها

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونقول تفضل المهاجرين الاولين بعد عمر بن الخطاب قطعاً الا اننا لا نقطع بفضل احد منهم على صاحبه كعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون وعلي وجعفر وحمزة وطلحة والزبير ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف وعبدالله بن مسعود وسعد وزيد بن حارثة وابي عبيدة وبلال وسعيد بن زيد وعمار بن ياسر وابي سلمة وعبدالله بن جحش وغيرهم من نظرائهم ثم بعد هؤلاء اهل العقبة ثم اهل بدر ثم اهل المشاهد كلها مشهداً مشهداً فاهل كل مشهد افضل من اهل المشهد الذي بعده حتى بلغ الامر الى الحديبية فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم الى تمام بيعة الرضوان فاننا نقطع على غيب قلوبهم وانهم كلهم مؤمنون صالحون ماتوا على الايمان والهدى والبر كلهم من أهل الجنة لا يلج احد منهم النار البتة لقول الله تعالى * والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم * وكقوله عز وجل * لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فمن اخبرنا ان الله عز وجل انه علم ما في قلوبهم رضي الله عنهم وانزل السكينة عليهم فلا يحل لاحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل النار احد بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر ولاخباره عليه السلام انه لا يدخل النار احد شهد بدرا ثم نقطع علي ان كل من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنية صادقة ولو ساعة فانه من اهل الجنة لا يدخل النار لتعذيب الا انهم لايلحقون بمن اسلم قبل الفتح وذلك لقول الله عز وجل * لايستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى * وقال تعالى * وعد الله لا يخلف الله وعده * وقال تعالى * ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك

عنها مبعدون لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون * فصح بالضرورة ان كل من انفق قبل الفتح وقاتل فهو مقطوع على غيبه لتفضيل الله تعالى اياهم والله تعالى لا يفضل الا مؤمناً فاضلا واما من انفق بعد الفتح وقاتل فقد كان فيهم منافقون لم يعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف نحن قال الله تعالى * وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلهذا لم نقطع على كل امرئ منهم بعينه لكن نقول كل من لم يكن منهم من المنافقين فهو من أهل الجنة يقيناً لانه قد وعدهم الله تعالى الحسنى كلهم واخبر انه لا يخلف وعده وان من سبقت له الحسنى فهو مبعد من النار لا يسمع حسيسها ولايحزنه الفزع الاكبر وهو فيما اشتهى خالد وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ لقد خاب وخسر من رد قول ربه عز وجل انه رضي عن المبايعين تحت الشجرة وعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وقد علم كل احد له ادنى علم ان ابا بكر وعمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وعمار والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم من اهل هذه الصفة والخوارج والروافض قد انتظمت الطائفتان الملعونتان البرئة منهم خلافا لله عز وجل وعناداً له ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذا قولنا في الصحابة رضي الله عنهم فاما التابعون ومن بعدهم فلا نقطع على غيبهم واحداً واحداً الا من بان منه احتمال المشقة في الصبر للدين ورفض الدنيا لغير غرض استعجله الا اننا لا ندري على ما ذا مات وان بالغنا الغاية في تعظيمهم وتوقيرهم والدعاء بالمغفرة والرحمة والرضوان لهم لكن نتولاهم جملة قطعاً ونتولى كل انسان منهم بظاهره ولا نقطع على احد منهم بجنة ولا نار لكن نرجو لهم ونخاف عليهم اذ لا نص في انسان منهم بعينه ولا يحل الاخبار عن الله عز وجل الا بنص من عنده لكن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم القرن الذي بعثت فيهم ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم ومعنى هذا الحديث انما هو كل قرن من هذه القرون التي ذكر عليه السلام اكثر فضلا بالجملة من القرن الذي بعده لا يجوز غير هذا البتة وبرهان ذلك انه قد كان في عصر التابعين من هو افسق الفاسقين

كمسلم بن عقبة المري وحبيش بن دلجة القيني والحجاج بن يوسف الثقفي وقتلة عثمان وقتلة ابن الزبير وقتلة الحسين رضي الله عنهم ولعن قتلتهم ومن بعثهم فمن خالف قولنا في هذا الخبر لزمه ان يقول ان هؤلاء الفساق الاخابث افضل من كل فاضل في القرن الثالث ومن بعده كسفيان الثوري والفضيل بن عياض ومسعر بن كدام وشعبة ومنصور بن المعتمر ومالك والاوزاعي والليث وسفيان بن عيينة ووكيع وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه وداود بن علي رضي الله عنهم وهـذا ما لا يقوله احد وما يبعـد ان يكون في زماننا وفيمن يأتي بعدنا من هو افضل رجل من التابعين عند الله عز وجل اذ لم يأت في المنع من ذلك نص ولا دليل اصلا والحديث المأثور في اويس القرني لا يصح لان مداره على اسيد بن جابر وليس بالقوى وقد ذكر شعبة انه سأل عمرو بن مرة وهو كوفي قرني مرادي من اشرف مراد واعلمهم بهم عن اويس القرني فلم يعرفه في قومه واما الصحابة رضي الله عنهم فبخلاف هذا ولا سبيل الى ان يلحق اقلهم درجة احد من اهل الارض وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ وذهب بعض الروافض الى ان لذوي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا بالقرابة فقط واحتج بقول الله تعالى * ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض * وبقوله عز وجل * قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى * وبقوله تعالى * وابعث فيهم رسولا منهم *

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا كله لا حجة فيه اما اخباره تعالى بانه اصطفى آل ابراهيم وآل عمران على العالمين فانه لا يخلو من احد وجهين لا ثالث لهما اما ان يعني كل مؤمن فقد قال ذلك بعض العلماء او يعني مؤمني اهل بيت ابراهيم وعمران لا يجوز غير هذا لان آزر والد ابراهيم عليه السلام كان كافراً عدوا لله لم يصطفه الله تعالى الا لدخول النار فان اراد الوجه الذي ذكرنا لم نمانعه ولا ننازعه في ان موسى وهارون من آل عمران وآل اسماعيل واسحاق ويوسف ويعقوب من آل ابراهيم مصطفون على العالمين * فأي حجة هاهنا لبني هاشم * فان ذكروا الدعاء المأمور به وهو اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد فالقول في هذا كما قلنا ولا فرق وهذا دعاء لكل مؤمن وقد قال تعالى * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اللهم صل على آل ابي اوفي فهذا هو الدعاء لهم بالصلاة على كل مؤمن ومؤمنة بلا خلاف وكذلك الدعاء في التشهد المفترض في كل صلاة من قول المصطفى السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهذا السلام على كل مؤمن ومؤمنة فاستوى بنوا هاشم وغيرهم في اطلاق الدعاء بالصلاة عليهم وبالسلام عليهم ولا فرق وقال تعالى * وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون * فوجبت صلوات الله تعالى على كل مؤمن صابر فاستوى في هذا كله بنوا هاشم وقريش والعرب والعجم من كان جميعهم بهذه الصفة وايضاً فيلزم من احتج بقوله تعالى * ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * أن يقول ان من اسلم من الهارونيين من اليهود افضل من بني هاشم واشرف واولى بالتقديم لانه من آل عمران ومن آل ابراهيم وفيهم ورد النص

﴿قال ابو محمد﴾ فصح يقيناً ان الله عز وجل انما اراد بذلك الانبياء عليهم السلام فقط وبين هذا بياناً جلياً قول الله عز وجل حاكياً عن ابراهيم عليه السلام انه قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين * من ذرية ابراهيم عليه السلام الظالمين من ذرية غيره وقال عز وجل ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا فخص الله تعالى بولاية ابراهيم عليه السلام من اتبع ابراهيم كائناً من كان فدخل في هذا كل مؤمن ومؤمنة ولا فضل واما قول الله عز وجل * قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى * فهذا حق على ظاهره وانما اراد عليه السلام من قريش ان يودوه لقرابته منهم ولا يختلف احد من الامة في انه عليه السلام لم يرد قط من المسلمين ان يودوا ابا لهب وهو عمه ولا شك في انه عليه السلام اراد من المسلمين مودة بلال وعمار وصهيب وسلمان وسالم مولى ابي حذيفة واما قوله عز وجل عن ابراهيم عليه السلام * وابعث فيهم رسولا منهم * فقد قال عز وجل * وان من أمة الا خلا فيها نذير * وقال تعالى * وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم * فاستوت الامم كلها في هذه الدعوة بان يبعث فيهم رسولا منهم ممن هم قومه فان احتج محتج بالحديث الثابت الذي فيه ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فمعناه

ظاهر وهو انه تعالى اختار كونه عليه الصلاة والسلام من بني هاشم وكون بني هاشم من قريش وكون قريش من كنانة وكون كنانة من بني اسماعيل كما اصطفى ان يكون موسى من بني لاوي وان يكون بنوا لاوي من بني اسحاق عليه السلام وكل نبي من عشيرته التي هو منها ولا يجوز غير هذا البتة ونسأل من أراد حمل هذا الحديث على غير هذا المعنى ايدخل احد من بني هاشم او من قريش او من كنانة او من اسماعيل النار ام لا فان انكروا هذا كفروا وخالفوا الاجماع والقرآن والسنن وقد قال عليه السلام ابي وابوك في النار وان ابا طالب في النار وجاء القرآن بان ابا لهب في النار وسائر كفار قريش في النار كذلك قال الله تعالى * تبت يدا أبي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب * فاذا اقر بانه قد يدخل النار منهم من يستحق ان يدخلها صحت المساواة بينهم وبين سائر الناس

﴿ قال ابو محمد ﴾ ويكذب هذا الظن الفاسد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة بنت محمد لا اغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئاً يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً وابين من هذا كله قول الله تعالى * يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم * وقوله تعالى * لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم * وقوله تعالى * واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً * وقال تعالى وذكر عاداً وثموداً وقوم نوح وقوم لوط ثم قال * اكفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة في الزبر * فصح ضرورة انه لا ينتفع احد بقرابته من رسول الله صلى الله عليه ولا من نبي من الانبياء والرسل عليهم السلام ولو ان النبي ابنه اوابوه وامه نبية وقد نص الله تعالى في ابن نوح ووالد ابراهيم وعم محمد على رسل الله الصلاة والسلام ما فيه الكفاية وقد نص الله تعالى على ان من انفق من قبل الفتح وقاتل اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا فصح ضرورة ان بلالا وصهيبا والمقداد وعمارا وسالما وسلمان افضل من العباس وبنيه عبد الله والفضل وقثم ومعبد وعبيد الله وعقيل بن ابي طالب والحسن والحسين رضي الله عن جميعهم بشهادة الله تعالى فاذ هذا لاشك فيه ولا جزاء في الآخرة الا على عمل ولا ينتفع عند الله تعالى بالارحام ولا بالولادات وليست الدنيا دار

فضل

جزآء فلا فرق بين هاشمي وقرشي وعربي وعجمي وحبشي وابن زنجية والكرم والفوز لمن اتقي الله عز وجل حدثنا محمد بن سعيد بن بيان انبأنا احمد بن عبد الله البصير حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا عبد السلام ابن الخشن حدثنا محمد بن المثني حدثنا عبد الرحمن مهدي حدثنا سفيان الثوري عن ابي اسحاق السبيعي عن حسان بن فايد العبسي قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كرم الرجل دينه وحسبه خلقه وان كان فارسياً او نبطياً

الكلام في حرب علي ومن حاربه من الصحابة رضي الله عنهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس في تلك الحرب على ثلاث فرق فقال جميع الشيعة وبعض المرجئة وجمهور المعتزلة وبعض اهل السنة ان علياً كان المصيب في حربه وكل من خالفه على خطاء وقال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وابو الهذيل وطوائف من المعتزلة ان علياً مصيب في قتاله معاوية واهل النهر ووقفوا في قتاله مع اهل الجمل وقالوا احدى الطائفتين مخطئة ولا نعرف ايهما هي وقالت الخوارج عليّ المصيب في قتاله اهل الجمل واهل صفين وهو مخطئ في قتاله اهل النهر وذهب سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر وجمهور الصحابة الى الوقوف في علي واهل الجمل واهل صفين وبه يقول جمهور اهل السنة وابو بكر بن كيسان وذهب جماعة من الصحابة وخيار التابعين وطوائف ممن بعدهم الى تصويب محاربي علي من اصحاب الجمل واصحاب صفين وهم الحاضرون لقتاله في اليومين المذكورين وقد اشار الى هذا ايضاً ابو بكر بن كيسان

﴿ قال ابو محمد ﴾ اما الخوارج فقد اوضحنا خطاؤهم وخطاء اسلافهم فيما سلف من كتابنا هذا حاشا احتجاجهم بانكار تحكيم علي الحكمين فسنتكلم في ذلك ان شاء الله تعالى كما تكلمنا في سائر احكامهم والحمد لله رب العالمين واما من وقف فلا حجة له اكثر من انه لم يتبين له الحق ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل الى مناظرته باكثر من ان نبين له وجه الحق حتي يراه وذكروا ايضاً احاديث في ترك القتال في الاختلاف سنذكر لكم جملتها ان شاء الله تعالى فلم يبق الا الطائفة المصوبة لعلي في جميع حروبه والطائفة المصوبة لمن حاربه من اهل الجمل واهل صفين

﴿ قال ابو محمد ﴾ احتج من ذهب الى تصويب محاربي علي يوم الجمل ويوم صفين بان قال ان عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً فالطلب باخذ القود من قاتليه فرض قال عز وجل * ومن

قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً * وقال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * قالوا ومن آوى الظالمين فهواما مشارك لهم واما ضعيف عن اخذ الحق منهم قالوا وكلا الامرين حجة في اسقاط امامته علي من فعل ذلك، ووجوب حربه قالوا وما انكروا على عثمان الا اقل من هذا من جواز انفاذ اشياء بغير علمه فقد ينفذ مثلها سراً ولا يعلمها احد الا بعد ظهورها قالوا وحتى لو ان كل ما انكر على عثمان يصح ما حل بذلك قتله بلا خلاف من احد من اهل الاسلام لانهم انما أنكروا عليه استيثارا بشيء يسير من فضلات الاموال لم يجب لاحد بعينه فمنعها وتولية اقاربه فلما شكوا اليه عزلهم واقام الحد على من استحقه وانه صرف الحكم بن ابي العاص الى المدينة ونفي رسول الله صلى الله عليه وسلم للحكم لم يكن حداً واجباً ولا شريعة على التأبيد وانما كان عقوبة على ذنب استحق به النفي والتوبة مبسوطة فاذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من احد من اهل الاسلام وصارت الارض كلها مباحة وانه ضرب عمارا خمسة اسواط ونفي اباذر الى الربذة وهذا كله لا يبيح الدم قالوا وايواء على المحدثين اعظم الاحداث من سفك الدم الحرام في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما دم الامام وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم والمنع من انفاذ الحق عليهم اشد من كل ما ذكرنا بلا شك قالوا وامتناع معاوية من بيعة علي كامتناع علي من بيعة ابي بكر فما حاربه ابو بكر ولا اكرهه وابو بكر اقدر على علي من علي على معاوية ومعاوية في تأخره عن بيعة علي اعذر وافسح مقالا من علي في تأخره عن بيعة ابي بكر لان عليا لم يمتنع من بيعة ابي بكر احد من المسلمين غيره بعد ان بايعه الانصار والزبير واما بيعة علي فان جمهور الصحابة تأخروا عنها اما عليه واما لا له ولا عليه وما تابعه فيهم الا الاقل سوى ازيد من مائة الف مسلم بالشام والعراق ومصر والحجاز كلهم امتنع من بيعته فهل معاوية الا كواحد من هؤلاء في ذلك وايضا فان بيعة علي لم تكن على عهد من النبي صلى الله عليه وسلم كما كانت بيعة ابي بكر ولا عن اجماع من الامة كما كانت بيعة عثمان ولا عن عهد من خليفة واجب الطاعة كما كانت بيعة عمر ولا بسوق بائن في الفضل على غيره لا يختلف ولا عن شوري فالقاعدون عنها بلا شك ومعاوية من جملتهم اعذر من علي في قعوده عن بيعة ابي بكر ستة اشهر حتى رآى البصيرة وراجع الحق عليه في ذلك قالوا فان قلتم خفي على علي نص رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر قلنا لكم لم يخف عليه بلا شك تقديم رسول الله صلي الله عليه وسلم ابا بكر الى الصلاة وامره عليا بان يصلي وراه في جماعة المسلمين فتاخره عن بيعة ابي بكر سعي منه في حطه عن مكان جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً لابي بكر وسعي منه في فسخ نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تقديمه الى الصلاة وهذا اشد من رد إنسان نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لذنب ثم تاب منه وايضاً فان عليا قد تاب واعترف بالخطاء لانه اذا بايع ابو بكر بعد ستة اشهر تا خرفيها عن بيعته لايخلو ضرورة من احد وجهين اما ان يكون مصيباً في تأخره فقد اخطأ اذ بايع او يكون مصيباً في بيعته فقد اخطأ اذ تأخر عنها قالوا والممتنعون من بيعة علي لم يعترفوا قط بالخطاء على انفسهم في تأخرهم عن بيعته قالوا فان كان فعلهم خطأ فهو اخف من الخطاء في تأخر علي عن بيعة ابي بكر وان كان فعلهم صوابا فقد برئوا من الخطاء جملة قالوا والبون بين طلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعلي خفي جداً فقد كانوا في الشورى معه لا يبدو له فضل شفوق عليهم ولا على واحد منهم واما البون بين علي وابي بكر ابين واظهر فهم من امتناعهم عن بيعته اعذر لخفاء التفاضل قالوا وهلا فعل علي في قتلة عثمان كما فعل بقتلة عبد الله ابن خباب بن الارت فان القصتين استويا في التحريم فالمصيبة في قتل عثمان في الاسلام وعند الله عز وجل وعلى المسلمين اعظم جرماً واوسع خرقاً واشنع اثماً واهول فيقاً من المصيبة في قتل عبد الله بن خباب قالوا وفعله في طلب دم عبد الله بن خباب يقطع حجة من تأول على علي انه يمكن ان يكون لا يرى قتل الجماعة بالواحد

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا كلما يمكن ان تحتج به هذه الطائفة قد تقصيناه ونحن ان شاء الله تعالى متكلمون على ما ذهبت اليه كل طائفة من هذه الطوائف حتى يلوح الحق في ذلك بعون الله تعالى وتأييده

﴿ قال ابو محمد ﴾ نبدء بعون الله عز وجل بانكار الخوارج للتحكيم

﴿ قال ابو محمد ﴾ قالوا حكم على الرجال في دين الله تعالى والله عز وجل قد حرم ذلك بقوله * ان الحكم الا لله * وبقوله تعالى * وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله *

﴿ قال ابو محمد ﴾ ما حكم علي رضي الله عنه قط رجلا في دين الله وحاشاه من ذلك وانما

حكم كلام الله عز وجل كما افترض الله تعالى عليه وانما اتفق القوم كلهم اذ رفعت المصاحف
على الرماح وتداعوا الى ما فيها على الحكم بما انزل الله عز وجل في القرآن وهذا هو الحق
الذي لا يحل لاحد غيره لان الله تعالى يقول ۞ فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ۞ فانما حكم علي رضي الله عنه ابا موسى وعمرو رضي الله
عنهما ليكون كل واحد منهما مدلياً بحجة من قدمه وليكونا متخاصمين عن الطائفتين ثم
حاكمين لمن اوجب القرآن الحكم له واذ من المحال الممتنع الذي لا يمكن الذي لا يفهم لغط
العسكرين او ان يتكلم جميع اهل العسكر بحجتهم فصح يقيناً لا محيد عنه صواب علي في تحكيم
الحكمين والرجوع الى ما أوجبه القرآن وهذا الذي لا يجوز غيره ولكن اسلاف الخوارج
كانوا اعراباً قرؤا القرآن قبل ان يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يكن فيهم احد من الفقهاء لا من اصحاب ابن مسعود ولا اصحاب عمر ولا اصحاب علي ولا
اصحاب عائشة ولا اصحاب ابي موسى ولا اصحاب معاذ بن جبل ولا اصحاب ابي الدرداء ولا
أصحاب سلمان ولا اصحاب زيد وابن عباس وابن عمر ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند
اقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم وانهم انكروا
ما قام البرهان الذي أوردنا بانه حق ولو لم يكن من جهلهم لاقرب عهدهم بخبر الانصار يوم
السقيفة واذعانهم رضي الله عنهم مع جميع المهاجرين لوجب الامر في قريش دون الانصار
وغيرهم وان عهدهم بذلك قريب منذ خمسة وعشرين عاماً واشهر وجمهورهم ادرك ذلك بسنة
وثبت عند جميعهم كثبات امر النبي صلى الله عليه وسلم ولا فرق لان الذين نقلوا اليهم امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلوا اليهم القرآن والشرائع فدانوا بكل ذلك هم باعيانهم لا
زيادة فيهم ولا نقص نقلوا اليهم خبر السقيفة ورجوع الانصار الى ان الامر لا يكون الا في
قريش وهم يقرون ويقرؤن قوله تعالى ۞ لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
اؤلئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ۞ وقوله تعالى
۞ محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ۞ الآية
وقوله تعالى ۞ لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل
السكينة عليهم واثابهم فتحاً قريباً ۞ ثم اعماهم الشيطان واضلهم الله تعالى على علم ۞ فخلوا بيعة مثل

علي واعرضوا عن مثل سعيد بن زيد وسعد وابن عمر وغيرهم ممن انفق من قبل الفتح وقاتل
واعرضوا عن سائر الصحابة الذين انفقوا بعد الفتح وقاتلوا ووعدهم الله الحسنى وتركوا من
يقرون بان الله تعالى عز وجل علم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم ورضي عنهم وبايعوا الله
وتركوا جميع الصحابة وهم الاشداء على الكفار الرحماء بينهم الركع السجد المبتغون فضلاً من
الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود المثني عليهم في التوراة والانجيل من عند
الله عز وجل الذين غاظ الله بهم الكفار المقطوع على ان باطنهم في الخير كظاهرهم لان الله
عز وجل شهد بذلك فلم يبايعوا أحداً منهم وبايعوا شبث بن ربعي مؤذن سجاح ايام ادعت
النبوة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم حتى تداركه الله عز وجل ففر عنهم وتبين لهم
ضلالتهم فلم يقع اختيارهم الا على عبد الله بن وهب الراسبي اعرابي بوال على عقبيه لا سابقة
له ولا صحبة ولا فقه ولا شهد الله له بخير قط فمن اضل ممن هذه سيرته واختياره ولكن
حق لمن كان احدا ئمته ذو خويصرة الذي بلغه ضعف عقله وقلة دينه الى تجويره رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حكمه والاستدراك ورأى نفسه اورع من رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا وهو يقر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وبه اهتدى وبه عرف الدين ولولاه
لكان حماراً او اضل ونعوذ بالله من الخذلان واما الطائفة المصوبة للقاعدين فان من لم يلح له
الحق منهم فانما يكلم حتى يبين له الحق فيلزمه المصير اليه فنقول وبالله تعالى التوفيق انه قد
صح ووجب فرض الامامة بما ذكرنا قبل في ايجاب الامامة واذ هي فرض فلا يجوز تضييع
الفرض واذ ذلك كذلك فالمبادرة الى تقديم امام عند موت الامام فرض واجب وقد ذكرنا
وجوب الايتمام بالامام فاذ هذا كله كما ذكرنا فاذ مات عثمان رضي الله عنه وهو الامام ففرض
اقامة امام يأتم به الناس لئلا يبقوا بلا امام فاذ بادر علي فبايعه واحد من المسلمين فصاعدا
فهو امام قائم ففرض طاعته لاسيما ولم يتقدم بيعته بيعة ولم ينازعه الامامة احد ما فهذا
اوضح وواجب في وجوب امامته وصحة بيعته ولزوم امرته للمؤمنين فهو الامام بحقه وما
ظهر منه قط الى ان مات رضي الله عنه شيء يوجب نقض بيعته وما ظهر منه قط الا العدل
والجد والبر والتقوى كما لو سبقت بيعة طلحة او الزبير او سعد او سعيد او من يستحق الامامة
لكانت ايضاً بيعة حق لازمة لعلي ولغيره ولا فرق فعلي مصيب في الدعاء الى نفسه والى

الدخول تحت أمامته وهذا برهان لا محيد عنه واما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط امامة علي ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الامامة ولا أحدثوا امامة اخرى ولا جددوا بيعة لغيره هذا مالا يقدر ان يدعيه أحد بوجه من الوجوه بل يقطع كل ذي علم على ان كل ذلك لم يكن فاذ لاشك في كل هذا فقد صح صحة ضرورية لا اشكال فيها انهم لم يمضوا الى البصرة لحرب علي ولا خلافاً عليه ولا نقضاً لبيعته ولو أرادوا ذلك لاحدثوا بيعة غير بيعته هذا مالا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد فصح انهم انما نهضوا الى البصرة لسد الفتق الحادث في الاسلام من قتل امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلما وبرهان ذلك انهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا فلما كان الليل عرف قتلة عثمان ان الاراغة والتدبير عليهم فبينوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن انفسهم في دعوى حتى خالطوا عسكر علي فدفع اهله عن انفسهم وكل طائفة تظن ولاشك ان الاخرى بدأ بها بالقتال واختلط الامر اختلاطاً لم يقدر أحد على اكثر من الدفاع عن نفسه والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب واضرامه فكلتي الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها ورجع الزبير وترك الحرب بحالها وأتى طلحة سهم غاير وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط فصادف جرحاً في ساقه كان أصابه يوم احد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ومات من وقته رضي الله عنه وقتل الزبير رضي الله عنه بوادي السباع على اقل من يوم من البصرة فهكذا كان الامر وكذلك كان قتل عثمان رضي الله عنه انما حاصره المصريون ومن لف لفهم يديرونه على اسلام مروان اليهم وهو رضي الله عنه يأبى من ذلك ويعلم انه ان اسلمه قتل دون تثبت فهو على ذلك وجماعات من الصحابة فيهم الحسن والحسين ابناء علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة وابو هريرة وعبد الله بن عمر وغيرهم في نحو سبعماية من الصحابة وغيرهم معه في الدار يحمونه وينفلتون الى القتال فيردعهم تثبتاً الى ان تسوروا عليه من خوخة في دار ابن حزم الانصاري جاره غيلة فقتلوه ولا خبر من ذلك عند احد لعن الله من قتله والراضين بقتله فما رضي احد منهم قط بقتله ولا علموا انه يراد قتله لانه لم يأت منه شيء يبيح الدم الحرام واما قوله من قال انه رضي الله عنه اقام مطروحا على مزبلة ثلاثة ايام فكذب بحت وافك موضوع وتوليد من لا حياء في وجهه بل قتل عشية ودفن

من

من ليلته رضي الله عنه شهد دفنه طائفة من الصحابة وهم جبير بن مطعم وابو الجهم بن حذيفة وعبد الله بن الزبير ومكرم بن نيار وجماعة غيرهم هذا مما لا يتمادي فيه احد ممن له علم بالاخبار ولقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم برمي اجساد قتلا الكفار من قريش يوم بدر في القليب والقى التراب عليهم وهم شر خلق الله تعالى وامر عليه السلام ان يحفر اخاديد لقتلى يهود قريظة وهم شر من وارته الارض فمواراة المؤمن والكافر فرض على المسلمين فكيف يجوز لذي حياء في وجهه ان ينسب الى علي وهو الامام ومن بالمدينة من الصحابة انهم تركوا رجلا ميتاً ملقى بين اظهرهم على مزبلة لا يوارونه ولا نبالي مؤمناً كان او كافراً ولكن الله يأبى الا ان يفضح الكذابين بالسنتهم ولو فعل هذا علي لكانت جرحة لانه لا يخلو ان يكون عثمان كافراً او فاسقاً او مؤمناً فان كان كافراً او فاسقاً عنده فقد كان فرضاً على علي ان يفسخ احكامه في المسلمين فاذا لم يفعل فقد صح انه كان مؤمناً عنده فكيف يجوز ان ينسب ذو حياء الى علي انه ترك مؤمناً مطروحاً ميتاً على مزبلة لا يأمر بمواراته ام كيف يجوز ان يظن به انه انفذ احكام كافراً أو فاسق على اهل الاسلام ما احد أسوأ ثناء على علي من هؤلاء الكذبة الفجرة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن البرهان على صحة ما قلناه ان من الجهل الفاضح ان يظن ظان ان علياً رضي الله عنه بلغ من التناقض في احكامه واتباع الهوى في دينه والجهل ان يترك سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر واسامة بن زيد وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت ورافع بن خديج ومحمد بن مسلمة وكعب بن مالك وسائر الصحابة الذين لم يبايعوه فلا يجبرهم علياً وهم معه في المدينة وغيرها نعم والخوارج وهم يصيحون في نواحي المسجد باعلا أصواتهم بحضرته وهو على المنبر في مسجد الكوفة لا حكم الا الله لا حكم الا الله فيقول لهم رضي الله عنه لكم علينا ثلاث لا نمنعكم المساجد ولا نمنعكم حقكم من الفيء ولا نبدؤكم بقتال ولم يبدءوهم بحرب حتى قتلوا عبد الله بن خباب ثم لم يقاتلهم بعد ذلك حتى دعاهم الى ان يسلموا اليه قتلة عبد الله بن خباب فلما قالوا كلنا قتله قاتلهم حينئذ ثم يظن به مع هذا كله انه يقاتل اهل الجمل لامتناعهم من بيعته هذا افك ظاهر وجنون مختلف وكذب بحت بلا شك

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما امر معاوية رضي الله عنه فبخلاف ذلك ولم يقاتله علي رضي الله عنه

لامتناعه من بيعته لانه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر وغيره لكن قاتله لامتناعه من انفاذ اوامره في جميع ارض الشام وهو الامام الواجبة طاعته فعلي المصيب في هذا ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة لكن اجتهاده اداه الى ان رأى تقديم اخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة ورأى نفسه احق بطلب دم عثمان والكلام فيه عن ولد عثمان وولد الحكم بن ابي العاص لسنه ولقوته على الطلب بذلك كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن سهل اخا عبد الله بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت وهو اخو المقتول وقال له كبر كبر وروى الكبر الكبر فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصة وحويصة ابناء مسعود وهما ابنا عم المقتول لانهما كانا أسن من اخيه فلم يطلب معاوية من ذلك الا ما كان له من الحق ان يطلبه واصاب في ذلك الاثر الذي ذكرنا وانما اخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط فله اجر الاجتهاد في ذلك ولا اثم عليه فيما حرم من الاصابة كسائر المخطئين في اجتهادهم الذين اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم اجراً واحداً وللمصيب اجرين ولا عجب اعجب ممن يجيز الاجتهاد في الدماء وفي الفروج والانساب والاموال والشرائع التي يدان الله بها من تحريم وتحليل وايجاب ويعذر المخطئين في ذلك ويرى ذلك مباحاً لليث والبتي وابي حنيفة والثوري ومالك والشافعي واحمد وداوود واسحاق وابي ثور وغيرهم كزفر وابي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وابن القاسم واشهب وابن الماجشون والمزني وغيرهم فواحد من هؤلاء يبيح دم هذا الانسان وآخر منهم يحرمه كمن حارب ولم يقتل او عمل عمل قوم لوط وغير هذا كثير وواحد منهم يبيح هذا الفرج وآخر منهم يحرمه كبكر انكحها أبوها وهي بالغة عاقلة بغير اذنها ولا رضاها وغير هذا كثير وكذلك في الشرائع والاوامر والانساب وهكذا فعلت المعتزلة بشيوخهم كواصل وعمرو وسائر شيوخهم وفقهائهم وهكذا فعلت الخوارج بفقهائهم ومفتيهم ثم يضيقون ذلك على من له الصحبة والفضل والعلم والتقدم والاجتهاد كمعاوية وعمرو ومن معهما من الصحابة رضي الله عنهم وانما اجتهدوا في مسائل دماء كالتي اجتهد فيها المفتون وفي المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى قتل الحر بالعبد وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر وفيهم من لا يراه فأي فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما لولا الجهل والعمى والتخليط بغير

علم وقد علمنا ان من لزمه حق واجب وامتنع من ادائه وقاتل دونه فانه يجب على الامام ان يقاتله وان كان منا وليس ذلك بموثر في عدالته وفضله ولا بموجب له فسقاً بل هو مأجور لاجتهاده ونيته في طلب الخير فبهذا قطعنا على صواب علي رضي الله عنه وصحة امامته وانه صاحب الحق وان له اجرين اجر الاجتهاد واجر الاصابة وقطعنا ان معاوية رضي الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون اجراً واحداً وايضاً في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الى عليه وسلم انه اخبر عن مارقة تمرق بين طائفتين من امته يقتلها اولي الطائفتين بالحق فمرقت تلك المارقة وهم الخوارج من اصحاب علي واصحاب معاوية فقتلهم علي واصحابه فصح انهم اولي الطائفتين بالحق وايضا الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية

﴿ قال ابو محمد ﴾ المجتهد المخطي اذا قاتل على ما يري انه الحق قاصداً الى الله تعالى نيته غير عالم بانه مخطئ فهو فئة باغية وان كان مأجوراً ولا حد عليه اذا ترك القتال ولا قود واما اذا قاتل وهو يدري انه مخطئ فهذا محارب تلزمه المحاربة والقود وهذا يفسق ويخرج لا المجتهد المخطي وبيان ذلك قول الله تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله الى قوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم * فهذا نص قولنا دون تكلف تأويل ولا زوال عن موجب ظاهر الآية وقد سماهم الله عز وجل مؤمنين باغين بعضهم اخوة بعض في حين تقاتلهم واهل العدل المبغي عليهم والمأمورين بالاصلاح بينهم وبينهم ولم يصفهم عز وجل بفسق من اجل ذلك التقاتل ولا بنقص ايمان وانما هم مخطئون فقط باغون ولا يريد واحد منهم قتل آخر وعمار رضي الله عنه قتله ابو العادية يسار ابن سبع السلمي شهد بيعة الرضوان فهو من شهداء الله له بانه علم ما في قلبه وانزل السكينة عليه ورضي عنه فابو العادية رضي الله عنه متأول مجتهد مخطي فيه باغ عليه مأجور اجراً واحداً وليس هذا كقتلة عثمان رضي الله عنه لانهم لا مجال للاجتهاد في قتله لانه لم يقتل احدا ولا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنا بعد احصان ولا ارتد فيسوغ المحاربة تأويل بل هم فساق محاربون سافكون دماً حراماً عمداً بلا تأويل على سبيل الظلم والعدوان فهم فساق ملعونون

﴿قال ابو محمد﴾ فاذ قد بطل هذا الامر وصح ان علياً هو صاحب الحق فالاحاديث التي فيها التزام البيوت وترك القتال انما هو بلا شك فيمن لم يلح له يقين الحق اين هو وهكذا نقول فاذا تبين الحق فقتال الفئة الباغية فرض بنص القرآن وكذلك ان كانتا معاً باغيتين فقتالهما واجب لأن كلام الله عز وجل لا يعارض كلام نبيه صلى الله عليه وسلم لانه كله من عند الله عز وجل قال الله عز وجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * وقال عز وجل * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً * فصح يقيناً ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحي من عند الله عز وجل واذ هو كذلك فليس شيء مما عند الله تعالى مختلفا والحمد لله رب العالمين

﴿قال ابو محمد﴾ فلم يبق الا الكلام على الوجوه التي اعترض بها من رأى قتال علي رضي الله عنه

﴿قال أبو محمد﴾ فنقول وبالله تعالى التوفيق أما قولهم ان أخذ القود واجب من قتلة عثمان رضي الله عنه المحاربين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم الساعين في الارض بالفساد والهاتكين حرمة الاسلام والحرم والامامة والهجرة والخلافة والصحبة والسابقة فنعم وما خالفهم قط علي في ذلك ولا في البراءة منهم ولكنهم كانوا عدداً ضخماً جماً لا طاقة له عليهم فقد سقط عن علي رضي الله عنه ما لا يستطيع عليه كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق قال الله تعالى * لا يكلف الله نفساً الا وسعها * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ولو ان معاوية بايع علياً لقوي به على أخذ الحق من قتلة عثمان فصح ان الاختلاف هو الذي اضعف يد علي عن انفاذ الحق عليهم ولولا ذلك لانفذ الحق عليهم كما انفذه على قتلة عبد الله بن خباب اذ قدر على مطالبة قتلته وأما تأسي معاوية في امتناعه من بيعة علي بتأخر علي عن بيعة ابي بكر فليس في الخطأ اسوة وعلي قد استقال ورجع وبايع بعد يسير فلو فعل معاوية مثل ذلك لاصاب ولبايع حينئذ بلا شك كل من امتنع من الصحابة من البيعة من اجل الفرقة وأما تقارب ما بين علي وطلحة والزبير وسعد فنعم ولكن من سبقت بيعته وهو من اهل الاستحقاق والخلافة فهو الامام الواجبة طاعته فيما امر به من طاعة الله عز وجل سواء كان هنالك

من

من هو مثله او افضل كما سبقت بيعة عثمان فوجبت طاعته وامامته على غيره ولو بويع هنالك حينئذ وقت الشوري علي او طلحة او الزبير او عبد الرحمن اوسعد لكان الامام وللزمت عثمان طاعته ولا فرق فصح ان علياً هو صاحب الحق والامام المفترضة طاعته ومعاوية مخطىء مأجور مجتهد وقد يخفى الصواب على الصاحب العالم فيما هو ابين واوضح من هذا الامر من احكام الدين فربما رجع اذا استبان له وربما لم يستبن له حتى يموت عليه وما توفيقنا الا بالله عز وجل وهو المسئول العصمة والهداية لا اله الا هو

﴿قال ابو محمد﴾ فطلب علي حقه فقاتل عليه وقد كان تركه ليجمع كلمة المسلمين كما فعل الحسن ابنه رضي الله عنهما فكان له بذلك فضل عظيم قد تقدم به انذار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين طائفتين عظيمتين من أمتي فغبطه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ومن ترك حقه رغبة في حقن دماء المسلمين فقد أتى من الفضل بما لا وراء ولا لوم عليه بل هو مصيب في ذلك وبالله تعالى التوفيق

﴿الكلام في امامة المفضول﴾

﴿قال ابو محمد﴾ ذهبت طوائف من الخوارج وطوائف من المعتزلة وطوائف من المرجئة منهم محمد بن الطيب الباقلاني ومن اتبعه وجميع الرافضة من الشيعة الى انه لا يجوز امامة من يوجد في الناس افضل منه وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة وطائفة من المرجئة وجميع الزيدية من الشيعة وجميع اهل السنة الى ان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه

﴿قال ابو محمد﴾ واما الرافضة فقالوا ان الامام واحد معروف بعينه في العالم على ما ذكرنا من اقوالهم الذي قد تقدم افسادنا لها والحمد لله رب العالمين وما نعلم لمن قال ان الامامة لا تجوز الا لافضل من يوجد حجة اصلا لا من قرآن ولا من سنة ولا من اجماع ولا من صحة عقل ولا من قياس ولا قول صاحب وما كان هكذا فهو احق قول بالاطراح وقد قال ابو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة قد رضيت لكم احد هذين الرجلين يعني ابا عبيدة وعمر وابو بكر افضل منهما بلا شك فما قال احد من المسلمين انه قال من ذلك بما لا يحل في الدين ودعت الانصار الى بيعة سعد بن عبادة وفي المسلمين عدد كثير كلهم افضل منه بلا شك فصح بما ذكرنا اجماع جميع الصحابة رضي الله عنهم على جواز امامة المفضول ثم عهد عمر

رضي الله عنه الى ستة رجال ولا بد ان لبعضهم على بعض فضلا وقد اجمع اهل الاسلام
حينئذ على انه ان بويع احدهم فهو الامام الواجبة طاعته وفي هذا اطباق منهم على جواز
امامة المفضول ثم مات علي رضي الله عنه فبويع الحسن ثم سلم الامر الى معاوية وفي بقايا
الصحابة من هو افضل منهما بلا خلاف ممن انفق قبل الفتح وقاتل فكلهم اولهم عن آخرهم
بايع معاوية وراى امامته وهذا اجماع متيقن بعد اجماع على جواز امامة من غيره افضل
بيقين لاشك فيه الى ان حدث من لاوزن له عند الله تعالى فخرقوا الاجماع بارائهم الفاسدة
بلا دليل ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ والعجب كله كيف يجتمع قول الباقلاني انه لا تجوز الامامة لمن غيره من
الناس افضل منه وهو قد جوز النبوة والرسالة لمن غيره من الناس افضل منه فانه صرح
فيما ذكره عنه صاحبه ابو جعفر السمناني الاعمى قاضي الموصل بانه جائز ان يكون في الامة
من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين بعث الى ان مات

﴿ قال ابو محمد ﴾ ما في خذلان الله عز وجل احق من هاتين القضيتين لا سيما اذا اقترنتا
والحمد لله على الاسلام فان قال قائل كيف تحتجون هنا بقول الانصار رضي الله عنهم في دعائهم
الى سعد بن عبادة وهو عندكم خطأ وخلاف للنص من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف
تحتجون في هذا أيضاً بقول ابي بكر رضيت لكم احد هذين وخلافة ابي بكر عندكم نص
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اين له ان يترك ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلنا وبالله تعالى التوفيق ان فعل الانصار رضي الله عنهم انتظم حكمين احدهما تقديم
من ليس قرشياً وهذا خطأ وقد خالفهم فيه المهاجرون فسقطت هذه القضية والثاني جواز
تقديم من غيره افضل منه وهذا صواب وافقهم عليه ابو بكر وغيره فصار اجماعاً فقامت به
الحجة وليس خطأ من اخطأ في قول وخالفه فيه من اصاب الحق بموجب ان لا يحتج
بصوابه الذي وافقه فيه اهل الحق وهذا ما لا خلاف فيه وبالله تعالى التوفيق واما امر ابي
بكر فان الحق كان له بالنص وللمرء ان يترك حقه اذا رأى في تركه اصلاح ذات بين المسلمين
ولا فرق بين عطية اعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين منزلة صيرها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانسان فكان له ان يتجافى عنها لغيره اذ لم يمنعه من ذلك نص ولا اجماع

وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وبرهان صحة قول من قال بان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه وبطلان
قول من خالف ذلك انه لا سبيل الى ان يعرف الأفضل الا بنص أو اجماع اومعجزة تظهر
فالمعجزة ممتنعة هاهنا بلا خلاف وكذلك الاجماع وكذلك النص وبرهان آخر وهو ان
الذي كلفوا به من معرفة الافضل ممتنع محال لان قريشاً مفترقون في البلاد من اقصى السند
الى اقصى الاندلس الى اقصى اليمن وصحاري البربر الى اقصى ارمينية واذربيجان وخراسان
فما بين ذلك من البلاد فمعرفة اسمائهم ممتنع فكيف معرفة احوالهم فكيف معرفة افضلهم
وبرهان آخر وهو انا بالحس والمشاهدة ندري انه لا يدري احد فضل انسان على غيره ممن
بعد الصحابة رضي الله عنهم الا بالظن والحكم بالظن لا يحل قال الله تعالى ذاماً لقوم * ان
نظن الا ظناً وما نحن بمستيقنين * وقال تعالى * ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون *
وقال تعالى * قتل الخراصون * وقال تعالى * ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد
جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى * وقال تعالى * ان يتبعون الا الظن وان الظن لا
يغني من الحق شيئا * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب
الحديث وأيضاً فانا وجدنا الناس يتباينون في الفضائل فيكون الواحد ازهد ويكون الواحد
اورع ويكون الآخر اسوس ويكون الرابع أشجع ويكون الخامس اعلم وقد يكونون متقاربين
في التفاضل لا يبين التفاوت بينهم فبطل معرفة الافضل وصح ان هذا القول فاسد وتكليف
ما لا يطاق والزام ما لا يستطاع وهذا باطل لا يحل والحمد لله رب العالمين ثم قد وجدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلد النواحي وصرف تنفيذ جميع الاحكام التي تنفذها الائمة
الى قوم كان غيرهم بلا شك افضل منهم فاستعمل على اعمال اليمن معاذ بن جبل وأبا موسى
وخالد بن الوليد وعلى عمان عمرو بن العاص وعلى نجران ابا سفيان وعلى مكة عتاب بن اسيد
وعلى الطائف عثمان بن ابي العاص وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي ولا خلاف في ان ابا بكر
وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعمار بن ياسر وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف
وابا عبيدة وابن مسعود وبلالا واباذر افضل ممن ذكرنا فصح يقيناً ان الصفات التي يستحق
بها الامامة والخلافة ليس منها التقدم في الفضل وايضاً فان الفضائل كثيرة جداً منها الورع

والزهد والعلم والشجاعة والسخاء والحلم والعفة والصبر والصرامة وغير ذلك ولا يوجد احد
يبين في جميعها بل يكون بائناً في بعضها ومتأخراً في بعضها ففي ايها يراعي الفضل من لا يجيز
امامة المفضول فان اقتصر على بعضها كان مدعيا بلا دليل وان عم جميعها كلف من لا سبيل
الى وجوده ابداً في احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذ لاشك في ذلك فقد صح
القول في امامة المفضول وبطل قول من قال غير ذلك وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وذكر الباقلاني في شروط الامامة انها احد عشر شرطاً وهذا ايضاً دعوى
بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل فوجب ان ينظر في شروط الامامة التي لا تجوز الامامة
لغير من هن فيه فوجدناها ان يكون صلبية من قريش لاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الامامة فيهم وان يكون بالغاً مميزاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة
فذكر الصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق وان يكون رجلا لقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة وان يكون مسلما لان الله تعالى يقول * ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * والخلافة اعظم السبيل ولامره تعالى باصغار اهل الكتاب
واخذهم باداء الجزية وقتل من لم يكن من اهل الكتاب حتى يسلموا وان يكون متقدماً لامره
عالماً بما يلزمه من فرائض الدين متقياً لله تعالى بالجملة غير معلن بالفساد في الارض لقول الله
تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * لان من قدم من لا
يتق الله عز وجل ولا في شيء من الأشياء او معلناً بالفساد في الارض غير مأمون او من
لا ينفذ امراً او من لا يدري شيئاً من دينه فقد اعان على الاثم والعدوان ولم يعن على البر
والتقوى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وقال
عليه السلام يا ابا ذر انك ضعيف لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وقال تعالى * فان
كان الذي عليه الحق سفيهاً او ضعيفاً * الآية فصح ان السفيه والضعيف ومن لا يقدر على
شيء فلا بد له من ولي ومن لا بد له من ولي فلا يجوز ان يكون ولياً للمسلمين فصح ان
ولاية من لم يستكمل هذه الشروط الثمانية باطل لا يجوز ولا ينعقد اصلا ثم يستحب ان يكون
عالماً بما يخصه من امور الدين من العبادات والسياسة والاحكام مؤدياً للفرائض كلها لا
يخل بشيء منها مجتنباً لجميع الكبائر سراً وجهراً مستتراً بالصغائر ان كانت منه فهذه اربع صفات

يكره

يكره ان يلي الامة من لم ينتظمها فان ولي فولايته صحيحة ونكرهها وطاعته فيما اطاع الله
فيه واجبة ومنعه مما لم يطع الله فيه واجب والغاية المأمولة فيه ان يكون رفيقاً بالناس في غير
ضعف شديداً في انكار المنكر من غير عنف ولا تجاوز للواجب مستيقظاً غير غافل شجاع
النفس غير مانع للمال في حقه ولا مبذر له في غير حقه ويجمع هذا كله ان يكون الامام
قائماً باحكام القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا يجمع كل فضيلة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا يضر الامام ان يكون في خلقه عيب كالاعمى والاصم والاجدع
والاجذم والاحدب والذي لا يدان له ولا رجلان ومن بلغ الهرم ما دام يعقل ولو انه ابن
مائة عام ومن يعرض له الصرع ثم يفيق ومن بويع اثر بلوغه الحلم وهو مستوف لشروط
الامامة فكل هؤلاء امامتهم جائزة اذ لم يمنع منها نص قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا نظر
ولا دليل اصلا بل قال تعالى * كونوا قوامين بالقسط * فمن قام بالقسط فقد ادى ما امر
به ولا خلاف بين احد من اهل الاسلام في انه لا يجوز التوارث فيها ولا في انها لا تجوز
لمن لم يبلغ حاشا الروافض فانهم اجازوا كلا الامرين ولا خلاف بين احد في انها لا تجوز
لامرأة وبالله تعالى تتأيد

الكلام في عقد الامامة بماذا تصح

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهب قوم الى ان الامامة لا تصح الا باجماع فضلاء الأمة في اقطار البلاد
وذهب آخرون الى ان الامامة انما تصح بعقد اهل حضرة الامام والموضع الذي فيه قرار
الأئمة وذهب أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي الى ان الامامة لا تصح بأقل من عقد
خمس رجال ولم يختلفوا في ان عقد الامامة تصح بعهد من الامام الميت اذا قصد فيه حسن
الاختيار للأمة عند موته ولم يقصد بذلك هوي وقد ذكر في فساد قول الروافض وقول
الكيسانية ومن ادعى امامة رجل بعينه وأنبأ ان كل ذلك دعاو لا يعجز عنها ذو لسان
اذا لم يتق الله ولا استحياء من الناس اذ لا دليل على شيء منها

﴿ قال ابو محمد ﴾ اما من قال ان الامامة لا تصح الا بعقد فضلاء الامة في اقطار البلاد فباطل
لانه تكليف ما لا يطاق وما ليس في الوسع وما هو أعظم الحرج والله تعالى لا يكلف نفساً
وقال تعالى * وما جعل في الدين من حرج *

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا حرج ولا تعجيز اكثر من تعرف اجماع فضلاء من في المولتان والمنصورة الى بلاد مهرة الى عدن الى اقاصي المصامدة الى طنجة الى الاشبونة الى جزائر البحر الى سواحل الشام الى ارمينية وجبل القبج الى اسبنجاب وفرغانة واسروسنه الى اقاصي خراسان الى الجوزجان الى كابل المولتان فما بين ذلك من المدن والقرى ولا بد من ضياع امور المسلمين قبل ان يجمع جزء من مائة جزء من فضلاء اهل هذه البلاد فبطل هذا القول الفاسد مع انه لو كان ممكناً لما لزم لانه دعوى بلا برهان وانما قال تعالى * تعاونوا على البر والتقوى وكونوا قوامين بالقسط * فهذان الامران متوجهان احدهما الى كل انسان في ذاته ولا يسقط عنه وجوب القيام بالقسط انتظار غيره في ذلك واما التعاون على البر والتقو فتوجه الى كل اثنين فصاعدا لان التعاون فعل من فاعلين وليس فعل واحد ولا يسقط عن الاثنين فرض تعاونهما على البر والتقوى انتظار ثالث اذ لو كان ذلك لما لزم احدا قيام بقسط ولا تعاون على بر وتقوى اذ لا سبيل الى اجتماع اهل الارض على ذلك ابداً لتباعد اقطارهم ولتخلف من تخلف عن ذلك لعذر او على وجه المعصية ولو كان هذا لكان امر الله تعالى بالقيام بالقسط وبالتعاون على البر والتقوى باطلا فارغاً وهذا خروج عن الاسلام فسقط القول المذكور وبالله تعالى التوفيق واما قول من قال ان عقد الامامة لا يصح الا بعقد اهل حضرة الامام واهل الموضع الذي فيه قرار الائمة فان اهل الشام كانوا قد ادعوا ذلك لانفسهم حتى حملهم ذلك على بيعة مروان وابنه عبد الملك واستحلوا بذلك دماء اهل الاسلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهو قول فاسد لا حجة لاهله وكل قول في الدين عرى عن ذلك من القرآن او من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او من اجماع الامة المتيقن فهو باطل بيقين قال الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح ان من لا برهان له على صحة قوله فليس صادقاً فيه فسقط هذا القول ايضاً واما قول الجبائي فانه تعلق فيه بفعل عمر رضى الله عنه في الشورى اذ قلدها ستة رجال وامرهم ان يختاروا واحداً منهم فصار الاختيار منهم بخمسة فقط

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا ليس شيء لوجوه اولها ان عمر لم يقل ان تقليد الاختيار اقل من خمسة لا يجوز بل قد جاء عنه انه قال ان مال ثلاثة منهم الى واحد وثلاثة الى واحد فاتبعوا

الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف فقد اجاز عقد ثلاثة ووجه ثان وهو ان فعل عمر رضي الله عنه لا يلزم الامة حتى يوافق نص قرآن او سنة وعمر كسائر الصحابة رضى الله عنهم لا يجوز ان يخصه بوجوب اتباعه دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم والثالث ان اولئك الخمسة رضي الله عنهم قد تبرؤا من الاختيار وجعلوه الى واحد منهم يختار لهم وللمسلمين من رآه اهلاً للامامة وهو عبد الرحمن بن عوف وما انكر ذلك احد من الصحابة الحاضرين ولا الغائبين اذ بلغهم ذلك فقد صح اجماعهم على ان الامامة تنعقد بواحد فان قال قائل انما جاز ذلك لان خمسة من فضلاء المسلمين قلدوه قيل له ان كان هذا عندك اعتراضا فالتزم مثله سواء سواء ممن قال لك انما صح عقد اولئك الخمسة لان الامام الميت قلدهم ذلك ولو لا ذلك لم يجز عقدهم وبرهان ذلك انه انما عقد لهم الاختيار منهم لا من غيرهم فلو اختاروا من غيرهم لما لزم الانقياد لهم فلا يجوز عقد خمسة او اكثر الا اذا قلدهم الامام ذلك او ممن قال لك انما صح عقد اولئك الخمسة لاجماع فضلاء اهل ذلك العصر على الرضا بمن اختاروه ولو لم يجمعوا على الرضا به لما جاز عقدهم وهذا مما لا مخلص منه اصلا فبطل هذا القول بيقين لا اشكال فيه والحمد لله رب العالمين فاذ قد بطلت هذه الاقوال كلها فالواجب النظر في ذلك على ما اوجبه الله تعالى في القرآن والسنة واجماع المسلمين كما افترض علينا عز وجل اذ يقول * واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * فوجدنا عقد الامامة يصح بوجوه اولها وافضلها واصحها ان يعهد الامام الميت الى انسان يختاره اماماً بعد موته وسواء فعل ذلك في صحته او في مرضه وعند موته اذ لا نص ولا اجماع على المنع من احد هذه الوجوه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي بكر وكما فعل ابو بكر بعمر وكما فعل سليمان بن عبد الملك بعمر بن عبد العزيز وهذا هو الوجه الذي نختاره ونكره غيره لما في هذا الوجه من اتصال الامامة وانتظام امر الاسلام واهله ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب مما يتوقع في غيره من بقاء الامة فوضى ومن انتشار الامر وارتفاع النفوس وحدوث الاطماع

﴿ قال ابو محمد ﴾ انما انكر من انكر من الصحابة رضي الله عنهم ومن التابعين بيعة يزيد بن معاوية والوليد وسليمان لانهم كانوا غير مرضيين لا لان الامام عهد اليهم في حياته والوجه

الثاني ان مات الامام ولم يعهد الى احد ان يبادر رجل مستحق للامامة فيدعوا لي نفسه ولا منازع له ففرض اتباعه والانقياد لبيعته والتزام امامته وطاعته كما فعل علي اذ قتل عثمان رضي الله عنهما وكما فعل ابن الزبير رضي الله عنهما وقد فعل ذلك خالد بن الوليد اذ قتل الامراء زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة فأخذ خالد الراية عن غير امره وصوب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بلغه فعله وساعد خالداً جميع المسلمين رضي الله عنهم او ان يقوم كذلك عند ظهور منكر يراه فتلزم معاونته على البر والتقوى ولا يجوز التأخر عنه لان ذلك معاونة على الاثم والعدوان وقد قال عز وجل * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * كما فعل زيد بن الوليد ومحمد بن هارون المهدي رحمهم الله والوجه الثالث ان يصير الامام عند وفاته اختيار خليفة المسلمين الى رجل ثقة او الى اكثر من واحد كما فعل عمر رضي الله عنه عند موته وليس عندنا في هذا الوجه الا التسليم لما اجمع عليه المسلمون حينئذ ولا يجوز التردد في الاختيار اكثر من ثلاث ليال للثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله من بات ليلة ليس في عنقه بيعة ولأن المسلمين لم يجتمعوا على ذلك اكثر من ذلك والزيادة على ذلك باطل لا يحل على ان المسلمين يومئذ من حين موت عمر رضي الله عنه قد اعتقدوا بيعة لازمة في اعناقهم لازمة لاحد اولئك الستة بلا شك فهم وان لم يعرفوه بعينه فهو بلا شك واحد من اولئك الستة فباحد هذه الوجوه تصح الامامة ولا تصح بغير هذه الوجوه البتة

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان مات الامام ولم يعهد الى انسان بعينه فوثب رجل يصلح للامامة فبايعه واحد فاكثر ثم قام آخر ينازعه ولو بطرفة عين بعده فالحق حق الاول وسواء كان الثاني افضل منه اومثله او دونه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فوا ببيعة الاول فالاول من جاء ينازعه فاضربوا عنقه كائناً من كان فلو قام اثنان فصاعداً معاً في وقت واحد ويئس من معرفة ايهما سبقت بيعته نظر افضلهما واسوسهما فالحق له ووجب نزع الآخر لقول الله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوي ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * ومن البر تقليد الاسوس وليس هذا بيعة متقدمة يجب الوفاء بها ومحاربة من نازع صاحبها فان استويا في الفضل قدم الاسوس نعم وان كان اقل فضلا اذا كان مؤدياً للفرائض والسنن مجتنباً للكبائر مستتراً بالصغائر لان

الغرض من الامامة حسن السياسة والقوة على القيام بالامور فان استويا في الفضل والسياسة اقرع بينهما او نظر في غيرهما والله عز وجل لا يضيق على عباده هذا الضيق ولا يوقفهم على هذا الحرج لقوله تعالى * وما جعل عليكم في الدين من حرج * وهذا اعظم الحرج وبالله تعالى التوفيق

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿ قال ابو محمد ﴾ اتفقت الامة كلها على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من احد منهم لقول الله تعالى * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر * ثم اختلفوا في كيفيته فذهب بعض اهل السنة من القدماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم وهو قول احمد بن حنبل وغيره وهو قول سعد بن ابي وقاص واسامة ابن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم الى ان الغرض من ذلك انما هو بالقلب فقط ولا بد اوباللسان ان قدر علي ذلك ولا يكون باليد ولا بسل السيوف ووضع السلاح اصلا وهو قول ابي بكر ابن كيسان الأصم وبه قالت الروافض كلهم ولو قتلوا كلهم الا انهالم ترَ ذلك الاما لم يخرج الناطق فاذا خرج وجب سل السيوف حينئذٍ معه والا فلا واقتدي أهل السنة في هذا بعثمان رضى الله عنه وممن ذكرنا من الصحابة رضي الله عنهم وبمن رأى القعود منهم الا ان جميع القائلين بهذه المقالة من اهل السنة انما رأوا ذلك ما لم يكن عدلاً فان كان عدلاً وقام عليه فاسق وجب عندهم بلا خلاف سل السيوف مع الامام العدل وقد روينا عن ابن عمر انه قال لا ادري من هي الفئة الباغية ولو علمنا ما سبقتني انت ولا غيرك الى قتالها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا الذي لا يظن بأولئك الصحابة رضي الله عنهم غيره وذهبت طوائف من اهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية الى ان سل السيوف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اذا لم يمكن دفع المنكر الا بذلك قالوا فاذا كان اهل الحق في عصابة يمكنهم الدفع ولا ييئسون من الظفر ففرض عليهم ذلك وان كانوا في عدد لا يرجون لقلتهم وضعفهم بظفر كانوا في سعة من ترك التغيير باليد وهذا قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكل من معه من الصحابة وقول ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير وكل من كان معهم من الصحابة وقول معاوية وعمرو والنعمان بن بشير وغيرهم ممن معهم من الصحابة

رضي الله عنهم اجمعين وهو قول عبد الله بن الزبير ومحمد والحسن بن علي وبقية الصحابة من المهاجرين والانصار القائمين يوم الحرة رضي الله عن جميعهم اجمعين وقول كل من اقام على الفاسق الحجاج ومن والاه من الصحابة رضي الله عن جميعهم كأنس بن مالك وكل من كان ممن ذكرنا من افاضل التابعين كعبد الرحمن ابن ابي ليلي وسعيد بن جبير وابن البحتري الطائي وعطاء السلمي الازدي والحسن البصري ومالك بن دينار ومسلم بن بشار وابي الحوراء والشعبي وعبدالله بن غالب وعقبة بن عبدالغافر وعقبة بن صهبان وماهان والمطرف بن المغيرة ابن شعبة وابي المعدو حنظلة بن عبدالله وابي سح الهنائي وطلق بن حبيب والمطرف بن عبدالله ابن السخير والنصر بن انس وعطاء بن السائب وابراهيم بن يزيد التيمي وابي الحوسا وجبلة بن زحر وغيرهم ثم من بعد هؤلاء من تابعي التابعين ومن بعدهم كعبد الله بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عمرو كعبد الله بن عمر ومحمد بن عجلان ومن خرج مع محمد بن عبدالله بن الحسن وهاشم بن بشر ومطر الوراق ومن خرج مع ابراهيم بن عبدالله وهو الذي تدل عليه اقوال الفقهاء كأبي حنيفة والحسن بن حي وشريك ومالك والشافعي وداود واصحابهم فان كل من ذكرنا من قديم وحديث اما ناطق بذلك في فتواه واما فاعل لذلك بسل سيفه في انكار ما رأوه منكراً

﴿ قال ابو محمد ﴾ احتجت الطائفة المذكورة اولا باحاديث فيها انقاتلهم يا رسول الله قال لا ما صلوا وفي بعضها الا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان وفي بعضها وجوب الضرب وان ضرب ظهر احدنا واخذ ماله وفي بعضها فان خشيت ان يبهرك شعاع السيف فاطرح ثوبك على وجهك وقل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وفي بعضها كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وبقوله تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قرباناً فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر ﴾ الاية

﴿ قال ابو محمد ﴾ كل هذا لا حجة لهم فيه لما قد تقصيناه غاية التقصي خبراً خبراً باسانيدها ومعانيها في كتابنا الموسوم بالاتصال الى فهم معرفة الخصال ونذكر منه ان شاء الله هاهنا جملا كافية وبالله تعالى نتايد اما امره صلى الله عليه وسلم بالصبر على اخذ المال وضرب الظهر فانما ذلك بلا شك اذا تولى الامام ذلك بحق وهذا مالا شك فيه انه فرض علينا الصبر له وان امتنع من ذلك بل من ضرب رقبته ان وجب عليه فهو فاسق عاص لله تعالى واما

ان

ان كان ذلك بباطل فمعاذ الله ان يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ذلك برهان هذا قول الله عز وجل ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ وقد علمنا ان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام ربه تعالى قال الله عز وجل ﴿ وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ﴾ وقال تعالى ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ فصح ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحي من عند الله عز وجل لا اختلاف فيه ولا تعارض ولا تناقض ﴿ فاذا كان هذا كذلك فبيقين لا شك فيه يدري كل مسلم ان من اخذ مال مسلم او ذمي بغير حق وضرب ظهره بغير حق اثم وعدوان وحرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم فاذ لا شك في هذا ولا اختلاف من احد من المسلمين فالمسلم ماله للاخذ ظلماً وظهره للضرب ظلماً وهو يقدر على الامتناع من ذلك بأي وجه امكنه معاون لظالمه على الاثم والعدوان وهذا حرام بنص القرآن ﴿ واما سائر الاحاديث التي ذكرنا وقصة ابني آدم فلا حجة في شيء منها اما قصة ابني آدم فتلك شريعة اخرى غير شريعتنا قال الله عز وجل ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ واما الاحاديث فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكراً فليغيره بيده ان استطاع فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ليس وراء ذلك من الايمان شيء وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طاعة في معصية انما الطاعة في الطاعة وعلى أحدكم السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وانه عليه السلام قال من قتل دون ماله فهو شهيد والمقتول دون دينه شهيد والمقتول دون مظلمة شهيد وقال عليه السلام لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليعمنكم الله بعذاب من عنده فكان ظاهر هذه الاخبار معارضاً للاخر فصح ان احدى هاتين الجملتين ناسخة للأخرى لا يمكن غير ذلك فوجب النظر في ايهما هو الناسخ فوجدنا تلك الأحاديث التي منها النهي عن القتال موافقة لمعهود الأصل ولما كانت الحال عليه في اول الاسلام بلا شك وكانت هذه الأحاديث الاخر واردة بشريعة زايدة وهي القتال هذا ما لا شك فيه فقد صح نسخ معنى تلك الاحاديث ورفع حكمها حين نطقه عليه السلام بهذه الاخر بلا شك فمن المحال المحرم ان يؤخذ بالمنسوخ ويترك

الناسخ وان يؤخذ الشك ويترك اليقين ومن ادعى ان هذه الاخبار بعد ان كانت هي الناسخة فعادت منسوخة فقد ادعى الباطل وقفا ما لا علم له به فقال على الله ما لم يعلم وهذا لا يحل ولو كان هذا لما اخلا الله عز وجل هذا الحكم عن دليل وبرهان يبين به رجوع المنسوخ ناسخاً لقوله تعالى في القرآن تبياناً لكل شيء وبرهان آخر وهو ان الله عز وجل قال «وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء» لم يختلف مسلمان في ان هذه الآية التي فيها فرض قتال الفئة الباغية محكمة غير منسوخة فصح انها الحاكمة في تلك الاحاديث فما كان موافقاً لهذه الآية فهو الناسخ الثابت وما كان مخالفاً لها فهو المنسوخ المرفوع وقد ادعى قوم ان هذه الآية وهذه الاحاديث في اللصوص دون السلطان

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا باطل متيقن لانه قول بلا برهان وما يعجز مدع ان يدعي في تلك الاحاديث انها في قوم دون قوم وفي زمان دون زمان والدعوى دون برهان لا تصح وتخصيص النصوص بالدعوى لا يجوز لانه قول على الله تعالى بلا علم وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سائلاً سأله عن من طلب ماله بغير حق فقال عليه السلام لا تعطه قال فان قاتلني قال قاتله قال فان قتلته قال الى النار قال فان قتلني قال فأنت في الجنة او كلاماً هذا معناه وصح عنه عليه السلام انه قال المسلم اخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه وقد صح انه عليه السلام قال في الزكاة من سألها على وجهها فليعطها ومن سالها على غير وجهها فلا يعطها وهذا خبر ثابت رويناه من طريق الثقات عن انس بن مالك عن ابي بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يبطل تأويل من تأول احاديث القتال عن المال على اللصوص لا يطلبون الزكاة وانما يطلبه السلطان فاقتصر عليه السلام معها اذا سألها على غير ما امر به عليه السلام ولو اجتمع اهل الحق ما قاواهم اهل الباطل نسأل الله المعونة والتوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وما اعترضوا به من فعل عثمان فما علم قط انه يقتل وانما كان يراهم يحاصرونه فقط وهم لا يرون هذا اليوم للامام العدل بل يرون القتال معه ودونه فرضاً فلا حجة لهم في امر عثمان رضي الله عنه وقال بعضهم ان في القيام اباحة الحريم وسفك الدماء واخذ الاموال وهتك الاستار وانتشار الامر فقال لهم الاخرون كلا لانه لا يحل لمن امر بالمعروف ونهى

عن المنكر ان يهتك حريماً ولا ان يأخذ مالا بغير حق ولا ان يتعرض من لا يقاتله فان فعل شيئاً من هذا فهو الذي فعل ما ينبغي ان يغير عليه واما قتله اهل المنكر قلوا او كثروا فهذا فرض عليه واما قتل اهل المنكر الناس واخذهم اموالهم وهتكهم حريمهم فهذا كله من المنكر الذي يلزم الناس تغييره وايضاً فلو كان خوف ما ذكروا مانعا من تغيير المنكر ومن الامر بالمعروف لكان هذا بعينه مانعاً من جهاد اهل الحرب وهذا ما لا يقوله مسلم وان ادعى ذلك الى سبي النصارى نساء المسلمين واولادهم واخذ اموالهم وسفك دمائهم وهتك حريمهم ولا خلاف بين المسلمين في ان الجهاد واجب مع وجود هذا كله ولا فرق بين الامرين وكل ذلك جهاد ودعاء الى القرآن والسنة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ويقال لهم ما تقولون في سلطان جعل اليهود اصحاب امره والنصارى جنده والزم المسلمين الجزية وحمل السيف على اطفال المسلمين واباح المسلمات للزنا او حمل السيف على كل من وجد من المسلمين وملك نساءهم واطفالهم واعلن العبث بهم وهو في كل ذلك مقر بالاسلام معلن به لا يدع الصلاة فان قالوا لا يجوز القيام عليه قيل لهم انه لا يدع مسلما الا قتله جملة وهذا ان ترك اوجب ضرورة الا يبقى الا هو وحده واهل الكفر معه فان اجازوا الصبر على هذا خالفوا الاسلام جملة وانسلخوا منه وان قالوا بل يقام عليه ويقاتل وهو قولهم قلنا لهم فان قتل تسعة اعشار المسلمين او جميعهم الا واحداً وسبي من نسائهم كذلك واخذ من اموالهم كذلك فان منعوا من القيام عليه تناقضوا وان اوجبوا سالناهم عن اقل من ذلك ولا نزال نحطهم الى ان نقف بهم على قتل مسلم واحد او على امرأة واحدة او على اخذ مال او على انتهاك بشرة بظلم فان فرقوا بين شيء من ذلك تناقضوا وتحكموا بلا دليل وهذا ما لا يجوز وان اوجبوا انكار كل ذلك رجعوا الى الحق ونسألهم عمن غصب سلطانه الجائر الفاجر زوجته وابنته وابنه ليفسق بهم او ليفسق به بنفسه اهو في سعة من اسلام نفسه وامرأته وولده وابنته للفاحشة ام فرض عليه ان يدفع من اراد ذلك منهم فان قالوا فرض عليه اسلام نفسه واهله اتوا بعظيمة لا يقولها مسلم وان قالوا بل فرض عليه ان يمتنع من ذلك ويقاتل رجعوا الى الحق ولزم ذلك كل مسلم في كل مسلم وفي المال كذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ والواجب ان وقع شيء من الجور وان قل ان يكلم الامام في ذلك ويمنع

منه فان امتنع وراجع الحق واذعن للقود من البشرة او من الاعضاء ولاقامة حد الزنا والقذف والخمر عليه فلا سبيل الى خلعه وهو امام كما كان لا يحل خلعه فان امتنع من انفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ولم يراجع وجب خلعه واقامة غيره ممن يقوم بالحق لقوله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * ولا يجوز تضييع شيء من واجبات الشرائع وبالله تعالى التوفيق

الكلام في الصلاة خلف الفاسق

(والجهاد معه والحج ودفع الزكاة اليه ونفاذ احكامه من الاقضية والحدود وغير ذلك)

﴿قال ابو محمد﴾ ذهبت طائفة الى انه لا يجوز الصلاة الا خلف الفاضل وهو قول الخوارج والزيدية والروافض وجمهور المعتزلة وبعض اهل السنة وقال آخرون الا الجمعة والعيدين وهو قول بعض اهل السنة وذهبت طائفة الصحابة كلهم دون خلاف من احد منهم وجميع فقهاء التابعين كلهم دون خلاف من احد منهم واكثر من بعدهم وجمهور اصحاب الحديث وهو قول احمد والشافعي وابي حنيفة وداود وغيرهم الى جواز الصلاة خلف الفاسق الجمعة وغيرها وبهذا نقول وخلاف هذا القول بدعة محدثة فما تأخر قط احد من الصحابة الذين ادركوا المختار بن عبيد والحجاج وعبيد الله بن زياد وحبيش بن دلجة وغيرهم عن الصلاة خلفهم وهؤلاء افسق الفساق واما المختار فكان متهما في دينه مظنونا به الكفر

﴿قال ابو محمد﴾ احتج من يقول بمنع الصلاة خلفهم بقول الله تعالى * انما يتقبل الله من المتقين *

﴿قال ابو محمد﴾ فيقال لهم كل فاسق اذا نوى بصلاته رحمة الله تعالى فهو في ذلك من المتقين فصلاته متقبلة ولو لم يكن من المتقين الا من لاذنب له ما استحق احد هذا الاسم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل * ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة * ولا يجوز القطع على الفاسق بانه لم يرد بصلاته وجه الله تعالى ومن قطع بهذا فقد قفا ما لا علم له به وقال ما لا يعلم وهذا حرام وقال تعالى * ولا تقف ما ليس لك به علم * وقال عز وجل * وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * وقال بعضهم ان صلاة المأموم مرتبطة بصلاة الامام

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا غاية الفساد لانه قول بلا دليل بل البرهان يبطله لقوله تعالى * ولا

تكسب

تكسب كل نفس الا عليها * وقوله تعالى * ولا تزر وازرة وزر اخرى * ودعوى الارتباط هاهنا قول بلا برهان لا من قرآن ولا من سنة ولا من اجماع ولا من معقول وهم قد اجمعوا على ان طهارة الامام لا تنوب عن طهارة المأموم ولا قيامه عن قيامه ولا قعوده عن قعوده ولا سجوده عن سجوده ولا ركوعه عن ركوعه ولا نيته عن نيته فما معنى هذا الارتباط الذي تدعونه اذاً وايضاً فان القطع عن سريرة الذي ظاهره الفضل لا يجوز وانما هو ظن فاستوى الامر في ذلك في الفاضل والفاسق وصح انه لا يصلي احد عن احد وان كل احد يصلي عن نفسه وقال تعالى * اجيبوا داعي الله * فوجب بذلك ضرورة ان كل داع دعا الى خير من صلاة او حج او جهاد او تعاون على بر وتقوي ففرض اجابته وعمل ذلك الخير معه لقول الله تعالى * تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وان كل داع دعى الى شر فلا يجوز اجابته بل فرض دفاعه ومنعه وبالله تعالى نتايد

﴿قال ابو محمد﴾ وايضاً فان الفسق منزلة نقص عمن هو افضل منه والذي لا شك فيه ان النسبة بين افجر فاجر من المسلمين وبين افضل الصحابة رضي الله عنهم اقرب من النسبة بين افضل الصحابة رضي الله عنهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عرى احد من تعمد ذنب وتقصير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما تفاضل المسلمون في كثرة الذنوب وقلتها وفي اجتناب الكبائر ومواقعتها واما الصغائر فما نجا منها احد بعد الانبياء عليهم السلام وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ابي بكر وعبد الرحمن بن عوف وبهذا صح ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله فان استووا فافقههم ندب لا فرض فليس لفاضل بعد هذا ان يمتنع من الصلاة خلف من هو دونه في القصوى من الغايات

﴿قال ابو محمد﴾ واما دفع الزكاة الى الامام فان كان الامام القرشي الفاضل او الفاسق لم ينازعه فاضل فهي جارية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضوا مصدقيكم ولا يكون مصدقا كل من سمى نفسه مصدقاً لكن من قام البرهان بانه مصدق بارسال الامام الواجبة طاعته له واما من سألها من هو غير الامام المذكور او غير مصدقه فهو عابر سبيل لا حق له في قبضها فلا يجزي دفعها اليه لانه دفعها الى غير من امر بدفعها اليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وهكذا القول في الاحكام كلها من الحدود وغيرها ان اقامها الامام الواجبة طاعته والذي لا بد منه فان وافقت القرآن والسنة نفذت والا فهي مردودة لما ذكرنا وان اقامها غير الامام او واليه فهي كلها مردودة ولا يحتسب بها لانه اقامها من لم يؤمر باقامتها فان لم يقدر عليها الامام فكل من قام بشيء من الحق حينئذ نفذ لامر الله تعالى لنا بان نكون قوامين بالقسط ولا خلاف بين احد من الامة اذا كان الامام حاضراً متمكناً او اميره او واليه فان من بادر الى تنفيذ حكم هو الي الامام فانه اما مظلمة ترد واما عزل لا ينفذ على هذا جرى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع عماله في البلاد بنقل جميع المسلمين عصراً بعد عصر ثم عمل جميع الصحابة رضي الله عنهم واما الجهاد فهو واجب مع كل امام وكل متغلب وكل باغ وكل محارب من المسلمين لانه تعاون على البر والتقوى وفرض على كل أحد الدعا الى الله تعالى والى دين الاسلام ومنع المسلمين ممن ارادهم قال تعالى * فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد * الآية فهذا عموم لكل مسلم بنص الآية في كل مكان وكل زمان وبالله تعالى التوفيق تم كتاب الامامة والمفاضلة بحمد الله تعالى وشكره

ذكر العظائم المخرجة الى الكفر

(او الى المحال من أقوال أهل البدع المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيع)

﴿ قال أبو محمد ﴾ قد كتبنا في ديواننا هذا من فضائح الملل المخالفة لدين الاسلام الذي في كتبهم من اليهود والنصارى والمجوس ما لا بقية لهم بعدها ولا يمتري أحد وقف عليها انهم في ضلال وباطل ونكتب ان شاء الله تعالى على هذه الفرق الاربع من فواحش أقوالهم ما لا يخفى على أحد قراه انهم في ضلال وباطل ليكون ذلك زاجراً لمن أراد الله توفيقه عن مضامتهم او التمادي فيهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وليعلم من قرأ كتابنا هذا انا لا نستحل ما يستحله من لا خير فيه من تقويل أحد ما لم يقله نصاً وان آل قوله اليه اذ قد لا يلزم ما ينتجه قوله فيتناقض فأعلموا ان تقويل القائل كافراً كان او مبتدعاً او مخطئاً ما لا يقوله نصاً كذب عليه ولا يحل الكذب على أحد لكن ربما دلسوا المعنى الفاحش بلفظ ملتبس ليسهلوه على اهل الجهل ويحسن النظر بهم من اتباعهم وليبعد فهم تلك العظيمة على العامة

من مخالفتهم كقول طوائف من أهل البدعة والضلالة لا يوصف الله تعالى بالقدرة على المحال ولا على الظلم ولا على الكذب ولا على غير ما علم انه يكون فأخفوا اعظم الكفر في هذه القضية لما ذكرنا من تأنيس الاغمار من اتباعهم وتسكين الدهما من مخالفيهم فراراً عن كشف معتقدهم صراحاً الذي هو انه تعالى لا يقدر على الظلم ولا له قوة على الكذب ولا به طاقة على المحال ولا بد لنا من ايضاح ماموهوه هكذا وايراده بأظهر عباراته كشفاً لتمويههم وتقرباً الى الله تعالى بهتك أستارهم وكشف اسرارهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

ذكر شنع الشيعة

﴿ قال ابو محمد ﴾ اهل الشنع من هذه الفرقة ثلاث طوايف أولها الجارودية من الزيدية ثم الامامية من الرافضة ثم الغالية فأما الجارودية فان طائفة منهم قالت ان محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ابن علي بن ابي طالب القائم بالمدينة علي ابي جعفر المنصور فوجه اليه المنصور عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس فقتل محمد بن عبد الله بن الحسن رحمه الله فقالت هذه الطائفة ان محمداً المذكور حي لم يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً وقالت طائفة أخرى منهم انه يحيي بن عمر بن يحيي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القايم بالكوفة ايام المستعين فوجه اليه محمد بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين بأمر المستعين ابن عمة الحسن بن اسماعيل ابن الحسين وهو ابن اخي طاهر بن الحسين فقتل يحيي بن عمر رحمه الله فقالت الطائفة المذكورة ان يحيي بن عمر هذا حي لم يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً وقالت طائفة منهم ان محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب القايم بالطالقان ايام المعتصم حي لم يمت ولا قتل ولا يموت حتى يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً وقالت الكيسانية وهم اصحاب المختار بن ابي عبيد وهم عندنا شعبة من الزيدية في سبيلهم ان محمد بن علي بن ابي طالب وهو ابن الحنفية حي بجبال رضوي عن يمينه اسد وعن يساره نمر تحدثه الملائكة يأتيه رزقه غدواً وعشياً لم يمت ولا يموت حتى يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً وقال بعض الروافض الامامية وهي الفرقة التي تدعي المطورة ان موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب حي لم يمت

ولا يموت حتى يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً وقالت طائفة منهم وهم الناووسية اصحاب ناوس المصري مثل ذلك في ابيه جعفر بن محمد وقالت طائفة منهم مثل ذلك في اخيه اسماعيل بن جعفر وقالت السبابية اصحاب عبد الله بن سبا الحميري اليهودي مثل ذلك في علي بن ابي طالب رضي الله عنه وزادوا انه في السحاب فليت شعري في اي سحابة هو من السحاب والسحاب كثير في اقطار الهواء مسخر بين السماء والارض كما قال الله تعالى وقال عبد الله بن سبا اذ بلغه قتل علي رضي الله عنه لو اتيتمونا بدماغه سبعين مرة ما صدقنا موته ولا يموت حتى يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً وقال بعض الكيسانية بان ابا مسلم السراج حيّ لم يمت وسيظهر ولا بد وقال بعض الكيسانية بأنه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب حيّ بجبال اصبهان الى اليوم ولا بد له من ان يظهر وعبد الله هذا هو القائم بفارس ايام مروان بن محمد وقتله ابو مسلم بعد ان سجنه دهراً وكان عبد الله هذا رديّ الدين معطلا مستصحباً للدهرية

﴿ قال ابو محمد ﴾ فصار هؤلاء في سبيل اليهود القائلين بأن ملكيصيدق بن عامر بن ارنخشد بن سام ابن نوح والعبد الذي وجهه ابراهيم عليه السلام ليخطب ريقا بنت بتؤال بن ناخور بن تارخ علي اسحاق ابنه عليه السلام والياس عليه السلام وفنحاس بن العازار بن هارون عليه السلام احياء الى اليوم وسلك هذا السبيل بعض نركي الصوفية فزعموا ان الخضر والياس عليهما السلام حيان الى اليوم وادعى بعضهم انه يلقى الياس في الفلوات والخضر في المروج والرياض وانه متى ذكر حضر على ذاكره

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان ذكر في شرق الارض وغربها وشمالها وجنوبها وفي الف موضع في دقيقة واحدة كيف يصنع ولقد لقينا من يذهب الى هذا خلقاً وكلمناهم منهم المعروف بابن شق الليل المحدث بطلبيره وهو مع ذلك من اهل العناية وسعة الرواية ومنهم محمد بن عبد الله الكاتب واخبرني انه جالس الخضر وكلمه مراراً وغيره كثير هذا مع سماعهم قول الله تعالى ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي فكيف يستجيز مسلم ان يثبت بعده عليه السلام نبياً في الارض حاشا ما استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآثار المسندة الثابتة في نزول عيسى بن مريم عليه السلام في اخر الزمان وكفار

برغواطه الى اليوم ينتظرون صالح بن طريف الذي شرع لهم دينهم وقالت القطيعية من الامامية الرافضة كلهم وهم جمهور الشيعة ومنهم المتكلمون والنظارون والعدد العظيم بان محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب حي لم يمت ولا يموت حتى يخرج فيملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً وهو عندهم المهدي المنتظر وبقول طائفة منهم ان مولد هذا الذي لم يخلق قط في سنة ستين ومائتين سنة موت ابيه وقالت طائفة منهم بل بعد موت ابيه بمدة وقالت طائفة منهم بل في حياة ابيه ورووا ذلك عن حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى وانها شهدت ولادته وسمعته يتكلم حين سقط من بطن امه ويقرأ القرآن وان امه نرجس وانها كانت هي القابلة وقال جمهورهم بل امه صقيل وقالت طائفة منهم بل امه سوسن وكل هذا هوس ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكراً ولا انثى فهذا اول نوك الشيعة ومفتاح عظيماتهم واخفها وان كانت مهلكة ثم قالوا كلهم اذ سئلوا عن الحجة فيما يقولون حجتنا الالهام وان من خالفنا ليس لرشده فكان هذا طريفاً جداً وليت شعري ما الفرق بينهم وبين عيار مثلهم يدعي في ابطال قولهم الالهام وان الشيعة ليسوا لرشدة اوانهم نوكة اوانهم جملة ذووا شعبة من جنون في رؤسهم وما قولهم فيمن كان منهم ثم صار في غيرهم او من كان في غيرهم فصار فيهم اتراه ينتقل من ولادة الغية الى ولادة الرشدة ومن ولادة الرشدة الى ولادة الغية فان قالوا حكمه لما يموت عليه قيل لهم فلعلكم اولاد غية اذ لا يؤمن رجوع الواحد فالواحد منكم الى خلاف ما هو عليه اليوم والقوم بالجملة ذووا اديان فاسدة وعقول مدخولة وعديموا حياء ونعوذ بالله من الضلال وذكر عمرو بن بحر الجاحظ وهو وان كان احد المجان ومن غلب عليه الهزل واحد الضلال المضلين فانا ما رأينا له في كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتاً لها وان كان كثيراً لا يراد كذب غيره قال اخبرني ابو اسحاق ابراهيم النظام وبشر بن خالد انهما قالا لمحمد بن جعفر الرافضي المعروف بشيطان الطاق ويحك اما استحيت من الله ان تقول في كتابك في الامامة ان الله تعالى لم يقل قط في القرآن ﴿ ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ﴾ قالا فضحك والله شيطان الطاق ضحكاً طويلاً حتى كانا نحن الذي اذنبنا قال النظام وكنا نكلم علي ابن ميثم الصابوني وكل من شيوخ الرافضة ومتكلميهم فنسأله أرأي أم سماع عن الأئمة فينكر ان يقوله برأي فتخبره بقوله فيها قبل

ذلك قال فو الله ما رأيته خجل من ذلك ولا استحيا لفعله هذا قط ومن قول الامامية كلها قديماً وحديثاً ان القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبدل منه كثير حاشا على بن الحسن بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن ابن علي بن ابي طالب وكان امامياً يظاهر بالاعتزال مع ذلك فانه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله وكذلك صاحباه ابو يعلي ميلاد الطوسي وابو القاسم الرازي

﴿ قال ابو محمد ﴾ القول بان بين اللوحين تبديلا كفر صحيح وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت طائفة من الكيسانية بتناسخ الارواح وبهذا يقول السيد الحميري الشاعر لعنه الله وبلغ الامر بمن يذهب الى هذا الى ان يأخذ أحدهم البغل او الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه على ان روح ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فيه فاعجبوا لهذا الحمق الذي لا نظير له وما الذي خص هذا البغل الشقي او الحمار المسكين بنقله الروح اليه دون سائر البغال والحمير وكذلك يفعلون بالعنز على ان روح ام المؤمنين رضي الله عنها فيها وجمهور متكلميهم كهشام ابن الحكم الكوفي وتلميذه ابي علي الصكاك وغيرهما يقول ان علم الله تعالى محدث وانه لم يكن يعلم شيئاً حتى احدث لنفسه علما وهذا كفر صحيح وقد قال هشام هذا في حين مناظرته لابي الهذيل العلاف ان ربه سبعة اشبار بشبر نفسه وهذا كفر صحيح وكان داود الجوازي من كبار متكلميهم يزعم ان ربه لحم ودم على صورة الانسان ولا يختلفون في ان الشمس ردت على عليّ بن ابي طالب مرتين افيكون في صفاقة الوجه وصلابة الخد وعدم الحياء والجرأة على الكذب ا كثر من هذا على قرب العهد وكثرة الخلق وطائفة منهم تقول ان الله تعالى يريد الشيء ويعزم عليه ثم يبدو له فلا يفعله وهذا مشهور للكيسانية ومن الامامية من يجيز نكاح تسع نسوة ومنهم من يحرم الكرنب لانه انما نبت على دم الحسين ولم يكن قبل ذلك وهذا في قلة الحياء قريب مما قبله وكما يزعم كثير منهم ان علياً لم يكن له سمي قبله وهذا جهل عظيم بل كان في العرب كثير يسمون هذا الاسم كعلي بن بكر بن وايل اليه يرجع كل بكري في العالم في نسبه وفي الازد علي وفي بجيله علي وغيرها كل ذلك في الجاهلية مشهور واقرب من ذلك عامر بن الطفيل يكني ابا علي ومجاهراتهم اكثر مما ذكرنا ومنهم طائفة تقول بفناء الجنة والنار وفي الكيسانية من يقول ان الدنيا لا تفنى ابداً ومنهم طائفة تسمى النحلية

نسبوا

نسبوا الى الحسن بن علي بن ورصند النحلي كان من اهل نفطة من عمل قفصة وقسطيلية من كور افريقية ثم نهض هذا الكافر الى السوس في اقاصي بلاد المصامدة فاضلهم واضل امير السوس احمد بن ادريس بن يحيي بن ادريس ابن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب فهم هنالك كثير سكان في ربض مدينة السوس معلنون بكفرهم وصلاتهم خلاف صلاة المسلمين لا يأكلون شيئاً من الثمار زبل اصله ويقولون ان الامامة في ولد الحسن دون ولد الحسين ومنهم اصحاب ابي كامل ومن قولهم ان جميع الصحابة رضي الله عنهم كفروا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم اذ جحدوا امامة علي وان علياً كفر اذا سلم الامر الى ابي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم قال جمهورهم ان علياً ومن اتبعه رجعوا الى الاسلام اذ دعى الى نفسه بعد قتل عثمان واذ كشف وجهه وسل سيفه وانه واياهم كانوا قبل ذلك مرتدين عن الاسلام كفاراً مشركين ومنهم من يرد الذنب في ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يبين الامر بياناً رافعاً للاشكال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذا كفر صريح لاخفاء به فهذه مذاهب الامامية وهي المتوسطة في الغلو من فرق الشيعة واما الغالية من الشيعة فهم قسمان قسم اوجبت النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لغيره والقسم الثاني اوجبوا الالهية لغير الله عز وجل فلحقوا بالنصارى واليهود وكفروا اشنع الكفر فالطائفة التي اوجبت النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم فرق فمنهم الغرابية وقولهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان اشبه بعلي من الغراب بالغراب وان الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي الى علي فغلط جبريل بمحمد ولا لوم على جبريل في ذلك لانه غلط وقالت طائفة منهم بل تعمد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه لعنهم الله

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهل سمع باضعف عقولا واتم رقاعة من قوم يقولون ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان يشبه علي بن ابي طالب فيا للناس اين يقع شبه ابن اربعين سنة من صبي ابن احدى عشرة سنة حتى يغلط به جبريل عليه السلام ثم محمد عليه السلام فوق الربعة الى الطول قويم القناة كث اللحية ادعج العينين ممتلي الساقين صلى الله عليه وسلم قليل شعر الجسد افرع وعليّ دون الربعة الى القصر منكب شديد الانكباب كأنه كسر ثم جبر عظيم اللحية قد ملئت صدره من منكب الى منكب اذ التحي ثقيل العينين دقيق الساقين

اصلع عظيم الصلع ليس في رأسه شعر الا في مؤخره يسير كثير شعر اللحية فأعجبوا لحمق هذه الطبقة ثم لو جازان يغلط جبريل وحاشا لروح القدس الامين كيف غفل الله عز وجل عن تقويمه وتنبيهه وتركه على غلطه ثلاثاً وعشرين سنة ثم اظرف من هذا كله من اخبرهم بهذا الخبر ومن خرفهم بهذه الخرافة وهذا لا يعرفه الا من شاهد امر الله تعالى لجبريل عليه السلام ثم شاهد خلافه فعلي هؤلاء لعنة الله ولعنة اللاعنين ولعنة الناس أجمعين ما دام لله في عالمه خلق وفرقة قالت بنبوّة علي وفرقة قالت بأن علي بن ابي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم وعلي بن الحسين ومحمد ابن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر ابن الحسن انبياء كلهم وفرقة قالت بنبوّة محمد بن اسماعيل بن جعفر فقط وهم طائفة من القرامطة وفرقة قالت بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية فقط وهم طائفة من الكيسانية وقد حام المختار حول ان يدعي النبوة لنفسه وسجع اسجاعاً وانذر بالغيوب عن الله واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة وقال بأمامة محمد بن الحنفية وفرقة قالت بنبوّة المغيرة بن سعيد مولي بجيلة بالكوفة وهو الذي احرقه خالد بن عبدالله القسري بالنار وكان لعنه الله يقول ان معبوده صورة رجل علي رأسه تاج وان أعضاءه علي عدد حرف الهجا الألف للساقين ونحو ذلك مما لا ينطلق لسان ذي شعبة من دين به تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً وكان لعنه الله يقول ان معبوده لما اراد ان يخلق الخلق تكلم باسمه الاكبر فوقع على تاجه ثم كتب بأصبعه أعمال العباد من المعاصي والطاعات فلما رأى المعاصي ارفض به عرقاً فاجتمع من عرقه بحران احدهما ملح مظلم والثاني نير عذب ثم اطلع في البحر فرأى ظلمة فذهب ليأخذه فطار فأخذه فقلع عيني ذلك الظل ومحقه فخلق من عينيه الشمس وشمساً اخرى وخلق الكفار من البحر المالح وخلق المؤمنين من البحر العذب في تخليط لهم كثير وكان مما يقول ان الانبياء لم يختلفوا قط في شيء من الشرايع وقد قيل ان جابر بن يزيد الجعفي الذي يروي عن الشعبي كان خليفة المغيرة ابن سعيد اذ حرقه خالد بن عبد الله القسري فلما مات جابر خلفه بكر الاعور الهجري فلما مات فوضو أمرهم الى عبد الله بن المغيرة رئيسهم المذكور وكان لهم عدد ضخم بالكوفة وآخر ما وقف عليه المغيرة ابن سعيد القول بأمامة محمد بن

عبد

عبدالله بن الحسن بن الحسين وتحريم ماء الفرات وكل ماء نهر اوعين اوبئر وقعت فيه نجاسة فبرئت منه عند ذلك القائلون بالامامة في ولد الحسين وفرقة قالت بنبوة بيان بن سمعان التميمي صلبه واحرقه خالد بن عبد الله القسري مع المغيرة بن سعيد في يوم واحد وجبن المغيرة بن سعيد عن اعتناق حزمة الحطب جبناً شديداً حتى ضم اليها قهراً وبادر بيان بن سمعان الى الحزمة فاعتنقها من غير اكراه ولم يظهر منه جزع فقال خالد لاصحا بهما في كل شيء انتم مجانين هذا كان ينبغي ان يكون رئيسكم لا هذا الفسل وكان بيان لعنه الله يقول ان الله تعالى يفنى كله حاشا وجهه فقط وظن المجنون انه تعلق في كفره هذا بقول الله تعالى ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك﴾ ولو كان له ادنى عقل او فهم لعلم ان الله تعالى انما اخبر بالفناء عما على الارض فقط بنص قوله الصادق ﴿كل من عليها فان﴾ ولم يصف عز وجل بالفناء غير ما على الارض ووجه الله تعالى هو الله وليس هو شيئاً غيره وحاشا لله من ان يوصف بالتبعيض والتجزي هذه صفة المخلوقين المحدودين لا صفة من لا يحد ولا له مثل وكان لعنه الله يقول انه المعنى بقول الله تعالى ﴿هذا بيان للناس﴾ وكان يذهب الى ان الامام هو هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ثم هي في سائر ولد علي كلهم وقالت فرقة منهم بنبوة منصور المستير العجلي وهو الملقب بالكسف وكان يقال انه المراد بقول الله عز وجل ﴿وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً﴾ وصلبه يوسف بن عمر بالكوفة وكان لعنه الله يقول انه عرج به الى السماء وان الله تعالى مسح رأسه بيده وقال له ابني اذهب فبلغ عني وكان يمين اصحابه لا والكلمة وكان لعنه الله يقول بان اول من خلق الله تعالى عيسى بن مريم ثم علي بن ابي طالب وكان يقول بتواتر الرسل واباح المحرمات من الزنا والخمر والميتة والخنزير والدم وقال انما هم اسماء رجال وجمهور الرافضة اليوم على هذا واسقط الصلاة والزكاة والصيام والحج واصحابه كلهم خنافون رضاخون وكذلك اصحاب المغيرة بن سعيد ومعناهم في ذلك انهم لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذى ينتظرونه فهم يقتلون الناس بالخنق وبالحجارة والخشبية بالخشب فقط وذكر هشام بن الحكم الرافضي في كتابه المعروف بالميزان وهو اعلم الناس بهم لانه جارهم بالكوفة وجارهم في المذهب ان الكسفية خاصة يقتلون من كان منهم ومن خالفهم ويقولون نعجل المؤمن الى الجنة والكافر الى النار وكانوا بعد موت ابي منصور يؤدون الخمس مما يأخذون ممن

خنقوه الى الحسن بن ابي المنصور واصحابه فرقتان فرقة قالت ان الامام بعد محمد بن علي بن الحسن صارت الى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وفرقة قالت بل الى ابي المنصور الكسف ولا تعود في ولد علي ابداً وقالت فرقة بنبوة بزيغ الحائك بالكوفة وان وقع هذه الدعوة لهم في حايك لظريفة وفرقة قالت بنبوة معمر بايع الحنطة بالكوفة وقالت فرقة بنبوة عمير التبان بالكوفة وكان لعنه الله يقول لاصحابه لو شئت ان اعيد هذا التبن تبراً لفعلت وقدم الى خالد بن عبد الله القسري بالكوفة فتجلد وسب خالداً فامر خالد بضرب عنقه فقتل الى لعنة الله وهذه الفرق الخمس كلها من فرق الخطابية وقالت فرقة من اولئك شيعة بني العباس بنبوة عمار الملقب بخداش فظفر به اسد بن عبد الله اخو خالد بن عبد الله القسري فقتله الى لعنة الله والقسم الثاني من فرق الغالية الذين يقولون بالالهية لغير الله عز وجل فاولهم قوم من اصحاب عبد الله بن سبا الحميري لعنه الله اتوا الى علي بن ابي طالب فقالوا مشافهة انت هو فقال لهم ومن هو قالو انت الله فاستعظم الامر وامر بنار فاججت واحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار الآن صح عندنا انه الله لانه لا يعذب بالنار الا الله وفي ذلك يقول رضي الله عنه

لما رأيت الامر أمراً منكراً ❊ اججت ناراً ودعوت قنبراً

يريد قنبراً مولاه وهو الذي تولى طرحهم في النار نعوذ بالله من ان نفتتن بمخلوق او يفتتن بنا مخلوق فيما جل او دق فان محنة ابي الحسن رضي الله عنه من بين اصحابه رضي الله عنهم كمحنة عيسى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من الرسل عليهم السلام وهذه الفرقة باقية الى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون العليانية منهم كان اسحاق بن محمد النخعي الاحمر الكوفي وكان من متكلميهم وله في ذلك كتاب سماه الصراط نقض عليه البهنكي والفياض لما ذكرنا ويقولون ان محمداً رسول علي وقالت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية ان محمداً عليه السلام هو الله تعالى الله عن كفرهم ومن هؤلاء كان البهنكي والفياض بن علي وله في هذا المعنى كتاب سماه القسطاس وابوه الكاتب المشهور الذي كتب لاسحاق بن كنداج ايام ولايته ثم لامير المؤمنين المعتضد وفيه يقول البحتري القصيدة المشهورة التي اولها

شط من ساكن الغرير مرارة ❊ وطوته البلاد والله حارة

والفياض

والفياض هذا لعنه الله قتله القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب لكونه من جملة من سعى به ايام المعتضد والقصة مشهورة وفرقة قالت بالاهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبياً نبياً الى محمد عليه السلام ثم بالاهية علي ثم بالاهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ووقفوا هاهنا واعلنت الخطابية بذلك نهاراً بالكوفة في ولاية عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس فخرجوا صدر النهار في جموع عظيمة في ازر واردية محرمين ينادون باعلى اصواتهم لبيك جعفر لبيك جعفر قال ابن عياش وغيره كأني انظر اليهم يومئذ فخرج اليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بالاهية محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد وهم القرامطة وفيهم من قال بالاهية ابي سعيد الحسن بن بهرام الجبائي وابنائه بعده ومنهم من قال بالاهية ابي القاسم النجار القائم باليمن في بلاد همدان المسمى بالمنصور وقالت طائفة منهم بالاهية عبيد الله ثم الولاة من ولده الى يومنا هذا وقالت طائفة بالاهية ابي الخطاب محمد بن ابي زينب مولى بني اسد بالكوفة وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الالوف وقالوا هو اله وجعفر بن محمد اله الا ان ابا الخطاب اكبر منه وكانوا يقولون جميع اولاد الحسن ابناء الله واحباؤه وكانوا يقولون انهم لا يموتون ولكنهم يرفعون الى السماء واشبه على الناس بهذا الشيخ الذي ترون ثم قالت طائفة منهم بالاهية معمر بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه وكان من اصحاب ابي الخطاب لعنهم الله اجمعين وقالت طائفة بالاهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب ببغداد بسعي الوزير ابن حامد بن العباس رحمه الله ايام المقتدر وقالت طائفة بالاهية محمد بن علي ابن السلمعان الكاتب المقتول ببغداد ايام الراضي وكان امر اصحابه ان يفسق الارفع قدراً منهم به ليولج فيه النور وكل هذه الفرق ترى الاشتراك في النساء وقالت طائفة منهم بالاهية شباش المغيم في وقتنا هذا حياً بالبصرة وقالت طائفة منهم بالاهية ابي مسلم السراج ثم قالت طائفة من هؤلاء بالاهية المقنع الاعور القصار القائم بثار ابي مسلم واسم هذا القصار هاشم وقتل لعنه الله ايام المنصور واعلنوا بذلك فخرج المنصور فقتلهم وافناهم الى لعنة الله وقالت الرنودية بالاهية ابى جعفر المنصور وقالت طائفة منهم بالاهية عبد الله ابن الخرب الكندي الكوفي وعبدوه وكان يقول بتناسخ الارواح وفرض عليهم تسعة عشر صلاة في اليوم والليلة في كل صلاة خمسة عشر ركعة الى ان ناظره

رجل من متكلمي الصفرية واوضح له براهين الدين فاسلم وصح اسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه واعلم اصحابه بذلك واظهر التوبة فتبرأ منه جميع اصحابه الذين كانوا يعبدونه ويقولون بالاهيته ولعنوه وفارقوه ورجعوا كلهم الى القول بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن ابي طالب وبقي عبد الله بن الخرب على الاسلام وعلى مذهب الصفرية الى ان مات وطائفته الى اليوم تعرف بالخزبية ومن السبابية القائلين بالاهية علي وطائفة تدعى النصرية وقد غلبوا في وقتنا هذا على جند الاردن بالشام وعلى مدينة طبرية خاصة ومن قولهم لعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعن الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم وسبهم باقذع السب وقذفهم بكل بلية والقطع بانها وابنيها رضي الله عنهم ولعن مبغضيهم شياطين تصوروا في صورة الانسان وقولهم في عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل عليّ رضي الله عنه عن علي ولعنة الله على ابن ملجم فيقول هؤلاء ان عبد الرحمن بن ملجم المرادي افضل اهل الارض واكرمهم في الآخرة لانه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره فاعجبوا لهذا الجنون واسألوا الله العافية من بلاء الدنيا والآخرة فهي بيده لا بيد احد سواه جعل الله حظنا منها الاوفى واعلموا ان كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمي الى الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية فان من الصوفية من يقول ان من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرايع وزاد بعضهم واتصل بالله تعالى وبلغنا ان بنيسابور اليوم في عصرنا هذا رجلا يكني ابا سعيد ابا الخير هكذا معاً من الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ومرة يصلي في اليوم الف ركعة ومرة لا يصلي لا فريضة ولا نافلة وهذا كفر محض ونعوذ بالله من الضلال

﴿ ذكر شنع الخوارج ﴾

ذكر بعض من جمع مقالات المنتمين الى الاسلام ان فرقة من الاباضية رئيسهم رجل يدعي زيد بن ابي ابيسه وهو غير المحدث المشهور كان يقول ان في هذه الامة شاهدين عليها هو احدهما والآخر لا يدري من هو ولا متي هو ولا يدري لعله قد كان قبله وان من كان من اليهود والنصارى يقول لا اله الا الله محمد رسول الله الى العرب لا الينا كما تقول العيسوية من اليهود قال فانهم مؤمنون اولياء الله تعالى وان ماتوا على هذا العقد وعلى التزام شرائع

اليهود والنصارى وان دين الاسلام سينسخ بنبي من العجم يأتي بدين الصابئين وبقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة

﴿ قال ابو محمد ﴾ الا ان جميع الاباضية يكفرون من قال بشيء من هذه المقالات ويبرؤن منه ويستحلون دمه وماله وقالت طائفة من اصحاب الحرث الاباضي ان من زنا او سرق او قذف فانه يقام عليه الحد ثم يستتاب مما فعل فان تاب ترك وان ابى التوبة قتل على الردة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وشاهدنا الاباضية عندنا بالاندلس يحرمون طعام اهل الكتب ويحرمون اكل قضيب التيس والثور والكبش ويوجبون القضاء على من نام نهاراً في رمضان فاحتلم ويتيممون وهم على الآبار التي يشربون منها الا قليلا منهم وقال ابو اسماعيل البطيحي واصحابه وهم من الخوارج ان لا صلاة واجبة الا ركعة واحدة بالغداة وركعة اخرى بالعشي فقط ويرون الحج في جميع شهور السنة ويحرمون اكل السمك حتى يذبح ولا يرون اخذ الجزية من المجوس ويكفرون من خطب في الفطرة والاضحى ويقولون ان اهل النار في لذة ونعيم واهل الجنة كذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ واصل ابي اسماعيل هذا من الازارقة الا انه علي عن سائر الازارقة وزاد عليهم وقالت سائر الازارقة وهم اصحاب نافع بن الازرق بابطال رجم من زنى وهو محصن وقطعوا يد السارق من المنكب واوجبوا على الحائض الصلاة والصيام في حيضها وقال بعضهم لا ولكن تقضي الصلاة اذا طهرت كما تقتضي الصيام واباحوا دم الاطفال ممن لم يكن في عسكرهم وقتل النساء ايضاً ممن ليس في عسكرهم وبرئت الازارقة ممن قعد عن الخروج لضعف او غيره وكفروا من خالف هذا القول بعد موت اول من قال به منهم ولم يكفروا من خالفه فيه في حياته وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير اهل عسكرهم ويقتلونه اذا قال انا مسلم ويحرمون قتل من انتمى الى اليهود او الى النصارى او الى المجوس وبهذا شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمروق من الدين كما يمرق السهم من الرميه اذ قال عليه السلام انهم يقتلون اهل الاسلام ويتركون اهل الاوثان وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم اذ انذر بذلك وهو من جزئيات الغيب فخرج نصاً كما قال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد بادت الازارقة انما كانوا اهل عسكر واحد اولهم نافع بن الازرق

وآخرهم عبدة بن هلال العسكري واتصل امرهم بضعا وعشرين سنة الا اني اشك في صبيح
مولى سوار بن الاسعر المازنى مازن تميم اخرج برأي الازارقة ايام هشام بن عبد الملك أم
برأي الصفرية لان امره لم يطل اسر اثر خروجه وقتل وقالت النجدات وهم اصحاب نجدة
بن عويم الحنفي ليس على الناس ان يتخذوا اماماً انما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم وقالوا من
ضعف عن الهجرة الى عسكرهم فهو منافق واستحلوا دم القعدة واموالهم وقالوا من كذب
كذبة صغيرة او عمل عملا صغيراً فاصر على ذلك فهو كافر مشرك وكذلك ايضاً في الكبائر
وان من عمل من الكبائر غير مصر عليها فهو مسلم وقالوا جائز ان يعذب الله المؤمنين بذنوبهم
لكن في غير النار واما النار فلا وقالوا اصحاب الكبائر منهم ليسوا كفاراً واصحاب الكبائر
من غيرهم كفار وقد بادت النجدات وقالت طائفة من الصفرية بوجوب قتل كل من امكن
قتله من مؤمن عندهم او كافر وكانوا يؤلون الحق بالباطل وقد بادت هذه الطائفة وقالت
الميمونية وهم فرقة من العجاردة والعجاردة فرقة من الصفرية باجازة نكاح بنات البنات وبنات
البنين وبنات بني الاخوة والاخوات وذكر ذلك عنهم الحسين ابن علي الكرابيسي وهو احد
الائمة في الدين والحديث ولم يبق اليوم من فرق الخوارج الا الاباضية والصفرية فقط وقالت
طائفه من اصحاب البيهسية وهم اصحاب ابي بيهس وهم من فرق الصفرية ان كان صاحب كبيرة
فيها حد فانه لا يكفر حتى يرفع الى الامام فاذا اقام عليه الحد فحينئذ يكفر وقالت الرشيدية
وهم من فرق الثعالبة والثعالبة من فرق الصفرية ان الواجب في الزكاة نصف العشر مما
سقي بالانهار والعيون وقالت العونية وهم طائفة من البيهسية التي ذكرنا آنفا ان الامام اذا قضي
قضية جور وهو بخراسان او بغيرها حيث كان من البلاد ففي ذلك الحين نفسه يكفر هو وجميع
رعيته حيث كانوا من شرق الارض وغربها ولو بالاندلس واليمن فما بين ذلك من البلاد
وقالوا ايضاً لو وقعت قطرة خمر في جب ماء بفلاة من الارض فان كل من خطر على ذلك
الجب فشرب منه وهو لا يدري ما وقع فيه كافر بالله تعالى قالوا الا ان الله تعالى يوفق
المؤمن لاجتنابه وقالت الفضيلية من الصفرية من قال لا اله الا الله محمد رسول الله بلسانه ولم
يعتقد ذلك بقلبه بل اعتقد الكفر او الدهرية او اليهودية او النصرانية فهو مسلم عند الله مؤمن
ولا يضره اذا قال الحق بلسانه ما اعتقد بقلبه وقالت طائفة من الصفرية ان النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم اذا بعث ففي حين بعثه في ذلك الوقت من ذلك اليوم لزم جميع اهل المشرق
والمغرب الايمان به وان لم يعرفوا جميع ما جاء به من الشرائع فمن مات منهم قبل ان يبلغه شيء
من ذلك مات كافراً وقالت العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد من الصفرية ان من بلغ
الحلم من اولادهم وبناتهم فهم برآء منه ومن دينه حتى يقر بالاسلام فيتولوه حينئذ

﴿ قال ابو محمد ﴾ فعلى هذا ان قتله قاتل قبل ان يلفظ بالاسلام فلا قود ولا دية وان مات
لم يرث ولم يورث وقالت طائفة من العجاردة لا نتولى الاطفال قبل البلوغ ولا نبرأ منهم لكن
نقف فيهم حتى يلفظوا بالاسلام بعد البلوغ

﴿ قال ابو محمد ﴾ والعجاردة هم الغالبون على خوارج خراسان كما ان النكار من الاباضية هم
الغالبون علي خوارج الاندلس وقالت المكرمية وهم اصحاب ابي مكرم وهم من الثعالبة اصحاب
ثعلبة وهو من الصفرية والى قول الثعالبة رجع عبد الله بن اباض فبرئ منه اصحابه فهم لا
يعرفونه اليوم ولقد سألنا من هو مقدمهم في علمهم ومذهبهم عنهم فما عرفه احد منهم وكان
من قول المكرمية هؤلاء ان من اتى كبيرة فقد جهل الله تعالى فهو كافر ليس من اجل الكبيرة
كفر لكن لانه جهل الله عز وجل فهو كافر بجهله بالله تعالى وقالت طائفة من الخوارج
ما كان من المعاصي فيه حد كالزنا والسرقة والقذف فليس فاعله كافراً ولا مؤمناً ولا منافقاً
واما ما كان من المعاصي لا حد فيه فهو كفر وفاعله كافر وقالت الحفصية وهم اصحاب حفص
بن ابي المقدام من الاباضية من عرف الله تعالى وكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر
وليس بمشرك وان جهل الله تعالى او جحده فهو حينئذ مشرك وقال بعض اصحاب الحرث
الاباضي المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كانوا موحدين لله تعالى
اصحاب كبائر ومن حماقاتهم قول بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد فانه كان يقول كل ذنب
صغير او كبير ولو كان اخذ حبة خردل بغير حق او كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهي شرك
بالله وفاعلها كافر مشرك مخلد في النار الا ان يكون من اهل بدر فهو كافر مشرك من اهل
الجنة وهذا حكم طلحة والزبير رضي الله عنهما عندهم ومن حماقاتهم قول عبد الله بن عيسى
تلميذ بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد المذكور فانه كان يقول ان المجانين والبهائم والاطفال
ما لم يبلغوا الحلم فانهم لا يألمون البتة لشيء مما ينزل بهم من العلل وحجته في ذلك ان الله

تعالى لا يظلم احداً

﴿قال ابو محمد﴾ لعمري لقد طرد أصل المعتزلة وان من خالفه في هذه المتلوث في الحماقة متكسع في التناقض

﴿ذكر شنع المعتزلة﴾

﴿قال أبو محمد﴾ قالت المعتزلة باسرها حاشا ضرار بن عبد الله الغطفاني الكوفي ومن وافقه كحفص الفرد وكلثوم واصحابه ان جميع افعال العباد من حركاتهم وسكونهم في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم وعقودهم لم يخلقها الله عز وجل ثم اختلفوا فقالت طائفة خلقها فاعلوها دون الله تعالى وقالت طائفة هي افعال موجودة لا خالق لها أصلاً وقالت طائفة هي افعال الطبيعة وهذا قول أهل الدهر بلا تكلف وقالت المعتزلة كلها حاشا ضرار بن عمرو المذكور وحاشا أبا سهل بشر بن العمير البغدادي النخاس بالرقيق ان الله عز وجل لا يقدر البتة على لطف يلطف به للكافر حتى يؤمن ايماناً يستحق به الجنة والله عز وجل ليس في قوته أحسن مما فعل بنا وان هذ الذي فعل هو منتهى طاقته وآخر قدرته التي لا يمكنه ولا يقدر على اكثر

﴿قال أبو محمد﴾ هذا تعجيز مجرد للباري تعالى ووصف له بالنقص وكلهم لا نحاشي أحداً يقول انه لا يقدر على المحال ولا على ان يجعل الجسم ساكناً متحركاً معاً في حال واحدة ولا على ان يجعل انساناً واحداً في مكانين معاً

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا تعجيز مجرد لله تعالى وايجاب النهاية والانقضاء لقدرته تعالى الله عن ذلك وقال ابو الهذيل بن مكحول العلاف مولى عبد القيس بصري احد رؤساء المعتزلة ومتقدميهم ان لما يقدر الله تعالى عليه آخراً ولقدرته نهاية لو خرج الى الفعل لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء اصلا ولا على خلق ذرة فما فوقها ولا على احياء بعوضة ميتة ولا على تحريك ورقة فما فوقها ولا على ان يفعل شيئاً اصلا

﴿قال ابو محمد﴾ وهذه حالة من الضعف والمهانة والعجز قد ارتفعت البق والبراغيث والدود مدة حياتها عنها وعن ان توصف بها وهذا كفر مجرد لا خفاء به وزعم ابو الهذيل ايضاً ان اهل الجنة واهل النار تفنى حركاتهم حتى يصيروا جماداً لا يقدرون على تحريك شيء من اعضائهم ولا على البراح من مواضعهم وهم في تلك الحال متلذذون ومتألمون الا انهم

لا يأكلون ولا يشربون ولا يطئون بعد هذا أبداً وكان يزعم أيضاً ان لما يعلمه عز وجل اخر او نهاية وكلا لا يعلم الله شيئاً سواه وادعى قوم من المعتزلة انه تاب عن هذه الطوام الثلاث

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا لا يصح وانما ادعوا ذلك حياء من هذه الكفرات الصلع لامامهم امام الضلالة وذكر عن ابي الهذيل ايضاً انه قال ان الله عز وجل ليس خلافاً لخلقه والعجب انه مع هذا الاقدام العظيم ينكر التشبيه وهذا عين التشبيه لانه ليس الا خلاف او مثل او ضد فاذا بطل ان يكون خلافاً وضداً فهو مثل ولابد تعالى الله عن هذا علواً كبيراً وكان ابو الهذيل يقول ان الله لم يزل عليما وكان ينكر ان يقال ان الله لم يزل سميعاً بصيراً

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا خلاف القرآن لان الله عز وجل قال * وكان الله سميعاً بصيراً * كما قال * وكان الله عليما حكيما * وكلهم قال ان الله تعالى لم يزل يعلم ان من مات كافراً فانه لا يؤمن ابداً وانه تعالى حكم وقال ان ابا لهب وامرأته سيصليان النار كافرين ثم قطعوا كلهم بان ابا لهب وامرأته كانا قادرين على الايمان وعلى ان لا تمسهما النار وانهما كان ممكناً لهما تكذيب الله عز وجل وانهما كانا قادرين على ابطال علم الله عز وجل وعلى ان يجعلاه كاذباً في قوله هذا نص قولهم بلا تأويل قال وكان ابراهيم بن سيار النظام ابو اسحاق البصري مولى بني بحير بن الحارث بن عباد الضبعي اكبر شيوخ المعتزلة ومقدمة علمائهم يقول ان الله تعالى لا يقدر على ظلم احد اصلا ولا على شيء من الشر وان الناس يقدرون على كل ذلك وانه تعالى لو كان قادراً على ذلك لكنا لا نأمن ان يفعله او انه قد فعله فكان الناس عنده اتم قدرة من الله تعالى وكان يصرح بان الله تعالى لا يقدر على اخراج احد من جهنم ولا اخراج احد من اهل الجنة عنها ولا على طرح طفل من جهنم وان الناس وكل واحد من الجن والملائكة يقدرون على ذلك فكان الله عز وجل عنده اعجز من كل ضعيف من خلقه وكان كل احد من الخلق اتم قدرة من الله تعالى وهذا الكفر المجرد الذي نعوذ بالله منه ومن العجب اتفاق النظام والعلاف شيخي المعتزلة على انه ليس يقدر الله تعالى من الخير على اصلح مما عمل فاتفقا على ان قدرته على الخير متناهية ثم قال النظام انه تعالى لا يقدر على الشر جملة فجعله عديم قدرة على الشر عاجزاً عنه وقال العلاف بل هو قادر على الشر جملة فجعل ربه متناهي القدرة على الخير وغير متناهي القدرة على الشر فهل سمع باخبث صفة من الصفة التي وصف بها العلاف ربه وهل في الموصوفين

اخبث طبيعة من الموصوف الذي ادعى العلاف انه ربه ونعوذ بالله مما ابتلاهم به واما ابو المعتمر معمر بن عمرو العطار البصري مولى بني سليم احد شيوخهم وائمتهم فكان يقول بان في العالم اشياء موجودة لانهاية لها ولا يحصيها الباري تعالى ولا احد ايضاً غيره ولا لهاعنده مقدار ولا عدد وذلك انه كان يقول ان الاشياء تختلف بمعان فيها وان تلك المعاني تختلف بمعان اخر فيها وتلك المعاني تختلف بمعان اخر فيها وهكذا بلا نهاية ايضاً تكذيب واضح لله تعالى في قوله ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ وفي قوله تعالى ﴿ واحصى كل شيء عدداً ﴾ وتوافقه الدهرية في قولهم بوجود اشياء لا نهاية لها وعلى هذا طلبته المعتزلة بالبصرة عند السلطان حتى فر الى بغداد ومات بها مختفياً عند ابراهيم بن السيد بن شاهك بو وكان معمر ايضاً يزعم ان الله عز وجل لم يخلق شيئاً من الالوان ولا طولا ولا عرضاً ولا طعماً ولا رائحة ولا خشونة ولا املاساً ولا حسناً ولا قبيحاً ولا صوتاً ولا قوة ولا ضعفاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا مرضاً ولا صحة ولا عافية ولا سقماً ولا عمى ولا بكماً ولا بصراً ولا سمعاً ولا فصاحة ولا فساداً للثمار ولا اصلاحها وان كل ذلك فعل الاجسام التي وجدت فيها هذه الاعراض بطباعها فاعلموا ان هذا الفاسق قداخرج نصف العالم عن خلق الله تعالى لانه ليس للعالم شيئ الا الجواهر الحاملة والاعراض المحمولة فقط فالنصف الواحد عنده غير مخلوق لعنه الله من مكذب لله تعالى في نص قوله تعالى ﴿ خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا ﴾ وقد عورض معمر بهذه الاية فقال انما اراد انه خلق الاماتة والاحياء وذكر عنه انه كان ينكر ان يكون الله عز وجل عالماً بنفسه وذلك لان العالم انما يعلم غيره ولا يعلم نفسه وكان يزعم ان النفس ليست جسماً ولا عرضاً ولا هي في مكان اصلا ولا تماس شيئاً ولا تباينه ولا تحرك ولا تسكن

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا قول اهل الالحاد محضا بلا تأويل يعني القائلين منهم بقدم النفس وانها الخالقة للانسان نعوذ بالله من الضلال وكان يقول ان الله تعالى لا يعلم نفسه ولا يجهلها لان العالم غير المعلوم ومحال ان يقدر على الموجودات او ان يعلمها او ان يجهلها وقال ابو العباس عبد الله بن محمد الانباري المعروف بالناشي ولقبه شرسير في كتابه في المقالات ان الله تعالى عن كفره لا يقدر على ان يسوي بنان الانسان بعد ان سبق في علمه انه لا يسويها

قال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا تكذيب محض لله تعالى في قوله ﴿ ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه ﴾ ورأيت للجاحظ في كتابه البرهان لو ان سائلا سأله وقال ايقدر الله على ان يخلق قبل الدنيا دنيا أخرى لجوابه نعم بمعنى انه يخلق تلك الدنيا حين خلق هذه فتكون مثل هذه

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا تعجيز منه للباري تعالى كما قدمنا اذ لم تحصل له تعالى قدرة على خلق دنيا قبل هذه الا على الوجه الذي ذكره واما على غيره فلا فان قيل كيف تجيبون قلنا جوابنا نعم على الاطلاق فان قيل لنا كيف يصح هذا السؤال وانتم تقولون انه لا يجوز ان يقال ان قبل العالم شيئاً لان قبل وبعد من الزمان ولا زمان هنالك قلنا معنى قولنا نعم اي انه تعالى لم يزل قادراً على ان يخلق عالماً لو خلقه لكان له زمان قبل زمان هذا العالم وهكذا ابداً وبالله تعالى التوفيق واما ضرار بن عمر فانه كان يقول ان ممكناً ان يكون جميع من في الارض ممن يظهر الاسلام كفاراً كلهم في باطن امرهم لان كل ذلك جائز على كل واحد منهم في ذاته ومن حماقات ضرار انه كان يقول ان الاجسام انما هي اعراض مجتمعة وان النار ليس فيها حر ولا في الثلج بردولا في العسل حلاوة ولا في الصبر مرارة ولا في العنب عصير ولا في الزيتون زيت ولا في العروق دم وان كل ذلك انما يخلقه الله عز وجل عند القطع والذوق والعصر واللمس فقط واما ابو عثمان عمرو بن الجاحظ القصرى الكناني صليبه وقيل بل مولى وهو تلميذ النظام واحد شيوخ المعتزلة فانه كان يقول ان الله تعالى لا يقدر على افناء الاجسام البتة الا ان يرققها ويفرق اجزائها فقط واما اعدامها فلا يقدر على ذلك اصلا وأما ابو معمر وثمامة بن اشرس النميري صليبه بصري احد شيوخ المعتزلة وعلمائهم فذكر عنه انه كان يقول ان العالم فعل الله عز وجل بطبأعه تعالى الله عن هذا الكفر الشنيع علواً كبيراً وكان يزعم ان المقلدين من اليهود والنصارى والمجوس وعباد الاوثان لايدخلون النار يوم القيامة لكن يصيرون تراباً وان كل من مات من اهل الاسلام والايمان المحض والاجتهاد في العبادة مصراً على كبيرة من الكبائر كشرب الخمر ونحوها وان كان لم يواقع ذلك الامرة في الدهر فانه مخلد بين اطباق النيران ابداً مع فرعون وابي لهب وابي جهل

﴿ قال ابو محمد ﴾ فأي كفر اعجب من قول من يقول ان كثيراً من الكفار لايدخلون النار

وان كثيراً من المسلمين لا يدخلون الجنة وكان ثمامة يقول ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع اولاد المسلمين الذين يموتون قبل الحلم وجميع مجانين الاسلام لا يدخلون الجنة ابداً لكن يصيرون تراباً واما هشام بن عمرو الفوطي احد شيوخ المعتزلة فكان يقول اذا خلق الله تعالى شيئاً فانه لا يقدر على ان يخلق مثل ذلك الشيء ابداً لكن يقدر على ان يخلق غيره والغيران عنده لا يكونان مثلين وكان لا يجيز لأحد ان يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ولا ان الله يعذب الكفار بالنار ولا انه يحيي الارض بالمطر ويرى هذا القول والقول بان الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء ضلالا والحاداً

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا رد على الله جهاراً وكان يقول لا يحل القول بشيء من هذا الا عند قراءة القرآن فقط وكان يقول قولوا حسبنا الله ونعم المتوكل عليه وكان يقول قولوا ان الله يعذب الكفار في النار ويحيي الارض عند نزول المطر وكان لا يجيز القول بان الله الف بين قلوب المؤمنين ولا ان القرآن عمًا على الكافرين وكان يقول ان من هو الآن مؤمن عابد الا ان في علم الله انه يموت كافراً فانه الآن عند الله كافر وان من كان الآن كافراً مجوسياً او نصرانياً اودهرياً اوزنديقاً الا ان في علم الله عز وجل انه يموت مؤمناً فانه الآن عند الله مؤمن واما عباد بن سليمان تلميذ هشام الفوطي المذكور فكان يزعم ان الله تعالى لا يقدر على غير ما فعل من الصلاح ولا يجوز ان يقال ان الله خلق المؤمنين ولا انه خلق الكافرين ولكن يقال خلق الناس وذلك زعم لان المؤمن عنده انسان وايمان والكافر انسان وكفر وان الله تعالى انما خلق عنده الانسان فقط ولم يخلق الايمان ولا الكفر وكان يقول ان الله تعالى لا يقدر على ان يخلق غير ما خلق وانه تعالى لم يخلق المجاعة ولا القحط وكلهم يزعم ان الله تعالى لم يأمر الكفار قط بأن يؤمنوا في حال كفرهم ولا نهى المؤمنين قط عن الكفر في حال ايمانهم لانه لا يقدر احد قط على الجمع بين الفعلين المتضادين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهم مقرون ان الله تعالى لم يزل يعلم ان من يؤمن بعد كفره فانه لا يزال في كفره الى ان يؤمن وان من يكفر بعد ايمانه فانه لا يزال في ايمانه حتى يكفر وان من لا يؤمن من الكفار ابداً فانه لا يزال في كفره الى ان يموت وان من لا يكفر من المؤمنين فانه لا يزال في ايمانه الى ان يموت وليس احد من المأمورين يخرج عن احد هذه الوجوه

الاربعة

الاربعة ضرورة فاذا كان عندهم لم يؤمر قط كافر بالايمان في حال كفره ولا نهى مؤمن عن الكفر في حال ايمانه فان من لم يزل مؤمناً الى ان مات لم ينهه الله عز وجل عن الكفر قط وان من لم يزل كافراً الى ان مات فان الله لم يأمره قط بالايمان وان الله تعالى لم يأمر قط بالايمان من آمن بعد كفره الا حين آمن ولا نهى قط عن الكفر من كفر بعد ايمانه الا حين كفر وهذا تكذيب مجرد لله تعالى في امره الكفار واهل الكتاب بالايمان ونهيه المؤمنين عن الكفر وكان بشر بن المعتمر ايضاً يقول ان الله تعالى لم يخلق قط لوناً ولا طعماً ولا رائحة ولا مجسة ولا شدة ولا ضعفاً ولا عمًا ولا بصراً ولا سمعاً ولا صمماً ولا جبناً ولا شجاعة ولا كشفاً ولا عجزاً ولا صحة ولا مرضاً وان الناس يفعلون كل ذلك فقط واما جعفر القصبي بايع القصب والاشج وهما من رؤسائهم فكانا يقولان ان القرآن ليس هو في المصاحف انما في المصاحف شيء آخر وهو حكاية القرآن

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا كفر مجرد وخلاف جميع أهل الاسلام قديماً وحديثاً وكان علي الاسواري البصري أحد شيوخ المعتزلة يقول ان الله عز وجل لا يقدر على غير ما فعل وان من علم الله تعالى انه يموت ابن ثمانين سنة فان الله لا يقدر على ان يميته قبل ذلك ولا ان يبقيه طرفة عين بعد ذلك وان من علم الله تعالى من مرضه يوم الخميس مع الزوال مثلاً فان الله تعالى لا يقدر على ان يبريه قبل ذلك لا بما قرب ولا بما بعد ولا على ان يزيد في مرضه طرفة عين فما فوقها وان الناس يقدرون كل حين على اماتة من علم الله ان لا يموت الا وقت كذا وان الله لا يقدر على ذلك وهذا كفر ما سمع قط بافظع منه وأما ابو غفار أحد شيوخ المعتزلة فكان يزعم ان شحم الخنزير ودماغه حلال

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا كفر صريح لاخفاء به وكان يزعم ان تفخيذ الرجال الذكور حلال وقد ذكر هذا عن ثمامة أيضاً وكل هذا كفر محض واما أحمد ابن خابط والفضل الحربي البصريان وكانا تلميذين لابراهيم النظام فكانا يزعمان ان للعالم خالقين احدهما قديم وهو الله تعالى والآخر حادث وهو كلمة الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم التي بها خلق العالم وكانا لعنهما الله يطعنان على النبي صلى الله عليه وسلم بالتزويج وان أبا ذر كان أزهد منه وكان أحمد بن خابط يزعم ان الذي يجيء به يوم القيامة مع الملائكة صفاً صفا في ظلل من الغمام

انما هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان الذي خلق آدم على صورته انما هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان المسيح هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة وكان احمد بن خابط لعنه الله يقول ان في كل نوع من انواع الطير والسمك وسائر حيوان البر حتى البق والبراغيث والقمل والقرود والكلاب والفيران والتيوس والحمير والدود والوزغ والجعلان انبياء الله تعالى رسالة الى انواعهم مما ذكرنا ومن سائر الانواع وكان لعنه الله يقول بالتناسخ والكرور وان الله تعالى ابتدا جميع الخلق فخلقهم كلهم جملة واحدة بصفة واحدة ثم أمرهم ونهاهم فمن عصى منهم نسخ روحه في جسد بهيمة فالعتال يبتلي بالريح كالغنم والابل والبقر والدجاج وغير ذلك من البراغيث وكل ما يقتل في الاغلب وان من كان منهم في فسقه وقتله للناس عفيفاً كوفي بالقوة على السفناد كالتيس والعصفور والكبش وغير ذلك ومن كان زانياً او زانية كوفيا بالمنع من الجماع كالبغال والبغلات ومن كان جباراً كوفي بالمهانة كالدود والقمل ولا يزالون كذلك حتى يقتص منهم ثم يردون فمن عصى منهم كرّر أيضاً كذلك هكذا ابداً حتى يطيع طاعة لا معصية معها فينتقل الى الجنة من وقته او يعصي معصية لا طاعة معها فينتقل الى جهنم من وقته وانما حمله على القول بكل هذا لزومه اصل المعتزلة في العدل وطرده اياه ومشبه معه واعلموا ان كل من لم يقل من المعتزلة بهذا القول فانه متناقض تارك لاصلهم في العدل وكان لعنه الله يقول ان للثواب دارين احداهما لا اكل فيها ولا شرب وهي ارفع قدراً من الثانية والثانية فيها أكل وشرب وهي انقص قدراً

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا كله كفر محض وكان لهذا الكافر احمد بن خابط تلميذ على مذهبه يقال له احمد بن سابوس كان يقول بقول معلمه في التناسخ ثم ادعي النبوّة وقال انه المراد بقول الله عز وجل ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وكان محمد بن عبد الله بن مرة بن نجيح الاندلسي يوافق المعتزلة في القدر وكان يقول ان علم الله وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتان وان لله تعالى علمين احدهما احدثه جملة وهو علم الكتاب وهو علم الغيب كعلمه انه سيكون كفار ومؤمنون والقيامة والجزا ونحو ذلك والثاني علم الجزئيات وهو علم الشهادة وهو كفر زيد وايمان عمرو ونحو ذلك فانه لا يعلم الله تعالى من ذلك شيئاً حتى يكون وذكر قول الله تعالى « عالم الغيب والشهادة »

قال

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا ليس كما ظن بل على ظاهره انه يعلم ما تفعلون وان اخفيتم ويعلم ما غاب عنكم مما كان او يكون او هو كائن

﴿ قال ابو محمد ﴾ وانما حمله على هذا القول طرده لأصول المعتزلة حقاً فان من قال منهم ان الله تعالى لم يزل يعلم ان فلانا لا يؤمن ابداً وان فلانا لا يكفر ابداً ثم جعل الناس قادرين على تكذيب كلام ربهم وعلى ابطال ما لم يزل وهذا تناقض فاحش لا خفاء به ونعوذ بالله من الخذلان وكان من اصحابه جماعة يكفرون من قال انه عز وجل لم يزل يعلم كل ما يكون قبل ان يكون وكان من اصحاب مذهبه رجل يقال له اسماعيل ابن عبد الله الرعيني متأخر الوقت وكان من المجتهدين في العبادة المنقطعين في الزهد وادركته الا اني لم القه ثم احدث اقوالاً سبعة فبرئ منه سائر المرية وكفروه الا من اتبعه منهم فما احدث قوله ان الاجساد لا تبعث ابداً وانما تبعث الارواح صح هذا عندنا عنه وذكر عنه انه كان يقول انه حين موت الانسان وفراق روحه لجسده تلقى روحه الحساب ويصير اما الى الجنة او الى النار وانه كان لا يقر بالبعث الا على هذا الوجه وانه كان يقول ان العالم لا يفنى ابداً بل هكذا يكون الامر بلا نهاية وحدثني الفقيه ابو احمد المعارفي الطليطلي صاحبنا احسن الله ذكره قال اخبرني يحيي بن احمد الطبيب وهو ابن ابنة اسماعيل الرعيني المذكور قال ان جدي كان يقول ان العرش هو المدبر للعالم وان الله تعالى اجل من ان يوصف بفعل شئ اصلاً وكان ينسب هذا القول الى محمد بن عبد الله بن مسرة ويحتج بالفاظ في كتبه ليس فيها لعمري دليل على هذا القول وكان يقول لسائر المرية انكم لن تفهموا عن الشيخ فبرئت منه المرية ايضاً على هذا القول وكان احمد الطبيب صهره ممن برئ منه وثبتت ابنته على هذه الاقوال متبعة لابيها مخالفة لزوجها وابنها وكانت متكلمة ناسكة مجتهدة ووافقت ابا هارون بن اسماعيل الرعيني على هذا القول فانكره وبرئ من قائله وكذب ابن اخيه فيما ذكر عن ابيه وكان مخالفوه من المرية وكثير من موافقيه ينسبون اليه القول باكتساب النبوة وان من بلغ الغاية من الصلاح وطهارة النفس ادرك النبوة وانها ليست اختصاصاً اصلاً وقد رأينا منهم من ينسب هذا القول الى ابن مرة ويستدل على ذلك بالفاظ كثيرة في كتبه هي لعمري لتشير الى ذلك ورأينا سائرهم ينكر هذا فالله اعلم ورأيت انا من اصحاب اسماعيل الرعيني المذكور من يصفه بفهم منطق الطير وبانه كان

يتذر باشياء قبل ان تكون فتكون وأما الذي لاشك فيه فانه كان عند فرقته اماماً واجبة طاعته يؤدون اليه زكاة اموالهم وكان يذهب الى ان الحرام قد عم الارض وانه لافرق بين ما يكتسبه المرء من صناعة او تجارة او ميراث او بين ما يكتسبه من الرفاق وان الذي يحل للمسلم من كل ذلك قوته كيف ما اخذه هذا امر صحيح عندنا عنه يقيناً واخبرنا عنه بعض من عرف باطن امورهم انه كان يرى الدار دار كفر مباحة دماؤهم واموالهم الا اصحابه فقط وصح عندنا عنه انه كان يقول بنكاح المتعة وهذا لايقدح في ايمانه ولافي عدالته لوقاله مجتهداً ولم تقم عليه الحجة بنسخه لو سلم من الكفرات الصلع التي ذكرنا وانما ذكرنا عنه ماجرى لنا من ذكره ولغرابة هذا القول اليوم وقلة القائلين به من الناس ورأيت لابي هاشم عبد السلام ابن محمد بن عبد الوهاب الجبائي كبير المعتزلة وابن كبيرهم القطع بان لله تعالى احوالاً مختصة به وهذه عظيمة جداً اذ جعله حاملاً للاعراض تعالى الله عن هذا الافك ورأيت له القطع في كتبه كثيراً يردد القول بانه يجب على الله ان يزيح علل العباد في كل ما امرهم به ولا يزال يقول في كتبه ان امر كذا لم يزل واجبا على الله

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كلام تقشعر منه ذوائب المؤمن ليت شعري من الموجب ذلك على الله تعالى والحاكم عليه بذلك والملزم له ما ذكر هذا النذل لزومه للباري تعالى ووجوبه عليه فيا لله لمن قال ان الفعل اوجب ذلك على الله تعالى او ذكر شيئاً دونه تعالى ليصرحن بان الله تعالى متعبد للذي اوجب عليه ما اوجب محكوم عليه مدبر وانه للكفر الصراح ولئن قال انه تعالى هو الذي اوجب ذلك على نفسه فالايجاب فعل فاعل لا شك فان كان الله لم يزل موجباً ذلك على نفسه فلم يزل فاعلا فالافعال قديمة ولا بد لم تزل وهذه دهرية محضة وان كان تعالى اوجب ذلك على نفسه بعد ان لم يكن موجباً له فقد بطل انتفاعه بهذا القول في اصله الفاسد لانه قد كان تعالى غير واجب عليه ما ذكر ورأيت لبعض المعتزلة سوء الاسائل عنه ابا هاشم المذكور يقول فيه ما بال كل من بعثه النبي صلى الله عليه وسلم داعياً الى الاسلام الى اليمن والبحرين وعمان والملوك وسائر البلاد وكل من يدعو الى مثل ذلك الى يوم البعث لا يسمى رسول الله كما سمى محمد عليه السلام اذ امره الملك عن الله عز وجل بالدعاء الى الاسلام والامر واحد والعمل سواء

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاعجبوا لتلاعب ابليس بهذه الفرقة الملعونة وسلوا الله العافية من ان يكلكم الى انفسكم فحق لمن دينه ان ربه لا يقدر على ان يهديه ولا على ان يضله ان يتمكن الشيطان منه هذا التمكن ولعمري ان هذا السؤال لقد لزم اصل المعتزلة المضل لهم ولمن التزمه والمورد لجميعهم نار جهنم وهو قولهم ان التسمية موكولة الينا لا الى الله عز وجل ورأيت لهذا الكافر ابي هاشم كلاماً رد فيه بزعمه على من يقول انه ليس لاحد ان يسمي الله عز وجل الا بما سمى به نفسه فقال هذا النذل لوكان هذا ولم يجز لاحد ان يسمى الله تعالى عز وجل الا بما سمى به نفسه لكان غير جائز لله ان يسمى نفسه باسم حتى يسميه به غيره

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهل يأتي المرور باقبح من هذا الاستدلال وهل في التسمية اكثر من هذا ولكن من يضلل الله فلا هادي له ونعوذ بالله من ان يكلنا الى انفسنا طرفة عين فنهلك وكان ابو هاشم ايضاً يقول انه لو طال عمر المسلم المحسن لجاز ان يعمل من الحسنات والخير اكثر مما عمل النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ لا والله ولا كرامة ولو عمر احدنا الدهر كله في طاعات متصلة ماوازي عمل امرء صحب النبي صلى الله عليه وسلم من غير المنافقين والكفار المجاهرين ساعة واحدة فما فوقها مع قوله صلى الله عليه وسلم انه لو كان لاحدنا مثل احد ذهباً فانفقه ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه فتى يطمع ذو عقل ان يدرك احداً من الصحابة مع هذا البون المتنع ادراكه قطعاً وكان ابوها شم المذكور يقول انه لا يقبل توبة احد من ذنب عمله اي ذنب كان حتى يتوب من جميع الذنوب

﴿ قال ابو محمد ﴾ وحقاً اقول لقد طرد اصل المعتزلة الذي اطبقوا عليه من اخراج المرء عن الاسلام جملة بذنب واحد عمله يصر عليه وايجابهم الخلود في النار عليه بذلك الذنب وحده فلو كان هذا لكان ابو هاشم صادقاً اذ لا منفعة له عندهم في تركه كل ذنب وهو بذنب واحد يصر عليه خارج عن الايمان مخلد بين اطباق النيران وما ينكر هذا عليه من المعتزلة الا جاهل باصولهم او عامد للتناقض وكان يقول ان تارك الصلاة وتارك الزكاة عامداً لكل ذلك لم يفعل شيئاً ولا اذنب ولا عصي وانه مخلد بين اطباق النيران ابداً على غير فعل فعله ولا على شيء ارتكبه

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهل في التجوير لله على اصولهم وهل في مخالفة الاسلام جهاراً اكثر من هذا القول السخيف وكأن الذي حمله على قوله هذا قوله انه ترك الفعل ليس فعلا وجميع المعتزلة الاهشام بن عمرو الفوطي يزعمون ان المعدومات اشياء على الحقيقة وانها لم تزل وانها لا نهاية لها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه دهرية بلا مطل واشياء لا نهاية لها لم تزل غير مخلوقة وكان عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط من اكابر المعتزلة ببغداد ممن يقول ان الاجسام المعدومة لم تزل اجساماً بلا نهاية لها لا في عدد ولا في زمان غير مخلوقة وقال ابو محمد عبد الله الاسكافي احد رؤساء المعتزلة ان الله تعالى لم يخلق الطنابير ولا المزامير ولا المعازف

﴿ قال ابو محمد ﴾ كان من تمام هذا الكفر ان يقول ان الله لم يخلق الخمر ولا الخنازير ولا مردة الشياطين وقالت المعتزلة باسرها حاشا بشر بن المعتمر وضرار ابن عمرو انه لا يحل لاحد تمنى الشهادة ولا ان يريدها ولا ان يرضاها لانها تغليب كافر على مسلم وانما يجب على المسلم ان يحب الصبر علي الم الجراح فقط اذا اصابته

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا خلاف دين الاسلام والقرآن والسنن والاجماع المتيقن وقالوا كلهم حاشا ضراراً وبشراً ان الله لم يمت رسولا ولا نبياً ولا صاحب نبي ولا امهات المؤمنين وهو يدري انهم لو عاشوا فعلوا خيراً لكن امات كل من امات منهم اذ علم انه لو ابقاه طرفة عين لكفر او فسق ولا بد هذا قولهم في ابي بكر وعمر وعلي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة وخديجة نعم وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وموسى وعيسي وابراهيم عليهم السلام فاعجبوا لهذه الضلالات الوحشية وكان الجعد وهو من شيوخهم يقول اذا كان الجماع يتولد منه الولد فانا صانع ولدي ومدبره وفاعله لا فاعل له غيري وانما يقال ان الله خلقه مجازاً لا حقيقة فأخذ ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي الطرف الثاني من الكفر فقال ان الله تعالى خلق الحبل والموت وكل من فعل شيئاً فهو منسوب اليه فان الله تعالى هو محبل النساء وهو احبل مريم بنت عمران

﴿ قال ابو محمد ﴾ يلزم ولا بد اذا كان اولادنا خلقاً لله عز وجل ان يضيفهم اليه فيقول هم ابناء الله والمسيح ابن الله ولا بد وقال أبو عمر وأحمد بن موسي بن احدير صاحب السكة

وهو

وهو من شيوخ المعتزلة في بعض رسائله التي جرت بينه وبين القاضي منذر بن سعيد رحمه الله ان الله عاقل واطلق عليه هذا الاسم وقال بعض شيوخ المعتزلة ان العبد اذا عصى الله عز وجل طبع على قلبه فيصير غير مأمور ولا منهي وأما حماقاتهم فان ابا الهذيل العلاف قال من سرق خمسة دراهم او قيمتها فهو فاسق منسلخ من الاسلام مخلد أبداً في النيران الا ان يتوب وقال بشر بن المعتمر ان من سرق عشرة دراهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد فان سرق عشرة دراهم خرج عن الاسلام ووجب عليه الخلود الا ان يتوب وقال النظام ان سرق مأتي درهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد وان سرق مأتي درهم خرج عن الاسلام ولزمه الخلود الا ان يتوب وقال ابو بكر احمد بن علي بن أحور بن الاخشيد وهو احد رؤسائهم الثلاثة الذين انتهت رياستهم اليهم وافترقت المعتزلة على مذاهبهم والثاني منهم أبو هاشم الجبائي والثالث عبد الله بن محمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي وكان والد أحمد بن علي المذكور احد قواد الفراعنة وولي الثغور للمعتضد وللمكتفي فكان من قول احمد المذكور أن من ارتكب كل ذنب في الدنيا وهكذا أبداً متي عاد لذلك الذنب أو لغيره من القتل فما دونه الا انه ندم أثر فعله له فقد صحت توبته وسقط عنه ذلك الذنب ابداً وهكذا ابداً متى عاد لذلك الذنب او لغيره

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا قول لم يبلغه جماهير المرجئة وهو مع ذلك يدعي القول بانفاذ الوعد والوعيد وما على اديم الارض مسلم لا يندم على ذنبه وقال عبد الرحمن تلميذ ابي الهذيل ان الحجة لا تقوم في الاخبار الا بنقل خمسة يكون فيهم ولي لله لا اعرفه بعينه وعن كل واحد من اولئك الخمسة خمسة مثلهم وهكذا ابداً وقال صالح تلميذ النظام ان من رأى رؤيا انه بالهند او انه قتل او انه اي شيء رأى فانه حق يقين كما رأى كما لو كان ذلك في اليقظة وقال عباد بن سليمان الحواس سبع وقال النظام الالوان جسم وقد يكون جسمان في مكان واحد وكان النظام يقول لا نعرف الاجسام بالاخبار اصلاً لكن كل من رأى جسماً سواء كان المرئي انساناً او غير انسان فان الناظر اليه اقتطع منه قطعة اختلطت بجسم الرآئي ثم كل من أخبره ذلك الرآئي عن ذلك الجسم فان المخبر أيضاً أخذ من تلك القطعة قطعة وهكذا أبداً

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه قصة لولا انا وجدناها عنه من طريق تلامذته المعظمين له ذكروها

في كتبهم عنه ما عرفناها على ذي مسكة من عقل فألزمه خصومه على هذا ان قطعا من جبريل وميكائيل ومن النبي صلى الله عليه وسلم ومن موسى وعيسى وابراهيم عليهم السلام في نار جهنم وان قطعا من فرعون وابليس وابي لهب وابي جهل في الجنة وكان يزعم أنه لا سكون في شيء من العالم اصلا وان كل سكون يعلم بتوسط البصر فهو حركة بلاشك وكان معمر يزعم انه لا حركة في شيء من العالم وان كل ما يسميه الناس حركة فهو سكون وكان عباد بن سليمان يقول ان الامة اذا اجتمعت وصلحت ولم تتظالم احتاجت حينئذ الى امام يسوسها ويدبرها وان عصت وفجرت وظلمت استغنت عن الامام وكان ابو الهذيل يقول ان الانسان لا يفعل شيئاً في حال استطاعته وانما يفعل بالاستطاعة بعد ذهابها فألزمه خصومه ان الانسان انما يفعل اذا لم يكن مستطيعاً وأما اذا كان مستطيعاً فلا وان الميت يفعل كل فعل في العالم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وحماقاتهم اكثر من ذلك نعوذ بالله من الخذلان

شنع المرجئية

﴿ قال ابو محمد ﴾ غلاة المرجئية طائفتان احداهما الطائفة القائلة بان الايمان قول باللسان وان اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله عز وجل ولي له عز وجل من اهل الجنة وهذا قول محمد ابن كرام السجستاني واصحابه وهو بخراسان وبيت المقدس والثانية الطائفة القائلة ان الايمان عقد بالقلب وان اعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الاوثان او لزم اليهودية او النصرانية في دار الاسلام وعبد الصليب واعلن التثليث في دار الاسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عز وجل ولي لله عز وجل من اهل الجنة وهذا قول ابي محرز جهم بن صفوان السمرقندي مولى بني راسب كاتب الحارث بن سريج التميمي ايام قيامه على نصر بن سيار بخراسان وقول ابي الحسن علي بن اسماعيل بن ابي اليسر الاشعري البصري واصحابهما فاما الجهمية فبخراسان واما الاشعرية فكانوا ببغداد والبصرة ثم قامت له سوق بصقلية والقيروان وبالاندلس ثم رق امرهم والحمد لله رب العالمين فمن فضائح الجهمية وشنعهم قولهم بان علم الله تعالى محدث مخلوق وانه تعالى لم يكن يعلم شيئاً حتى احدث لنفسه علما علم به وكذلك قولهم في القدرة وقال ايضاً ان الجنة والنار يفنيان ويفنى كل من فيهما وهذا خلاف

القرآن

القرآن والثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلاف اجماع اهل الاسلام المتيقن وقال بعض الكرامية المنافقون مؤمنون من اهل الجنة وقد اطلق ذلك بالمرية محمد بن عيسى الصوفي الالبيري وكانت الفاظه تدل على انه يذهب مذهبهم في التجسيم وغيره وكان ناسكا متقللا من الدنيا واعظاً مفوهاً مهذاراً قليل الصواب كثير الخطأ رأيته مرة وسمعته يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يلزمه زكاة مال لانه اختار ان يكون نبياً عبداً والعبد لازكاة عليه ولذلك لم يورث ولا ورث فامسكت عن معارضته لان العامة كانت تحضره فخشيت لغطهم وتشنيعهم بالباطل ولم يكن معي احد الا يحيى بن عبد الكثير بن وافد كنت اتيت انا وهو معي متنكرين لنسمع كلامه وبلغني عنه شنع منها القول بحلول الله فيما شاء من خلقه اخبرني عنه بهذا ابو احمد الفقيه المعافري عن ابي علي المقري وكان على بنت محمد بن عيسى المذكور وغير هذا ايضاً ونعوذ بالله من الضلال وقالت طائفة من الكرامية المنافقون مؤمنون مشركون من اهل النار وقالت طائفة منهم ايضاً من آمن بالله وكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو مؤمن كافر معاً ليس مؤمناً على الاطلاق ولا كافراً على الاطلاق وقال مقاتل ابن سليمان وكان من كبار المرجئة لايضر مع الايمان سيئة جلت او قلت اصلا ولا ينفع مع الشرك حسنة اصلا وكان مقاتل هذا مع جهم بخراسان في وقت واحد وكان يخالفه في التجسيم كان جهم يقول ليس الله تعالى شيئاً ولا هو ايضاً لاشيء لانه تعالى خالق كل شيء فلا شيء الا مخلوق وكان مقاتل يقول ان الله جسم ولحم ودم على صورة الانسان وقالت الكرامية الانبياء يجوز منهم كبائر المعاصي كلها حاشا الكذب في البلاغ فقط فانهم معصومون منه وذكر لي سليمان بن خلف الباجي وهو من رؤس الاشعرية ان فيهم من يقول ايضاً ان الكذب في البلاغ ايضاً جائز من الانبياء والرسل عليهم السلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذا كفر محض وذكر عنهم محمد بن الحسن بن فورك الاشعري انهم يقولون ان الله تعالى يفعل كما يفعل في ذاته وانه لا يقدر على افناء خلقه كله حتى يبقى وحده كما كان قبل ان يخلق وقالوا ايضاً ان كلام الله تعالى اصوات وحروف هجاء مجتمعة كلها ابداً لم تزل ولا تزال وقالوا ايضاً لا يقدر الله على غير ما فعل وقالوا ايضاً انه متحرك ابيض اللون وذكر عنهم انهم يقولون انه تعالى لا يقدر على اعادة الاجسام بعد بلائها لكن

يقدر على ان يخلق مثلها ومن حماقاتهم انهم يجيزون كون امامين واكثر في وقت واحد وأما الاشعرية فقالوا ان شتم من اظهر الاسلام لله تعالى ولرسوله بافحش ما يكون من الشتم واعلان التكذيب بهما باللسان بلا تقية ولا حكاية والاقرار بانه يدين بذلك ليس شيء من ذلك كفرا ثم خشوا مبادرة جميع اهل الاسلام لهم فقالوا لكنه دليل على ان في قلبه كفراً فقلنا لهم وتقطعون بصحة مادل عليه هذا الدليل فقالوا لا وقالت الاشعرية ان ابليس قد كفر ثم اعلن بعصيان الله تعالى في السجود لآدم عليه السلام فان ابليس من حينئذ لم يعرف ان لله تعالى حقا ولا انه خلقه من نار ولا انه خلق آدم من تراب وطين ولا عرف ان الله امره بالسجود لآدم بعدها قط ولا عرف بعد هذا قط ان الله كرم آدم ومن قولهم باجمعهم ان ابليس لم يسأل الله قط ان ينظره الى يوم البعث فقلنا لهم ويلكم ان هذا تكذيب لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ورد للقرآن قالوا لنا ان ابليس انما قال كل ذلك هازئاً مستهزئاً بلا معرفة ولا اعتقاد كان هذا اشنع كفر وابرده بعد كفر الغالية من الرافضة وقالوا ان ابليس لم يكفر بمعصيته الله في ترك السجود لآدم ولا بقوله عن آدم انا خير منه وانما كفر بجحد لله تعالى كان في قلبه

﴿قال ابو محمد﴾ هذا خلاف للقرآن وتكهن لا يعرف صحته الا من حدثه به ابليس عن نفسه على ان الشيخ غير ثقة فيما يحدث به وقالت الاشعرية ايضاً ان فرعون لم يعرف قط ان موسى انما جاء بتلك الآيات من عند الله حقاً وان اليهود والنصارى الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفوا قط ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً ولا عرفوا انه مكتوب في التوراة والانجيل وان من عرف ذلك منهم وكتمه وتمادى على اعلان الكفر ومحاربة النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر ومن بني قريظة وغيرهم فانهم كانوا مؤمنين عند الله عز وجل اولياء لله من اهل الجنة فقلنا لهم ويلكم هذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول﴿يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل﴾و﴿يعرفونه كما يعرفون ابناءهم﴾و﴿فانهم لا يكذبونك﴾فقالوا انما معنى انهم وجدوا خطاً مكتوباً عندهم لم يفهموا معناه ولا دروا ما هو ونعم عرفوا صورته فقط ودروا انه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب كما يعرف الانسان جاره فقط فكان هذا كفراً بارداً او تحريفاً لكلام الله تعالى عن مواضعه ومكابرة سمجة وحماقة ودفعاً للضرورة وقد تقصينا الرد

على اهل هذه المقالة الملعونة في كتاب لنا رسمه كتاب اليقين في النقض على الملحدين المحتجين عن ابليس اللعين وسائر الكافرين تقصينا فيه كلام رجل من كبارهم من اهل القير وان اسمه عطاف بن دوناس في كتاب الفه في نصر هذه المقالة وكان لشيخهم الاشعري في اعجاز القرآن قولان احدهما كما يقول المسلمون انه معجز النظم والاخر انما هو المعجز الذي لم يفارق الله عز وجل قط والذي لم يزل غير مخلوق ولا نزل الينا ولا سمعناه قط ولا سمعه جبريل ولا محمد عليهما السلام قط واما الذي يقرأ في المصاحف ونسمعه فليس معجزاً بل مقدور على مثله وهذا كفر صحيح وخلاف لله تعالى ولجميع اهل الاسلام وقال كبيرهم وهو محمد بن الطيب الباقلاني ان لله تعالى خمسة عشر صفة كلها قديمة لم تزل مع الله تعالى وكلها غير الله وخلاف الله تعالى وكل واحدة منهن غير الاخرى منهن وخلاف لسائرها وان الله تعالى غيرهن وخلافهن

﴿قال أبو محمد﴾ هذا والله اعظم من قول النصارى وادخل في الكفر والشرك لان النصارى لم يجعلوا مع الله تعالى الا اثنين هو ثالثهما وهؤلاء جعلوا معه تعالى خمسة عشر هو السادس عشر لهم وقد صرح الاشعري في كتابه المعروف بالمجالس بان مع الله تعالى اشياء سواه لم تزل كما لم يزل

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا ابطال التوحيد علانية وانما حملهم على هذا الضلال ظنهم ان اثبات علم الله تعالى وقدرته وعزته وكلامه لا يثبت الا بهذه الطريقة الملعونة ومعاذ الله من هذا بل كل ذلك حق لم يزل غير مخلوق ليس شيء من ذلك غير الله تعالى ولا يقال في شيء من ذلك هو الله تعالى لان هذه تسمية له عز وجل وتسميته لا تجوز الا بنص وقد تقصينا الكلام في هذا في صدر ديواننا هذا والحمد لله رب العالمين وانما جعلنا هاهنا شنع اهل البدع تنفيراً عنهم وايحاشا للاغمار من المسلمين من الانس بهم ومن حسن الظن بكلامهم الفاسد ولقد قلت لبعضهم اذا قلتم ان مع الله تعالى خمسة عشر صفة كلها غيره وكلها لم تزل فما الذي انكرتم على النصارى اذ قالوا ان الله ثالث ثلاثة فقال لي انما انكرنا عليهم اذ جعلوا معه شيئين فقط ولم يجعلوا معه اكثر ولقد قال لي بعضهم اسم الله تعالى وهو قولنا الله عبارة تقع على ذات الباري وجميع صفاته لا على ذاته دون صفاته فقلت له اتعبد الله ام لا فقال لي نعم فقلت له فانما تعبد

أذاً باقرارك الخالق وغيره معه فيكفيك فنفر نفرة وقال معاذ الله من هذا ما اعبد الا الخالق وحده فقلت له فانما تعبد اذا باقرارك بعض ما يسمى به الله فنفر اخرى وقال معاذ الله من هذا وانا واقف في هذه المسئلة وقال شيخ لهم قديم وهو عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري ان صفات الله تعالى ليست باقية ولا فانية ولا قديمة ولا حديثة لكنها لم تزل غير مخلوقة هذا مع تصريحه بان الله قديم باق ومن حماقات الاشعرية قولهم ان للناس احوالا ومعاني لا معدومة ولا موجودة ولا معلومة ولا مجهولة ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا ازلية ولا محدثة ولا حق ولا باطل وهي علم العالم بان له علماً ووجود الواجد لوجوده كما يجد هذا امر سمعناه منهم نصاً ورأيناه في كتبهم فهل في الرعونة اكثر من هذا وهل يمكن الموسوس والمبرسم ان يأتي بأكثر من هذا ولقد حاورني سليمان بن خلف الباجي كبيرهم في هذه المسألة في مجلس حافل فقلت له هذا كما تقول العامة عندنا عنب لا من كرم ولا من دالية ومن هوسهم قولهم ان الحق غير الحقيقة ولا ندري في اي لغة وجدوا هذا ام في اي شرع وارد ام في أي طبيعة ظفروا به فقالوا ان الكفر حقيقة وليس بحق وقلنا كلا بل وجوده عن حقيقة ومعناه باطل لا حق ولا حقيقة وقالوا كلهم ان الله حامل لصفاته في ذاته هذا نص قول ابي جعفر السمناني المكفوف قاضي الموصل وهو اكبر اصحاب الباقلاني ومقدم الاشعرية في وقتنا هذا وقال هذا السمناني أيضاً ان من سمي الله تعالى جسماً من اجل انه حامل لصفاته في ذاته فقد اصاب المعنى واخطأ في التسمية فقط وقال هذا السمناني ان الله تعالى مشارك للعالم في الوجود وفي قيامه بنفسه كقيام الجواهر والاجسام وفي انه ذو صفات قائمة به موجودة بذاته كما ثبت ذلك فيما هو موصوف بهذه الصفات من جملة اجسام العالم وجواهره هذا نص كلام السمناني حرفاً حرفاً

﴿ قال ابو محمد ﴾ ما اعلم احدا من غلاة المشبهة اقدم على ان يطلق ما اطلق هذا المبتدع الجاهل الملحد المتهور من ان الله تعالى مشارك للعالم حاشا لله من هذا وقال السمناني عن شيوخه من الاشعرية ان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته انما هو على صفة الرحمن من الحياة والعلم والاقتدار واجماع صفات الكمال فيه واسجد له ملائكته كما اسجدهم لنفسه وجعل له الامر والنهي على ذريته كما كان لله تعالى كل ذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا نص كلامه حرفا حرفا وهذا كفر صريح وشرك بواح اذ صرح بان آدم على صفة الرحمن من اجتماع صفات الكمال فيهما فالله تعالى وآدم عنده مثلان مشتبهان في اجتماع صفات الكمال فيهما ثم لم يقنع بهذه السوءة حتى صرح بان سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله عز وجل وحاشا لله من هذا لان سجود الملائكة لله تعالى سجود عبادة وديانة لخالقهم وسجودهم لآدم سجود سلام وتحية وتشريف منهم لآدم واكرام له بذلك كسجود يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام فقط ثم زاد اللعين كفراً على كفر بنصه ان الله تعالى جعل له الامر والنهي على ذريته كما كان لله تعالى ذلك وهذا شرك لا خفاء به كشرك النصارى في المسيح ولا فرق ونسأل الله تعالى العافية وقال هذا السمناني ان مذهب شيوخه انهم لا يقولون ان الامر بالشيء دال على كونه مراداً للآمر قديما كان او محدثا ولا يدل النهي على كونه مكروهاً هذا نص كلامه وهذا خلاف الاسلام والاجماع والمعقول وتصريح بان الله تعالى اذ امر بالصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد وشهادة الاسلام فليس في ذلك دليل على انه يريد شيئاً من ذلك واذ نهى عن الكفر والزنا والبغي والسرقة وقتل النفس ظلما فليس ذلك دليلاً على انه يكره شيئاً من ذلك وما في الاقوال أنتن من هذا القول وقال هذا السمناني انه لا يصح القول بان علم الله تعالى مخالف للعلوم كلها ولا ان قدرته مخالفة للقدر كلها لانها كلها داخلة تحت قولنا ووصفنا للقدر والعلوم هذا نص كلامه وهذا بيان بان دينهم ان علم الله تعالى وقدرته من نوع علمنا وقدرتنا واذ الامر كذلك عنده فعلمنا وقدرتنا عرضان فينا مخلوقان فوجب ضرورة ان علم الله تعالى وقدرته عرضان في الله مخلوقان اذ من الممتنع وقوع ما لم يزل مع المحدث المخلوق تحت حد واحد ونوع واحد ونص هذا السمناني ومحمد بن الحسن بن فورك في صدر كلامه في كتاب الاصول ان الحدود لا تختلف في قديم ولا محدث قالوا ذلك في كلامهم في علم الله تعالى في تحديدهم لمعنى العلم بصفة يقع تحتها علم الله تعالى وعلوم الناس وهذا نص منهم على ان الله تعالى محدود واقع معنا تحت الحدود وهو وعلمه وقدرته وهو شر من قول جهم شيخهم في الحقيقة وأبين من قول كل مشبه في الارض ونص هذا السمناني على ان العالم والقادر والمريد من الله تعالى وخلقه انما كان محتاجا الى هذه الصفات لكونه موصوفاً بها لا لجوازها عليه هذا نص كلامه

وهذا تصريح منهم بلا تكلف ولا تأويل بان الله تعالى عن كفر هـذا الارعن محتاج الى
الصفات وهذا كفر ما يدري ان احدا بلغه ونص هذا السمناني ايضاً على ان الله تعالى لما كان
حياً عالماً كان موصوفاً بالحياة والعلم والقدرة والارادة حتى لا يختلف الحال في ذلك في
الشاهد والغائب هذا نص كلامه وهذا تصريح منه على ان الله تعالى حالا لم يخالفه فيها خلقه
بل هو وهم فيها سواء ونص هذا السمناني على انه اذا كانت الصفات الواجبة لله تعالى في
كونه عالماً قادراً لا يغني وجوبها له عن ما هو مصحح لها من الحياة فيه كما لا يوجب غناه
عما يوجب كونه عالماً قادراً عن القدرة والعلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا نص جلي على ان الله تعالى غير غني عن شيء هو غيره لان الصفات عندهم
هي غيره تعالى والله تعالى عندهم غير غني عنها تعالى الله واذا لم يكن غنياً عنها فهو فقير اليها
هكذا قالت اليهود ان الله فقير تعالى الله عن هذا بل هو الغني جملة عما سواه وكل من دونه
فقير اليه تعالى وقال السمناني ان قال قائل لم انكرتم ان يكون الله مريداً لنفسه حسب ما قاله
النجار والجاحظ قيل له انكرنا ذلك لما قدمنا ذكره من ان الواحد من الخلق مريد بارادة ولا
يخلو ان يكون حقيقة المريد من له الارادة أو كونه مريداً وجود الارادة له وأي الامرين
كان وجبت مساواة الغائب الشاهد في هذا الباب

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا نص جلي على مساواة الله تعالى لخلقه عند هذا الجاهل وهذا أعظم
في الكفر من قول كل مجسم لان جميع المجسمين لم يتقدم احد منهم قط على القول بان الله
تعالى مساوٍ لخلقه قبل هذه الفرقة الملعونة ثم العجب قطعهم بان الله عز وجل غائب غير شاهد
وحاشا لله عن هذا بل هو معنا وهو اقرب الينا من حبل الوريد كما قال عز وجل انه حاضر
في العقول غير غائب وقال الباقلاني ما وجد في الله تعالى من التسميات فانه يجوز اطلاقها
عليه وان لم يسم بذلك نفسه ما لم يرد شرع يمنع من ذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا نص منه على ان هاهنا معاني توجد في الله تعالى مع الالحاد في اسمائه
اذ جاز تسميته بما لم يسم به عز وجل نفسه تعالى الله عن هذا علواً كبيراً وقالوا كلهم ان الله
تعالى ليس له الا كلام واحد وليس له كلمات كثيرة

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا كفر مجرد لخلافه القرآن وتكذيب لله عز وجل في قوله * قل لو كان

البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً * واذ يقول
تعالى * ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت
كلمات الله * مع ان قولهم ليس لله تعالى الا كلام واحد قول احمق لا يعقل ولا يقوم به
برهان شرعي ولا تشكل في هاجس ولا يوجبه عقل انما هو هذيان محض ويقال لهم لا يخلو
القرآن عندهم من انه كلام الله تعالى أو ليس هو كلام الله تعالى فان قالوا ليس هو كلام الله
تعالى كفروا من قرب وكفى الله تعالى مؤنتهم وان قالو هو كلام الله تعالى فالقرآن مائة
سورة واربعة عشر سورة فيها ستة آلاف آية ونيف كل سورة منها عند اهل الاسلام غير
الاخرى وكل آية غير الاخرى فكيف يقول هؤلاء النوكى انه ليس لله تعالى الا كلام واحد
اما هذا من الكفر البارد والقحة السمجة ونعوذ بالله من الضلال وقالوا كلهم ان القرآن لم ينزل
به قط جبريل على قلب محمد عليه الصلاة والسلام وانما نزل عليه بشيء آخر هو العبارة عن
كلام الله وان القرآن ليس عندنا البتة الا على هذا المجاز وان الذي نرى في المصاحف ونسمع
من القراء ونقرأ في الصلاة ونحفظ في الصدور ليس هو القرآن البتة ولا شيء منه كلام الله
البتة بل شيء آخر وان كلام الله تعالى لا يفارق ذات الله عز وجل

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا من اعظم الكفر لان الله تعالى قال * بل هو قرآن مجيد في لوح
محفوظ * وقال تعالى * نزل به الروح الامين على قلبك * وقال تعالى * فأجره حتى يسمع
كلام الله * وقال تعالى * بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم * وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني احب ان أسمعه من غيري يعني القرآن وقال عليه السلام الذي يقرأ القرآن
مع السفرة الكرام البررة ونهيه صلى الله عليه وسلم ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو الى
اجماع عامة المسلمين وخاصتهم وجاهلهم وعالمهم على القول حفظ فلان القرآن وقرأ فلان
القرآن وكتب فلان القرآن في المصحف وسمعنا القرآن من فلان وكلام الله تعالى ما في
المصحف من أول ام القرآن الى آخر قل أعوذ برب الناس وقال السمناني ايضاً ان الباقلاني
وشيوخه قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم انما أطلق القول بان ما انزل الله هو القرآن وهو
كلام الله تعالى انما هو على معنى انه عبارة عن كلام الله تعالى وانه يفهم منه امره ونهيه فقط

﴿ قال ابو محمد ﴾ ويقال لهم اخبرونا عن قولكم ان الكتاب في المصحف والقراءة المسموعة

في المحارب كل ذلك عبارة عن القرآن ماذا تعنون بذلك وهل هذا منكم الا تمويه ضعيف وهل
كل مافي المصحف الا عبارة عن معانيه التي ارادها الله تعالى في شرع دينه من الصلاة والصيام
والايمان وغير ذلك واخبار الامم السالفة وصفة الجنة والنار والبعث وغير ذلك مما لا يختلف
من اهل الاسلام أحد في ان المعبر عنه بذلك الكلام ليس هو كلام الله أصلاً لان ذات
الجنة وذات النار وحركات المصلي وعمل الحاج وعمل الصائم واجسام عاد وأشخاص ثمود
ليس شيء من ذلك كلام الله تعالى ولا قرآناً فثبت ان ليس هو القرآن ولا هو كلام الله
الا العبارة المسموعة فقط والكلام المقروء والخط المكتوب في المصحف بلا شك اذ لم يبق
غير ذلك أو الكفر وتكذيب الله تعالى وتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان
القرآن أنزل عليه وانا نسمع كلام الله فاوهمتهم الضعفاء ان الذي هو كلام الله والقران عند
جميع أهل الاسلام ليس هو القرآن ولا هو كلام الله ثم أوهمتموهم باستخفافكم ان حركات
المتحركين وذات الجنة وذات النار هي كلام الله تعالى وهي القران فهل في الضلال والسخرية
بضعفة المسلمين والهزء بايات الله تعالى اكثر من هذا ولقد اخبرني علي بن حمزة المراوي
الصقلي الصوفي انه رأى بعض الاشعرية يبطح المصحف برجله قال فاكبرت ذلك وقلت له
ويحك هكذا تصنع بالمصحف وفيه كلام الله تعالى فقال لي ويلك والله ما فيه الا السخام
والسواد وأما كلام الله فلا ونحو هذا من القول الذي هذا معناه وكتب الي ابو المرجي بن
رزوار المصري ان بعض ثقاة اهل مصر اخبره من طلاب السنن ان رجلاً من الاشعرية
قال له مشافهة على من يقول ان الله قال قل هو احد الله الصمد الف لعنة

﴿ قال ابو محمد ﴾ بل على من يقول ان الله عز وجل لم يقلها الف الف لعنة تترى وعلى من
ينكر أننا نسمع كلام الله ونقرأ كلام الله ونحفظ كلام الله ونكتب كلام الله الف الف لعنة
تترى من الله عز وجل فان قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل ومخالفة
للقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ومخالفة جيع اهل الاسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقالت الاشعرية كلها ان الله عز وجل لم يزل قائلا لكل ما خلق اويخلق
في المستأنف كن الا ان الاشياء لم تكن الا حين كونها وهذا تكذيب منهم مكشوف لله
عز وجل اذ يقول * انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون * فبين الله تعالى انه لا

يقول

يقول للشيء كن الا اذا اراد تكوينه وانه اذا قال له كن كان الشيء في الوقت بلا مهلة لان
هذا هو مقتضى الفاء في لغة العرب التي بها نزل القرآن فجمعوا الى تكذيب الله عز وجل في
خبره جميعاً ايجاب ازلية العالم لان الله تعالى اذا كان لم يزل قائلا لما يكون كن فان التكوين
لم يزل وهذه دهرية محضة ثم قال السمناني بعد اسطر لانه لو وجب وجود ماوجد في الوقت
الذي وجد فيه لاجل قول الله تعالى كن لوجب ان يوجد لاجل قول غيره له كن لان
صفة الاقتضاء لا تختلف في ذلك بين القديم والمحدث

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا نص كلام هذا الفاسق الملحد حرفاً حرفاً وهذا كفر محض وحماقة
لا خفاء بها اما الكفر فابطاله ان وجود الاشياء في الاوقات التي وجدت فيها انما وجدت لاجل
قول الله تعالى لها كن وايجابه ان الاشياء لم توجد في احيان وجودها لقول الله تعالى لها
كن وهذا تكذيب لله تعالى صرف وخروج عن اجماع اهل الاسلام وكل من يصلي الى
القبلة قبلهم ومن الكفر الصريح ايضاً في هذا الكلام الملعون قوله ان صفة الاقتضاء في ذلك لا
تختلف بين القديم والمحدث فسوى بين الله تعالى وخلقه واما الحماقة فقوله لو وجدت الاشياء
من اجل قول الله تعالى لها كن لوجب ان يوجد لاجل قول غيره لها كن فيا للمسلمين هل
سمع في الحمق والرعونة وقلة الحياء اكثر من قول من سوى بين قول الله عز وجل كن للشيء
اذا اراد تكوينه وبين قول غيره من الناس كن وهذا اخبث من قول الدهرية ونعوذ بالله
من الضلال فلولا الخذلان ما انطلق بهذا النوك لسان من لا يقذف بالحجارة في الشوارع
وما شبهت بهذا الكلام الا كلام النذل ابي هاشم الجبائي لو لم يجز لنا ان نسمى الله تعالى
باسم حتى يأذن لنا في ذلك لوجب ان لا يجوز لله ان يسمى نفسه حتي يأذن له غيره في ذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه اقوال لو قالها صبيان يسيل مخاطهم لأيس من فلاحهم وتالله لقد
لعب الشيطان بهم كما شاء فانا لله وانا اليه راجعون وقالت الاشعرية كلها ان الله لا يقدر على
ظلم احد البتة ولا يقدر على الكذب ولا على قول ان المسيح ابن الله حتى يقول قبل ذلك
وقالت النصارى وانه لا يقدر على ان يقول عزير ابن الله حتى يقول قبل ذلك وقالت اليهود
وانه لا يقدر على ان يتخذ ولداً وانه لا يقدر البتة على اظهار معجزة على يدي كذاب يدعي
النبوة فان ادعى الالهية كان الله تعالى قادراً على اظهار المعجزات على يديه وانه تعالى لا يقدر

على شيء من المحال ولا على احالة الامور عن حقائقها ولا على قلب الاجناس عن ماهيتها وانه تعالى لا يقدر البتة على ان يقسم الجزء الذي لا يتجزأ ولا على ان يدعو احدا الى غير التوحيد هذا نص كلامهم وحقيقة معتقدهم بجعلوه تعالى عاجزاً متناهي القوة محدود القدرة يقدر مرة ولا يقدر اخرى ويقدر على شيء ولا يقدر على آخر وهذه صفة النقص وهم مع هذا يقولون ان الساحر يقدر على قلب الاعيان وعلى ان يمسخ انساناً فيجعله حماراً على الحقيقة وعلى المشي في الهواء وعلى الماء فكان الساحر عندهم اقوى من الله تعالى

﴿ قال ابو محمد ﴾ وخشوا مبادرة اهل الاسلام لهم بالاصطلام فخنسوا عن ان يصرحوا بان الله تعالى لا يقدر فقالوا لا يوصف الله بالقدرة على شيء مما ذكرنا

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا راحة لهم في هذا لانا نقول لهم ولم لا نصفه بالقدرة على ذلك الا انه يقدر على شيء من ذلك ولا له قدرة على كل ذلك ام لانه لا يقدر على كل ذلك ولا له قدرة على شيء من ذلك ولا بد من احدهما بضرورة العقل وهنا ضلت جبلتهم الضعيفة ولا بد لهم من القطع بانه لا يقدر وبانه لا قدرة له على ذلك واذ قد صرحوا بهذا بالضرورة فاول العقل ومسموع اللغة كلاهما يوجبان ان من لا يقدر على شيء فهو عاجز عنه وان من لا قدرة له على شيء فصفة العجز والضعف لا حقة به فلا بد لهم ضرورة من اطلاق اسم العجز على الله تعالى ووصفه بانه عاجز وهذا حقيقة مذهبهم يقيناً الا انهم يخافون البوار ان اظهروه وقال هذا الباقلاني لا فرق بين النبي والساحر الكذاب المتنبي فيما يأتيان به الا التحدي فقط وقول النبي لمن بحضرته هات من يعمل كعملي وهذا ابطال للنبوة مجرد وقال الباقلاني وابن فورك واشياعهما من اهل الضلالة والجهالة ليس لله تعالى اسماء البتة وانما له تعالى اسم واحد فقط ليس له اسم غيره وان قول الله تعالى * ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه * انما اراد ان يقول لله التسميات الحسنى فذروا الذين يلحدون في تسمياته فقال لله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه قالوا وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد انما اراد ان يقول تسعاً وتسعين تسمية فقال تسعة وتسعين اسماً

﴿ قال ابو محمد ﴾ ما في البرهان على قلة الحياء وفساد الدين واستسهال الكذب اكثر من

هذا وليت شعري من اخبرهم عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الافك ثم ليت شعري اذ زعموا ان الله تعالى اراد ان يقول التسميات الحسنى فقال الاسماء الحسنى لاي شيء فعل ذلك اللكنة أم غفلة أم تعمد لاضلال عباده ولاسبيل والله الى رابع فاعجبوا لعظيم ما حل بهؤلاء القوم من الدمار والتبار والكذب على الله عز وجل جهاراً وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا رهبة ونعوذ بالله من الضلال مع ان هذا قول ما سبقهم اليه أحد وقالوا كلهم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ليس هو رسول الله اليوم لكنه كان رسول الله

﴿ قال ابو محمد ﴾ فكذبوا القرآن في قول الله عز وجل * محمد رسول الله * وكذبوا الاذان وكذبوا الاقامة التي افترضها الله تعالى خمس مرات كل يوم وليلة على كل جماعة من المسلمين وكذبوا دعوة جميع المسلمين التي اتفقوا على دعاء الكفار اليها وعلى انه لا نجاة من النار الا بها وا كذبوا جميع اعصار المسلمين من الصحابة فمن بعدهم في اطباق جميعهم برهم وفاجرهم على الاعلان بلا إله الا الله محمد رسول الله ووجب على قولهم هذا الملعون انه يكذب المؤذنون والمقيمون ودعاة الاسلام في قولهم محمد رسول الله وان الواجب ان تقولوا محمد كان رسول الله وعلى هذه المسألة قتل الامير محمود بن سبكتكين مولى امير المؤمنين وصاحب خراسان رحمه الله ابن فورك شيخ الاشعرية فأحسن الله جزاء محمود على ذلك ولعن ابن فورك واشياعه واتباعه

﴿ قال ابو محمد ﴾ انما حملهم على هذا الكفر الفاحش قول لهم آخر في نهاية الضلال والانسلاخ من الاسلام وهي قولهم ان الارواح اعراض تفنى ولا تبقى وقتين وان روح كل واحد منا الآن هو غير روحه الذي كان له قبل ذلك بطرفة عين وان كل واحد منا يبدل ازيد من الف الف روح في كل ساعة زمانية وان النفس انما هو هذا الهواء الخارج بالتنفس حاراً بعد دخوله بارداً وان الانسان اذا مات فني روحه وبطل وانه ليس لمحمد ولا لأحد من الانبياء عند الله تعالى روح ثابتة تنعم ولا نفس قائمة تكرم وهذا خروج عن اجماع الاسلام فما قال بهذا أحد ممن ينتمي الى الاسلام قبل ابي الهذيل العلاف ثم تلاه هؤلاء وهذا خلاف مجرد للقرآن وتكذيب لله عز وجل اذ يقول * اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * واذ

يقول عز وجل * ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون * وقال عز وجل * ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اموانا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون * ولقوله تعالى * الله يتوف الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى * وخلاف للسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقولة نقل التواتر من رؤيته صلى الله عليه وسلم الانبياء عليهم السلام ليلة أسري به في السماء وما جرى له مع موسى عليه السلام في عدد الصلوات المفروضات وان أرواح الشهداء نسمة تعلق في ثمار الجنة وما يلقى الروح عند خروجه من الفتنة والمسائلة واخباره عليه السلام انه رأى عن يمين آدم اسودة نسم بنيه من أهل الجنة وعن يساره اسودة نسم بنيه من اهل النار وسائر السنن المأثورة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ثم خجلوا من هذه العظيمة وتبرأ منهم إبليس الذي ورطهم فيها فشلوا فقالوا في كتبهم فان لم يكن هذا فان الروح تنتقل عند خروجها من الجسم الى جسم آخر هكذا نص الباقلانى في أحد كتبه واظنه الرسالة المعروفة بالحرة وهذا مذهب التناسخ بلا كلفة وقال السمناني في كتابه ان الباقلاني وأصحابه قالوا ان كل ما جاء في الخبر من نقل ارواح الشهداء الى حواصل طير خضر وان روح الميت ترد اليه في قبره وما جرى مجرى ذلك من وصف الروح بالقرب والبعد والحركة والانتقال والسكون والعذاب فكل ذلك محمول على اقل جزء من اجزاء الميت والشهيد او الكافر واعادة الحياة في ذلك الجزء

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا طريق من الهوس جداً وتطايب بالدين ولقد اخبرني ثقة من أصحابي انه سمع بعض مقدميهم يقول ان الروح انما تبقى في عجب الذنب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا التأويل أقرب الى الهزل منه الى أقوال أهل الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان فانما هذه ستائر دون مذهبهم الخبيث الذي ذكرنا آنفاً وقالوا كلهم ان النظر في دلائل الاسلام فرض وانه لا يكون مسلما حتى ينظر فيها وان من شرط الناظر فيها ان يكون ولا بد شاكا في الله عز وجل وفي صحة النبوة ولا يصح النظر في دلائل النبوة ودلائل التوحيد لمن يعتقد صحتها

قال

﴿ قال ابو محمد ﴾ والله ما سمع سامع قط بادخل في الكفر من قول من أوجب الشك في الله تعالى وفي صحة النبوة فرضاً على كل متعلم لا نجاة له الا به ولا دين لاحد دونه وان اعتقاد صحة التوحيد لله تعالى وصحة النبوة باطل لا يحل فحصل من كلامهم ان من لم يشك في الله تعالى ولا في صحة النبوة فهو كافر ومن شك فيهما فهو محسن مؤد ما وجب عليه وهذه فضيحة وحماقة اللهم انا نبرأ اليك من هذا القول ومن كل قائل به ثم لم يحدوا في امد الاستدلال حداً فليت شعري على هذا القول الملعون هو ومعتقده والداعي اليه كيف يكون حال من قبل وصيتهم هذه التي هي وصية الشيطان الرجيم فتبين بالشك في الله تعالى وفي النبوة وامتد به امد الاستدلال اياماً وأشهراً وساعات مات فيها اين مستقره ومصيره الى النار والله خالداً مخلداً ابداً وبيقين ندري ان قائل هذه الاقوال مطالب للاسلام كائد له مرصد لاهله داعية الى الكفر ونعوذ بالله من الضلال وقالوا كلهم ان اطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم المئين والعشرات من صاع شعير مرة بعد مرة وسقيه الالف والالوف من ماء يسير ينبع من بين أصابعه وحنين الجذع ومجيئ الشجرة وتكلم الذراع وشكوى البعير ومجيء الذئب ليس شيء من ذلك دلالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في نبوته لانه عليه السلام لم يتحد الناس بذلك ولا يكون عندهم آية الا ما تحدى به الكفار فقط وهذا تكذيب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله اذ فعل ذلك اشهد اني رسول الله وهذا ايضاً قول افتروه خالفوا فيه جميع اهل الاسلام وقالوا كلهم ليس لشيء من الاشياء نصف ولا ثلث ولا ربع ولا سدس ولا ثمن ولا عشر ولا بعض وانه لا يجوز ان يقال الفرد عشر العشرة ولا انه بعض الخمسة وحجتهم في ذلك انه لو جاز ان يقال ذلك لكان عشراً لنفسه وبعض نفسه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا جهل شديد لانه انما هو بعض من جملة يكون سائرها غيره وعشر جملة يكون سائرها غيره ونسوا انفسهم فقالوا بالجزء الذي لا يتجزء ونسوا الزام انفسهم ان يكون جزءاً لنفسه وهذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول في القرآن فلها النصف فلامه الثلث فلامه السدس ولكم الربع ولهن الثمن بعضهم اولياء بعض وهذا عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير مع مخالفتهم في ذلك جميع اهل الارض مؤمنهم وكافرهم ومخالفة كل لغة والمعقول والطبائع وقالوا كلهم من قال ان النار تحرق او تلفح او ان الارض تهتز او تنبت شيئا او ان

الخمر يسكر او ان الخبز يشبع او ان الماء يروي او ان الله تعالى ينبت الزرع والشجر بالماء فقد الحد وافترى وقال الباقلاني من اخر السفر الرابع من كتابه المعروف بالانتصار في القرآن نحن ننكر فعل النار للتسخين والاحراق وننكر فعل الثلج للتبريد وفعل الطعام والشراب للشبع والري والخمر للاسكار كل هذا عندنا باطل محال ننكره اشد الانكار وكذلك فعل الحجر لجذب شيء او رده او حبسه او اطلاقه من حديد او غيره هذا نص كلامه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا تكذيب منهم لله عز وجل اذ يقول * تلفح وجوههم النار * ولقوله تعالى * وانزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد * وقوله تعالى * انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم * الاية وقوله تعالى * فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج * وقد صككت بهذا وجه بعض مقدميهم في المناظرة فدهش وبلد وهو ايضا تكذيب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول كل مسكر حرام وكل شراب اسكر حرام مع مخالفتهم لكل لغة ولكل ذي حس من مسلم وكافر ومكابرة العيان وابطال المشاهدة ثم اظرف شيء احتجاجهم في هذه الطامة بان الله عز وجل هو الذي خلق ذلك كله فقلنا لهم او ليس فعل كل حي مختار واختياره خلقا لله عز وجل فلا بد من قولهم نعم فيقال لهم فمن أين نسبتم الفعل الى الاحياء وهي خلق الله تعالى ومنعتم من نسبة الفعل الى الجمادات لانه خلق الله تعالى ولا فرق ولكنهم قوم لا يعقلون

﴿ قال ابو محمد ﴾ وسمعت بعض مقدميهم يقول ان من كان على معاصي خمسة من زنا وسرقة وترك صلاة وتضييع زكاة وغير ذلك ثم تاب عن بعضها دون بعض فان توبته تلك لا تقبل وقد نص السمناني على ان هذا قول الباقلاني وهو قول ابي هاشم الجبائي ثم قال السمناني هذا قول خارق للاجماع جملة وخلاف لدين الامة هذا نص قول السمناني في شيخه وشهدوا على انفسهم واقبل بعضهم على بعض يتلاومون

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا القول مخالف للقرآن والسنن لان الله تعالى يقول * فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره * وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً * الآية وقال تعالى * اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او أنثى * وبالضرورة يدري كل ذي مسكة من عقل ان التوبة من الزنا خير كثير فهذا الجاهل

يقول

يقول انه لا يراه صاحبه وانه عمل ضائع عند الله عز وجل من مسلم مؤمن ومعاذ الله من هذا وسر هذا القول الملعون وحقيقته التي لا بد لقائله منه انه لا معنى لمن اصر على الزنا او شرب الخمر في ان يصلي ولا ان يزكي فقد صار يأمر بترك الصلاة الخمس والزكاة وصوم رمضان والحج فعلى هذا القول وقائله لعائن الله تترى ما دار الليل والنهار ونص السمناني عن الباقلاني شيخه انه كان يقول ان الله تعالى لا يغفر الصغائر باجتناب الكبائر

﴿ قال ابو محمد ﴾ وانا سمعت بعض مقدميهم ينكران يكون في الذنوب صغائر وناظرته بقول الله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم * وقلت بالضرورة يدري كل ذي فهم انه لا كبائر الا بالاضافة الى ما هو اصغر منها وهي السيئآت المغفورة باجتناب الكبائر بنص كلام الله تعالى فقولك هذا خلاف للقرآن مجرد فخلط ولجأ الى الحرد وهذا منهم تكذيب لله عز وجل ورد لحكمه بلا كلفة ومن شنعهم الممزوجة بالهوس وصفاقة الوجه قولهم انه لا حر في النار ولا في الثلج برد ولا في العسل حلاوة ولا في الصبر مرارة وانما خلق الله تعالى ذلك عند اللمس والذوق وهذا حمق عتيق قادهم اليه انكارهم الطبائع وقد ناظرناهم على ذلك هذا مع قول شيخهم الباقلاني ان لقشور العنب رائحة وللزجاج والحصا طعماً ورائحة وزادوا حتى بلغوا الى ان قالوا ان للفلك طعماً ورائحة فليت شعري متى ذاقوه او شموه او من اخبرهم بهذا وهذا لا يعرفه الا الله ثم الملائكة الذين هنالك ولكن من ذاق طعم الزجاج وشم رائحته فغير منكر ان يدعى مشاهدة الفلك ولمسه وشمه وذوقه ومن شنعهم قولهم ان من كان الآن على دين الاسلام مخلصاً بقلبه ولسانه مجتهداً في العبادة الا ان الله عز وجل يعلم انه لا يموت الا كافراً فهو الآن عند الله كافر وان من كان الآن كافراً يسجد للنار وللصليب او يهودياً او زنديقاً مصر حين بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان في علم الله تعالى انه لا يموت الا مسلماً فانه الآن عند الله مسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ ما قال هذا مسلم قط قبل هشام الفوطي وهذه مكابرة للعيان وتكذيب لله عز وجل مجرد كأنهم ما سمعوا قط قول الله تعالى * ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا * فسماهم مؤمنين ثم اخبر تعالى بانهم كفروا وقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر * فجعل الاسلام ديناً لما كان عليه اذ كان عليه وان ارتد معه ومات كافراً وقوله تعالى مخاطباً

للمسلمين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم * ولا تقولوا لمن القي اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا * ويلزمهم ان الذي يسلم ابوه ولا يسلم هو لانه كان بالغاً ثم مات ابوه فلم يرثه لكفره ثم اسلم ان يفسخوا حكمهم ويورثوه من ابيه لانه عندهم كان اذ مات ابوه مؤمناً عند الله تعالى ويلزمهم ان من كان صبياً ثم عاش حتى شاخ انه لم يكن عند الله قط الا شيخاً ولو جمع ما يدخل عليهم لقام منه سفر ضخم وقالوا كلهم انه ليس على ظهر الارض يهودي ولا نصراني يقر بقلبه ان الله حق

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذ تكذيب للقرآن على ما بينا قبل ومكابرة للعيان لانا لا نحصي كم دخل في الاسلام منهم وصلح ايمانه وصار عدلا وكلهم لا يختلف في انه كان قبل اسلامه مقراً بالله عز وجل عالماً به كما هو بعد أسلامه لم يزد في توحيده شيء فكابروا العيان وكذبوا القرآن بحمق وقلة حياء لا نظير له وقال الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن معنى قول الله تعالى * لا يرضى لعباده الكفر * وقوله تعالى * لا يحب الفساد * انما معناه لا يحب الفساد لاهل الصلاح ولا يرضى لعباده المؤمنين ان يكفروا ولم يرد انه لا يرضاه لاحد من خلقه ولا يحبه لاحد منهم ثم قال وان كان قد احب ذلك ورضيه لاهل الكفر والفساد

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا تكذيب لله تعالى مجرد ثم ايضاً اخبر بان الكفار فعلوا من الكفر امراً رضيه الله تعالى منهم واحبه منهم فكيف يدخل هذا في عقل مسلم مع قوله تعالى * اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم * واعجبوا لظلمة جهله اذ لم يفرق بين ارادة الكفر والمشيئة والخلق له وبين الرضا والمحبة وقال ايضاً فيه ان اقل من سورة من القرآن ليس بمعجز اصلا بل هو مقدور على مثله وقال ايضاً في السفر الخامس من الديوان المذكور ان قيل كيف تقولون اكان يجوز من الله ان يؤلف القرآن تأليفاً آخر غير هذا يعجز الخلق عن مقابلته قلنا نعم هو تعالى قادر على ذلك وعلى ما لا غاية له من هذا الباب وعلى اقدار كثيرة واعداد لا يحصيها غيره الا ان كان تأليف الكلام ونظم الالفاظ لا بد ان يبلغ الى غاية وحد لا يحتمل الكلام اكثر منه ولا اوسع ولا يبقى وراء تلك الاعداد نص والاوزان شيء تتناوله القدرة قال ولنا في هذه المسألة نظر في تأليف الكلام ونظم الاجسام وتصوير الاشخاص

هل

هل يجب ان يكون نهاية لا يحتمل المؤلف والمنظوم فوقها ولا ما هو اكثر منها ام لا

﴿ قال ابو محمد ﴾ هنا صرح بالشك في قدرة الله تعالى الها نهاية كما يقول ابو الهذيل أخوه في الضلالة والكفر ام لا نهاية لها كما يقول اهل الاسلام ونعوذ بالله من الضلال

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولقد اخبرني بعض من كان يداخلهم وكان له فيهم سبب قوي وكان من اهل الفهم والذكاء وكان يزري في باطن امره عليهم انهم يقولون ان الله تعالى مذ خلق الارض فانه خالق جسما عظيما يمسكها عن ان تهوى هابطة فلما خلق ذلك الجسم افناه في الوقت بلا زمان وخلق اخر مثله يمسكها أيضاً فلما خلقه افناه اثر خلقه بلا زمان ايضاً وخلق اخر وهكذا ابداً ابداً بلا نهاية قال لي وحجتهم في هذا الوسواس والكذب على الله تعالى فيه مما لم يقله احد قبلهم مما يكذبه الحس والمشاهدة أنه لا بد للارض من جسم ممسك والاهوت فلو كان ذلك الممسك يبقى وقتين او مقدار طرفة عين لسقط هو ايضاً معها فهو اذا خلق ثم افنى اثر خلقه ولم يقع لان الجسم عندهم في ابتداء خلقه لا ساكن ولا متحرك

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا احتجاج للحمق بالحمق وما عقل احد قط جسماً لا ساكناً ولا متحركاً بل الجسم في ابتداء خلق الله تعالى له في مكان محيط به في جهاته ولا شك ساكن في مكانه ثم تحرك وكأنهم لم يسمعوا لقول الله تعالى * ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا * فاخبر تعالى انه يمسكها كما شاء دون تكلف ما لم يخبرنا الله تعالي به ولا جعل في العقول دليلا عليه ولو ان قائل هذا الحمق وقف على الحق وطالع شيئاً من براهين الهيئة لخجل مما اتي به من الهوس ومن شنعهم قول هذا الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن ان تقسيم آيات القرآن وترتيب مواضع سوره شيء فعله الناس وليس هو من عند الله ولا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ فقد كذب هذا الجاهل وافك اتراه ما سمع قول الله تعالى * ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها * وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في آية الكرسي وآية الكلالة والخبر انه عليه السلام كان يأمر اذا نزلت الآية ان تجعل في سورة كذا وموضع كذا ولو ان الناس رتبوا سوره لما تعدوا احد وجوه ثلاثة اما ان يرتبوها على الاول فالاول نزولا او الاطول فما دونه او الاقصر فما فوقه فاذ ليس ذلك كذلك فقد صح انه

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يعارض عن الله عز وجل لا يجوز غير ذلك اصلا ومن شنعهم قول الباقلاني في كتابه في مذاهب القرامطة قرب اخر الكتاب في باب ترجمته ذكر جمل مقالات الدهرية والفلاسفة والثنوية قال الباقلاني فاما ما يستحيل بقاؤه من اجناس الحوادث وهي الاعراض فانما يجب عدمها في الثاني من حال حدوثها من غير معدم ولا شيء يفنيها هذا نص كلامه وقال متصلا بهذا الفصل واما نحن فنقول انها تفني الجواهر نعني بقطع الاكوان عنها من حيث لا يصح لها وجود لا في مكان ولا فيما يقدر تقدير المكان واذا لم يلحق فيها شيء من الاكوان فعدم ماكان يخلق فيها منها اوجب عدمها هذا نص كلامه وهذا قول بافناء الجواهر والاعراض وهو فناء واعدام لا فاعل لهما وان الله تعالى لم يفن الفاني ونعوذ بالله من هذا الضلال والالحاد المحض وقالوا باجمعهم ليس لله تعالى على الكفار نعمة دينية اصلا وقال الاشعري شيخهم ولا له على الكفار نعمة دنيوية اصلا وهذا تكذيب منه ومن اتباعه الضلال لله عز وجل اذ يقول «بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار واذ يقول» عز وجل «يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين» وانما خاطب تعالى بهذا كفاراً جحدوا نعمة الله تعالى تبكيتاً لهم واما الدنيوية فكثير قال تعالى «قتل الانسان ما اكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره» الى قوله «فلينظر الانسان الى طعامه» الآية ومثله من القرآن كثير وقال الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن في باب مترجم بباب الدلالة على ان القرآن معجز للنبي صلى الله عليه وسلم وذكروا سؤآل الملحدين عن الدليل على صحة ما ادعاه المسلمون من ان القران معجز فقال الباقلاني يقال لهم ما معنى وصف القران وغيره من ايات الرسول صلى الله عليه وسلم بانه معجز فانما معناه انه مما لا يقدر العباد عليه وان يكونوا عاجزين على الحقيقة وانما وصف القران وغيره من ايات الرسل عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى وخروج الناقة من الصخرة وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى بانه معجز وان لم يتعلق به عجز عاجز عنه على وجه التسمية بما يعجز عنه العاجز من الامور التي صح عجزهم عنها وقدرتهم عليها لانهم لم يقدروا على معارضات ايات الرسل غير عن عدم قدرتهم على ذلك فالعجز عنه تشبيهاً له بالمعجوز عنه قال الباقلاني ومما يدل على ان العرب لا

يجوز

يجوز ان تعجز عن مثل القران لانه قد صح وثبت ان العجز لا يكون عجزا الا عن موجود فلو كانوا على هذا الاصل عاجزين عن مثل القران وعصى موسى واحياء الموتى وخلق الاجسام والاسماع والابصار وكشف البلوى والعاهات لوجب ان يكون ذلك المثل موجوداً فيهم ومنهم كما انهم لو كانوا قادرين على ذلك لوجب ان يكون ذلك منهم ولما لم يكن ذلك كذلك ثبت انه لا يجوز عجز العباد على الحقيقة عن مثل القران مع عدمه منهم وكونه غير موجود لهم ولا عن قلب عصى موسى حية ولا عن مثل ذلك

﴿قال ابو محمد﴾ اينتظر كفر بعد هذا الكفر في تصريحه ان العباد والعرب لا يجوز ان يعجزوا عن مثل القران ولا عن قلب العصا حية ولا يغتر ضعيف بقوله انهم غير قادرين على ذلك فانما هو على قوله المعروف من ان الله لا يقدر على غير ما فعل وظهر منه فقط ومن عظيم المحال قوله في هذا الفصل انه لا يجوز ان يعجز العاجز الا عما يقدر عليه معان هذا الكلام منه موجب انهم ان عجزوا عن مثل القران قدروا عليه وما يمترى في انه كان كائداً للاسلام ملحداً لا شك فيه فهذه الاقوال لا ينطلق بها لسان مسلم ومن اعظم البراهين على كفر الباقلاني وكيده للدين قوله في فصل اخر من الباب المذكور في الكتاب المذكور انه لا يجب على من سمع القران من محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم أن يبادر الى القطع على أنه له آية أو انه على يده ظهر ومن قبله نجم حتى يسأل أهل النواحي والاطراف ونقلة الاخبار ويتعرف حال المتكلمين بذلك اللسان في الافاق فاذا علم بعد التثبت والنظر انه لم يسبقه الى ذلك أحد لزمه حينئذ اعتقاد نبوته

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا انسان خاف معاجلة الامة له بالرجم كما يرجم الكلب ان صرح بان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باطل فصرح لهم بما يؤدي الى ذلك من قرب اذ اوجب بان لا يقر احد بنبوة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بانه اتى بالقران ولا بانه اية من اياته على صحة نبوته الا حتى يسأل اهل النواحي والاطراف وينتظر الاخبار ويتعرف حال المتكلم بالعربية في الافاق

﴿قال ابو محمد﴾ فاحال والله على عمل لا نهاية له ولو عمر الانسان عمر نوح عليه الصلاة والسلام لان سؤال اهل النواحي والاطراف لا ينقضي في الف عام وانتظار الاخبار ليس

له حد وليت شعري متى تصل المخدرة وطالب المعاش الى طرف من هـذا المحال لان اهل النواحي هم من بين صدر الصين الى اخر الاندلس الى بلاد الزنج الى بلاد الصقالبة فما بين ذلك فلاح كفر هذا الجاهل الملحد وكيده للاسلام لكل من له ادنى حس مع ضعف كيده في ذلك قال الله تعالى * ان كيد الشيطان كان ضعيفاً * ويكفي من كل هزراتي به في هذا الفصل الملعون قائله ان من له علم قوي بالعربية والاخبار فيكفيه تيقن عجز العرب عن معارضته فمن بعدهم الى اليوم وانه من عنده ضرورة لانه لم ينزل القران جملة فيمكن فيه الدعوى من احد وانما نزل مقطعاً في كل قصة تنزل فينزل فيها قران وهذه ضرورة موجبة انه عنده عليه الصلاة والسلام ظهر بوحي الله تعالى اليه وبما فيه من الغيوب التي قد ظهر انذاره بها واما من لا علم له باللغة والاخبار فيكفيه اخبار من يقع له العلم بخبره بان العرب عجزت عن مثله وانه اتى به مفصلا عند حلول القصص التي انزل الله تعالى فيها الاية والايتين والكلمة والكلمتين من القران والتوراة حتى تم كما هو فهذا الحق وذلك الالحاد المحض والكلام الغث السخيف ومن كفراتهم الصلع قول السمناني اذ نص على ان الباقلاني كان يقول ان جميع المعاصي كلها لا نحاشي شيئاً منها مما يجب ان يستغفر الله منه جائز وقوعها من النبي صلى الله عليه وسلم حاشا الكذب في البلاغ فقط وقال الباقلاني واذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلا على انه منسوخ اذ قد يفعله عاصياً لله عز وجل قال الباقلاني وليس على اصحابه فرضاً ان ينكروا ذلك عليه وقال السمناني في كتاب الامامة لو لا دلالة العقل على وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم معصوماً في البلاغ عن الله عز وجل لما وجب كونه معصوماً في البلاغ كما لا يجب فيما سواه من افعاله واقواله وقال أيضاً في مكان آخر منه و كذلك يجوز ان يكفر النبي صلى الله عليه وسلم بعد اداء الرسالة

﴿قال ابو محمد﴾ بالله الذي لا إله الا هو ان كان قال هذا القول ناصراً له وداعياً اليه مسلم قط وما كان قائله الا كافراً ملحداً فاعلموا ايها الناس انه قد جوز على النبي صلى الله عليه وسلم الكفر والزنا واللياطة والبغاء والسرقة وجميع المعاصي واي كيد للاسلام يا الناس أعظم من هذا واما صاحبه ابن فورك فانه منع من هذا وانكره واجاز على النبي صلى الله عليه وسلم صغار المعاصي كقتل النساء وتعريضهن وتفخيذ الصبيان ونحو ذلك وأما شيخهما ابن مجاهد

البصري ليس بالمقري فانه منع من كل ذلك وحاشا لله ان يجوز النبي صلى الله عليه وسلم ذنب بعمد لا صغير ولا كبير لقول الله تعالى * لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة * ومن المحال ان يأمرنا الله تعالى ان نتأسى بعاص في معصيته صغرت او كبرت واعجبوا لاستخفاف هذا الملحد بالدين وبالمسلمين اذ يقول هاهنا انه ليس فرضاً على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان ينكروا عليه عصيان ربه ومخالفة امره الذي امرهم به وهو يقول في نصره للقياس ان قياس من قاس من الصحابة وسكوت من سكت منهم عن انكاره دليل على وجوب الحكم بالقياس لانهم لا يقرون على منكر فاوجب اقرارهم على المنكر من النبي صلى الله عليه وسلم حاشا لله من هـذا وانكر اقرارهم على القياس لو كان منكراً فجمع بين هذا المناقضة والكذب في دعوى القياس على الصحابة ودعوى معرفة جميعهم بقياس من قاس منهم ودعوى انهم لم ينكروه وهذه صفات الكذابين المتلاعبين بالدين ومن طوامهم ما حكاه السمناني عن الباقلاني انه قال واختلفوا في وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم افضل اهل وقته في حال الرسالة وما بعدها الى حين موته فاوجب ذلك قائلون واسقطه آخرون وقال الباقلاني وهذا هو الصحيح وبه نقول

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا والله الكفر الذي لا خفاء به اذ جوز ان يكون احد ممن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فما بعده افضل من رسول الله صلى عليه وسلم وما انكرنا على احمد بن خابط الادون هذا اذ قال ان ابا ذر كان ازهد من النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع قول هذا المستخف الباقلاني الذي ذكره عنه السمناني في كتابه الكبير في كتاب الامامة منه ان من شرط الامامة ان يكون الامام افضل اهل زمانه

﴿قال ابو محمد﴾ يا للعيارة بالدين يجوز عند هذا الكافر ان يكون في الناس غير الرسل افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز عنده ان يلي الامامة احد يوجد في الناس افضل منه ثم حمقه ايضاً في هذا حمق عتيق لانه تكليف ما لا يطاق ولا سبيل الى القطع بفضل احد على احد الا بنص من الله عز وجل وكيف يحاط بالافضل من قريش وهم مبثوثون من اقصى السند وكابل ومكران الى الاشونه الى سواحل البحر المحيط ومن سواحل بحر اليمن الى ثغور ارمينية واذربيجان فما بين ذلك اللهم العن من لا يستحي ومن العجب ان

هذا النذل الباقلاني قطع بخلاف الاجماع على ابي حنيفة باجازته القراة الفارسية وصرح بان ترتيب الآيات فى القرآن اجماع وقد اجاز مالك لمن قرأ عند غروب الشمس وطلوعها بجاءته آية سجدة ان يصل التي قبلها بالتي بعدها فمالك عنده مخالف للاجماع وقطع بان الشافعي مخالف للاجماع في قوله * بسم الله الرحمن الرحيم * آية من ام القرآن وان داود خالف الاجماع في قوله بابطال القياس افلا يستحي هذا الجاهل من ان يصف العلماء بصفته مع عظيم جهله بان عاصماً وابن كثير وغيرهما من القراء وطائفة من الصحابة تقول بقول الشافعي الذي جعله خلافا للاجماع وانه لم يات قط عن احد من الصحابة ايجاب الحكم بالقياس من طريق تثبت وانه قد قال بانكاره ابن مسعود ومسروق والشعبي وغيرهم ولكن من يضلل الله فلا هادي له ومن عجائبه قوله ان العامي اذا نزلت به النازلة ففرضه ان يسأل افقه اهل بلده فاذا افتاه فهو فرضه فان نزلت به تلك النازلة ثانية لم يجز له ان يعمل بتلك الفتيا لكن يسأل ثانية اما ذلك الفقيه واما غيره ففرضه ان يعمل بالفتيا الثانية وهكذا ابداً

﴿قال ابو محمد﴾ هذا تكليف مالا يطاق اذ اوجب على كل أحد من العامة ان يسأل أبداً عن كل ماينوبه في صلاته وصيامه وزكاته ونكاحه وبيوعه ويكرر السؤال عن كل ذلك كل يوم بل كل ساعة فهل في الحماقة اكثر من هذا ونعوذ بالله من الخذلان

ذكر شنع لقوم لانعرف فرقهم

﴿قال ابو محمد﴾ ادعت طائفة من الصوفية ان في اولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الانبياء والرسل وقالوا من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك واستباحوا بهذا نساء غيرهم وقالوا أنا نرى الله ونكلمه وكلما قذف في نفوسنا فهو حق ورأيت لرجل منهم يعرف بابن شمعون كلاماً نصه ان لله تعالى مائة اسم وان الموفي مائة هو ستة وثلاثون حرفاً ليس منها في حروف الهجاء شيء الا واحد فقط وبذلك الواحد يصل أهل المقامات الى الحق وقال ايضاً اخبرني بعض من رسم لمجالسة الحق انه مد رجله يوما فنودي ما هكذا مجالس الملوك فلم يمد رجله بعدها يعني انه كان مديماً لمجالسة الله تعالى وقال ابو حاضر النصيبي من اهل نصيبين وابو الصياح السمرقندي واصحابهما ان الخلق لم يزالوا مع الله تعالى وقال ابو الصياح

لاتحل ذبائح أهل الكتاب وخطأ فعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قتال أهل الردة وصوب قول الصحابة الذين رجعوا عنه في حربهم وقال ابو شعيب القلال ان ربه جسم في صورة انسان لحم ودم ويفرح ويحزن ويمرض ويفيق وقال بعض الصوفية ان ربه يمشي في الازقة حتى انه يمشي في صورة مجنون يتبعه الصبيان بالحجارة حتى تدموا عقبيه فاعلموا رحمكم الله ان هذه كلها كفرات صلع وأقوال قوم يكيدون الاسلام وصدق القائل

شهدت بان ابن المعلم هازل * باصحابه والباقلاني اهزل
وما الجعل الملعون في ذاك دونه * وكلهم في الافك والكفر منزل

والله ماهم مع المغرورين بهم في قبولهم عنهم وحسن الظن بهم الا كما قال الآخر

وساع مع السلطان يسعى عليهم * ومحترس من مثله وهو حارس

واعلموا رحمكم الله ان جميع فرق الضلالة لم يجر الله على ايديهم خيراً ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية ولا رفع للاسلام راية وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ويفرقون كلمة المؤمنين ويسلون السيف على أهل الدين ويسعون في الارض مفسدين أما الخوارج والشيعة فامرهم في هذا أشهر من ان يتكلف ذكره وما توصلت الباطنية الى كيد الاسلام واخراج الضعفاء منه الى الكفر الأعلى السنة الشيعة وأما المرجئية فكذلك الا ان الحارث بن سريج خرج بزعمه منكراً للجور ثم لحق بالترك فقادهم الى ارض الاسلام فانهب الديار وهتك الاستار والمعتزلة في سبيل ذلك الا انه ابتلى بتقليد بعضهم المعتصم والواثق جهلا وظنا انهم على شيء وكانت للمعتصم فتوحات محمودة كبابل والمازيار وغيرهم فالله الله ايها المسلمون تحفظوا بدينكم ونحن نجمع لكم بعون الله الكلام في ذلك الزموا القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومامضى عليه الصحابة رضي الله عنهم والتابعون وأصحاب الحديث عصراً عصراً الذين طلبوا الاثر فلزموا الاثر ودعوا كل محدثة فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وبالله تعالى التوفيق تم الكلام في شنع المبتدعة أهل الاهواء والنحل المضلة والحمد لله رب العالمين

فهرست الجزء الرابع من كتاب الفصل في الملل والنحل لابن حزم

الجزء الخامس

كتاب

الفصل في الملل والاهواء والنحل

للامام ابي محمد علي بن احمد بن حزم
الظاهري المتوفي سنة ٤٥٦

الفصل بكسر ففتح جمع فصلة بفتح فسكون كقصعة وقصع النخلة المنقولة من محلها الى محل آخر لتثمر

(طبع على نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد امين الخانجي وأخيه)

﴿ الطبعة الأولى ﴾

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر)
« لصاحبها اسماعيل حافظ الخير بالمحاكم الاهلية »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المعاني التي يسميها اهل الكلام اللطائف والكلام في السحر ﴾

(وفي المعجزات التي فيها احالة الطبائع يجوز واحدها لغير الانبياء ام لا)

﴿قال ابو محمد﴾ ذهب قوم الى ان السحر قلب للاعيان واحالة للطبائع وانهم يرون اعين الناس مالا يرى واجازوا للصالحين على سبيل كرامة الله عز وجل لهم اختراع الاجسام وقلب الاعيان وجميع احالة الطبائع وكل معجز للانبياء عليهم السلام ورأيت لمحمد ابن الطيب الباقلاني ان الساحر يمشي على الماء على الحقيقة وفي الهواء ويقلب الانسان حماراً على الحقيقة وان كل هذا موجود من الصالحين على سبيل الكرامة وانه لا فرق بين آيات الانبياء وبين مايظهر من الانسان الفاضل ومن الساحر أصلا الا بالتحدي فان النبي يتحدي الناس بان يأتوا بمثل ماجاء هو به فلايقدر أحد على ذلك فقط وان كل مالم يتحد به النبي صلى الله عليه وسلم الناس فليست آية له وقطع بان الله تعالى لايقدر على اظهار آية على لسان متنبيء كاذب وذهب اهل الحق الى انه لايقلب احد عينا ولا يحيل طبيعة الا الله عز وجل لانبيائه فقط سواء تحدوا بذلك أو لم يتحدوا وكل ذلك آيات لهم عليهم الصلاة والسلام تحدوا بذلك ام لا والتحدي لامعنى له وانه لايمكن وجود شيء من ذلك لصالح ولا لساحر ولا لاحد غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام والله تعالى قادر على اظهار الآيات على ايدي الكذابين المدعين للنبوة لكنه تعالى لايفعل كما لايفعل مالا يريد ان يفعله من سائر ماهو قادر عليه

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا هو الحق الذي لايجوز غيره برهان ذلك قوله عز وجل * وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته * وقال عز وجل * وعلم آدم الاسماء كلها * وقال تعالى * انما أمره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون * فصح ان كل مافي العالم مما قد رتبه الله عز وجل الترتيب الذي لايتبدل وصح ان الله عز وجل اوقع كل اسم على مسماه فلا يجوز ان

يوقع اسم من تلك الاسماء على غير مسماه الذي اوقعه الله تعالى عليه لانه كان يكون تبديلا لكلمات الله تعالى التي ابطل عز وجل ان تبدل ومنع من ان يكون لها مبدل ولو جاز ان تحال صفات مسمى منها التي بوجودها فيه استحق وقوع ذلك الاسم عليه لوجب ان يسقط عنه ذلك الاسم الذي أوقعه الله تعالى عليه فاذ ذلك كذلك فقد وجب ان كل مافي العالم مما قد رتبه الله على ماهو عليه من فصوله الذاتية وانواعه واجناسه فلا يتبدل شيء منه قطعاً الا حيث قام البرهان على تبدله وليس ذلك الا على احد وجهين اما استحالة معهودة جارية على رتبة واحدة وعلى مابني الله تعالى عليه العالم من استحالة المني حيواناً والنوي والبزور شجرة ونباتا وسائر الاستحالات المعهودات واما استحالة لم تعهد قط ولا بني الله تعالى العالم عليها ولذلك قد صح للانبياء عليهم السلام شواهد لهم على صحة نبوتهم ووجود ذلك بالمشاهدة ممن شهدهم ونقله الى من لم يشاهدهم بالتواتر الموجب للعلم الضروري فوجب الاقرار بذلك وبقي ماعدا أمر الانبياء عليهم السلام على الامتناع فلا يجوز البتة وجود ذلك لا من ساحر ولا من صالح بوجه من الوجوه لانه لم يقم برهان بوجود ذلك ولا صح به نقل وهو ممتنع في العقل كما قدمنا ولوكان ذلك ممكنا لاستوى الممتنع والممكن والواجب وبطلت الحقائق كلها وامكن كل ممتنع ومن لحق هاهنا لحق بالسوفسطائية على الحقيقة ونسأل من جوز ذلك للساحر والفاضل هل يجوز لكل احد غيرهذين ام لايجوز الا لهذين فقط فان قال ان ذلك للساحر والفاضل فقط وهذا هو قولهم سألناهم عن الفرق بين هذين وبين سائر الناس ولا سبيل لهم الي الفرق بين هؤلاء وبين غيرهم الا بالدعوى التي لايعجز عنها احد وان قالوا ان ذلك جائز ايضا لغير الساحر والفاضل لحقوا بالسوفسطائية حقا ولم يثبتوا حقيقة وجاز تصديق من يدعي أنه يصعد الى السماء ويرى الملائكة وانه يكلم الطير ويجتني من شجر الخروب التمر والعناب وان رجالا حملوا وولدوا وسائر التخليط الذي من صار اليه وجب ان يعامل بما هو اهله ان امكن او ان يعرض عنه لجنونه وقلة حيائه

﴿قال ابو محمد﴾ لافرق بين من ادعى شيئاً مما ذكرنا لفاضل وبين دعوى الرافضة رد الشمس على عليّ بن ابي طالب مرتين حتى ادعى بعضهم ان حبيب بن اوس قال

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

نضاضوءها صبغ الدجنة وانطوى ＊ لبهجتها فوق السماء المرجع
فوالله ما ادري علي بدالنا ＊ فردت له ام كان في القوم يوشع

وكذلك دعوى النصارى لرهبانهم وقدمائهم فانهم يدعون لهم من قلب الاعيان اضعاف مايدعيه هؤلاء وكذلك دعوى اليهود لاحبارهم ورؤس المثايب عندهم ان رجلا منهم رحل من بغداد الى قرطبة في يوم واحد وانه اثبت قرنين فى رأس رجل مسلم من بنى الاسكندراني كان يسكن بقرطبة عند باب اليهود وهذا كله باطل موضوع وبنو الاسكندراني كانوا اقواما اشرافاً معروفين لم يعرف لاحد منهم شيء من هذا والحماقة لاحد لها وهذا برهان كاف لمن نصح نفسه

قال ابو محمد واما السحر فانه ضروب منه ماهو من قبل الكواكب كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب فينفع امساكه من لدغة العقرب ومن هذا الباب كانت الطلسمات وليست احالة طبيعة ولا قلب عين ولكنها قوي ركبها الله عز وجل مدافعة لقوى اخر كدفع الحر للبرد ودفع البرد للحر وكقتل القمر للدابة الدبرة اذا لاقى الدبرة ضوءه اذا كانت دبرتها مكشوفة للقمر ولا يمكن دفع الطلسمات لانا قد شاهدنا أنفسنا أثارها ظاهرة الى الآن من قرى لاتدخلها جرادة ولا يقع فيه برد وكسر قسطة التي لايدخلها جيش الا ان يدخل كرها وغير ذلك كثير جدا لا ينكره الا معاند وهي اعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة وانقطع من العالم ولم يبق الا آثار صناعاتهم فقط ومن هذا الباب كان ماتذكره الاوائل في كتبهم في الموسيقا وانه كان يؤلف به بين الطبائع وينافر به ايضاً بينها ونوع آخر من السحر يكون بالرقى وهو كلام مجموع من حروف مقطعة في طوالع معروفة ايضاً يحدث لذلك التركيب قوة تستثار بها الطبائع وتدافع قوى أخر وقد شاهدنا وجربنا من كان يرقي الدمل الحاد القوى الظهور فى أول ظهوره فيبس يبدأ من يومه ذلك بالذبول ويتم يبسه فى اليوم الثالث ويقلع كما تقلع قشرة القرحة اذا تم يبسها جربنا من ذلك مالا نحصيه وكانت هذه المرأة ترقي احد دملين قد دفعا على انسان واحد ولا ترقي الثاني فييبس الذي رقت ويتم ظهور الذي لم ترق ويلقى حامله منه الاذي الشديد وشاهدنا من كان يرقي الورم المعروف بالخنازير فيندمل مايفتح منها ويذبل مالم ينفتح ويبرأ كل ذي ذلك البرء

التام كان لايزال يفعل ذلك فى الناس والدواب ومثل هذا كثير جدا وقد اخبرنا من خبره عندنا كمشاهدتنا لثقته وتجربينا لصدقه وفضله انه شاهد مالا يحصى نساء يتكامن على الذين يمخضون الزبد من اللبن بكلام فلا يخرج من ذلك اللبن زبد ولا فرق بين هذين الوجهين وبين ملاقاة فضلة الصفراء بالسقمونيا وملاقاة ضعف القلب بالكندر وكل هذه المعاني جارية على رتبة واحدة من طلب علم ذلك أدركه ومنه مايكون بالخاصة كالحجر الجاذب للحديد وما اشبه ذلك ومنه مايكون لعلف يد كحيل ابي العجائب التي شاهدها الناس وهي اعمال لطيفة لاتحيل طبعا اصلا

﴿قال ابو محمد﴾ وكل هذه الوجوه التي ذكرناها ليست من باب معجزات الانبياء عليهم السلام ولا من باب مايدعيه اهل الكذب للسحرة والصالحين لان معجز الانبياء هو خارج عن الرتب وعن طبائع كل مافى العالم وعن بنية العالم لايجري شيء من ذلك على قانون ولا على سنن معلوم لكن قلب عين واحالة صفات ذاتية كشق القمر وفلق البحر واختراع طعام وماء وقلب العصا حية واحياء ميت قد أرم واخراج ناقة من صخرة ومنع الناس من ان يتكلموا بكلام مذكورا ومن ان يأتوا بمثله وما اشبه هذا من احالة الصفات الذاتية التي بوجودها تستحق الاسماء＊ومنها تقوم الحدود وهذا بعينه هو الذي يدعيه المبطلون للساحر والفاضل

﴿قال ابو محمد﴾ وانما يلوح الفرق جدا بين هذين السبيلين لاهل العلم بحدود الاسماء والمسميات وبطبائع العالم وانقسامه من مبدئه من اجناسه اجناسه الى انواعه الى اشخاصه وماهو من اعراضه ذاتى وما هو منها غيري وما يسرع الاستحالة والزوال من الغيري منها وما يبطئ زواله منها وما يثبت منها ثبات الذاتي وان لم يكن ذاتيا والفرق بين البرهان وبين مانظن انه برهان وليس برهاناً والحمد لله على ماوهب وانعم به علينا لا إله الا هو حدثنا محمد بن سعيد بن بيان ثنا احمد بن عبد البصير قال ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن عبد السلام الخشني ثنا محمد بن المثني ثنا عبد الرحمن ابن مهدي ثنا سفيان الثوري عن ابي اسحاق الشيباني عن بشير بن عمرو قال ذكر الغيلان عند عمر بن الخطاب فقالوا انهم يتحولون فقال عمر انه ليس أحد يتحول عن خلقه الذي خلق له ولكن لهم سحرة كسحرتكم فاذا خشيتم شيئاً من ذلك فاذنوا فهذا عمر رضي الله عنه يبطل احالة الطبائع وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين كثيراً وقد نص الله عزوجل

علي ماقلنا فقال تعالى ٭ فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ٭ فاخبر تعالى ان عمل أولئك السحرة انما كان تخييلا لا حقيقة له وقال تعالى ٭ انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح السّاحر حيث أتي ٭ فاخبر تعالى انه كيد لاحقيقة له فان قيل قد قال الله عزوجل ٭ سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحرهم عظيم ٭ قلنا نعم انها حيل عظيمة واثم عظيم اذ قصدوا بها معارضة معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم كادوا عيون الناس اذ أوهموهم ان تلك الحبال والعصي تسعي فاتفقت الآيات كلها والحمد لله رب العالمين وكان الذي قدر ممن لايدرے حيلهم من أنها تسعى ظنا أصله اليقين وذلك انهم رأواصفة حيات رقط طوال تضطرب فسارعوا الي الظن وقدروا انها ذات حيات ولوا معنُوا الظن وفتشوها لوقفوا على الحيلة فيها وانها ملئت زئبقا ولد فيها تلك الحركات كما يفمل العجائبي الذي يضرب بسكينة في جسم انسان فيظن من رآه ممن لايدري حيلته ان السكين غاصت في جسد المضروب وليس كذلك بل كان نصاب السكين مثقوبا فقط فغاصت السكين في النصاب وكادخاله خيطا في حلقة خاتم يمسك انسان غير متهم طرفي الخيط بيديه ثم يأخذ العجائبي الخاتم الذي فيه الخيط بفيه وفي ذلك المقام ادخله تحت يده وكان في فيه خاتم اخري يري من حضر حلقة الخاتم الذي في فيه يوهمهم انه قد أخرجه من الخيط ثم يرد فمه الي الخيط ويرفع يديه وفمه فينظر الخاتم الذي كان فيه الخيط وكذلك سائر حيلهم وقد وقفنا على جميعها فهذا هو معنى قوله تعالى سحروا أعين الناس واسترهبوهم أي انهم أوهموا الناس فيما رأوا ظنونا متوهمة لاحقيقة لها ولوفتشوها للاح لهم الحق وكذلك قوله تعالى ٭ فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه ٭ فهذا أمر ممكن يفعله النمام وكذلك ماروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم فولد ذلك عليه مرضاً حتي كان يظن انه فعل الشيْ وهو لم يفعله فليس في هذا أيضاً احالة طبيعة ولا قلب عين وانما هو تأثير بقوة لتلك الصناعه كما قلنا في الطلسمات والرقي فلا فرق ونحن نجد الانسان يسب أو يقابل بحركة يغضب منها فيستحيل من الحلم الى الطيش وعن السكون الى الحركة والنزق حتي يقارب حال المجانين وربما أمرضه ذلك وقد قال عليه السلام ْإن من البيان لسحرا لان من البيان ما يؤثر في النفس فيثيرها او يسكنها عن ثورانها ويحيلها عن عزماتها وعلى هذا المعنى استعملت الشعراء ذكر سحر

العيون لاستمالتها للنفوس فقط

قال ابو محمد ويقال لمن قال ان السحر يحيل الاعيان ويقلب الطبائع اخبرونا اذا جاز هذا فاى فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم والساحر ولعل جميع الانبياء كانوا سحرة كما قال فرعون عن موسى عليه السلام ٭ انه لكبيركم الذى علمكم السحر ٭ وان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها ٭ واذا جاز ان يقلب سحرة موسى عليه السلام عصيهم وحبالهم حيات وقلب موسى عليه السلام عصاه حية وكان كلا الامرين حقيقة فقد صدق فرعون بلا شك في انه ساحر مثلهم الا انه أعلم منهم به فقط وحاشا لله من هذا بل ما كان فعل السحرة الا من حيل ابي العجائب فقط فان لجؤا الى ما ذكره الباقلاني من التحدى قيل لهم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدى في كون آية النبي آية دعوى كاذبة سخيفة لادليل على صحتها لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من اجماع ولا من قول صاحب ولا من حجة عقل ولا قال بهذا احد قط قبل هذه الفرقة الضعيفة وما كان هكذا فهو في غاية السقوط والهجنة قال الله عز وجل ٭ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ٭ فوجب ضرورة ان من لا برهان له على صحة قوله فهو كاذب فيها غير صادق وثانيها ٭ انه لو كان ما قالوا لسقطت اكثر آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم كنبعان المآء من بين اصابعه واطعامه المئين والعشرات من صاع شعير وعناق ومرة اخرى من كسر ملفوفة في خمار وكتفله فى العين فجاشت بماء غزير الى اليوم وحنين الجذع وتكليم الذراع وشكوى البعير والذئب والاخبار بالغيوب وتمر جابر وسائر معجزاته العظام لانه عليه الصلاة والسلام لم يتحد بذلك كله احدا ولا عمله الا بحضرة اهل اليقين من اصحابه رضى الله عنهم ولم يبق له آية حاشا القرآن ودعاء اليهود الى تمنى الموت وشق القمر فقط وكفى نحسا بقول أدى الى مثل هذا فان ادعوا انه عليه السلام تحدى بها من حضر وغاب كذبوا واخترعوا هذه الدعوى لأنه لم يات فى شيء من تلك الاخبار انه تحدى بها احدا وان تمادوا على ان كل هذه ليست معجزات ولا آيات اكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اذ فعل ذلك اشهد اني رسول الله والثالث وهو البرهان الدافع هو قول الله تعالى ٭ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها

اذا جاءت لا يؤمنون * وقوله * وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون * فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبة من الانبياء عليهم السلام آيات ولم يشترط عز وجل فى ذلك تحد يا من غيره فصح ان اشتراط التحدى باطل محض وصح انها اذا ظهرت فهى آية كان هنا لك تحد اولم يكن وقد صح اجماع الامة المتيقن على ان الآيات لا يأتي بها ساحر ولا غير نبي فصح ان المعجزات اذا هي آيات لا تكون لساحر ولا لاحد ليس نبيا والرابع انه لو صح حكم التحدى لكان حجة عليه لان التحدي عندهم يوجب ان لا يقدر على مثل ذلك احد اذ لو امكن ان يوجد مثل ذلك من احد لكان قد بطل تحديه وقيل له قد وجد من يعمل مثل عملك هذا اما صالح واما ساحر والخامس انه لو كان ما قالوا وجاز ظهور معجزة من ساحر لا يتحدى بها او فاضل لا يتحدى بها لامكن ان يتحدى لهما بها بعد موتهما من ضل فيهما كما فعلت الغلاة بعلي رضي الله عنه فعلى كل حال قولهم ساقط والحمد لله رب العالمين .

﴿قال ابو محمد﴾ واما من ادعى انه يشبه الساحر على العيون فيريهم ما لا يرى فان هذه الطائفة لم تكتف بالكفر بابطال النبوّات اذ لعل ما اتي به النبي صلى الله عليه وسلم كان تشبيهاً على العيون لا حقيقة له حتى رامت ابطال الحقائق كلها اولها عن آخرها ولحقت بالسوفسطائية لحاقا صحيحاً بلا تكلف ويقال لهم اذا جاز ان يشبه على العيون حتي يرى المشبه عليها ما لا حقيقة له وما لا تراه فما يدريكم لعلكم كلكم الآن مشبه على عيونكم ولعل بعض السحرة قد شبه عليكم فاراكم انكم تتوضؤن وتصلون وانتم لا تعقلون شيئاً من ذلك ولعلكم تظنون انكم تزوجتم وانما في بيوتكم ضأن ولا معز ولعلكم الآن على ظهر البحر ولعل كل ما تعتقدون من الدين تشبيه عليكم وهذا كله لا مخلص لهم منه وقد عاب الله عز وجل من ذهب الى هذا فقال * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون * فلو جاز ان يكون للسحر حقيقة ويشبه ما يأتي به الانبياء عليهم السلام وامكن ان يشبه على البصر ما ذمهم الله عز وجل بان قالوا شيئاً يمكن كونه لكنهم لما قالوا ما لا يمكن البتة وتعلقوا بذلك فى دفع الحقائق عابهم الله تعالى بذلك وانكره عليهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وليس غلط الحواس في بعض الاوقات من باب التشبيه عليها في شئ لان احدنا قد يرى شخصاً على بعد لا يشك فيه الا انه شارع فقطع انه انسان او انه فلان فقطع بظنه ولو انه لم يعمل ظنه ولا قطع به لكان باقيا على ما ادرك من الحقيقة وهكذا في كل ما حكم فيه المرء بظنه واما ذو الآفة كمن فيه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لا حقيقة لها فهو ايضا كما ذكرنا وإنما الماء المطل على حدقته يوهمه انه رأى شيأ وقطع بذلك فاذا تثبت في كل ذلك لاح له الحق من الظن وكذلك من فسد مكان التخيل من دماغه فان نفسه تظن ما يتوهمه فتقطع به ولو قوي تميزها لفرقت بين الحق والباطل وهكذا القول في ادراك السمع والذوق وهذا كله يجرى على رتب مختلفة بمن اعمل ظنه وعلى رتب غير مختلفة فى جمل هذه الاوقات بل هي ثابتة عند اهل التحقيق والمعرفة معروفة العلاج حتى يعود منها الى صلاحه مالم يستحكم فساده ولا يظن ظان انه ممكن ان نكون في مثل حال هؤلاء اذ لو كان هذا لم نعرف شيئا من العلوم على رتبه واحكامه الجارية على سنن واحد وبالله تعالى التوفيق ثم نسألهم باي شئ يعرفون انه لم يشبه على عيونكم فقد عرفناكم نحن بماذا نعرف ان حواسنا سليمة وان عقولنا سليمة مادامت سالمة وبماذا نعرف الحواس المدخولة والعقول المدخولة وغير المدخولة وهو أجراء ما أدرك بالحواس السليمة والعقول السليمة على رتب محدودة معلومة لا تبدل عن حدودها ابداً واجراً ما ادرك بالحواس الفاسدة والعقول المدخولة على غير رتب محدودة فانهم لا يقدرون على فرق اصلا وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكذلك ما ذكر عمن ليس نبياً من قلب عين او إحالة طبيعة فهو كذب إلا ما وجد من ذلك في عصر نبي فانه آية كذلك لذلك النبي وذلك الذي ظهرت عليه آية بمنزلة الجذع الذي ظهر فيه الحنين والذراع الذي ظهر فيه النطق والعصا التي ظهرت فيها الحياة وسواء كان الذي ظهرت فيه الآية صالحا او فاسقا وذلك كنحو النور الذي ظهر في سوط عمر بن حممه الدوسي وبرهان ذلك انه لم يظهر فيه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان قيل اذا أجزتم ان تظهر المعجزة في غير نبى لكن فى عصر نبي لتكون آية لذلك النبي فهلا اجزتموه كذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لتكون آية له ايضاً ولا فرق بين الامرين . قلنا انما اجزنا ذلك الشئ في الجماد وسائر الحيوان وفيمن شاء الله تعالى إظهار ذلك

فيه من الناس لا نخص بذلك فاضلا لفضله ولا نمنع ذلك في فاسق لفسقه او كافر وانما ننكر على من خص بذلك الفاضل فجعلها كرامة له فلو جاز ذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لاشكل الامر ولم نكن في أمن من دعوي من ادعى انها آية لذلك الفاضل ولذلك الفاسق والانسان من الناس يدعيها آية له ولو كان ذلك لكان اشكالا في الدين وتلبيسا من الله تعالى على جميع عباده اولهم عن آخرهم وهذا خلاف وعد الله تعالى لنا واخباره بانه قد بين علينا الرشد من الغي وليس كذلك ما كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يكون الامن قبل النبي صلى الله عليه وسلم وباخباره وانذاره فبدت بذلك انها له لا للذي ظهرت منه وهذا في غاية البيان والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما الذي روي في ذلك عن الثلاثة اصحاب الغار وانفراج الصخرة ثلثا ثلثا عند ما ذكروا من اعمالهم فلا تعلق لهم به لان تكسير الصخرة ممكن في كل وقت ولكل احد بلا إعجاز وما كان هكذا فجائز وقوعه بالدعاء وبغير الدعاء لكن وقع وفاقا لتمنيه كمن دعا في موت عدوه او تفريج همه او بلوغ امنيته في دنياه ولقد حدثني حكم بن منذر بن سعيد ان اباه رحمه الله كان في جماعة في سفرة في صحراء فعطشوا وأيقنوا بالهلكة ونزلوا في ظل جبل ينتظرون الموت قال فاسندت رأسي الى حجر ناتئ فتأذيت به فقلعته فاندفع الماء العذب من تحته فشربنا وتزودنا ومثل هذا كثير مما يفرج وحتي لو كانت معجزة لوجب بلا شك أن يكونوا انبياء او لنبي ممن في زمن نبي لابد مما قدمناه

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا عجب اعجب من قول من يجيز قلب الاعيان للساحر وهو عندهم فاسق او كافر ويجيز مثل ذلك للصالح وللنبي فقد جاز عندهم قلب الاعيان للنبي وللصالح وللفاسق وللكافر فوجب ان قلب الاعيان جائز من كل احد وبؤسا لقول ادى الى مثل هذا وهم يجيزون للمغيرة بن سعيد وبيان ومنصور الكشف وقلب الاعيان على سبيل السحر وقد جاء بعدهم من يدعي لهم النبوة بها فاستوي عند هؤلاء المخذولين النبي والساحر نعوذ بالله من الضلال المبين

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان اعترضوا بقول الله تعالى * وقال ربكم ادعوني استجب لكم * وبقوله تعالى * أجيب دعوة الداع اذا دعان * فهذا حق وانما هو بلا شك انه في الممكنات التي علم الله تعالى انها تكون لا فيما في علم الله تعالى انها لا تكون ولا في المحال ونسألهم عمن دعا الى الله تعالى في أن يجعله نبياً او في ان ينسخ دين الاسلام او بان يجعل القيامة قبل وقتها

او

او يمسخ الناس كلهم قردة او بان يجعل له عينا ثالثة او بان يدخل الكفار الجنة او المؤمنين النار وما اشبه هذا فان اجازوا كل هذا كفروا ولحقوا مع كفرهم بالمجانين وإن منعوا من كل هذا تركوا استدلالهم بالآيات المذكورة وصح ان الاجابة إنما تكون في خاص من الدعاء لا في العموم وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسامة وخالد هلا شققت عن قلبه لتعلم أقالها متعوذاً أم لا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلو جاز ظهور المعجزة على غير نبي على سبيل الكرامة لوجب القطع على ما في قلبه وانه ولي الله تعالى وهذا لا يعلم من أحد بعد الصحابة رضى الله عنهم الذين ورد فيهم النص وأما قول الباقلاني ان الله تعالى لا يقدر على إظهار آية على يد كذاب فهو داخل في جملة تعجيزه الباري تعالى وهو ايضاً تعجيز سخيف داخل في جملة المحال وذلك انه جعل الله تعالى قادراً على إظهار الآيات على كل ساحر فان علم انه يقول انه نبي لم يقدر على أن يظهرها عليه وهذا قول في غاية الفساد لان من قدر على شئ لم يجز أن يبطل قوته عليه علمه بان ذلك الذي يظهر فيه الفعل يقول أنا نبي ولا يتوهم هذا ولا يتشكل في العقل ولا يمكن البتة وإنما هم قوم اهملوا حكم الله تعالى عليهم وأطلقوا احكامهم عليه تعالى وما في الكفر اسمج من هذا ولا اطم ولا ابرد

﴿ قال ابو محمد ﴾ ورأيت للباقلاني في فصل من كلامه ان الناس ليسوا عاجزين عن مثل هذا القرآن ولا قادرين عليه ولا هم عاجزون عن الصعود الى السماء ولا عن إحياء الموتى ولا عن خلق الاجسام ولا اختراعها ولا قادرين على ذلك هذا نص كلامه دون تأويل منا عليه ثم قال إن القدرة لا تقع إلا حيث يقع العجز[1]

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذا هوس لا يأتي به الا الممرور وأطم من ذلك احتجاجه بان العجز لا يقع إلا حيث تقع القدرة ولا ندري في أي لغة وجدوا هذا الكذب أم في أي عقل وجد هذا السخف وما شك ذو علم باللغة من الخاصة والعامة في بطلان قوله وفي أن العجز

(١) هذا المبحث لم يوافقه عليه غير بعض أهل الاعتزال وأما سائر من سواهم حتى متفلسفة أهل الاسلام فجوزوا وقوع الكرامة ممن صفت نفسه وتنور سره بالمعارف القدسية فلا يغترر بما هول به فانه لا معول عليه وهو سفسطة ومقدمات غير مسلمات تأمل اه مصححه

ضد القدرة وان ما قدر الانسان عليه فلم يعجز عنه في حين قدرته عليه وأن ما عجز عنه فلم يقدر عليه في حين عجزه عنه وأن نفي القدرة إثبات للعجز وأن نفي العجز إثبات للقدرة ما يجهل هذا عاميّ ولا خاصي اصلا وهو ايضاً معروف باول العقل والعجب أن يأتي بمثل هذه الدعاوي السخيفة بغير دليل اصلا لكن حماقات وضلالات يطلقها هذا الجاهل وامثاله من الفساق في دين الله تعالى فيتلقفها عنهم من اضله الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان وقد قال الله تعالى * واعلموا انكم غير معجزي الله * فاقتضى هذا انهم مقدور عليهم لله تعالي وقال تعالى * ليس بمعجز في الارض * فوجب انه مقدور عليه وقال تعالى * والله على كل شئ قدير * فصح انه غير عاجز وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الكلام في الجن ووسوسة الشيطان وفعله في المصروع

﴿ قال ابو محمد ﴾ لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم في العالم ايضاً بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل امكان كونهم لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق ما يشاء ولا فرق بين أن يخلق خلقا عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الارض والهواء والماء وبين أن يخلق خلقا عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والارض بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما ابدى على أيديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبانهم أمة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون وأجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون وأكثر اليهود حاشا السامرة فقط فمن انكر الجن او تأول فيهم تأويلا يخرجهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال قال تعالى * افتتخذونه وذريته أولياء من دوني *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهم يروننا ولا نراهم قال الله تعالى * انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم * فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل * إلا إبليس كان من الجن *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وإذ أخبرنا الله عز وجل أننا لا نراهم فمن ادعى انه يراهم أو رآهم فهو كاذب إلا أن يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تفلّت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال فاخذته فذكرت دعوة أخي سليمان

ولولا

ولولا ذلك لأصبح موثقا يراه أهل المدينة أو كما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن أبي هريرة الذي رأى إنما هي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى وجود خبر يصح برؤية جني بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي منقطعات أو عمّن لا خير فيه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهم أجسام رقاق صافية هوآئية لا ألوان لهم وعنصرهم النار كما انّ عنصرنا التراب وبذلك جاء القرآن قال الله عز وجلّ (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما وإنما حدث اللون في النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من الحطب والكتان والادهان وغير ذلك ولو كانت لهم الوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا أجساما صافية رقاقا هوائية لأدركناهم بحاسة اللمس وصح النص بانهم يوسوسون في صدور الناس وأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنا أن الله عز وجل جعل لهم قوة يتوصلون بها إلى قذف ما يوسوسون به في النفوس برهان ذلك قول الله تعالى * من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس * ونحن نشاهد الانسان يرى من له عنده ثار فيضطرب وتتبدل أعراضه وصورته وأخلاقه وتثور ناريته ويرى من يحب فيثور له حال أخرى ويبتهج وينبسط ويري من يخاف فتحدث له حال أخري من صفرة ورعشة وضعف نفس ويشير إلي إنسان آخر باشارات يحل بها طبائعه فيغضبه مرة ويخجله اخري ويفزعه ثالثة ويرضيه رابعة وكذلك يحيله ايضا بالكلام الي جميع هذه الاحوال فعلمنا ان الله عز وجل جعل للجن قوى يتوصلون بها إلي تغيير النفوس والقذف فيها بما يستدعونها اليه نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ومن شرار الناس وهذا هو جريه من ابن آدم مجري الدم كما قال الشاعر

وقد كنت اجري في حشاهن مرة * كجري معين الماء في قصب الآس

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما الصرع فان الله عز وجل قال * كالذي يتخبطه الشيطان من المس * فذكر عز وجل تأثير الشيطان في المصروع إنما هو بالمماسة فلا يجوز لاحد ان يزيد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال مالا علم له به وهذا حرام لا يحل قال عز وجل * ولا تقف ما ليس لك به علم * وهذه الامور لا يمكن ان تعرف البتة إلا بخبر صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ما ذكرنا وبالله تعالي التوفيق فصح أن الشيطان يمس الانسان الذي

يسلطه الله عليه مسا كما جاء في القرآن يثير به من طبائعه السوداء والابخرة المتصاعدة إلى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف منهم فيحدث الله عزوجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده وهذا هو نص القرآن وما توجبه المشاهدة وما زاد على هذا فخرافات من توليد العزامين والكذابين وبالله تعالى نتايد وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا أجنحت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلاة في هذه الاوقات او كما قال عليه السلام مما هذا معناه بلا شك فقد قلنا انه عليه السلام لايقول الا الحق وان كلامه كله على ظاهره الا ان ياتي نص بان هذا النص ليس على ظاهره فنسمع ونطيع او يقوم بذلك برهان من ضرورة حس او اول عقل فنعلم أنه عليه السلام انما اراد ما قد قام بصحته البرهان لا يجوز غير ذلك وقد علمنا يقينا ان الشمس في كل دقيقة طالعة على افق من الآفاق مرتفعة على آخر مستوية على ثالث زائلة عن رابع جانحة للغروب على خامس غاربة على سادس هذا مالا شك فيه عند كل ذي علم بالهيئة فاذ ذلك كذلك فقد صح يقينا انه عليه السلام انما عني بذلك افقا ما دون سائر الآفاق لا يجوز غير ذلك اذ لو اراد كل افق لكان الاخبار بانه يفارقها كذبا وحاشا له من ذلك فاذ لا شك في هذا كله فلا مرية انه عليه الصلاة والسلام انما عني به افق المدينة اذ هو الافق الذي اخبر اهله بهذا الخبر فانبأهم بما يقارن الشمس في تلك الأحوال وما يفارقها من الشيطان والله اعلم بذلك القران ما هو لا نزيد على هذا اذ لابيان عندنا فيما بينه الا انه ليس شئ من ذلك بممتنع أصلا فصح بما ذكرنا ان اول الخبر خاص كما وصفنا وان نهيه عن الصلاة في الاوقات قصة اخرى وقضية ثانية وحكم غير الاول فهو على عمومه في كل زمان وكل مكان الا ما قام البرهان على تخصيصه من هذا الحكم بنص آخر كما بينا في غير هذا الكتاب في كتب الصلاة من تآليفنا والحمد لله رب العالمين كثيراً

الكلام في الطبائع

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهبت الاشعرية الى انكار الطبائع جملة وقالوا ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا في العالم طبيعة أصلا وقالوا انما حدث حر النار جملة وبرد الثلج عند

الملامسة قالوا ولا في الخمر طبيعة اسكار ولا في المني قوة يحدث بها ولكن الله عز وجل يخلق منه ما شاء وقد كان ممكنا ان يحدث من مني الرجال جملا ومن مني الحمار انسانا ومن زريعة الكزبر نخلا

﴿ قال ابو محمد ﴾ مانعلم لهم حجة شغبوا بها في هذا الهوس اصلا وقد ناظرت بعضهم في ذلك فقلت له ان اللغة التي نزل بها القرآن تبطل قولكم لان من لغة العرب القديمة ذكر الطبيعة والخليقة والسليقة والبحيرة والغريزة والسجية والسيمة والجبلة بالجيم ولا يشك ذوعلم في ان هذه الالفاظ استعملت في الجاهلية وسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكرها قط ولا انكرها احد من الصحابة رضي الله عنهم ولا احد ممن بعدهم حتى حدث من لا يعتد به وقد قال امرؤ القيس

وان كنت قد ساءتك مني خليقة * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال حميد بن ثور الهلالي الكندي

لكل امرئ يا ام عمرو طبيعة * وتفريق ما بين الرجال الطبائع

وقال النابغة

لهم سيمة لم يعطها الله غيرهم * من الجود والاحلام غير عوازب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجارود اذ أخبره ان فيه الحلم والاناة فقال له الجارود الله جبلني عليهما يارسول الله ام هما كسب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الله جبلك عليهما ومثل هذا كثير وكل هذه الالفاظ اسماء مترادفة بمعني واحد عندهم وهو قوة في الشئ يوجد بها على ماهو عليه فاضطرب ولجأ الى ان قال اقول بهذا في الناس خاصة فقلت له وأني لك بالتخصيص وهذا موجود بالحس وببديهة العقل في كل مخلوق في العالم فلم يكن عنده تمويه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا المذهب الفاسد حداهم على ان سموا ما تأتي به الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيات المعجزات خرق العادة لانهم جعلوا امتناع شق القمر وشق البحر وامتناع احياء الموتي واخراج ناقة من صخرة وسائر معجزاتهم انما هي عادات فقط

﴿ قال ابو محمد ﴾ معاذ الله من هذا ولوكان ذلك عادته لما كان فيها اعجاز اصلا لان

العادة في لغة العرب والدأب والدين والديدن والهجري ألفاظ مترادفة على معنى واحد وهى فى اكثر استعمال الانسان له مما لا يؤمن تركه اياه ولا ينكر زواله عنه بل هو ممكن وجود غيره ومثله بخلاف الطبيعة التي الخروج عنها ممتنع فالعادة في استعمال العرب العامة التلحي وحمل القناة وتحمل بعض الناس القلنسوة وكاستعمال بعضهم حلق الشعر وبعضهم توفيره

قال الشاعر

تقول وقد دارت لها وضيني * اهذا دينه ابدا وديني

وقال اخر * ومن عاداته الخلق الكريم

وقال آخر

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يصحبنه في كل مرتحل

وقال آخر * عودت كندة عادات فصبرا لها *

وقال آخر * وشديد عادة منتزعة *

فذكر أن انتزاع العادة يشتد الا انه ممكن غير ممتنع بخلاف ازالة الطبيعة التي لا سبيل اليها وربما وضعت العرب لفظة العادة مكان لفظة الطبيعة كما قال حميد بن ثور الهلالي

سلي الربع ان يمت يا ام سالم * وهل عادة للربع ان يتكلما

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذه الطبائع والعادات مخلوقة خلقها الله عز وجل فرتب الطبيعة على انها لا تستحيل ابدا ولا يمكن تبدلها عند كل ذي عقل كطبيعة الانسان بان يكون ممكنا له التصرف في العلوم والصناعات إن لم يعترضه آفة وطبيعة الحمير والبغال بانه غير ممكن منها ذلك وكطبيعة البر ان لا ينبت شعيرا ولا جوزا وهكذا كل ما في العالم والقوم مقرون بالصفات وهى الطبيعة نفسها لان من الصفات المحمولة فى الموصوف ما هو ذاتي به لا يتوهم زواله الا بفساد حامله وسقوط الاسم عنه كصفات الخمر التي ان زالت عنها صارت خلا وبطل اسم الخمر عنها وكصفات الخبز واللحم التي اذا زالت عنها صارت زبلا وسقط اسم الخبز واللحم عنهما وهكذا كل شئ له صفة ذاتية فهذه هى الطبيعة ومن الصفات المحمولة في الموصوف ما لو توهم زواله عنه لم يبطل حامله ولا فارقه أسمه وهذا القسم ينقسم اقساما ثلاثة فاحدها ممتنع الزوال كالفطس والقصر والزرق وسواد الزنجي ونحو ذلك إلا انه لو توهم زايلا لبقي الانسان انسانا

بحاله وثانيها بطيء الزوال كالمرودة وسواد الشعر وما أشبه ذلك وثالثها سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل وكمدة الهم ونحو ذلك فهذه هي حقيقة الكلام في الصفات وما عدا ذلك فطريق السوفسطائية الذين لا يحققون حقيقة ونعوذ بالله من الخذلان

نبوة النساء

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه الا عندنا بقرطبة وفي زماننا فان طائفة ذهبت الى ابطال كون النبوة فى النساء جملة وبدعت من قال ذلك وذهبت طائفة الى القول بانه قد كانت في النساء نبوة وذهبت طائفة الى التوقف فى ذلك

﴿ قال ابوا محمد ﴾ ما نعلم للمانعين من ذلك حجة اصلا الا ان بعضهم نزع فى ذلك بقول الله تعالى * وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا امر لا ينازعون فيه ولم يدع احد ان الله تعالى ارسل أمراة وانما الكلام في النبوة دون الرسالة فوجب طلب الحق في ذلك بان ينظر في معنى لفظة النبوة في اللغة التي خاطبنا الله بها عز وجل فوجدناهذه اللفظة ماخوذة من الانباء وهو الاعلام فمن اعلمه الله عز وجل بما يكون قبل ان يكون او اوحي اليه منبئاً له بامر ما فهو نبي بلا شك وليس هذا من باب الالهام الذي هو طبيعة كقول الله تعالى * واوحي ربك الي النحل * ولا من باب الظن والتوهم الذي لا يقطع بحقيقته الا مجنون ولا من باب الكهانة التي هي من استراق الشياطين السمع من السماء فيرمون بالشهب الثواقب وفيه يقول الله عز وجل * شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الي بعض زخرف القول غرورا * وقد انقطعت الكهانة بمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من باب النجوم التي هي مجارب تتعلم ولا من باب الرؤيا التى لا يدري اصدقت ام كذبت بل الوحي الذي هو النبوة قصد من الله تعالى الي اعلام من يوحي اليه بما يعلمه به ويكون عند الوحي به اليه حقيقة خارجة عن الوجوه المذكورة يحدث الله عز وجل لمن اوحي به اليه علما ضروريا بصحة ما اوحي به كعلمه بما ادرك بحواسه وبديهة عقله سواء لا مجال للشك في شئ منه اما بمجيء الملك به اليه واما بخطاب يخاطب به في نفسه وهو تعليم من الله تعالي لمن يعلمه دون وساطة معلم فان انكروا ان يكون هذا هو معنى النبوة فليعرفونا ما معناها فانهم لا يأتون بشئ اصلا فاذ ذلك كذلك فقد جاء القرآن بان الله عز وجل

ارسل ملائكة الي نساء فاخبروهن بوحي حق من الله تعالي فبشروا ام اسحاق باسحاق عن الله تعالي قال عزوجل «وامرأته قائمة نضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت ياوليتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ن هذا لشئ عجيب قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت» فهذا خطاب الملائكة لام اسحاق عن الله عز وجل بالبشارة لها باسحاق ثم يعقوب ثم بقولهم لها أتعجبين من امر الله ولا يمكن البتة ان يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبي بوجه من الوجوه ووجدناه تعالي قد ارسل جبريل الي مريم ام عيسي عليهما السلام بخطابها وقال لها «انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا» فهذه نبوة صحيحة بوحي صحيح ورسالة من الله تعالي اليها وكان زكريا عليه السلام يجد عندها من الله تعالي رزقا واردا تمني من اجله ولدا فاضلا ووجدنا ام موسي عليهما الصلاة والسلام قداوحي الله اليها بالقاء ولدها في اليم واعلمها انه سيرده اليها ويجعله نبيا مرسلا فهذه نبوة لاشك فيها وبضرورة العقل يدري كل ذي تمييز صحيح انها لو لم تكن واثقة بنبوة الله عزوجل لها لكانت بالقائها ولدها في اليم برؤيا تراها او بما يقع في نفسها او قام في هاجستها في غاية الجنون والمرار الهائج ولو فعل ذلك احدنا لكان غاية الفسق او في غاية الجنون مستحقا لمعاناة دماغه في البيمارستان لايشك في هذا احد فصح يقينا ان الوحي الذي وردلها في القاء ولدها في اليم كالوحي الوارد على ابراهيم في الرؤيا في ذبح ولده فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لولم يكن نبيا واثقا بصحة الوحي والنبوة الوارد عليه من ذبح ولده لكنه ذبح ولده لرؤيا رآها او ظن وقع في نفسه لكان بلا شك فاعل ذلك من غير الانبياء فاسقا في نهاية الفسق او مجنونا في غاية الجن هذا مالا يشك فيه احد من الناس فصحت نبوتهن بيقين ووجدنا الله تعالي قد قال وقد ذكر من الانبياء عليهم السلام في سورة كهيعص ذكر مريم في جملتهم ثم قال عز وجل «اؤلئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح» وهذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها من جملتهم وليس قوله عز وجل وامه صديقة بمانع من ان تكون نبية فقد قال تعالي «يوسف ايها الصديق» وهو مع ذلك نبي رسول وهذا ظاهر وبالله تعالي التوفيق ويلحق بهن عليهن السلام في ذلك امرأة فرعون بقول رسول الله صلي الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم

امرأة فرعون اوكما قال عليه الصلاة والسلام والكمال في الرجال لا يكون الا لبعض المرسلين عليهم الصلاة والسلام لان من دونهم ناقص عنهم بلا شك وكان تخصيصه صلى الله عليه وسلم مريم وامرأة فرعون تفضيلا لهما على سائر من اوتيت النبوة من النساء بلاشك اذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقة فلم يكمل فصح بهذا الخبر ان هاتين المرأتين كملتا كمالا لم يلحقهما فيه امرأة غيرهما اصلا وان كن بنصوص القرآن نبيات وقد قال تعالى «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» فالكامل في نوعه هو الذي لايلحقه احد من أهل نوعه فهم من الرجال الرسل الذين فضلهم الله تعالى على سائر الرسل ومنهم نبينا وابراهيم عليهما الصلاة والسلام بلا شك للنصوص الواردة بذلك في فضلهما على غيرهما وكمل من النسآء من ذكر عليه الصلاة والسلام

الكلام في الرؤيا

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب صالح تلميذ النظام الى ان الذي يري احدنا في الرؤيا حق كما هو وانه من رأي انه بالصين وهو بالاندلس فان الله عز وجل اخترعه في ذلك الوقت بالصين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا القول في غاية الفساد لان العيان والعقل يضطر ان الي كذب هذا القول وبطلانه اما العيان فلاننا نشاهد حينئذ هذا النائم عندنا وهو يري نفسه في ذلك الوقت بالصين واما من طريق العقل فهو معرفتنا بما يري الحالم من المحالات من كونه مقطوع الرأس حياً وما اشبه ذلك وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قص عليه رؤيا فقال لاتخبر بتلعب الشيطان بك

﴿ قال ابو محمد ﴾ والقول الصحيح في الرؤيا هو انها انواع فمنها ما يكون من قبل الشيطان وهو ما كان من الاضغاث والتخليط الذي لاينضبط ومنها ما يكون من حديث النفس وهو ما يشتغل به المرء في اليقظة فيراه في النوم من خوف عدو أو لقاء حبيب اوخلاص من خوف او نحو ذلك ومنها ما يكون من غلبة الطبع كرؤية من غلب عليه الدم للانوار والزهر والحمرة والسرور ورؤية من غلب عليه الصفراء للنيران ورؤية صاحب البلغم للثلوج والمياه وكرؤية من غلب عليه السوداء الكهوف والظلم والمخاوف ومنها ما يريه الله عز وجل نفس الحالم اذا صفت من اكدار الجسد وتخلصت من الافكار الفاسدة فيشرف الله تعالي به على كثير من المغيبات التي لم تأت بعد وعلى قدر تفاضل النفس

في النقاء والصفاء يكون تفاضل ما يراه في الصدق وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يبق بعده من النبوّة الا المبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له وانها جزء من ستة وعشرين جزأ من النبوة الى جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة الى جزء من سبعين جزأ من النبوة وهذا نص جلي على ماذكرنا من تفاضلها في الصدق والوضوح والصفاء من كل تخليط وقد تخرج هذه النسب والاقسام على انه عليه السلام انما أراد بذلك رؤيا الانبياء عليهم السلام فمنهم من رؤياه جزء من ستة وعشرين جزأ من أجزاء نبوته وخصائصه وفضائله ومنهم من رؤياه جزء من ستة واربعين جزأ من نبوته وخصايصه وفضايله ومنهم من رؤياه جزء من سبعين جزأ من نبوته وخصائصه وفضائله وهذا هو الاظهر والله أعلم ويكون خارجا على مقتضى الفاظ الحديث بلا تأويل بتكلف وأما رؤيا غير الانبياء فقد تكذب وقد تصدق الا أنه لا يقطع على صحة شيء منه إلا بعد ظهور صحته حاشا رؤيا الانبياء فانها كلها وحي مقطوع على صحته كرؤيا ابراهيم عليه السلام ولو رأى ذلك غير نبي في الرؤيا فانفذه في اليقظة لكان فاسقاً عابثاً او مجنونا ذاهب التمييز بلا شك وقد تصدق رؤيا الكافر ولا تكون حينئذ جزأ من النبوة ولا مبشرات ولكن انذارا له أو لغيره ووعظا وبالله تعالى التوفيق

الكلام في أي الخلق افضل

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب قوم الا ان الانبياء عليهم السلام افضل من الملائكة وذهبت طائفة تنتسب إلى الاسلام ان الصالحين غير النبيين افضل من الملائكة وذهب بعضهم الى ان الولي افضل من النبي وانه يكون في هذه الأمة من هو افضل من عيسى بن مريم ورأيت الباقلاني يقول جائز ان يكون في هذه الأمة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين بعث الى أن مات ورأيت لأبي هاشم الجبائي انه لو طال عمر انسان من المسلمين في الاعمال الصالحة لامكن أن يوازي عمل النبي صلى الله عليه وسلم كذب لعنه الله

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولولا انه استحيا قليلا مما لم يستحي من نظيره الباقلاني لقال ما يوجبه هذا القول من انه كان يزيد فضلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه الاقوال كفر مجرد لا تردد فيه وحاشا لله تعالى من ان يكون احد ولو عمر عمر الدهر يلحق فضل صاحب فكيف فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم او نبي من الانبياء

عليهم

عليهم السلام فكيف ان يكون افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ما لا تقبله نفس مسلم كانهم ما سمعوا قول الله عز وجل * لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا * وقول النبي صلى الله عليه وسلم دعوا لي اصحابي فلو كان لاحدكم مثل أحد ذهبا فانفقه في سبيل الله ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه

﴿ قال ابو محمد ﴾ فكيف يلحق ابدا من ان تصدق هو بمثل جبل احد ذهبا وتصدق الصاحب بنصف مد من شعير كان نصف مد الشعير لا يلحقه في الفضل جبل الذهب فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الحق ان الملائكة أفضل من كل خلق خلقه الله تعالى ثم بعدهم الرسل من النبيين عليهم السلام ثم بعدهم الانبياء غير الرسل عليهم السلام ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما رتبنا قبل

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن له من الفضل ما لسائر الصحابة بعموم قوله صلى الله عليه وسلم دعو الى أصحابي وافضل الرسل محمد صلى الله عليه وسلم اما فضل الملائكة على الرسل من غير الملائكة فلبراهين منها قول الله عز وجل امرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول * قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ان اتبع الا ما يوحي الي * فلو كان الرسول أرفع من الملك او مثله ما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم هذا القول الذى انما قاله منحطا عن الترفع بأن يظن انه عنده خزائن الله اوانه يعلم الغيب أو أنه ملك منزل لنفسه المقدسة في مرتبته التي هى دون هذه المراتب بلا شك إذ لا يمكن البتة أن يقول هذا عن مراتب هو ارفع منها وأيضا فان الله عز وجل ذكر محمداً الذي هو أفضل الرسل بعد الملائكة وذكر جبريل عليهما السلام وكان التباين من الله عز وجل بينهما تباينا بعيداً وهو انه عز وجل قال * انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين * فهذه صفة جبريل عليه السلام ثم ذكر محمداً صلى الله عليه وسلم فقال * وما صاحبكم بمجنون * ثم زاد تعالى بيانا رافعاً للاشكال جملة فقال * ولقد رآه بالأفق المبين * فعظم الله تعالى من شأن أكرم الانبياء والرسل بأن رأى جبريل عليه السلام ثم قال * ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى * فامتن الله تعالى كا

ترى على محمد صلى الله عليه وسلم بان أراه جبريل مرتين وإنما يتفاضل الناس كما قدمنا بوجهين فقط أحدهما الاختصاص المجرد واعظم الاختصاص الرسالة والتعظيم فقد حصل ذلك للملائكة قال تعالى • جاعل الملائكة رسلا • فهم كلهم رسل الله ثم اختصهم تعالى بان ابتدأهم فى الجنة وحوالي عرشه في المكان الذي وعد رسله ومن اتبعهم بان نهاية كرامتهم تصيرهم اليه وهو موضع خلق الملائكة ومحلهم بلانهاية مذ خلقوا وذكرهم عز وجل في غير موضع من كتابه فاثنى على جميعهم ووصفهم بانهم لايفترون ولا يسأمون ولا يعصون الله فنفي عنهم الزلل والفترة والسآمة والسهو وهذا امر لم ينفه عز وجل عن الرسل صلوات الله عليهم بل السهو جائز عليهم وبالضرورة نعلم من عصم من السهو افضل ممن لم يعصم منه وان من عصم من العمد كالانبياء عليهم السلام افضل ممن لم يعصم ممن سواهم فان اعترض معترض بقول الله عز وجل • الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس • قيل له ليس هذا معارضاً لقوله تعالي جاعل الملائكة رسلا فان كل آية فانما تحمل على مقتضاها وموجب لفظها ففي هذه الآية ان بعض الملائكة رسل وهذا حق لاشك فيه وليس اخباراً عن سائرهم بشيء لا بانهم رسل ولا بانهم ليسوا رسلا فلا يحل لاحد ان يزيد في الآية ما ليس فيها ثم في الآية الاخري زيادة على ما في هذه الآية واخبار بان جميع الملائكة رسل ففي تلك الآية بعض ما في هذه الآية وفي هذه الآية كل ما في تلك وزيادة ففرض قبول كل ذلك كما ان الله عز وجل اذ ذكر في كهيعص من ذكر من النبيين فقال • اؤلئك الذين انعم الله عليهم من النبيين • وقد قال تعالى • ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك • افتري الرسل الذين لم يقصصهم الله تعالى عليه جملة او في هذه السورة خاصة لم ينعم عليهم معاذ الله من هذا فما يقوله مسلم والوجه الثاني من اوجه الفضل هو تفاضل العاملين بتفاضل منازلهم في اعمال الطاعة والعصمة من المعاصي والدنيات وقد نص الله تعالى على ان الملائكة لايفترون من الطاعة ولا يسأمون منها ولا يعصون البتة في شيء امروا به فقد صح ان الله عز وجل عصمهم من الطبائع الناقصة الداعية الى الفتور والكسل كالطعام والتغوط وشهوة الجماع والنوم فصح يقينا انهم افضل من الرسل الذين لم يعصموا من الفتور والكسل ودواعيهما

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتج بعض المخالفين في هذا بان قال قال الله عز وجل • ان الله اصطفي آدم

ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين • قالوا فدخل في العالمين الملائكة وغيرهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه الآية قد صح البرهان بانها ليست على عمومها لانه تعالي لم يذكر فيها محمداً صلي الله عليه وسلم ولا خلاف في انه افضل الناس قال الله تعالى • كنتم خير امة اخرجت للناس • فان قال ان آل ابراهيم هم آل محمد قيل له فنحن اذا افضل من جميع الانبياء حاشا آل عمران وآدم ونوحا فقط وهذا لا يقوله مسلم فصح يقينا ان هذه الآية ليست على عمومها فاذ لاشك في ذلك فقد صح ان الله عز وجل إنما اراد بها عالمي زمانهم من الناس لا من الرسل ولا من النبيين نعم ولا من عالمي غير زمانهم لاننا بلا شك افضل من آل عمران فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة وبالله تعالى التوفيق وصح انها مثل قوله تعالى • يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين • ولا شك في انهم لم يفضلوا على الرسل ولا على النبيين ولا على امتنا ولا على الصالحين من غيرهم فكيف على الملائكة ونحن لا ننكر ازالة النص عن ظاهره وعمومه ببرهان من نص آخر او اجماع متيقن او ضرورة حس وانما ننكر ونمنع من ازالة النص عن ظاهره وعمومه بالدعوى فهذا هو الباطل الذى لا يحل في دين ولا يصح في امكان العقل وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وذكر بعضهم قول الله عز وجل • الذين آمنوا وعملوا الصالحات اؤلئك هم خير البرية •

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا مما لا حجة لهم فيه اصلا لان هذه الصفة تعم كل مؤمن صالح من الانس ومن الجن نعم وجميع الملائكة عموماً مستوياً فانما هذه لاية تفضيل الملائكة والصالحين من الانس والجن على سائر البرية وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتجوا بامر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا أعظم حجة عليهم لان السجود المأمور به لا يخلو من ان يكون سجود عبادة وهذا كفر ممن قاله لايجيز ان يكون الله عز وجل يامر احدا من خلقه بعبادة غيره واما ان يكون سجود تحية وكرامة وهو كذلك بلا خلاف من احد من الناس فاذ هو كذلك فلا دليل أدل على فضل الملائكة على آدم من أن يكون الله تعالى بلغ الغاية في اعظامه وكرامته بان تحييه الملائكة لانهم لو كانوا دونه لم يكن له كرامة

ولا مزية في تحيتهم له وقد أخبر الله عز وجل عن يوسف عليه السلام فقال « ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً » وكانت رؤياه هي التي ذكر الله عز وجل عنه إذ يقول « اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين »

﴿ قال ابو محمد ﴾ وليس في سجود يعقوب عليه السلام ليوسف مايوجب ان يوسف افضل من يعقوب واحتجوا ايضاً بان الملائكة لم يعلموا أسماء الاشياء حتى انبأهم بها آدم على جميعهم السلام بتعليم الله عز وجل آدم إياها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا حجة لهم فيه لأن الله عز وجل يعلم من هو انقص فضلا وعلما في الجملة أشياء لا يعلمها من هو افضل منه واعلم منه بما عدا تلك الاشياء فعلم الملائكة مالا يعلمه آدم وعلم آدم اسماء الاشياء ثم أمره بان يعلمها الملائكة كما خص الخضر عليه السلام بعلم لم يعلمه موسى عليه السلام حتى اتبعه موسى عليه السلام ليتعلم منه وعلم أيضاً موسى عليه السلام علوما لم يعلمها الخضر وهكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الخضر قال لموسى عليه السلام إني على علم من علم الله لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله لا أعلمه أنا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وليس في هذا أن الخضر أفضل من موسى عليه السلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد قال بعض الجهال إن الله تعالى جعل الملائكة خدام أهل الجنة يأتونهم بالتحف من عند ربهم عز وجل قال تعالى « تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون » وقال تعالى « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم »

﴿ قال ابو محمد ﴾ أما خدمة الملائكة لاهل الجنة وإقبالهم اليهم بالتحف فشيء ما علمناه قط ولا سمعناه إلا من القصاص بالخرافات والتكاذيب وإنما الحق من ذلك ماذكره الله عز وجل في النص الذى اوردنا وهو ولله الحمد من اقوي الحجج في فضل الملائكة على من سواهم ويلزم هذا المحتج اذا كان إقبال الملائكة بالبشارات إلى أهل الجنة دليلا على فضل اهل الجنة عليهم أن يكون إقبال الرسل الينا مبشرين ومنذرين بالبشارات من عند الله عز وجل دليلا على أننا أفضل منهم وهذا كفر مجرد ولكن الحقيقة هي أن الفضل إذا كان للانبياء عليهم السلام على الناس بانهم رسل الله اليهم ووسائط بين ربهم تعالى وبينهم فالفضل واجب للملائكة

على

على الانبياء والرسل لكونهم رسل الله تعالى اليهم ووسائط بينهم وبين ربهم تعالى واما تفضل الله تعالى على اهل الجنة بالاكل والشرب والجماع واللباس والآلات والقصور فانما فضلهم الله عز وجل من ذلك بما يوافق طباعهم وقد نزه الله سبحانه الملائكة عن هذه الطبائع المستدعية لهذه اللذات بل ابانهم وفضلهم بل جعل طبائعهم لاتلتذ بشيء من ذلك الا بذكر الله عز وجل وعبادته وطاعته في تنفيذ اوامره تعالى فلا منزلة أعلى من هذه وعجل لهم سكنى المحل الرفيع الذي جعل تعالى غاية اكرامنا الوصول اليه بعد لقاء الامرين في التعب في عمارة هذه الدنيا النكدة وفي كلف الاعمال ففي ذلك المكان خلق الله عز وجل الملائكة منذ ابتدأهم وفيه خلدهم وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقال بعض السخفاء ان الملائكة بمنزلة الهواء والرياح

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كذب وقحة وجنون لان الملائكة بنص القرآن والسنن واجماع جميع من يقر بالملائكة من اهل الاديان المختلفة عقلا متعبدون منهيون مأمورون وليس كذلك الهواء والرياح لكنها لا تعقل ولا هي متكلفة متعبدة بل هي مسخرة مصرفة لا اختيار لها قال تعالى « والسحاب المسخر بين السماء والارض » وقال تعالى « سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام » وذكر تعالى الملائكة فقال « بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون » وقال تعالى « ويستغفرون لمن في الارض » وقال تعالى « وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيراً يوم يرون الملائكة لا بشري يومئذ للمجرمين » فقرن تعالى نزول الملائكة برؤيته تعالى وقرن تعالى اتيانه باتيان الملائكة فقال عز وجل « هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة » واعلم ان اعراب الملائكة هاهنا بالرفع عطفاً على الله عز وجل لا على الغمام ونص تعالى على ان آدم عليه الصلاة والسلام انما اكل من الشجرة ليكون ملكا او ليخلد كما قص تعالى علينا اذ يقول عز وجل « مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين »

﴿ قال ابو محمد ﴾ فبيقين ندري ان آدم عليه السلام لولا يقينه بان الملائكة افضل منه وطمعه بان يصير ملكا لما قبل من ابليس ماغره به من اكل الشجرة التي نهاه الله عز وجل عنها ولو علم آدم ان الملك مثله او دونه لما حمل نفسه على مخالفة امر الله تعالى لينحط عن

منزلته الرفيعة الى الدون هذا مالا يظنه ذو عقل اصلا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقال الله عز وجل ٭لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون٭فقوله عز وجل بعد ذكر المسيح ولا الملائكة المقربون بلوغ الغاية في علو درجتهم على المسيح عليه السلام لان بنية الكلام ورتبته انما هي اذا أراد القائل نفي صفة مّا عن متواضع عنها أن يبدأ بالادني ثم بالاعلى واذا اراد نفي صفة مّا عن مترفع عنها ان يبدأ بالاعلى ثم بالادني فتقول في القسم الاول مايطمع في الجلوس بين يدي الخليفة خازنه ولا وزيره ولا اخوه وتقول في القسم الثاني مايخط الى الاكل في السوق والٍ ولا ذو مرتبة ولا متصاون من التجار او الصناع لايجوز البتة غير هذا وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وايضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بان الله سبحانه وتعالى خلق الملائكة من نور وخلق الانسان من طين وخلق الجن من نار

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا يجهل فضل النور على الطين وعلى النار احد الا من لم يجعل الله له نوراً ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه في ان يجعل في قلبه نوراً فالملائكة من جوهر دعا افضل البشر ربه في ان يجعل في قلبه منه وبالله تعالى التوفيق وفي هذا كفاية لمن عقل

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقال عز وجل ٭ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ٭ الى قوله ٭وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا٭ فانما فضل الله تعالى بنص كلامه عز وجل بني آدم على كثير ممن خلق لا على كل من خلق وبلا شك ان بني آدم يفضلون على الجن وعلى جميع الحيوان الصامت وعلى ماليس حيواناً فلم يبق خلق يستثني من تفضيل الله تعالى بني آدم عليه الا الملائكة فقط

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل رسول قبله فالثابت عنه عليه السلام انه قال فضلت على الانبياء بست وروي بخمس وروي باربع وروي بثلاث رواه جابر بن عبد الله وانس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابو هريرة وبقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانه عليه السلام بعث الى الاحمر والاسود وانه عليه السلام اكثر الانبياء اتباعا وانه ذو الشفاعة التي يحتاج اليه يوم القيامة فيها النبيون فمن دونهم امامنا

الله على ملته ولا خالف بناعنه وهو ايضاً عليه السلام خليل الله وكليمه

الكلام في الفقر والغنى

﴿ قال أبو محمد ﴾ اختلف قوم في اي الامرين افضل الفقر ام الغنى

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا سؤال فاسد لان تفاضل العمل والجزاء في الجنة انما هو للعامل لا لحالة محمولة فيه الا ان يأتي نص بتفضيل الله عز وجل حالا على حال وليس هاهنا نص في فضل احدي هاتين الحالتين على الاخري

﴿ قال ابو محمد ﴾ وانما الصواب ان يقال ايما افضل الغني ام الفقير والجواب هاهنا هو ما قاله الله تعالى اذ يقول ٭هل تجزون الا ما كنتم تعملون٭ فان كان الغني افضل عملا من الفقير فالغنى افضل وان كان الفقير افضل عملا من الغني فالفقير افضل وان كان عملهما متساوياً فهما سواء قال عز وجل ٭ ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ٭ وقد استعاذ النبي صلى الله عليه من فتنة الفقر وفتنة الغنى وجعل الله عز وجل الشكر بازاء الغني والصبر بازاء الفقر فمن اتقي الله عز وجل فهو الفاضل غنيا كان او فقيراً وقد اعترض بعضهم هاهنا بالحديث الوارد ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بكذا وكذا خريفا ونزع الآخرون بقول الله عز وجل ٭ووجدك ضالا فهدي ووجدك عائلا فاغنى٭

﴿ قال ابو محمد ﴾ والغنى نعمة اذا قام بها حاملها بالواجب عليه فيها واما فقراء المهاجرين فهم كانوا اكثر وكان الغني فيهم قليلا والامر كله منهم وفي غيرهم راجع الى العمل بالنص والاجماع على انه تعالى لا يجزي بالجنة على فقر ليس معه عمل خير ولا على غنى ليس معه عمل خير وبالله التوفيق

الكلام في الاسم والمسمي

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب قوم الى ان الاسم هو المسمي وقال آخرون الاسم غير المسمي واحتج من قال ان الاسم هو المسمي بقول الله تعالى ٭ تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام٭ ويقرأ أيضاً ذو الجلال والاكرام قال ولا يجوز ان يقال تبارك غير الله فلو كان الاسم غير المسمي ما جاز أن يقال تبارك اسم ربك وبقوله تعالى ٭ سبح اسم ربك الاعلى ٭ فقالوا ومن الممتنع ان يأمر الله عز وجل بان يسبح غيره وبقوله عز وجل ٭ماتعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم٭ وقالوا الاسم مشتق من السمو وانكروا على من قال انه مشتق من الوسم وهو

العلامة وذكروا قول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ٭ ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقالوا قال سيبويه الافعال امثلة احدث من لفظ احداث الاسماء قالوا وانما اراد المسمين هذا كل ما احتجوا به قد تقصيناه لهم ولا حجة لهم في شيء منه اما قول الله عز وجل تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وذو الجلال فحق ومعنى تبارك تفاعل من البركة والبركة واجبة لاسم الله عز وجل الذي هو كلمة مؤلفة من حروف الهجاء ونحن نتبرك بالذكر له وبتعظيمه ونجله ونكرمه فله التبارك وله الاجلال منا ومن الله تعالى وله الاكرام من الله تعالى ومنا حيثما كان من قرطاس او فى شيء منقوش فيه او مذكور بالالسنة ومن لم يجل اسم الله عز وجل كذلك ولا اكرمه فهو كافر بلاشك فالآية على ظاهرها دون تأويل فبطل تعلقهم بها جملة ولله تعالى الحمد وكل شيء نص الله تعالى عليه انه تبارك فذلك حق ولو نص تعالى بذلك على اي شيء كان من خلقه كان ذلك واجبا لذلك الشيء واما قوله تعالى ٭ سبح اسم ربك الاعلى ٭ فهو على ظاهره دون تأويل لان التسبيح في اللغة التي بها نزل القرآن وبها خاطبنا الله عز وجل هو تنزيه الشيء عن السوء وبلا شك ان الله تعالى امرنا ان ننزه اسمه الذي هو كلمة مجموعة من حروف الهجاء عن كل سوء حيث كان من كتاب او منطوقا به ووجه آخر وهو ان معني قوله تعالى ٭ سبح اسم ربك الاعلى ٭ ومعني قوله تعالى ٭ ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ٭ معني واحد وهو ان يسبح الله تعالى باسمه ولا سبيل الي تسبيحه تعالي ولا الي دعائه ولا الي ذكره الا بتوسط اسمه فكلا الوجهين صحيح حق وتسبيح الله تعالي وتسبيح اسمه كل ذلك واجب بالنص ولا فرق بين قوله تعالي ٭ فسبح باسم ربك العظيم ٭ وبين قوله ٭ فسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ٭ والحمد بلا شك هو غير الله وهو تعالي نسبح بحمده كما نسبح باسمه ولا فرق فبطل تعلقهم بهذه الآية والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ اما قوله تعالي ٭ ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ٭ فقول الله عز وجل حق على ظاهره ولهذه الآية وجهان كلاهما صحيح احدهما ان معني قوله عز وجل ٭ ما تعبدون من دونه الا اسماء اي الا اصحاب اسماء برهان هذا قوله تعالي اثر ذلك

متصلا بها سميتموها انتم وآباؤكم فصح يقينا انه تعالي لم يعن بالاسماء هاهنا ذوات المعبودين لان العابدين لها لم يحدثوا قط ذوات المعبودين بل الله تعالى توحد باحداثها هذا مالا شك فيه والوجه الثاني ان اؤلئك الكفار انما كانوا يعبدون اوثانا من حجارة او بعض المعادن او من خشب وبيقين ندري انهم قبل ان يسموا تلك الجمل من الحجارة ومن المعادن ومن الخشب باسم اللات والعزي ومناة وهبل وود وسواع ويغوث ويعوق ونسراً وبعل قد كانت ذواتها بلا شك موجودات قائمة وهم لا يعبدونها ولا تستحق عندهم عبادة فلما اوقعوا عليها هذه الاسماء عبدوها حينئذ فصح يقيناً انهم لم يقصدوا بالعبادة الا الاسماء كما قال الله تعالى لا الذوات المسميات فعادت الآية حجة عليهم وبرهانا على ان الاسم غير المسمي بلا شك وبالله تعالي التوفيق واما قولهم ان الاسم مشتق من السمو وقول بعض من خالفهم انه مشتق من الوسم فقولان فاسدان كلاهما باطل افتعله اهل النحو لم يصح قط عن العرب شيئاً منهما وما اشتق لفظ الاسم قط من شيء بل هو اسم موضوع مثل حجر وجبل وخشبة وسائر الاسماء لا اشتقاق لها واول ما تبطل به دعواهم هذه الفاسدة ان يقال لهم قال الله عز وجل ٭ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ٭ فصح ان من لا برهان له على صحة دعواه فليس صادقا فى قوله فهاتوا برهانكم على ان الاسم مشتق من السمو او من الوسم والا فهى كذبة كذبتموها على العرب وافتريتموها عليهم او على الله تعالى الواضع للغات كلها وقول عليه تعالى او على العرب بغير علم والا فمن اين لكم ان العرب اجتمعوا فقالوا نشتق لفظة اسم من السمو او من الوسم والكذب لا يستحله مسلم ولا يستسهله فاضل ولا سبيل لهم الى برهان اصلا بذلك وأيضا فلو كان الاسم مشتقا من السمو كما تزعمون فتسمية العذرة والكلاب والجيفة والقذر والشرك والخنزير والخساسة رفعة لها وسمو لهذه المسميات وتبا لكل قول ادي الى هذا الهوس البارد وايضا فهبك انه قد سلم لهم قولهم ان الاسم مشتق من السمو اي حجة في ذلك على ان الاسم هو المسمي بل هو حجة عليهم لان ذات المسمي ليست مشتقة اصلا ولا يجوز عليها الاشتقاق من السمو ولا من غيره فصح بلا شك ان ما كان مشتقا فهو غير ما ليس مشتقا والاسم باقرارهم مشتق والذات المسماة غير مشتقة فالاسم غير الذات المسماة وهذا يليح لكل من نصح نفسه ان المحتج بمثل هذا السفه عيار مستهزيء

بالناس متلاعب بكلامه ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا قول يؤدي من اتبعه وطرده الى الكفر المجرد لانهم قطعوا ان الاسم مشتق من السمو وقطعوا ان الاسم هو الله نفسه فعلي قولهم المهلك الخبيث ان الله يشتق وان ذاته نفسها مشتقة وهذا مالا ندري كافراً بلغه والحمد لله على ما من به من الهدي وايضا فان الله تعالي يقول *وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين* الى قوله تعالي *قال يا آدم انبئهم باسمائهم*

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلا يخلو ان يكون الله عز وجل علم آدم الاسماء كلها كما قال عز وجل اما بالعربية واما بلغة اخرى او بكل لغة فان كان عز وجل علمه الاسماء بالعربية فان لفظة اسم من جملة ما علمه لقوله تعالي الاسماء كلها ولأمره تعالي آدم بان يقول للملائكة انبئوني باسماء هؤلاء فلا يجوز ان يخص من هذا العموم شئ اصلا بل هو لفظ موقف عليه كسائر الاسماء ولا فرق وهو من جملة ماعلمه الله تعالي آدم عليه السلام الا ان يدعوا ان الله تعالي اشتقه فالقوم كثيراً مايستسهلون الكذب على الله تعالى والاخبار عنه بما لا علم لهم به فصح يقينا ان لفظة الاسم لااشتقاق لها وانما هي اسم مبتدأ كسائر الاسماء والانواع والاجناس وان كان الله تعالي علم آدم الاسماء كلها بغير العربية فان اللغة العربية موضوعة للترجمة عن تلك اللغة بدل كل اسم من تلك اللغة اسم من العربية موضوع للعبارة عن تلك الالفاظ واذا كان هذا فلا مدخل للاشتقاق في شيء من الاسماء اصلا لا لفظة اسم ولا غيرها وان كان تعالي علمه الاسماء بالعربية وبغيرها من اللغات العربية فلفظة اسم من جملة ما علمه وبطل ان يكون مشتقا اصلا والحمد لله رب العالمين فبطل قولهم في اشتقاق الاسم وعاد حجة عليهم وبالله تعالي التوفيق واما بيت لبيد فانه يخرج على وجهين احدهما ان السلام اسم من اسماء الله تعالي قال تعالي *الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن* ولبيد رحمه الله مسلم صحيح الصحبة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه ثم اسم الله عليكما حافظ لكما والوجه الثاني انه اراد بالسلام التحية ولبيد لايقدر هو ولا غيره على ايقاع التحية عليهما وانما يقدر لبيد وغيره على ايقاع اسم التحية والدعاء بها فقط فاي الامرين كان فاسم السلام في بيت لبيد هو غير معني السلام فالاسم في ذلك البيت غير المسمي ولا بد ثم لو صح مايدعونه علي لبيد ولو صح

لكان قول عائشة رحمها الله ورضي الله عنها انما اهجر اسمك بيانا ان الاسم غير المسمى وان اسمه عليه السلام غيره لانها اخبرت انها لا تهجره وانما تهجر اسمه رضوان الله عليها وهي ليست في الفصاحة دون لبيد وهي اولي بان تكون حجة من لبيد فكيف وقول لبيد حجة عليهم لا لهم والحمد لله رب العالمين وقد قال رؤبة ـ باسم الذي في كل سورة سمه ـ ورؤبة ليس دون لبيد في الفصاحة وذات الباري تعالى ليست في كل سورة وانما في السورة اسم الله تعالى فلا شك ان الذي في السورة غير الذي ليس فيها وقال ابو ساسان حصين بن المنذر ابن الحارث بن وعلة الرقاشي لابنه غياظ

وسميت غياظا ولست بغايظ * عدواً ولكن الصديق تغيظ

فصرح بان الاسم غير المسمي تصريحا لا يحتمل التأويل بخلاف ما ادعوه على لبيد واما قول سيبويه ان الافعال امثلة احدث من لفظ احداث الاسماء فلا حجة لهم فيه فبيقين ندري انه اراد احداث اصحاب الاسماء برهان ذلك قوله في غير ما موضع من كتابه امثلة الاسماء من الثلاثي والرباعي والخماسي والسداسي والسباعي وقطعه بان السداسى والسباعي من الاسماء مزيدان ولا بد وان الثلاثي من الاسماء اصلي ولا بد وان الرباعي والخماسي من الاسماء يكونان اصليين كجعفر وسفرجل ويكونان مزيدين وان الثنائى من الاسماء منقوص مثل يدٍ ودم ولو تتبعنا قطعه على ان الاسماء هي الابنية المسموعة الموضوعة ليعرف بها المسميات لبلغ ازيد من ثلثمائة موضع أفلا يستحي من يدرى هذا من كلام سيبويه اطلاقا لعلمه بان مراده لا يخفي على احد قرأ من كتابه ورقتين ونعوذ بالله من قلة الحياء واول سطر في كتاب سيبويه بعد البسملة هذا باب علم ما الكلم من العربية فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعني ليس باسم ولا فعل فالاسم رجل وفرس فهذا بيان جلي من سيبويه ومن كل من تكلم في النحو قبله وبعده على ان الاسماء هي بعض الكلام وان الاسم هو كلمة من الكلم ولا خلاف بين احد له حس سليم في ان المسمي ليس كلمة ثم قال بعد اسطر يسيرة والرفع والجر والنصب والجزم بحروف الاعراب وحروف الاعراب الاسماء المتمكنة والافعال المضارعة لاسماء الفاعلين وهذا منه بيان لا اشكال فيه ان الاسماء غير الفاعلين وهي التي تضارعها الافعال التي في اوائلها الزوائد الاربع وما

قال قط من يرمي بالحجارة ان الافعال تضارع المسمين ثم قال والنصب في الاسماء رأيت زيدا والجر مررت بزيدوالرفع هذا زيد وليس في الاسماء جزم لتمكنهاوالحاق التنوين وهذا كله بيان ان الاسماء هي الكلمات المؤلفة من الحروف المقطعة لا المسمون بهاولو تتبع هذافي ابواب الجمع وابواب التصغير والنداء والترخيم وغيرها لكثر جداً وكاديفوت التحصيل

﴿ قال ابو محمد ﴾ فسقط كل ما شغب به القائلون بان الاسم هو المسمي وكل قول سقط احتجاج اهله وعري عن برهان فهو باطل ثم نظرنا فيما احتج به القائلون ان الاسم غير المسمى فوجدناهم يحتجون بقول الله تعالي «ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه» قالوا والله عز وجل واحد والاسماء كثيرة وقد تعالى الله عن ان يكون اثنين او اكثر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من احصاها دخل الجنة قالوا ومن قال ان خالقه او معبوده تسعة وتسعون فهو شر من النصاري الذين لم يجعلوه الا ثلاثة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا برهان ضروري لازم ورأيت لمحمد بن الطيب الباقلاني ولمحمد بن الحسن بن فورك الاصبهاني انه ليس لله تعالى الا اسم واحد فقط

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا معارضة وتكذيب لله عز وجل وللقرآن ولرسول الله صلي الله عليه وسلم ولجميع العالمين ثم عطفا فقالا معني قول الله عز وجل ولله الاسماء الحسني وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما انما هو التسمية لا الاسماء

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكان هذا التقسيم ادخل في الضلال من ذلك الاجمال ويقال لهم فعلي قولكم هذا اراد الله تعالي ان يقول لله التسميات الحسني فقال الاسماء الحسني واراد رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول ان لله تسعة وتسعين تسمية فقال تسعة وتسعين اسما أعن غلط وخطأ قال الله تعالي ذلك ورسوله صلي الله عليه وسلم أم عن عمد ليصل بذلك اهل الاسلام ام عن جهل باللغه التي تنبهنا لها انتما ولا بد من احد هذه الوجوه ضرورة لا محيد عنها وكلها كفر مجرد ولا بد لهم من احدها او ترك ما قالوه من الكذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا ودعواهم في ذلك ظاهر الكذب بلا دليل ولا يرضي بهذا لنفسه عاقل

قال

الاسم على المسمي فهى شيء ثالث غير الاسم وغير المسمي فذات الخالق تعالى هي الله المسمي والتسمية هي تحريكنا عضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف وهي غير الحروف لان الحروف هي الهواء المندفع بالتحريك فهو المحرك بفتح الراء والانسان هو المحرك بكسر الراء والحركة هي فعل المحرك في دفع المحرك وهذا أمر معلوم بالحس مشاهد بالضرورة متفق عليه في جميع اللغات واحتجوا أيضاً بقول الله تعالى «ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا» وهذا نص لايحتمل تأويلا في ان الاسم هو الياء والحاء والياء والالف ولو كان الاسم هو المسمي لما عقل احد معنى قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا ولا فهم ولكان فارغا حاشا لله من هذا ولا خلاف في ان معناه لم يعلق هذا الاسم على احد قبله وذكروا ايضا قول الله عز وجل عن نفسه هل تعلم له سميا وهذا نص جلي على ان اسماء الله تعالى التى اختص بها لا تقع على غيره ولو كان مايدعونه لما عقل هذا اللفظ احد ايضاً حاشا لله من هذا واحتجوا ايضا بقول الله تعالى مبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه احمد وهذا نص على ان الاسم هو الالف والحاء والميم والدال اذا اجتمعت واحتجوا ايضا بقول الله عز وجل وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الى قوله قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم الآية وهذا نص جلي على ان الاسماء كلها غير المسميات لان المسميات كانت اعيانا قائمة وذوات ثابتة تراها الملائكة وانما جهلت الاسماء فقط التي علمها الله آدم وعلمها آدم الملائكة وذكروا قول الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وهذا مالا حيلة لهم فيه لان لفظة الله هي غير لفظة الرحمن بلا شك وهي بنص القرآن اسماء الله تعالى والمسمي واحد لايتغاير بلا شك وذكروا قول الله عز وجل «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه» وهذا بيان ايضا جلي مجمع عليه من اهل الاسلام ان الذي عنده التذكية فهو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة مثل الله والرحمن والرحيم وسائر اسمائه عز وجل واحتجوا من الاجماع بان جميع اهل الاسلام لاتحاشى منهم احدا قد اجمعوا على القول بان من حلف باسم من أسماء الله عز وجل فحنث فعليه الكفارة ولا خلاف في ان ذلك لازم فيمن قال والله او والرحمن او والصمد او أي اسم من اسماء الله

عز وجل حلف بها فما أسخف عقولا يدخل فيها تخطئة ما جاءبه الله عز وجل في القرآن وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اجمع عليه اهل الاسلام وما اصفق عليه اهل الارض قاطبة من ان الاسم هو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة وتصويب الباقلاني وابن فورك في ان ذلك ليس هو الاسم وانما هو التسمية والحمد لله الذى لم يجعلنا من اهل هذه الصنعة المرذولة ولا من هذه العصابة المخذولة واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أرسلت كلبك فذكرت اسم الله فكل فصح ان اللفظ المذكور هو اسم الله تعالى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له اسماء وهي احمد ومحمد والعاقب والحاشر والماحي فيالله وياللمسلمين ايجوز ان يظن ذو مسكة عقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ذوات تبارك الذي يخلق مالا نعلم وذكروا قول رسول الله صلي الله عليه وسلم تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتي فصح ان الاسم هو الميم والحاء والميم والدال بيقين لاشك فيه واحتجوا بقول عائشة رضى الله عنها بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال لها عليه السلام اذا كنت راضية عني قلت لا ورب محمد واذا كنت ساخطة قلت لا ورب ابراهيم قالت اجل والله يارسول الله ما اهجر الا اسمك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك القول فصح ان اسمه غيره بلا شك لانها لم تهجر ذاته وانما هجرت اسمه واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن واصدق الاسماء همام والحارث وروى اكذبهما خالد ومالك وهذا كله يبين ان الاسم غير المسمى فقد يسمى عبد الله وعبد الرحمن من يبغضه الله عز وجل وقد يسمى من يكون كذابا الحارث وهماما ويسمى الصادق خالدا ومالكا فهم بخلاف اسمائهم واحتجوا ايضا بان قالوا قد اجتمعت الامم كلها على انه اذا سئل المرء ما اسمك قال فلان واذا قيل له كيف سميت ابنك وعبدك قال سميته فلانا فصح ان تسميته هي اختياره وايقاعه ذلك الاسم على المسمى وان الاسم غير المسمى واحتجوا من طريق النظر بان قالوا انتم تقولون ان اسم الله تعالى هو الله نفسه ثم لا يبالون بان يقولوا اسماء الله تعالى مشتقة من صفاته فعليم مشتق من علم وقدير مشتق من قدرة وحي من حياة فاذا اسم الله هو الله واسم الله مشتق فالله تعالى على قولكم مشتق وهذا كفر بارد وكلام سخيف ولا مخلص

لهم منه فصحت البراهين المذكورة من القرآن والسنن والاجماع والعقل واللغة والنحو على ان الاسم غير المسمى بلا شك ولقد أحسن احمد بن جدار ماشاء أن يحسن إذ يقول

هيهات يا أخت آل بما * غلطت في الاسم والمسمى

لو كان هذا وقيل سم * مات إذاً من يقول سما

﴿ قال ابو محمد ﴾ وأخبرني ابو عبد الله السائح القطان أنه شاهد بعضهم قد كتب الله في سحاة وجعل يصلى اليها قال فقلت له ما هذا قال معبودى قال فنفخت فيها فطارت فقلت له قد طار معبودك قال فضربني

﴿ قال ابو محمد ﴾ وموهوا فقالوا فاسماء الله عز وجل اذاً مخلوقة إذ هي كثيرة وإذ هى غير الله تعالى قلنا لهم وبالله تعالي التوفيق ان كنتم تعنون الاصوات التي هي حروف الهجاء والمداد المخطوط به في القراطيس فما يختلف مسلمان في ان كل ذلك مخلوق وإن كنتم تريدون الايهام والتمويه باطلاق الخلق على الله تعالى فمن اطلق ذلك فهو كافر بل ان أشار مشير الى كتاب مكتوب فيه الله أو بعض أسماء الله تعالى او الى كلامه إذ قال يا الله أو قال بعض اسمائه عز وجل فقال هذا مخلوق أو هذا ليس ربكم أو تكفرون بهذا لما حل لمسلم الا أن يقول حاشا لله من أن يكون مخلوقا بل هو ربي وخالقي أؤمن به ولا أكفر به ولو قال غير هذا لكان كافرا حلال الدم لانه لا يمكن أن يسأل عن ذات الباري تعالى ولا عن الذي هو ربنا عز وجل وخالقنا والذي هو المسمى بهذه الاسماء ولا الى الذي يخبر عنه ولا الى الذي يذكر إلا بذكر اسمه ولا بد فلما كان الجواب في هذه المسألة يموه أهل الجهل بايصال ما لا يجوز الى ذات الله تعالي لم يجز أن يطلق الجواب في ذلك البتة إلا بتقسيم كما ذكرنا وكذلك لو كتب انسان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم أو نطق بذلك ثم قال لنا هذا رسول الله صلي الله عليه وسلم أم ليس رسول الله وتؤمنون بهذا أو تكفرون به لكان من قال ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أكفر به كافراً حلال الدم باجماع اهل الاسلام ولكن نقول بل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نؤمن به ولا يختلف اثنان في الصوت المسموع والخط المكتوب ليس هو الله ولا رسول الله وبالله تعالى التوفيق فان قالوا ان احمد بن حنبل وأبا زرعة عبيد الله بن عبد الكريم وأبا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الراويين رحمهم الله تعالى يقولون ان الاسم هو المسمي قلنا

لهم هؤلاء رضي الله عنهم وإن كانو من أهل السنة ومن أئمتنا فليسوا معصومين من الخطأ ولا
أمرنا الله عز وجل بتقليدهم واتباعهم في كل ما قالوه وهؤلاء رحمهم الله أرادوا اختيار هذا القول
قولهم الصحيح ان القرآن هو المسموع من القرآن المخطوط في المصاحف نفسه وهذا قول
صحيح ولا يوجب أن يكون الاسم هو المسمى على ما قد بينا في هذا الباب وفي باب الكلام في
القرآن والحمد لله رب العالمين وإنما العجب كله ممن قلب الحق وفارق هؤلاء المذكورين حيث
اصابوا وحيث لا يحل خلافهم وتعلق بهم حيث وهموا من هؤلاء المنتمين إلى الاشعري القائلين
بأن القرآن لم ينزل قط الينا ولا سمعناه قط ولا نزل به جبريل على قلب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان الذي في المصاحف هو شيء آخر غير القرآن ثم أتبعوا هذه الكفرة الصلعاء بان
قالوا إن اسم الله هو الله وانه ليس لله الا اسم واحد وكذبوا الله تعالى ورسوله في ان لله أسماء
كثيرة تسعة وتسعين ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولو أن إنساناً يشير إلى كتاب مكتوب فيه الله فقال هذا ليس ربي وأنا
كافر بهذا لكان كافرا ولو قال هذا المداد ليس ربي وأنا كافر بربوبية هذا الصوت لكان
صادقا وهذا لا ينكر وانما نقف حيث وقفنا ولو أن انسانا قال محمد رسول الله رحمه الله لم يبعد
من الاستخفاف فلو قال اللهم ارحم محمدا وآل محمد لكان محسنا ولو أن انسانا يذكر من أبويه
العضو المستور باسمه لكان عاقا أتي كبيرة وان كان صادقا وبالله تعالى التوفيق

الكلام في قضايا النجوم والكلام في هل يعقل الفلك والنجوم ام لا

﴿ قال ابو محمد ﴾ زعم قوم ان الفلك والنجوم تعقل وانها تري وتسمع ولا تذوق ولا تشم
وهذه دعوي بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مردود عند كل طائفة باول العقل اذ ليست
اصح من دعوي اخرى تضادها وتعارضها وبرهان صحة الحكم بان الفلك والنجوم لا تعقل
اصلا هو ان حركتها ابدا على رتبة واحدة لا تتبدل عنها وهذه صفة الجماد المدبر الذي لا
اختيار له فقالوا الدليل على هذا ان الافضل لا يختار الا الافضل العمل فقلنا لهم ومن اين
لكم بان الحركة افضل من السكون الاختياري لانا وجدنا الحركة حركتين اختيارية
واضطرارية ووجدنا السكون سكونين اختياريا واضطراريا فلا دليل على ان الحركة الاختيارية
افضل من السكون الاختياري ثم من لكم بان الحركة الدورية افضل من سائر الحركات يمينا

او يساراً او امام او وراء ثم من لكم بان الحركة من شرق الى غرب كما يتحرك الفلك الاكبر
أفضل من الحركة من غرب الي شرق كما تتحرك سائر الافلاك وجميع الكواكب فلاح ان
قولهم مخرقة فاسدة ودعوى كاذبة مموهة وقال بعضهم لما كنا نحن نعقل وكانت الكواكب
تدبرنا كانت اولي بالعقل والحياة منا فقلنا هاتان دعوتان مجموعتان في نسق احدهما القول بانها
تدبرنا فهي دعوي كاذبة بلا برهان على ما نذكره بعد هذا ان شاء الله تعالي والثاني
الحكم بان من تدبرنا احق بالعقل والحياة منا فقد وجدنا التدبير يكون طبيعيا ويكون
اختياريا فلو صح انها يدبرنا لكان تدبيرا طبيعيا كتدبير الغذاء لنا وكتدبير الهواء والماء لنا
وكل ذلك ليس حياً ولا عاقلا بالمشاهدة وقد أبطلنا الآن ان يكون تدبير الكواكب لنا
اختياريا بما ذكرنا من جريها على حركة واحدة ورتبة واحدة لا تنتقل عنها اصلا واما القول
بقضايا النجوم فانا نقول في ذلك قولا لائحاً ظاهراً ان شاء الله تعالي

﴿ قال ابو محمد ﴾ اما معرفة قطعها في افلاكها وآناء ذلك ومطالعها وابعادها وارتفاعاتها
واختلاف مراكز افلاكها فعلم حسن صحيح رفيع يشرف به الناظر فيه على عظيم قدرة الله
عز وجل وعلى يقين تاثيره وصنعته واختراعه تعالي للعالم بما فيه وفيه الذي يضطر كل ذلك
الي الاقرار بالخالق ولا يستغني عن ذلك في معرفة القبلة وأوقات الصلاة وينتج من هذا
معرفة رؤية الاهلة لفرض الصوم والفطر ومعرفة الكسوفين برهان ذلك قول الله تعالي
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وقال تعالي والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم
لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقال تعالى
والسماء ذات البروج وقال تعالي لتعلموا عدد السنين والحساب وهذا هو نفس ما قلنا وبالله
تعالى التوفيق

واما القضاء بها فالقطع به خطأ لما نذكره ان شاء الله تعالى واهل القضاء ينقسمون قسمين
احدهما القائلون بانها والفلك عاقلة مميزة فاعلة مدبرة دون الله تعالي او معه وانها لم تزل *
فهذه الطائفة كفار مشركون حلال دماؤهم واموالهم باجماع الامة وهؤلاء عني رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ يقول ان الله تعالى قال اصبح من عبادي كافر بي مؤمن بالكواكب
وفسره رسول الله صلي الله عليه وسلم انه القائل مطرنا بنوء كذا وكذا واما من قال بانها

مخلوقة وانها غير عاقلة لكن الله عز وجل خلقها وجعلها دلائل على الكوائن
فهذا ليس كافراً ولا مبتدعا وهذا هو الذي قلنا فيه انه خطأ لان قائل هذا انما يحيل على
التجارب فما كان من تلك التجارب ظاهراً الى الحس كالمد والجزر الحادثين عند طلوع
القمر واستوائه وافوله وامتلائه ونقصانه وكتأثير القمر في قتل الدابة الدبرة اذا لاقى الدبرة
ضوءه وكتأثيره في القرع والقثاء المسموع لنموها مع القمر صوت قوي وكتاثيره في الدماغ
والدم والشعر وكتاثير الشمس في عكس الحر وتصعيد الرطوبات وكتاثيرها في اعين السنانير
غدوة ونصف النهار وبالعشي ونصف الليل وسائر ما يوجد حسا فهو حق لا يدفعه ذو حس
سليم وكل ذلك خلق الله عز وجل فهو خلق القوي وما يتولد عنها ويوجد بها كما قال تعالى
«فاحيينا به بلدة ميتا فاحيينا به الارض بعد موتها واخرجنا به من كل الثمرات فانبتنا به
جنات وحبّ الحصيد» واما ما كان من تلك التجارب خارجا عما ذكرنا فهو دعاوي لا تصح
لوجوه احدها ان التجربة لا تصح الا بتكرر كثير موثوق بدوامه تضطر النفوس الى الاقرار
به كاضطرارنا الى الاقرار بان الانسان ان بقي ثلاث ساعات تحت الماء مات وان ادخل يده
في النار احترق ولا يمكن هذا في القضاء بالنجوم لان النصب الدالة عندهم على الكائنات لا
تعود الا في عشرات آلاف من السنين لا سبيل الى ان يصح منها تجربة ولا الى ان تبقى
دورة تراعي تكرار تلك الادوار وهذا برهان مقطوع به على بطلان دعواهم في صحة القضايا بالنجوم
وبرهان آخر وهو ان شروطهم في القضاء لا تمكنهم الاحاطة بها اصلا من معرفة مواقع
السهام ومطارح الشعاعات وتحقيق الدرج النيرة والغيمة والمظلمة والآثار والكواكب البنيانية
وسائر شروطهم التي يقرون انه لا يصح القضاء الا بتحقيقها وبرهان ثالث وهو انه ما دام
يشتغل المعدل في تعديل كوكب زل عنه سائر الكواكب ولو دقيقة ولا بد وفي هذا فساد
القضاء باقرارهم وبرهان رابع وهو ظهور اليقين بالباطل في دعواهم اذ جعلوا طبع زحل
البرد واليبس وطبع المريخ الحر واليبس وطبع القمر البرد والرطوبة وهذه الصفات انما هي
للعناصر التي دون فلك القمر وليس شيء منها في الاجرام العلوية لانها خارجة عن محل حوامل
هذه الصفات والاعراض لا تتعدى حواملها والحوامل لا تتعدي مواضعها التي رتبها الله فيها
وبرهان خامس وهو ظهور كذبهم في قسمتهم الارض على البروج والدراري ولسنا نقول

في

في المدن التي يمكنهم فيها دعوى ان بناءها كان في طالع كذا ونصه كذا لكن في الاقاليم
والقطع من الارض التي لم يتقدم كون بعضها كون بعض كذبهم فيما عليه بنوا قضاياهم فى
النجوم وكذلك قسمتهم اعضاء الجسم والفلزات على الدرارى ايضا وبرهان سادس اننا نجد
نوعا وانواعا من انواع الحيوان قد فشافيها الذبح فلا تكاد يموت شيء منها الا مذبوحا
كالدجاج والحمام والضان والمعز والبقر التي لا يموت منها حتف انفه الا في غاية الشذوذ
ونوعا وانواعا لا تكاد تموت الا حتف انوفها كالحمير والبغال وكثير من السباع وبالضرورة
يدرى كل احد انها قد تستوي اوقات ولادتها فبطل قضاؤهم بما يوجب الموت الطبيعي وبما
يوجب الكره لاستواء جميعها في الولادات واختلافها في انواع المنايا وبرهان سابع وهو
اننا نرى الخصافا شيئاً في سكان الاقليم الاول وسكان الاقليم السابع ولا سبيل الي وجوده
البتة في سكان سائر الاقاليم ولا شك ولا مرية في استوائهم في اوقات الولادة فبطل يقينا
قضاؤهم بما يوجب الخصا وبما لا يوجبه بما ذكرنا من تساويهم في اوقات التكون والولادة
واختلافهم في الحكم ويكفي من هذا ان كلامهم في ذلك دعوى بلا برهان وما كان هكذا
فهو باطل مع اختلافهم فيما يوجبه الحكم عندهم والحق لا يكون فى قولين مختلفين وايضا فان
المشاهدة توجب اننا قادرون على مخالفة احكامهم متى اخبرونا بها فلو كانت حقا وحتما
ما قدر احد على خلافها واذا امكن خلافها فليست حقا فصح انها تخرص كالطرق بالحصا
والضرب بالحب والنظر فى الكتف والزجر والطيرة وسائر ما يدعي اهله فيه تقديم المعرفة
بلا شك وما يخص ما شاهدناه وما صح عندنا مما حققه حذاقهم من التعديل في الموالد
والمناجات وتحاول السنين ثم قضوا فيه فاخطؤا وما تقع اصابتهم من خطئهم الا في جزء
يسير فصح انه تخرص لا حقيقة فيه لا سيما دعواهم في اخراج الضمير فهو كله كذب لمن تامله
وبالله تعالى التوفيق وكذلك قولهم في القرانات ايضا ولو امكن تحقيق تلك التجارب في كل
ما ذكرنا لصدقناها وما يبدوا منها ولم يكن ذلك علم غيب لان كل ما قام عليه دليل من خط
او كتف او زجرا وتطير فليس غيبا لو صح وجه كل ذلك وانما الغيب وعلمه هو ان يخبر
المرء بكائنة من الكائنات دون صناعة اصلا من شيء مما ذكرنا ولا من غيره فيصيب
الجزئي والكلي وهذا لا يكون الا لنبي وهو معجزة حينئذٍ واما الكهانة فقد بطلت بمجيء

النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا من اعلامه وآياته وبالله تعالى التوفيق

الكلام في خلق الله تعالى للشئ اهو المخلوق نفسه ام غيره

وهل فعل الله من دون الله تعالى هو المفعول أم غيره

﴿قال ابو محمد﴾ ذهب قوم الى ان خلق الشيء هو غير الشيء المخلوق واحتج هؤلاء بقول الله عز وجل * ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم *

﴿قال ابو محمد﴾ ولاحجة لهم في هذه الآية لان الاشهاد هاهنا هو الاحضار بالمعرفة وهذا حق لان الله تعالى لم يحضرنا عارفين ابتداء خلق السموات والارض وابتداء انفسنا ووجدنا من قال ان خلق الشيء هو الشيء نفسه يحتج بقول الله تعالى هذا خلق الله وهذه اشارة الى جميع المخلوقات فقد سمي الله تعالى جميع المخلوقات كلها خلقا له وهذا برهان لا يعارض

﴿قال ابو محمد﴾ ثم نسأل من قال ان خلق الشيء هو غير الشيء فنقول له اخبرنا عن خلق الله تعالى لما خلق المخلوق هو ايضا ام غير مخلوق فلا بد من احد الامرين فان قالوا هو غير مخلوق اوجبوا بازاء كل مخلوق شيئا موجوداً غير مخلوق وهذا مضاهاة لقول الدهرية والبرهان قد قام بخلاف هذا وقال تعالى * خلق كل شيء فقدره تقديراً * وان قالوا بل خلقه تعالي لما خلق مخلوق قلنا فخلقه تعالى لذلك الخلق ابخلق ام بغير خلق فان قالو بغير خلق قيل لهم من اين قلتم ان خلقه للاشياء بخلق هو غير المخلوق وقلتم في خلقه لذلك الخلق انه بغير خلق وهذا تخليط وان قالوا بل خلقه بخلق سألناهم الخلق هو ام بخلق هو غيره وهكذا ابداً فان وقفوا في شيء من ذلك فقالوا خلقه هو هو سألناهم عن الفرق بين ما قالوا ان خلقه هو غيره وبين ما قالوا ان خلقه هو هو وان تماد واخرجوا الى وجود اشياء لا نهاية لها وهذا محال ممتنع وقد قطع بهذا معمر بن عمرو العطار احد رؤساء المعتزلة وسنذكر كلامه بعد هذا ان شاء الله تعالي متصلا بهذا الباب وبالله تعالي نتأيد وايضا فان الجميع مطبقون على ان الله عز وجل خلق ما خلق بلا معاياة فاذ لا شك في ذلك فقد صح يقينا انه لا واسطة بين الله تعالى وبين ما خلق ولا ثالث في الوجود غير الخالق والمخلوق وخلق الله تعالى ما خلق حق موجود وهو بلا شك مخلوق وهو بلاشك ليس هو الخالق فهو المخلوق نفسه بيقين لاشك فيه اذ لا ثالث هاهنا أصلا وبالله تعالى التوفيق

(قال

﴿قال ابو محمد﴾ وكل من دون الله تعالى فعله هو مفعوله نفسه لا غير لانه لا يفعل احد دون الله تعالى الا حركة او سكوناً او تأثيراً او معرفة او فكرة او ارادة ولا مفعول لشئ دون الله تعالى الا ما ذكرنا فهي مفعولات الفاعلين وهي افعال الفاعلين ولا فرق وما عدا هذا فانما هو مفعول فيه كالمضروب والمقتول او مفعول به كالسوط والابرة وما اشبه ذلك او مفعول له كالمطاع والمخدوم او مفعول من اجله كالمكسوب والمحلوب فهذه اوجه المفعولات

﴿قال ابو محمد﴾ واما سائر افعال الله تعالى فبخلاف ما قلنا في الخلق بل هي غير المفعول فيه اوله او به او من اجله وذلك كالاحياء فهو غير المحيا بلا شك وكلاهما مخلوق لله تعالى وخلقه تعالى لكل ذلك هو المخلوق نفسه كما قلنا وكالامانة فهي غير الممات ولو كان غير هذا وكان الاحياء هو المحيا والامانة هي الممات وبيقين لو ندري ان المحيا هو الممات نفسه لوجب ان يكون الاحياء هو الامانة وهذا محال وكالابقاء فهو غير المبقي للبرهان الذي ذكرنا وبيقين ندري ان الشيء غير اعراضه التي هي قائمة به وقتا وفانية عنه تارة وبالله تعالى التوفيق

الكلام في البقاء والفناء والمعاني التى يدعيها معمر

والاحوال التي تدعيها الاشعرية وهل المعدوم شيء ام ليس شيئاً ومسئلة الاجزاء وهل يتجدد خلق الله للاشياء ام لا يتجدد

﴿قال ابو محمد﴾ ذهب قوم الى ان البقاء والفناء صفتان للباقي والفاني لا هما الباقي ولا الفاني ولا هما غير الباقي والفاني

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا قول في غاية الفساد لان القضية الثانية بنقيض الاولي والاولي بنقيض الثانية لانه اذا قال ليست هي فقد اوجب انها غيره واذا قال ليست غيره فقد اوجب انه هو وهذا تناقض ظاهر وايضاً فانه لافرق بين قول القائلين ليس هو هو ولا غيره وبين قوله هو هو وهو غيره والمعنى في تلك القضيتين سواء وأيضاً فلو كان البقاء ليس هو الباقي ولا هو غيره والفناء ليس هو الفاني ولا هو غيره فالباقي هو الفاني نفسه والباقي ليس هو الباقي ولا غيره وهذا مزيد من الجنون ومن التناقض وذهب معمر الي ان الفناء صفة قائمة بغير الفاني

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا تخبيط لا يعقل ولا يتوهم ولا يقوم عليه دليل اصلا وما كان هكذا فهو باطل والحقيقة في ذلك ظاهرة وهي ان البقاء هو وجود الشيء وكونه ثابتاً قائماً مدة زمان ما فاذ هو قائم كذلك فهو صفة موجودة في الباقي محمولة فيه قائمة به موجودة بوجوده فانية بفنائه واما الفناء فهو عدم الشيء وبطلانه جملة وليس هو شيئاً اصلا والفناء المذكور ليس موجوداً البتة في شيء من الجواهر وانما هو عدم العرض فقط كحمرة الخجل اذا ذهبت عبر عن المعنى المراد بالاخبار عن ذهابها بلفظة الفناء كالغضب يفني ويعقبه رضاً وما اشبه ذلك ولو شاء الله عز وجل ان يعدم الجواهر لقدر على ذلك ولكنه لم يوجد ذلك الي الآن ولا جاء به نص فيقف عنده فالفناء عدم كما قلنا

الكلام في المعدوم اهو شيء ام لا

﴿قال ابو محمد﴾ وقد اختلف الناس في المعدوم اهو شيء ام لا فقال اهل السنة وطوائف من المرجئة كالاشعرية وغيرهم ليس شيئاً وبه يقول هشام بن عمرو الفوطي احد شيوخ المعتزلة وقال سائر المعتزلة المعدوم شيء وقال عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط احد شيوخ المعتزلة ان المعدوم جسم في حال عدمه الا انه ليس متحركا ولا ساكناً ولا مخلوقاً ولا محدثاً في حال عدمه

﴿قال ابو محمد﴾ واحتج من قال بان المعدوم شيء بان قالوا قال عز وجل ان زلزلة الساعة شيء عظيم فقالوا فقد اخبر الله عز وجل بانها شيء وهي معدومة ومن الدليل على ان المعدوم شيء انه يخبر عنه ويوصف ويتمنى ومن المحال ان يكون ما هذه صفته ليس شيئاً

﴿قال ابو محمد﴾ اما قول الله عز وجل ان زلزلة الساعة شيء عظيم فان هذه القصة موصولة بقوله تعالي يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وتري الناس سكاري وما هم بسكاري فانما تم الكلام عند قوله يوم ترونها فصح ان زلزلة الساعة يوم ترونها شيء عظيم وهذا هو قولنا ولم يقل تعالي قط انها الآن شيء عظيم ثم اخبر تعالي بما يكون يومئذ من هول المرضعات ووضع الاحمال وكون الناس سكارى من غير خمر فبطل تعلقهم بالآية وما نعلم انهم شغبوا بشيء غيرها واما قولهم ان المعدوم يخبر عنه ويوصف ويتمنى ويسمى فجهل شديد وظن فاسد وذلك ان قولنا في شيء يذكر انه معدوم ويخبر عنه انه معدوم

ويتمني به انما هو ان يذكر اسم ما فذلك الاسم موجود بلا شك يعرف ذلك بالحس كقولنا العنقاء وابن آوى وحبين وعرس ونبوة مسيلمة وما اشبه ذلك ثم كل اسم ينطق به ويوجد ملفوظا اومكتوباً فانه ضرورة لابد له من احد وجهين اما ان يكون له مسمي واما ان يكون ليس له مسمي فان كان له مسمي فهو موجود وهو شيء حينئذ وان كان ليس له مسمي فاخبارنا بالعدم وتمنينا للمريض الصحة انما هو اخبار عن ذلك الاسم الموجود انه ليس له مسمي ولا تحته شيء وتمن منا لان يكون تحته مسمي فهكذا هو الامر لا كما ظنه اهل الجهل فصح ان المعدوم لايخبر عنه ولا يتمني ونسالهم عمن قال ليت لي ثوبا احمر وغلاما اسود اخبرونا هل الثوب المتمني به عندكم أحمر ام لا فان اثبتوا معني وهو الثوب اثبتوا عرضاً محمولا فيه وهو الحمرة فوجب ان المعدوم يحمل الاعراض وان قالوا لم يتمن شيأ اصلا صدقوا وصح ان المعدوم لا يتمني لانه ليس شيأ ولا فرق بين قول القائل تمنيت لاشيء وبين قوله لم اتمن شيأ بل هما متلائمان بمعني واحد وهذا ايضاً يخرج علي وجه آخر وهو انه لا يتمني الا شيأ موجودا في العالم كثوب موجود أو غلام موجود واما من اخرج لفظة التمني لما ليس في العالم فلم يتمن شيأ واما قولهم يوصف فطريق عجب جدا لان معني قول القائل يوصف اخبار بان له صفة محمولة فيه موجودة به فليت شعرى كيف يحمل المعدوم الصفات من الحمرة والخضرة والقوة والطول والعرض ان هذا العجب جداً فظهر فساد ما موهوا به والحمد لله رب العالمين

﴿قال﴾ ابو محمد رضي الله عنه واذ قد عرا قولهم عن الدليل فقد صح انه دعوي كاذبة ثم نقول وبالله التوفيق من البرهان على ان المعدوم اسم لا يقع على شيء اصلا قول الله عز وجل وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ وقوله تعالى هل اتي على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا وقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا وقال عز وجل انا كل شيء خلقناه بقدر فيلزمهم ولا بد ان كان المعدوم شيأ ان يكون مخلوقا بعد وهم لا يختلفون في ان المخلوق موجود وقد وجد وقتا من الدهر فالمعدوم على هذا موجود وقد كان موجودا وهذا خلاف قولهم وهذا غاية البيان في ان المعدوم ليس شيئاً

﴿قال﴾ ابو محمد رضي الله عنه ونسالهم ما معني قولنا شيء فلا يجدون بداً من ان يقولوا انه الموجود او ان يقولوا هو كل ما يخبر عنه فان قالوا هو الموجود صاروا الي الحق وان قالوا هو

كل مايخبر عنه قلنا لهم ان المشركين يخبرون عن شريك الله عزوجل قال تعالى أين شركائي

﴿ قال ﴾ ابو محمد وهذا معدوم لامدخل له في الحقيقة واسم لامسمي تحته فان قالوا ان شركاء الله تعالي اشياء كانوا قد أخشوا وايضا فانه قد اتفقت جميع الامم لاتحاشي ان المعدوم ليس شيئاً أولا شئ اومايعبر به في كل لغة عن شي وعن لاشئ الا ان المعني واحد فلو كان المعدوم شيئاً لكان مااجمعوا عليه بلا شئ وليس شيئاً ولم يكن شيئاً باطلا وهذا رد على جميع اهل الارض مذ كانوا الى ان يفني العالم فصح ان الموجود هو الشئ فاذ هو الشي فبضرورة العقل ان اللاشي هو المعدوم ثم نسألهم اتقولون ان المعدوم عظيم اوصغير او حسن او قبيح او طويل او قصير او ذولون في حال عدمه فان ابوا من هذا تناقض قولهم وسئلوا عن الفرق بين قولهم انه شئ وبين قولهم انه حسن اوقبيح او صغير اوكبير وكيف قالوا انه شئ ثم قالوا انه ليس حسنا ولا قبيحا ولا صغيرا ولا كبيرا فان قالوا نعم اوجبوا ان المعدوم يحمل الاعراض والصفات وهذا تخليط ناهيك به وسئلوا فيماذا يحمل الصفات أفي ذاته او فيماذا فان قالوا في ذاته أوجبوا ان له ذاتا وهذه صفة الموجود ضرورة وان قالوا بل يحمل الصفات في غيره كان ذلك ايضاً عجباً زائداً ومحالا لاخفاء به

﴿ قال ﴾ ابو محمد ونسالهم هل الايمان موجود من ابي جهل اومعدوم فان قولهم بلا شك انه معدوم منه . فنسألهم عن ايمان ابي جهل المعدوم حسن هو ام قبيح . فان قالوا لاحسن ولا قبيح قلنا لهم ايكون يعقل ايمان ليس حسناً هذا عظيم جدا . وان قالوا بل هو حسن اوجبوا انه حامل للحسن وكذلك نسألهم عن الكفر المعدوم من الانبياء عليهم السلام اقبيح هو ام لا . فان قالوا لا اوجبوا كفراً ليس قبيحا . وان قالوا بل هو قبيح اوجبوا ان المعدوم يحمل الصفات ونسالهم عن ولد العقيم المعدوم منه اصغير هو ام كبير ام عاقل ام أحمق . فان منعوا من وجود شي من هذه الصفات له كان عجبا ان يكون ولد لاصغير ولا كبير ولاحي ولاميت وان وصفوه بشئ من هذه الصفات اتوا بالزيادة من المحال ونسألهم عن الاشياء المعدومة ألها عدد ام لاعدد لها . فان قالوا لاعدد لها كانوا قد اتوا بالمحال اذ أقروا باشياء لاعدد لها . وان قالوا بل لها عدد كان ذلك عجباً جدا اومحالا لاخفاء به وسألناهم عن الاولاد المعدومين من العاقر والعقيم كم عددهم . ونسالهم عن الاشياء

المعدومة اهي في العالم ومن العالم ام ليست في العالم ولا من العالم فان قالوا هي فى العالم ومن العالم سالناهم عن مكانها فان حددوا لها مكانا سخفوا ماشاؤا وان قالوا لامكان لها . قيل لهم وكيف يكون شيء في العالم لامكان له فيه ولا حامل

﴿ قال أبو محمد ﴾ ويلزمهم ان المعدومات اذا كانت اشياء لاعدد لها ولانهاية ولامبدأ فانها لم تزل وهذه دهرية محققة وكفر مجرد ان تكون اشياء لاتحصي كثرة لم تزل مع الله تعالي ونعوذ بالله من مثل هذا الهوس

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد ادعوا ان المعدوم يعلم وهذا جهل منهم بحدود الكلام لاسيما ممن اقر بان المعدوم لاشي وادعي مع ذلك انه يعلم فالزمناهم على ذلك انهم يعلمون لا شي وان الله تعالي يعلم لاشئ فجسر بعضهم على ذلك فقلنا له ان قولك علمت لاشي وعلم الله تعالي لاشي ملائم لقولك لم اعلم شيئاً ولقولك لم يعلم الله تعالي شيئاً لافرق بين معني القضيتين ألبتة بل هما واحد وان اختلفت العبارتان واذ هو كذلك فقد صح ان المعدوم لايعلم فان الزمنا على هذا وسألنا هل يعلم الله تعالي الاشياء قبل كونها ام لا قلنا لم يزل الله تعالي يعلم ان مايخلقه ابدا الي مالانهاية له فانه سيخلقه ويرتبه على الصفات التي يخلقها فيها اذا خلقه وانه سيكون شيئاً اذا كونه ولم يزل عز وجل يعلم ان مالم يخلق بعد فليس هو شيئاً حتي يخلقه ولم يزل تعالي يعلم انه لاشي معه وانه ستكون الاشياء اشياء اذا خلقها لانه تعالي انما يعلم الاشياء على ماهي عليه لاعلى خلاف ماهي عليه لان من علمها على خلاف ماهي عليه فلم يعلمها بل جهلها وليس هذا علماً بل هو ظن كاذب وجهل وبرهان هذا قول الله عزوجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو في لغة العرب التي خاطبنا الله تعالي بها حرف يدل علي امتناع الشي لامتناع غيره فصح انه تعالي لم يسمعهم لانه لم يعلم فيهم خيراً اولاخير فيهم فصح ان المعدوم لايعلم أصلا ولو علم لكان موجودا وانما يعلم الله تعالي ان لفظة المعدوم لامسمي لها ولا شي تحتها ويعلم عزوجل الآن ان الساعة غير قائمة وهو الآن تعالي لايعلمها قائمة بل يعلم انه سيقيمها فتقوم فتكون قيامة وساعة ويوم جزاء ويوم بعث وشيئاً عظيما حين يخلق كل ذلك لاقبل ان يخلقه فاما علمه تعالي بانه سيقيمها فتقوم فهو موجود حق فهذا معني اطلاق العلم على مالم يكن بعد من المعدومات كما اننا لانعلم الآن الشمس طالعة طلوعها فى غد بل نعلم انها ستطلع غدا وكذلك لانعلم موت

الاحياء الآن بل نعلم ان الله تعالي سيخلق موتهم فنعلمه مونا لهم اذا خلقه لاقبل ذلك وبالله تعالي التوفيق وقال تعالى ام حسبتم ان تدخلو الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فهذا نص جلي علي ان المعدوم لايعلم لان الله تعالي اخبر انه يدخل الجنة من لايعلمه الله تعالي مجاهداً ولا صابراً فصح ان من لم يجاهد ولا صبر فلم يعلمه الله تعالي قط مجاهدا ولا صابراً ولاعلم له جهاداً ولا صبرا وانما علمه غير مجاهد وغير صابر ولم يزل تعالي يعلم ان من كان منهم سيجاهد وسيصبر فانه لم يزل يعلم انه سيجاهد وسيصبر فاذا جاهد وصبر علمه حينئذ صابراً مجاهدا والعلم لايستحيل لانه ليس شيئاً غير الباري تعالي وانما استحال المعلوم فقط . ثم نسألهم هل يعلم الله تعالي لحية الاطلس وقنا الافطس ام لايعلم ذلك وهل يعلم الله تعالي اولاد العقيم وايمان الكافر وكفر المؤمن وكذب الصادق وصدق الكاذب ام لا يعلم شيئاً من ذلك . فان قالوا ان الله تعالى يعلم كل ذلك كانوا قد وصفوا الله تعالي بالجهل وانه يعلم الاشياء بخلاف ماهي عليه . وان قالوا انه تعالي لايعلم للعقيم اولادا وانما يعلمه لاولد له ولا يعلم لحية الاطلس بل يعلمه غير ذي لحية صدقوا وعادوا الى الحق وبالله تعالى التوفيق

الكلام في المعاني علي معمر

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما معمر ومن اتبعه فقالوا انا وجدنا المتحرك والساكن فايقنا ان معنى حدث في المتحرك به فارق الساكن في صفته وان معني حدث في الساكن به ايضاً فارق المتحرك في صفته وكذلك علمنا ان في الحركة معني به فارقت السكون وان في السكون معني به فارق الحركة وكذلك علمنا ان في ذلك المعنى الذي به خالفت الحركة السكون معني به فارق المعنى الذي به فارقه السكون وهكذا ابدا اوجبوا ان في كل شيء في هذا العالم من جوهر او عرض اي شيء كان معاني فارق كل معنى منها كل ماعداه في العالم وكذلك ايضاً في تلك المعاني لانها اشياء موجودة متغايرة واوجبوا بهذا وجود اشياء في زمان محدود في العالم لانهاية لعددها

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذه جملة كل ما شغبوا به الا أنهم فصلوها ومدوها في الكفر والكافر والايمان والمؤمن وفي غير ذلك مما هو المعني الذي أوردناه بعينه ولا زيادة فيه أصلا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا ليس شيئاً لأننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق العالم كله قسمان جوهر حامل وعرض محمول ولا مزيد ولا ثالث فى العالم غير هذين القسمين هذا أمر يعرف بضرورة العقل وضرورة الحس فالجواهر مغايرة بعضها لبعض بذواتها التي هي اشخاصها يعني بالغيرية فيها وتختلف ايضا بجنسها وهى ايضاً مفترق بعضها من بعض بالعرض المحمول فى كل حامل من الجواهر وأما الاعراض فمغايرة للجواهر بذواتها بالغيرية فيها وكذلك هذا ايضاً بعضها مغاير لبعض بذواتها وبعضها مفارق لبعض بذواتها وان كان بعض الاعراض ايضاً قد تحمل الاعراض كقولنا حمرة مشرقة وحمرة كدرة وعمل سيء وعمل صالح وقوة شديدة وقوة دونها فى الشدة ومثل هذا كثير الا ان كل هذا يقف فى عدد متناه لا يزيد وهذا أمر يعلم بالحس والعقل فالمتحرك يفارق الساكن هذا بحركته وهذا بسكونه والحركة تفارق السكون بذاتها ويفارقها السكون بذاته وبالنوعية والغيرية والحركة الى الشرق تفارق الحركة الى الغرب بكون هذه الى الشرق وكون هذه الى الغرب بذاته وبالغيرية فقط وهكذا فى كل شيء فكل شيئين وقعا تحت نوع واحد مما يلى الاشخاص فانهما يختلفان بغيريتهما فان كانا وقعا تحت نوعين فانهما يختلفان بالغيرية فى الشخص وبالغيرة فى النوع ايضاً والغيرية ايضا لها نوع جامع لجميع اشخاصها الا ان كل ذلك واقف عند حد من العدد لا يزيد ولا بد ثم نسالهم خبرونا عن المعاني التى تدعونها فى حركة واحدة ايما أكثر أهي أم المعاني التي تدعونها فى حركتين فان أثبتوا قلة وكثرة تركوا مذهبهم واوجبوا النهاية في المعاني التي نفوا النهاية عنها وان قالوا الا قلة ولا كثرة ها هنا كابروا وأتوا بالمحال الناقض ايضاً لاقوالهم لانهم اذا أوجبوا للحركة معنى اوجبوا للحركتين معنيين وهكذا أبدا فوجبت الكثرة والقلة ضرورة لامحيد عنها

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلم يكن لهم جواب أصلا الا أن بعضهم قال اخبرونا اليس الله تعالى قادرا على ان يخلق في جسم واحد حركات لانهاية لها

﴿ قال ابو محمد ﴾ فجواب أهل الاسلام فى هذا السؤال نعم وأما من عجز ربه فاجابوا بلا فسقط هذا السؤال عنهم وكان سقوط الاسلام عنهم بهذا الجواب اشد من سقوط سؤال اصحاب معمر

﴿ قال ابو محمد ﴾ فتمادى سؤالهم لاهل الحق فقالوا فاخبرونا ايما اكثر ما يقدر الله تعالى عليه من خلق الحركات فى جسمين او ما يقدر عليه من خلق الحركات فى جسم واحد فكان

جواب اهل الحق فى ذلك انه لايقع عدد على معدوم ولا يقع العدد الا على موجود معدود والذى يقدر الله تعالى عليه ولم يفعله فليس هو بعد شيئاً ولا له عدد ولا هو معدود ولانهاية لقدرة الله تعالى واما ما يقدر عليه تعالى ولم يفعله فلا يقال فيه ان له نهاية ولا انه لا نهاية له واما كل ما خلق الله تعالى فله نهاية بعد وكـذا كل ما يخلق فاذا خلقه حدثت له نهاية حينئذ لا قبل ذلك واما المعانى التي تدعونها فانكم تدعون انها موجودة قائمة فوجب ان يكون لها نهاية فان نفيتم النهاية عنها لحقتم باهل الدهر وكلناكم بما كلمناهم به مما قد ذكرنا قبل وبالله تعالى التوفيق ثم لو تثبت لكم هذه العبارة من قول القائل ان مايقدر الله تعالى عليه لا نهاية لعدده وهذا لا يصح بل الحق فى هذا ان نقول ان الله تعالى قادر على ان يخلق ما لا نهاية له فى وقت ذى نهاية ومكان ذى نهاية ولو شاء ان يخلق ذلك فى وقت غير ذى نهاية ومكان غير ذى نهاية لكان قادرا على كل ذلك لما وجب من ذلك اثبات ماادعيتم من وجود معان في وقت واحد لانهاية لها اذ ليس هاهنا عقل يوجب ذلك ولا خبر يوجب ذلك وانما هو قياس منكم اذ قلتم لما كان قادرا على ان يخلق ما لا نهاية له قلنا انه قد خلق مالا نهاية له فهذا قياس والقياس كله باطل ثم لو كان القياس حقا لكان هذا منه باطلا لانه بزعمكم قياس موجود على معدوم وقياس وتشبيه لما قد خلقه بزعمكم على مالم يخلقه وهذا في غاية الفساد ولا فرق بينكم فى هذا القياس الفاسد وبين من يقول ان في بلد كذا قوماً يشمون من عيونهم ويسمعون من انوفهم ويذوقون من آذانهم ويبصرون من السنتهم فاذا كذب فى ذلك وسئل برهانا على دعواه قال اتقرون ان الله قادر على خلق ذلك فقلنا له نعم قال فهذا دليل على صحة دعواى بل انتم اسوأ حالا لان هذا أخبر عن متوهم لو كان كيف كان يكون فانتم تخبرون عن غير متوهم في النفس ولا متشكل في العقل وهو اقراركم بوجود معان لانهاية لعددها في وقت واحد

﴿ قال ابو محمد ﴾ فبطل هذا القول الفاسد والحمد لله رب العالمين وكان يكفي من بطلانها انها دعوى لا برهان على صحتها وهي دعوى فاسدة غير ممكنة بل هى محال لا يتوهم ولا ولا يتشكل وبالله تعالى التوفيق.

﴿ الكلام في الاحوال مع الاشعرية ومن وافقهم ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ واما الاحوال التي ادعتها الاشعرية فانهم قالوا ان هاهنا أحوالا ليست حقا ولا باطلا ولاهي مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هي موجودة ولا معدومة ولا هي معلومة ولا هي مجهولة ولاهي أشياء ولاهي لاأشياء وقالوا من هذا علم العالم بان له علما ووجوده لوجوده وقالوا فان قلتم ان لكم علماً بان لكم علماً بالباري تعالى وبما تعلمونه وان لكم وجوداً لوجودكم ماتجدونه . سألناكم ألكم علم بعلمكم بان لكم علما وهل لكم وجود لوجودكم وجودكم ماتجدونه فان أقررتم بذلك لزمكم ان تسلسلوا هذا أبداً الي مالانهاية له ودخلتم في قول أصحاب معمر والدهرية . وان منعتم من ذلك سئلتم عن صحة الدليل على صحة منعكم مامنعتم من ذلك وصحة ايجابكم ما أوجبتم من ذلك وكذلك قالوا في قدم القديم وحدث المحدث وبقاء الباقي وفناء الفانى وظهور الظاهر وخفاء الخافي وقصد القاصد ونية الناوي وزمان الزمان ومأشبه ذلك . وقالوا لوكان للباقي بقاء ولبقاء الباقى بقاء وهكذا أبداً الى مالا نهايه له قالوا أفهذا يوجب وجود اشياء لانهاية لها وهـذا محال وهكذا قالوا في قدم القديم وقدم قدمه وقدم قدم قدمه الى مالا نهاية له وفى حدوث المحدث وحدث حدثه وحدث حدث حدثه الى مالا نهاية له وهكذا قالوا في زمان الزمان وزمان زمان الزمان الى مالانهاية له وفي فناء الفاني وفناء فنائه وفناء فناء فنائه الى مالا نهاية له وكذلك ظهور الظاهر وظهور ظهوره وظهور ظهور ظهوره الى مالا نهاية له وكذلك القصد والقصد الى القصد والقصد الى القصد الى القصد وهكذا الى مالانهاية له وكذلك النية والنية للنية والنية للنية للنية الى مالا نهاية له وكذلك تحقيق الحق وتحقيق تحقيق الحق الى مالا نهاية له

﴿ قال أبو محمد ﴾ أفكار السوء اذا ظن صاحبها انه يدقق فيها فهى أضر عليه لانها تخرجه الى التخليط الذي ينسبونه الى السوفسطائية والى الهذيان المحض وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً

﴿ قال أبو محمد ﴾ والكلام في هذا أبين من ان يشكل على عامي فكيف على فهم فكيف على عالم والحمد لله ونحن نتكلم على هذا ان شاء الله عز وجل كلاما ظاهراً لائحاً لايخفى على ذي حس سليم وبالله تعالى نتأيد فنقول وبالله تعالى التوفيق . أما القدم فانه من صفات الزمن ومن فيه تقول ملك أقدم من ملك وزمان أقدم من زمان وشيخ أقدم من شيخ أي انه متقدم

بزمانه عليه والزمان متقدم بذاته على الزمان ليس في العالم قدم قديم الازماني هذا هو حكم اللغة التي لا يوجد فيها غيره أصلا فالقدم هو التقدم والتقدم متقدم بنفسه على غيره فقط لان القدم موجود معلوم وهي صفة المتقدم فلا يجوز انكاره واما قدم القديم فباطل لانه لم يأت به نص ولا قام بوجوده دليل وما كان هكذا فهو باطل واما وجود الموجود فبضرورة الحسّ ان الموجود حق وانه يقتضي واجداً وان الواجد يقتضي وجودا لما وجده هو فعل الواجد وصفته فهو حق لما ذكرنا ووجود الواجد يوجد بذاته لا بوجود هو غيره لان وجود الوجود لم يأت به نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل وأما الباري عزوجل فانه يجد نفسه ويعلمها ويجد مادونه ويعلمه بذاته لا بوجود هو غيره ولا بعلم هو غيره فقط وكذلك العالم منا يقتضي علما ولا بد هو فعل العالم وصفته المحمولة فيه عرضاً بيقين ويزيد ويذهب ويثبت اطواراً هذا مالا شك فيه والعالم منا يعلم انه يحمل علما بعلمه ذلك لا بعلم هو غير علمه لان العلم بالعلم لم يوجب وجوده نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل وكذلك الباقى مثاله بلا شك بقاء هو اتصال وجوده مدة بعد مدة وهذا معني صحيح لا يجوز ان ينكره عاقل فاما بقاء البقاء فلم يأت بايجاب وجوده نص ولا قام به برهان وما كان هكذا فهو باطل ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بالبقاء ولا انه باق كما لا يوصف بالخلد ولا بانه خالد ولا بالدوام ولا بانه دائم ولا بالثبات ولا بانه ثابت ولا بطول العمر ولا بطول المدة لان الله عزوجل لم يسم نفسه بشيء من ذلك لا في القرآن ولا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قاله قط أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا قام به برهان بل البرهان قام ببطلان ذلك لان كل ماذكرنا من صفات المخلوقين ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بشئ من صفات المخلوقين الا ان يأتي نص بان يسمي باسم مّافيوقف عنده ولان كل ما ذكرنا أعراض فيما هو فيه والله تعالى لا يحمل الاعراض وايضاً فانه عزوجل لا في زمان ولا يمر عليه زمان ولا هو متحرك ولا ساكن لكن يقال لم يزل الله تعالى ولا يزال واما الفناء فانه مدة للعدم تعدها اجزاء الحركات والسكون ولا يجوز ان تكون للمدة مدة لكنها مدة في نفسها ولنفسها فالقول بالزمان حق لانه محسوس معلوم واما القول بزمان الزمان فهو شيء لم يأت به نص ولا قام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل واما ظهور الظاهر فهو متيقن معلومٌ والظهور

صفة

صفة الظاهر وفعله تقول ظهر يظهر ظهوراً والظهور معلوم ظاهر بنفسه ولا يجوز ان يقال ان للظهور ظهورًا لأنه لم يأت به نص ولا قام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل واما خفاء الخافى فهو عدم ظهوره والعدم ليس شيئاً كما قدمنا واما القصد الى الشئ والنية له فانما هما فعل القاصد والناوى وارادتهما الشيء والقول بهما واجب لانهما موجودان بالضرورة يجدهما كل احد من نفسه ويعلمهما من غيره علما ضروريا واما القصد الى القصد والنية للنية فباطل لانه لم يأت به نص ولا اوجبهما دليل وما كان هكذا فهو باطل والقول به لا يجوز فهذا وجه البيان فيما خفي عليهم حتى أتوا فيه بهذا التخليط والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ ثم نقول لهم اخبرونا اذا قلتم هذه احوال أهي معان ومسميات مضبوطة محدودة متميز بعضها من بعض ام ليست معاني اصلا ولا لها مسميات ولا هي مضبوطة ولا محدودة متميز بعضها من بعض فان قالوا ليست معاني ولا محدودة ولا مضبوطة ولا متميزا بعضها من بعض ولا لتلك الاسماء مسميات اصلا قيل لهم فهذا هو معنى العدم حقا فلم قلتم انها ليست معدومة ثم لم سميتموها احوالا وهي معدومة ولا تكون التسمية الا شرعية او لغوية وتسميتكم هذه المعاني احوالا ليست تسمية شرعية ولا لغوية ولا مصطلحا عليها لبيان ما يقع عليه فهي باطل محض بيقين فان قالوا هي معان مضبوطة ولها مسميات محدودة متميزة بعضها من بعض قيل لهم هذه صفة الموجود ولا بد فلم قلتم انها ليست موجودة وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ ويقال لهم ايضاً هذه الاحوال التي تقولون أمعقولة هي أم غير معقولة فان قالوا هي معقولة كانوا قد أثبتوا لها معاني وحقائق من اجلها عقلت فهى موجودة ولا بد والعدم ليس معقولا لكنه لا معني لهذه اللفظة أصلا وبالله تعالى التوفيق ويقال لهم ايضاً هل الاحوال في اللغة وفي المعقول الا صفات لذى حال وهل الحال في اللغة الا بمعني التحول من صفة الى اخرى يقال هذا حال فلان اليوم وكيف كانت حالك بالامس وكيف يكون الحال غدا فاذا الامر هكذا ولا بد فهذه الاحوال موجودة حق مخلوقة ولا بد فظهر فساد قولهم وانه من اسخف الهذيان والمحال الممتنع الذى لا يرضي به عاقل ويقال لهم أيضاً قبل كل شئ وبعده فمن أين سميتم هذا الاسم يعني الاحوال ومن أين قلتم لا هي معلومة ولا هي

مجهولة ولا حق ولا باطل ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معدومة ولا موجودة ولا هي أشياء ولا غير أشياء أي دليل حدا كم على هذا الحكم أقرآن أم سنة أم اجماع أم قول متقدم أم لغة أم ضرورة عقل أم دليل اقناعي أم قياس فهاتوه ولا سبيل اليه فلم يبق الا الهذر والهوس وقلة المبالاة بما يكتبه الملكان ويسأل عنه رب العالمين والتهاون باستخفاف أهل العقول لمن قال بهذا الجنون ولا مزيد ونعوذ بالله من الخذلان وما ينبغي لهم بعد هذا أن ينكروا على من أتي بما لا يعقل ككون الجسم في مكانين والجسمين فى مكان واحد وكون شيء قائما قاعدا وكون أشياء غير متناهية في وقت واحد فان قالوا هذا كفر قيل لهم بل الكفر ما جئتم به لانه ابطال الحقائق كلها والعجب كل العجب انهم لا يجوزون قدرة الله تعالى على ما هو محال عندهم وقد أتوا في هذا الفصل بعين المحال ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكلامهم في هذه المسألة كلام ما سمع باسخف منه ولا قول السوفسطائية ولا قول النصارى ولا قول الغالية على ان هذه الفرق أحمق الفرق أقوالا اما السوفسطائية فانهم قطعوا على ان الاشياء باطل لا حق أو انها حق عند من هي عنده حق وباطل عند من هي عنده باطل وأما النصارى والغالية فان كانت هاتان الفرقتان قد أتتا بالعظائم فانهم قطعوا بانها حق وأما هؤلاء المخاذيل فانهم أتوا بقول حققوه وأبطلوه ولم يحققوه ولا أبطلوه كل ذلك معا في وقت واحد من وجه واحد وهذا لا يأتي به الامبرسم أو مجنون أو ماجن يريد أن يضحك من معه

﴿ قال أبو محمد ﴾ ونحن نتكلف بيان هذا التخليط التي أتوا به وان كان مكتفيا بسماعه ولكن التزيد من ابطال الباطل ما أمكن حسن فنقول وبالله تعالى التوفيق ان قولهم لا هي حق ولا هي باطل فان كل ذي حس سليم يدري أن كل ما لم يكن حقاً فهو باطل وما لم يكن باطلا فهو حق هذا لا يعقل غيره فيكف وقد قال الله تعالي ﴿ فماذا بعد الحق الا الضلال ﴾ وقال تعالى ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ﴾ وقال تعالى ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ خلق كل شئ فقدره ﴾ وقال تعالى ﴿ انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ﴾ وقال ﴿ فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهؤلاء قوم ينتمون الى الاسلام ويصدقون القرآن ولولا ذلك

ما احتججنا عليهم فقد قطع الله تعالى انه ليس الا حق أو باطل وليس الا علم أو جهل وهو عدم العلم وليس الا وجود أو عدم وليس إلا شئ مخلوق أو الخالق أو لفظة العدم التي لا تقع على شيء ولا على مخلوق فقد أكذبهم الله عز وجل في دعواهم ولا يشك ذو حس سليم ان ما لم يكن باطلا فهو حق وما لم يكن حقا فهو باطل وما لم يكن معلوماً فهو مجهول وما لم يكن مجهولا فهو معلوم وما لم يكن شيئاً فهو لا شئ وما لم يكن لا شيء فهو شيء وما لم يكن موجوداً فهو معدوم وما لم يكن معدوماً فهو موجود وما لم يكن مخلوقا فهو غير مخلوق وما لم يكن غير مخلوق فهو مخلوق هذا كله معلوم ضرورة ولا يعقل غيره غيره فاذ هذا كذلك ولا فرق بين ما قالوه فى هذه القضية وبين القول اللازم لهم ضرورة وهو ان تلك الاحوال معدومة موجودة معاً حق باطل معا معلومة مجهولة معا مخلوقة غير مخلوقة معا شيء لا شيء معا وهذا هو نفس قولهم ومقتضاه لانهم اذ قالوا ليست حقا فقد أوجبوا انها باطل واذ قالوا ولا هي باطل فقد أوجبوا انها حق وهكذا في سائر ما قالوه فاعجبوا لعقول وسع هذا فيها وسخموا به ورقهم وعجب آخر وهو قولهم ان هاهنا أحوالا ولفظة هاهنا معناها الاثبات بلا شك فهي موجودة ثابتة بلا شك

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولم يخلصوا من هذا من قول معمر في وجوب وجود أشياء لا نهاية لها أو ان يصيروا الى قولنا فى إبطال هذه التي يسمونها أحوالا واعدامها جملة وما نعلم هوساً الا وقد انتظمته هذه المقالة ونعوذ بالله من الخذلان ۞ مسئلة أخرى

﴿ قال أبو محمد ﴾ قالت الاشعرية ليس في العالم شيء له بعض أصلا ولا شيء له نصف ولا ثلث ولا ربع ولا خمس ولا سدس ولا سبع ولا ثمن ولا تسع ولا عشر ولا جزء أصلا واحتجوا في هذا بأن قالوا يلزم من قال ان الواحد عشر العشرة وجزء من العشرة وبعض العشرة ان يقول ولا بد ان الواحد عشر من نفسه وجزء من نفسه وبعض نفسه وانه جزء لغيره عشر لغيره لان العشرة تسعة وواحد فلو كان الواحد عشر العشرة وبعضاً للعشرة وجزأ للعشرة لكان عشرا لنفسه وللتسعة التي هى غيره ولكان جزأ بعضاً لنفسه وللتسعة التى هي غيره

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا خبط شديد أول ذلك انه رد على الله تعالى مجرد وتكذيب للقرآن وخلاف اللغة بل لجميع اللغات ومكابرة للعقول وللحواس قال تعالى ﴿ واذا خلا بعضهم الى

بعض * وقال تعالي * يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * وقال تعالى * فلأمه الثلث فلامه السدس فلها النصف ولهن الربع ولهن الثمن * فقد كذبوا القرآن نصاً ثم هذا موجود في كل طبيعة في كل لغة ومحسوس بالحواس ثم يقال لهم لا فرق بينكم وبين من صحح ولم ينكر كون الشيء بعض نفسه وبعض غيره وجزأ لنفسه وجزأ لغيره وعشر نفسه وعشر غيره واحتج في تصحيح ذلك بالحجة التي رمتم بها ابطال ذلك ولا مزيد وكلا كما متكسع في ظلمة الخطأ ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ليس الامر كما ظننتم بل الاسماء موضوعة للتفاهم والتميز بعض المسميات من بعض فالعشرة اسم للعشرة افراد مجتمعات فى العدد كذلك لتسعة وواحد ولثمانية واثنين ولسبعة وثلاثة ولستة وأربعة وخمسة وخمسة قال تعالى * ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة * وهكذا جميع الاعداد لاينكر ذلك الا مخذول منكر للمشاهدة فبالضرورة ندري ان كل جزء من تلك الجملة فهو بعض لها وعشر لها ومسمى منها لتشبهما ولا يقال هو جزء لنفسه ولا جزء لغيره ولا انه بعض لنفسه ولا أنه بعض لغيره ولا عشر لنفسه ولا عشر لغيره ومثل هذا البلق الذي هو اسم لاجتماع السواد والبياض معاً فالبياض بلا شك بعض البلق والسواد بعض البلق وليس البياض جزأ لنفسه وللسواد ولا بعضا لنفسه وللسواد وكل واحد منهما جزء للبلق وكذلك الانسان اسم للجملة المجتمعة من أعضائه ولا شك في ان العين بعض الانسان وجزء من الانسان ولا يحتمل ان يقال العين بعض نفسها وبعض الاذن واليد ولا ان يقال الاذن جزء لنفسها وللعين والانف وهكذا في سائر الاعضاء فعلى قول هؤلاء النوكى يلزمهم أن لا تكون العين بعض الانسان وان يقولوا ان العين بعض نفسها وبعض الاذن ومن أبطل الابعاض والاجزاء فقد أبطل الجمل لان الجمل ليست شيئا ألبتة غير ابعاضها ومن أبطل الجمل فقد أبطل الكل والجزء وابطل العالم بكل مافيه واذا بطل العالم بطل الدين والعقل وهذه حقيقة السفسطة ومانعلم في الاقوال أحمق من هذه المسألة ومن التي قبلها نعوذ بالله من الخذلان

﴿ الكلام في خلق الله عز وجل للعالم في كل وقت وزيادته في كل دقيقة ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ وذكر عن النظام انه قال ان الله تعالى يخلق كل ما خلق فى وقت واحد دون ان يعدمه وأنكر عليه القول بعض أهل الكلام

قال

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقول النظام هاهنا صحيح لانا اذا أثبتنا ان خلق الشيء هو الشيء نفسه فخلق الله تعالي قائم في كل موجود أبدا مادام ذلك الموجود موجودا وأيضاً فانا نسألهم مامعني قولكم خلق الله تعالي أمر كذا فجوابهم ان معنى خلقه انه تعالي أخرجه من العدم الي الوجود فنقول لهم أليس معني هذا القول منكم انه أوجده ولم يكن موجودا فمن قولهم نعم فنقول لهم وبالله تعالي التوفيق فالخلق هو الايجاد عندكم بلا شك فاخبرونا أليس الله تعالي موجدا لكل موجود أبدا مدة وجوده فان أنكروا ذلك أحالوا وأوجبوا ان الاشياء موجودة وليس الله تعالي موجداً لها الآن وهذا تناقض وان قالوا نعم فان الله تعالي موجد لكل موجود أبدا مادام موجودا قلنا لهم هذا هو الذى أنكرتم بعينه قد أقررتم به لان الايجاد هو الخلق نفسه والله تعالى موجد لكل مايوجد في كل وقت أبدا وان لم يفنه قبل ذلك والله تعالى خالق لكل مخلوق في كل وقت وان لم يفنه قبل ذلك وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو قول الله تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * وصح البرهان بان الله تعالى خلق التراب والماء الذى يتغذي آدم وبنوه بما استحال عنهما وصارت فيه دماء وأحاله الله تعالي منيا فثبت بهذا يقينا ان جميع أجساد الحيوان والنوامى كلها متفرقة ثم جمعها الله تعالي فقام منها الحيوان والنوامي وقال عز وجل * ثم أنشأناه خلقا آخر * وقال تعالي * خلقا من بعد خلق * فصح ان في كل حين يحيل الله تعالى أحوال مخلوقاته فهو خالق جديد والله تعالي يخلق في كل حين جميع العالم خلقا مستأنفا دون ان يفنيه وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى الحركة والسكون ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهبت طائفة الى ان لا حركة في العالم وان كل ذلك سكون واحتجوا بأن قالوا وجدنا الشيء ساكنا في المكان الاول ساكنا فى المكان الثاني وهكذا أبدا فعلمنا ان كل ذلك سكون وهذا قول منسوب الى معمر بن عمرو العطار مولى بني سليم أحد رؤساء المعتزلة وذهبت طائفة الي أن لا سكون أصلا وانما هي حركة اعتماد وهذا قول ينسب الي ابراهيم ابن سيار النظام واحتج غير النظام من أهل هذه المقالة بان قالوا السكون انما هو عدم الحركة والعدم ليس شيئاً وقال بعضهم هو ترك الحركة وترك الفعل ليس فعلا ولا هو معنى وذهبت طائفة الي ابطال الحركة والسكون معا وقالوا انما يوجد متحرك وساكن فقط وهو

قول أبي بكر بن كيسان الاصم وذهبت طائفة الي ان الجسم في أول خلق الله تعالي ليس ساكنا ولا متحركا وذهبت طائفة الي اثبات الحركة والسكون الا انها قالت ان الحركات أجسام وهو قول هشام بن الحكم شيخ الامامية وجهم بن صفوان السمرقندى وذهبت طائفة الي اثبات الحركة والسكون وأن كل ذلك اعراض وهذا هو الحق فاما من قال بنفي الحركة وان كل ذلك سكون فقولهم يبطل باننا قد علمنا بان السكون انما هو اقامة فى المكان وان الحركة نقلة عن ذلك المكان وزوال عنه ولا شك في ان الزوال عن الشئ هو غير الاقامة فيه فاذا الامر كذلك فواجب ان يكون لهذين المعنيين المتغايرين لكل واحد منهما اسم غير اسم الآخر كما هما متغايران فاتفق في اللغة ان يسمى أحدهما حركة ويسمي الآخر سكونا وأما قولهم ان كل حركة فهى سكون فى المكان الثاني فليس كذلك لان السكون اقامة لانقلة فيها فاذا وجدت نقلة متصلة لا اقامة فيها فهى غير الاقامة التى لانقلة فيها ونوع آخر له أيضا اشخاص غير اشخاص النوع الآخر وبيقين ندري ان الشئ المتحرك من مكان الي مكان فانه وان جاوز كل مكان يمر عليه فانه غير واقف ولا مقيم هذا مالا شك فيه يعرف ذلك بضرورة الحس فصح ان الحركة معنى وان السكون معنى آخر وأما من قال ان السكون حركة اعتماد فاحتجاج لا يعقل فلا وجه للاشتغال به وأما حجة من احتج بان السكون عدم الحركة والعدم ليس شيئا فليس كما قال لانه عقب الحركة اقامة موجودة ظاهرة فهى وان كان معها بوجودها عدمت الحركة فليست هي عدما كما ان القيام معني صحيح موجود وان كان قد عدمت معه سائر الحركات والاعمال من القعود والاتكاء والاضطجاع ويقال لهم وما الفرق بينكم وبين من قال بل الحركة ليست معني لانها عدم السكون فهذا مالا انفكاك عنه وكذلك من قال أيضا ان المرض ليس معنى لانه عدم الصحة والصحة ليست معنى لانها عدم المرض ومثل هذا كثير جدا وفى هذا ابطال الحقائق كلها وأما من قال ان الترك ليس معنى فخطأ لان كل من دون الله تعالى فانه ان ترك معني ما وفعلا ما فلا بد له ضرورة من فعل آخر ومعني آخر هذا أمر يوجد بالمشاهدة والحس لا يمكن غير ذلك فصح ان ترك من دون الله تعالي لفعل ما هو أيضا فعل صحيح بوجوده منه سمي تاركا لما ترك وليس الله تعالى كذلك بل لم يزل غير فاعل ولم يكن بذلك فاعلا للترك لان ترك الانسان

للفعل كما بينا عرض موجود فيه وهو حامل له ولو كان لترك الله تعالى للفعل معنى لكان قائما به تعالي ومعاذ الله من هذا من أن يكون عز وجل حاملا لعرض فلو كان أيضاً قائما بنفسه لكان جوهرا والترك ليس جوهرا ولو كان قائما بغيره عز وجل لكان تعالي فاعلا له غير تارك فصح الفرق وبالله تعالي التوفيق وأما من أبطل الحركة والسكون معاً فقول فاسد أيضاً لانه أثبت المتحرك والساكن مع ذلك وبيقين يدري كل ذى حس سليم ان من تحرك سكن فان تلك العين المتحركة ثم الساكنة هي عين واحدة وذات واحدة لم تتبدل ذاتها وانما تبدل عرضها المحمول فيها فبالضرورة ندرى أنه حدث فيه أوله او منه معني من أجله استحق أن يسمى متحركا وانه حدث فيه أو له أو منه أيضا معنى من أجله استحق أن يسمي ساكنا ولولا ذلك لم يكن بان يسمي متحركا احق به منه بان يسمي ساكناً هذا أمر محسوس مشاهد فذلك المعنى هو الحركة أو السكون فصح وجودهما ضرورة ولا فرق بين من أثبت الساكن والمتحرك ونفي الحركة والسكون ولا فرق بينه وبين من أثبت الضارب والقائم والآكل وأبطل الضرب والاكل والقيام وهذه سفسطة صحيحة وبالله تعالي التوفيق وأما من قال ان الجسم في أول خلق الله عز وجل له ليس ساكناً ولا متحركا فكلام فاسد أيضاً لانه لا يتوهم ولا يعقل معني ثالث ليس حركة ولا سكوناً هذا شئ لا يتشكل في النفس ولا يثبته عقل ولا سمع وأيضاً فلانه قول لا دليل عليه فهو باطل ولا شك في أن الله تعالي اذا خلق الجسم فانما يخلقه فى زمان ومكان فاذلا شك في ذلك فالجسم في أول حدوثه ساكن في المكان الذي خلقه الله تعالي فيه ولو طرفة عين ثم اما يتصل سكونه فيه فتطول إقامته فيه وإما أن ينتقل عنه فيكون متحركا عنه فان قال قائل بل هو متحرك لانه خارج عن العدم الي الوجود قيل له هذا منك تسمية فاسدة لان الحركة في اللغة وهي التي يتكلم عليها أنما هي نقلة من مكان الي مكان والعدم ليس مكاناً ولم يكن المخلوق شيئاً قبل أن يخلقه الله تعالي فحال خلقه هي أول احواله التي لم يكن هو قبلها فكيف ان يكون له حال قبلها فلم ينتقل اصلا بل ابتداه الله تعالي الآن واما الجسم الكلى الذي هو جرم العالم جملة وهو الفلك الكلى فكل جزء منه مقدر مفروض فان اجزائه المحيطة به من أربع جهات والجزء الذى يليه في جهة عمق الفلك هو مكانه ولا مكان له في الصفحة التي

لا تلي الاجزاء التي ذكرنا والله تعالى يمسكه بقوته كما شاء ولا يلاقيه من صفحته العليا شيء اصلا ولا هنالك مكان ولا زمان ولا خلاء ولا ملا

﴿ قال أبو محمد ﴾ ورأيت لبعض النوكي ممن ينتمي الى الكلام قولا ظريفاً وهو انه قال ان الله تعالى اذ خلق الارض خلق جرما عظيما يمسكها لئلا تنحدر سفلا فحين خلق ذلك الجرم أعدمه وخلق آخر وهكذا أبدا بلا نهاية لانه زعم لو ابقاه وقتين لا احتاج الى مسك وهكذا أبداً الى مالا نهاية له كأن هذا الانوك لم يسمع قول الله تعالى ﴿ ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده ﴾ فصح ان الله تعالى يمسك الكل كما هو دون عمد لا زيادة ولا جرم آخر ولو أن هؤلاء المخاذيل اذ عدموا العلم تمسكوا باتباع القرآن والسكوت عن الزيادة والخبر عن الله بما لا علم لهم به لكان اسلم لهم في الدين والدنيا ولكن من يضلل الله فلا هادي له ونعوذ بالله من الضلال وأما من قال ان الحركات اجسام فخطأ لان الجسم في اللغة موضوع للطويل العريض العميق ذي المساحة وليست الحركة كذلك فليست جسما ولا يجوز أن يوقع عليها اسم جسم اذ لم يأت ذلك في اللغة ولا في الشريعة ولا أوجبه دليل وأوضح انها ليست جسما فهي بلا شك عرض وأما من قل ان الحركة ترى فقول فاسد لانه قد صح إن البصر لا يقع في هذا العالم الا على لون في ملون فقط وبيقين ندرى أن الحركة لا لون لها فاذ لا لون لها فلا سبيل الي أن تري وانما علمنا كون الحركة لاننا رأينا لون المتحرك في مكان ما ثم رأيناه في مكان آخر علمنا أن ذلك الملون قد انتقل عن مكان الي مكان بلا شك وهذا المعني هو الحركة أو بان يحس الجسم قد انتقل من مكان الي مكان فيدري حينئذ من لامسه وان كان أعمى أو مطبق العينين انه تحرك وبرهان ما قلنا ان الهواء لما لم يكن له لون لم يره أحد وإنما يعلم تموجه وتحركه بملاقاته فانه منتقل وهو هبوب الرياح وكذلك أيضاً علمنا حركة الصوت باحساسنا الصوت يأتي من مكان ما الي مكان ما وكذلك القول في الحركة في المشموم من الطيب والنتن وحركة المذوق فبطل قولا من قالا ان الحركات ترى وصح ان الحركة ليست لونا ولا لها لون ولو كان هذا لا مكن لآخر أن يدعى أنه يسمع الحركة وهذا خطأ لانه لا يسمع الا الصوت ولا مكن لآخر ان يدعى ان الحركة تلمس وهذا خطأ وانما يلمس المجسة

من الخشونة والاملاس أو غير ذلك من المجسات والحق من هذا انما هو ان الحركة تعرف وتوجد بتوسط كل ماذكرنا وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ والحركات النقلية المكانية تنقسم قسمين لا ثالث لهما أما حركة ضرورية أو اختيارية فالاختيارية هي فعل النفوس الحية من الملائكة والانس والجن وساير الحيوان كله وهي التي تكون الى جهات شتى على غير رتبة معلومة الاوقات وكذلك السكون الاختياري والحركة الضرورية تنقسم قسمين لا ثالث لهما أما طبيعية وأما قسرية والاضطرارية هي الحركة الكائنة ممن ظهرت منه عن غير قصد منه اليها وأما الطبيعية فهي حركة كل شيء غير حي مما بناه الله عليه كحركة الماء الي وسط المركز وحركة الارض كذلك وحركة الهواء والنار الى مواضعها وحركة الافلاك والكواكب دورا وحركة عروق الجسد النوابض والسكون الطبيعي هو سكون كل ماذكرنا في عنصره وأما القسرية فهي حركة كل شيء دخل عليه ما يحيل حركته عن طبيعته أو عن اختياره الى غيرها كتحريك المرء قهراً وتحريكك الماء علوا والحجر كذلك وكتحريكك النار سفلا والهواء كذلك وكتصعيد الهواء الماء وكعكس الشمس لحر النار والسكون القسري هو توقيف الشيء في غير عنصره أو توقيف المختار كرها وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في التولد ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ تنازع المتكلمون في معني عبروا عنه بالتولد وهو أنهم اختلفوا فيمن رمي سهماً فجرح به انسانا أو غيره وفي حرق النار وتبريد الثلج وساير الآثار الظاهرة من الجمادات فقالت طايفة ماتولد من ذلك عن فعل انسان أو حيّ فهو فعل الانسان والحي واختلفوا فيما تولد من غير حيّ فقالت طائفة هو فعل الله وقالت طائفة ماتولد من غير حي فهو فعل الطبيعة وقال آخرون كل ذلك فعل الله عز وجل

﴿ قال أبو محمد ﴾ فهؤلاء مبطلون للحقائق غائبون عن موجبات العقول

﴿ قال أبو محمد ﴾ والامر أبين من أن يطول فيه الخطاب والحمد لله رب العالمين والصواب في ذلك ان كل ما في العالم من جسم أو عرض في جسم أو اثر من جسم فهو خلق الله عز وجل فكل ذلك فعل الله عز وجل بمعني انه خلقه وكل ذلك مضاف بنص القرآن وبحكم اللغة الى ماظهرت منه من حي أو جماد قال تعالى ﴿ فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت

من كل زوج بهيج * فنسب عز وجل الاهتزاز والانبات والربو الى الارض وقال * تلفح وجوههم النار * فاخبر تعالى ان النار تلفح وقال تعالى * وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه * فاخبر عز وجل ان الماء يشوي الوجوه وقال تعالى * ومن قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة مؤمنة * فسمى تعالى المخطئ قاتلا واوجب عليه حكما وهو لم يقصد قتله قط لكنه تولد عن فعله وقال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه * فاخبر تعالى ان الكلم والعمل عرض من الاعراض وقال تعالى * أفان مات او قتل انقلبتم * وقال تعالى * على شفا جرف هار فانهار به * ولم تختلف امة ولا لغة في صحة قول القائل مات فلان وسقط الحائط فنسب الله تعالى وجميع خلقه الموت الى الميت والسقوط الى الحائط والانهيار الي الجرف لظهور كل ذلك منها ليس في القرآن ولا في السنن ولا في العقول شيء غير هذا الحكم ومن خالف هذا فقد اعترض على الله تعالي وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الامم وعلى جميع عقولهم وهذه صفة من عظمت مصيبته بنفسه ومن لادين له ولا عقل ولا حياء ولا علم وصح بكل ماذكرنا ان اضافة كل أثر في العالم الى الله تعالى هي على غير اضافته الى من ظهر منه وانما اضافته الى الله تعالى لانه خلقه وأما اضافته الى من ظهر منه أو تولد عنه فلظهوره منه اتباعاً للقرآن ولجميع اللغات ولسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل هذه الاخبارات وكلتا هاتين الاضافتين حق لا مجاز في شيء من ذلك لانه لا فرق بين ماظهر من حيّ مختار أو من غير حي مختار في ان كل ذلك ظاهر مما ظهر منه وانه مخلوق لله تعالي الا ان الله تعالى خلق في الحي اختياراً لما ظهر منه ولم يخلق الاختيار فيما ليس حيا ولا مريداً فما تولد عن فعل فاعل فهو فعل الله عز وجل لمعنى انه خلقه وهو فعل ماظهر منه بمعني أنه ظهر منه قال الله تعالي * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي * وقال تعالى * أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * وهذا نص قولنا وبالله تعالي التوفيق

الكلام في المداخلة والمجاورة والكمون

﴿قال أبو محمد﴾ ذهب القائلون بان الالوان أجسام الى المداخلة ومعني هذه اللفظة ان الجسمين يتداخلان فيكونان جميعاً في مكان واحد

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا كلام فاسد لما سنبينه ان شاء الله تعالى في باب الكلام في الاجسام

والاعراض من ديواننا هذا وبالله تعالى التوفيق من ذلك ان كل جسم فله مساحة واذا كان كذلك فله مكان زائد واذ له مكان بقدر مساحته ولا بد فان كل جسم زيد عليه جسم آخر فان ذلك الجسم الزائد يحتاج الي مكان زائد من أجل مساحته الزائدة هذا أمر يعلم بالمشاهدة فان اختلاط الامر على من لم يتمرن في معرفة حدود الكلام من أجل مايرى فى الاجسام المتخلخلة من تخلل الاجسام المايعة لها فانما هذا لان فى خلال أجزاء تلك الاجسام المتخلخلة خروقا صغاراً مملوأة هواء فاذا صب عليها الماء أومائع ما ملأ تلك الخروق وخرج عنها الهواء الذي كان فيها وهذا ظاهر للعين محسوس خروج الهواء عنها بنفاخات وصوت من كل مايخرج عنه الهواء مسرعا والذى ذكرنا فانه اذا تم خروج الهواء عنه وزيد في عدد المائع ربا واحتاج الى مكان زائد وأما الذى ذكرنا قبل فانه في الاجسام المكتنزة كماء صب على ماء أو دهن على دهن أو دهن على ماء وهكذا في كل شيء من هذه الانواع وغيرها فصح يقيناً ان الجسم انما يكون في الجسم على سبيل المجاورة كل واحد في حيز غير حيز الآخر وانما تكون المداخلة بين الاعراض والاجسام وبين الاعراض والاعراض لان العرض لا يشغل مكانا فيجد اللون والطعم والمجسة والرائحة والحر والبرد والسكون كل ذلك مداخل للجسم ومداخل بعضه بعضاً ولا يمكن أن يكون جسم واحد في مكانين ولا جسمان في مكان واحد ثم ان المجاورة بين الجسمين تنقسم ثلاثة أقسام أحدها ان يخلع أحد الجسمين كيفياته ويلبس كيفية الآخر كنقطة رميتها فى دن خل أو دن مرق أو في لبن أو فى مداد أو شيء يسير من بعض هذه في بعض أو من غيرها كذلك فان الغالب منها يسلب المغلوب كيفياته الذاتية والغيرية ويذهبها عنه ويلبسه كيفيات نفسه الذاتية والغيرية والثاني أن يخلع كل واحد منهما كيفياته الذاتية والغيرية ويلبسا معاً كيفيات أخر كماء الزاج اذا جاور ماء العفص وكجسم الجير اذا جاور جسم الزرنيخ وكسائر المعاجن كلها والدقيق والماء وغير ذلك والثالث أن لا يخلع واحد منهما عن نفسه كيفية من كيفياته لا الذاتية ولا الغيرية بل يبقى كل واحد منهما كما كان كزيت أضيف الى ماء وكحجر الى حجر وثوب الي ثوب فهذا حقيقة الكلام فى المداخلة والمجاورة * وأما الكمون فان طائفة ذهبت الى ان النار كامنة في الحجر وذهبت طائفة الى ابطال هذا وقالت انه لانار فى الحجر أصلا وهو قول ضرار بن عمرو

﴿قال أبو محمد﴾ وكل طائفة منهما فانها تفرط على الاخرى فيما تدعى عليها فضرار ينسب الى مخالفيه انهم يقولون بان النخلة بطولها وعرضها وعظمها كامنة في النواة وان الانسان بطوله وعرضه وعمقه وعظمه كامن في المني وخصومه ينسبون اليه انه يقول ليس في النار حر ولا في العنب عصير ولا فى الزيتون زيت ولا في الانسان دم

﴿قال أبو محمد﴾ وكلا القولين جنون محض ومكابرة للحواس والعقول والحق في ذلك ان في الاشياء ماهو كامن كالدم فى الانسان والعصير في العنب والزيت في الزيتون والماء فى كل ما يتصر منه وبرهان ذلك ان كل ماذكرنا اذا خرج مما كان كامنا فيه ضمر الباقي لخروج ماخرج وخف وزنه لذلك عما كان عليه قبل خروج الذي خرج ومن الاشياء ماليس كامناً كالنار في الحجر والحديد لكن في حجر الزناد والحديد الذكر قوة اذا تضاغطا احتدم ما بينهما من الهواء فاستحال ناراً وهكذا يعرض لكل شيء منحرق فان رطوباته تستحيل ناراً ثم دخانا ثم هواء اذ في طبع النار استخراج ناريات الاجسام وتصعيد رطوباتها حتي يفني كل مافي الجسم من الناريات والمائيات عنه بالخروج ثم لو نفخت دهرك على مابقي من الارضية المحضة وهي الرماد لم يحترق ولا اشتعل اذ ليس فيه نار فتخرج ولا ماء فيتصعد وكذلك دهن السراج فانه كثير الناريات بطبعه فيستحيل بما فيه من المائية اليسيرة دخانا هوائياً وتخرج ناريته حتي يذهب كله واما القول في النوى والبزور والنطف فان فى النواة وفي البزر وفى النطفة طبيعة خلقها في كل ذلك الله عز وجل وهي قوة تجتذب الرطوبات الواردة عليها من الماء والزبل ولطيف التراب الوارد كل ذلك على النواة والبزر فتحيل كل ذلك الى مافي طبعها احالته اليه فيصير عوداً ولحاء وورقاً وزهراً وثمراً وخوصاً وكرماً ومثل الدم الوارد على النطفة فتحيله طبيعته التى خلقها الله تعالى فيه لحماً ودما وعظماً وعصباً وعروقاً وشرائين وعضلا وغضاريف وجلداً وظفراً وشعراً وكل ذلك خلق الله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين والحمد لله رب العالمين ﴿قال أبو محمد﴾ وذهب الباقلانى وسائر الاشعرية الا انه ليس في النار حر ولا فى الثلج برد ولا في الزيتون زيت ولا فى العنب عصير ولا في الانسان دم وهذا أمر ناظرنا عليه من لاقيناه منهم والعجب كل العجب قولهم هذا التخليط وانكارهم ما يعرف بالحواس وضرورة العقل ثم هم يقولون مع هذا ان للزجاج والحصا طعما ورائحة وان لقشور العنب رائحة وان للفلك طعما ورائحة وهذا احدي عجائب

الدنيا ﴿قال أبو محمد﴾ وما وجدنا لهم في ذلك حجة غير دعواهم ان الله تعالى خلق كل حر نجده في النار عند مسنا اياها وكذلك خلق البرد في الثلج عند مسنا اياه وكذلك خلق الزيت عند عصر الزيتون والعصير عند عصر العنب والدم عند القطع والشرط ﴿قال أبو محمد﴾ فاذا تملقوا من هذا بحواسهم فمن أين قالوا ان للزجاج طعما ورائحة وللفلك طعما ورائحة وهذا موضع تشهد الحواس بتكذيبهم في أحدهما ولا تدرك الحواس الآخر ويقال لهم لعل الناس ليس في الارض منهم أحد وانما خلقهم الله عند رؤيتكم لهم ولعل بطونكم لا مصارين فيها ورؤسكم لا ادمغة فيها لكن الله عز وجل خلق كل ذلك عند الشدخ والشق ﴿قال أبو محمد﴾ وقول الله تعالى يكذبهم اذ قال تعالى «يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم» فلولا ان النار تحرق بحرها ما كان يقول الله عز وجل «قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون» فصح ان الحر في النار موجود وكذلك أخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم ان نار جهنم أشد حرا من نارنا هذه سبعين درجة وقال تعالى «وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين» فاخبر ان الشجرة تنبت بها وقال تعالى «ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا» فصح ان السكر والعصير الحلال مأخوذ من الثمر والاعناب ولو لم يكونا فيهما ما أخذا منهما وقد اطبقت الامة كلها على انكار هذا الجنون وعلى القول هذا أحلي من العسل وأمر من الصبر وأحر من النار ونحمد الله على السلامة

﴿الكلام في الاستحالة﴾

﴿قال أبو محمد﴾ احتج الحنيفيون ومن وافقهم في قولهم ان النقطة من البول والخمر تقع في الماء فلا يظهر لها فيه أثر انها باقية فيه بجسمها الا ان أجزاءها دقت وخفيت عن ان تحس وكذلك الحبر يرمى في اللبن فلا يظهر له فيه أثر وكذلك الفضة اليسيرة تذاب فى الذهب فلا يظهر لها فيه أثر وهكذا كل شئ قالوا لو ان ذلك المقدار من الماء يحيل ماء النقطة من الخمر تقع فيه لكان أكثر من ذلك المقدار أقوى على الاحالة بلا شك ونحن نجد كلما زدنا نقط الخمر وقلتم انتم قد استحالت ماء ونحن نزيد فلا يلبث ان تظهر الخمر وهكذا في كل شيء قالوا فظهرت صحة قولنا ولزمكم ان كلما كثر الماء ضعفت احالته وهكذا فى كل شئ ﴿قال أبو محمد﴾ فقلنا لهم ان الامور انما هي على ما رتبها الله عز وجل وعلى ما توجد

عليه لا على قضايا كم المخالفة للحس ولا ينكر ان يكون مقدار ما يفعل فعلا ما فاذا كثر لم يفعل ذلك الفعل كالمقدار من الدواء ينفع فاذا زيد فيه أونقص منه لم ينفع ونحن نقر معكم بما ذكرتم ولا ننكره فنقول ان مقدارا ما من الماء يحيل مقدارا ما مما يلقي فيه من الخل أو الخمر أو العسل ولا يحيل أكثر منه مما يلقي فيه ونحن نجد الهواء يحيل الماء هواء حتى اذا كثر الهواء المستحيل من الماء لم يستحل من الماء بل أحال الهواء ماء وهكذا كما ذكرتم وانما العمدة هاهنا على ماشهدت به أوائل العقول والحواس من ان الاشياء انما تختلف باختلاف طبائعها وصفاتها التي منها تقوم حدودها وبها تختلف في اللغات أسماؤها فللماء صفات وطبائع اذا وجدت فى جرم ما سمى ماء فاذا عدمت منه لم يسم ماء ولم يكن ماء وهكذا كل مافي العالم ولا نحاشي شيئاً أصلا ومن المحال أن تكون حدود الماء وصفاته وطبعه فى العسل أوفي الخمر وهكذا كل شئ في العالم فاكثره يستحيل بعضه الي بعض فاى شئ وجدت فيه حدود شئ ما سمي باسم مافيه تلك الحدود اذا استوفاها كلها فان لم يستوف الا بعضها وفارق أيضاً شيئاً من صفاته الذاتية فهو حينئذ شئ غير الذي كان وغير الذي مازج كالعسل الملقي في الابارج ونقطة مداد فى لبن وما أشبه ذلك وهذه رتبة العالم في مقتضي العقول وفيما تشاهد الحواس والذوق والشم واللمس ومن دفع هذا خرج عن المعقول ويلزم الحنيفيين من هذا اجتناب ماء البحر لان فيه على عقولهم عذرة وبول لا ورطوبات ميتة وكذلك مياه جميع الانهار أولها عن آخرها ثم وماء المطر أيضاً ونجد الدجاج يتغذى بالميتة والدم والعذرة والكبش يسقي خمراً ان ذلك كله قد استحال عن صفات كل ذلك وطبعه الى لحم الدجاج والكبش فحل عندنا وعندهم ولو كثر تغذيها به حتي تضعف طبيعتها عن احالته فوجد في خواصها وفيها صفة العذرة والميتة حرم أكله وهذا هو الذي أنكروه نفسه وهو مقرون معنا في ان الثمار والبقول تتغذي بالعذرة وتستحيل فيها مدة انها قد حلت وهذا هو الذي أنكروه نفسه وبالله تعالى التوفيق

الكلام في الطفرة

﴿قال أبو محمد﴾ نسب قوم من المتكلمين الى ابراهيم النظام انه قال ان المار على سطح الجسم يسير من مكان الى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ولا مر عليها ولا حاذاها ولا حل فيها

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا عين المحال والتخليط الا ان كان هذا على قوله في انه ليس في العالم الا

جسم حاشا الحركة فقط فانه وان كان قد أخطأ في هذه القصة فكلامه الذى ذكرنا خارج عليه خروجاً صحيحا لان هذا الذي ذكرنا ليس موجودا البتة الا فى حاسة البصر فقط وكذلك اذا أطبقت بصرك ثم فتحته لاقى نظرك خضرة السماء والكواكب التى فى الافلاك البعيدة بلا زمان كما يقع على أقرب مايلاصقه من الالوان لاتفاضل بين الادراكين في المدة أصلا فصح ضرورة ان خلا البصر لوقطع المسافة التي بين الناظر وبين الكواكب ومر عليها لكان ضرورة بلوغه اليها في مدة أطول من مدة مروره على المسافة التي ليس بينه وبين من يراه فيها الايسيرا وأقل فصح يقينا ان البصر يخرج من الناظر ويقع على كل مرئي قرب أو بعد دون ان يمر في شئ من المسافة التى بينهما ولايحلها ولا يحاذيها ولا يقطعها وأما فى سائر الاجسام فهذا محال الا ترى انك تنظر الى الهدم والى ضرب القصار بالثوب فى الحجر من بعد فتراه ثم يقيم سويعة وحينئذ تسمع صوت ذلك الهدم وذلك الضرب فصح يقينا ان الصوت يقطع الاماكن وينتقل فيها وان البصر لايقطعها ولا ينتقل فيها فاذا صح البرهان بشئ ما لم يعترض عليها الا عديم عقل أوعديم حياء أوعديم علم أوعديم دين وبالله تعالى التوفيق

الكلام في الانسان

﴿ قال أبو محمد ﴾ اختلف الناس في هذا الاسم على مايقع فذهبت طائفة الى انه انما يقع على الجسد دون النفس وهو قول أبي الهذيل العلاف وذهبت طائفة الى انه انما يقع على النفس دون الجسد وهو قول ابراهيم النظام وذهبت طائفة الى انه انما يقع عليهما معاً كالبلق الذي لايقع الا على السواد والبياض معاً

﴿ قال أبو محمد ﴾ واحتجت الطائفة التى ذكرنا بقول الله عزوجل «خلق الانسان من صلصال كالفخار» وبقول الله تعالي «فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب» وبقوله تعالى «أيحسب الانسان ان يترك سدا ألم يك نطفة من مني يمني ثم كان علقة فخلق فسوى» وبآيات أخر غير هذه وهذه بلا شك صفة للجسد لا صفة للنفس لان الروح انما تنفخ بعد تمام خلق الانسان الذي هو الجسد واحتجت الطائفة الاخري بقوله تعالى «ان الانسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعا» وهذا بلا خلاف صفة النفس لاصفة الجسد لان الجسد موات والفعالة هي النفس وهي المميزة الحية حاملة لهذه

الاخلاق وغيرها

﴿قال أبو محمد﴾ وكلا هذين الاحتجاجين حق وليس أحدهما أولى بالقول من الآخر ولا يجوز ان يعارض أحدهما بالآخر لان كليهما من عند الله عز وجل وما كان من عند الله فليس بمختلف قال تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ فاذ كل هذه الآيات حق فقد ثبت ان للانسان اسم يقع على النفس دون الجسد ويقع أيضاً على الجسد دون النفس ويقع ايضاً على كليهما مجتمعين فنقول في الحي هذا انسان وهو مشتمل على جسد وروح ونقول للميت هذا انسان وهو جسد لانفس فيه ونقول ان الانسان يعذب قبل يوم القيامة وينعم يعني النفس دون الجسد واما من قال انه لايقع الا على النفس والجسد معاً فخطأ يبطله الذى ذكرنا من النصوص التي فيها وقوع اسم الانسان على الجسد دون النفس وعلى النفس دون الجسد وبالله تعالى التوفيق

﴿الكلام في الجواهر والاعراض وما الجسم وما النفس﴾

﴿قال أبو محمد﴾ اختلف الناس في هذا الباب فذهب هشام بن الحكم الى انه ليس في العالم الا جسم وان الالوان والحركات أجسام واحتج أيضاً بان الجسم اذا كان طويلا عريضاً عميقاً فمن حيث وجدته وجدت اللون فيه فوجب الطول والعرض والعمق للون أيضاً فاذا وجب ذلك للون فاللون أيضاً طويل عريض عميق وكل طويل عريض عميق جسم فاللون جسم وذهب ابراهيم بن سيار النظام الى مثل هذا سواء سواء الا الحركات فانه قال هي خاصة اعراض وذهب ضرار بن عمرو الى أن الاجسام مركبة من الاعراض وذهب سائر الناس الى ان الاجسام هي كل ما كان طويلا عريضاً عميقاً شاغلا لمكان وان كل ماعداه من لون أو حركة أو مذاق أو طيب أو محبة فعرض * وذهب بعض الملحدين الى نفي الاعراض ووافقهم على ذلك بعض أهل القبلة

﴿قال أبو محمد﴾ أما الجسم فمتفق على وجوده وأما الاعراض فاثباتها بين واضح بعون الله تعالى وهو انا لم نجد في العالم الا قائماً بنفسه حاملا لغيره أو قائماً بغيره لا بنفسه محمولا فى غيره ووجدنا القائم بنفسه شاغلا لمكان يملأه ووجدنا الذي لايقوم بنفسه لكنه محمول فى غيره لايشغل مكانا بل يكون الكثير منها في مكان حاملها القائم بنفسه هذه قسمة لايمكن وجود

شيء في العالم بخلافها ولا وجود قسم زائد على ماذكرنا فاذ ذلك كذلك فبالضرورة علمنا ان القائم بنفسه الشاغل لمكانه هو نوع آخر غير القائم بغيره الذى لايشغل مكانا فوجب أن يكون لكل واحد من هذين الجنسين اسم يعبر عنه ليقع التفاهم بيننا فاتفقنا على ان سمينا القائم بنفسه الشاغل لمكانه جسما واتفقنا على ان سمينا مالا يقوم بنفسه عرضاً وهذا بيان برهاني مشاهد * ووجدنا الجسم تتعاقب عليه الالوان والجسم قائم بنفسه فبينا نراه أبيض صار أخضر ثم أحمر ثم أصفر كالذي نشاهده في الثمار والاصباغ فبالضرورة نعلم ان الذي عدم وفني من البياض والخضرة وسائر الالوان هو غير الذي بقي موجوداً لم يفن وانهما جميعاً غير الشيء الحامل لهما لانه لو كان شيء من ذلك هو الآخر لعدم بعدمه فدل بقاؤه بعده على انه غيره ولا بد اذ من المحال الممتنع ان يكون الشيء معدوما موجوداً في حالة واحدة في مكان واحد في زمان واحد وأيضاً فان الاعراض هي الافعال من الاكل والشرب والنوم والجماع والمشى والضرب وغير ذلك فمن أنكر الاعراض فقد أثبت الفاعلين وأبطل الافعال وهذا محال لاخفاء به ولافرق بين من أثبت الفاعلين ونفي الافعال وبين من أثبت الافعال ونفى الفاعلين وكل الطائفتين مبطلة لما يشاهد بالحواس ويدرك بالعقل سوفسطائيون حقاً لان من الاعراض مايدرك بالبصر وهو اللون اذ مالا لون له لايدرك بالشم كالنتن والطيب ومنها مايدرك بالذوق كالحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة ومنها مايدرك باللمس كالحر والبرد ومنها مايدرك بالسمع كحسن الصوت وقبحه وجهارته وجفوته ومنها مايدرك بالعقل كالحركة والحمق والعقل والعدل والجور والعلم والجهل فظهر فساد قول مبطلي الاعراض يقيناً والحمد لله رب العالمين فاذ قد صح كل ماذكرنا فانما الاسماء عبارات وتمييز للمسميات ليتوصل بها المخاطبون الى تفاهم مراداتهم من الوقوف على المعاني وفصل بعضها من بعض ليس للاسماء فائدة غير هذه فوجب ضرورة أن يوقع على القائم بنفسه الشاغل لمكانه الحامل لغيره أسماء تكون عبارة عنه وأن يوقع أيضا على القائم بغيره لا بنفسه المحمول الذى لايشغل مكانا اسما آخر يكون أيضا عبارة عنه لينفصل بهذين الاسمين كل واحد من ذينك المسميين عن الآخر وان لم يكن هذا وقع التخليط وعدم البيان واصطلحنا على ان سمينا القائم بنفسه الشاغل للمكان جسما واتفقنا على ان سمينا القائم بغيره لا بنفسه عرضا لانه عرض في الجسم وحدث فيه هذا هو الحق

المشاهد بالحس المعروف بالعقل وماعدا هذافهذيان وتخليط لايعقله قائله فكيف غيره فصح بهذا كله وجود الاعراض وبطلان قول من أنكرها وصح أيضاً بما ذكرنا ان حد اللون والحركة وكل مالا يقوم بنفسه هو غير حد القائم بنفسه فاذ ذلك كذلك فلا جسم الا القائم بنفسه وكل ماعداه فعرض فلاح بهذا صحة قول من قال بذلك وبطل قول هشام والنظام وبالله تعالي التوفيق ٭ وأما احتجاج هشام بوجود الطول والعرض والعمق الذى توهمها في اللون فانما هو طول الجسم الملون وعرضه وعمقه فقط وليس للون طول ولاعرض ولا عمق وكذلك الطعم والمجسة والرائحة وبرهان ذلك انه لو كان للجسم طول وعرض وعمق وكان للون طول غير طول الملون الحامل له وعرض آخر غير عرض الحامل له وعمق آخر غير عمق الملون الحامل له لاحتاج كل واحد منهما الى مكان آخر غير مكان الآخر اذ من أعظم المحال الممتنع أن يكون شيئان طول كل واحد منهما ذراع وعرضه ذراع وعمقه ذراع ثم يسعان جميعا في واحد ليس هو الا ذراع في ذراع فقط ويلزمه مثل هذا في الطعم والرائحة والمجسة لان كل هذه الصفات توجد من كل جهة من جهات الجسم الذي هي فيه كما يوجد اللون ولا فرق وقد يذهب الطعم حتي يكون الشيء لاطعم له وتذهب الرائحة حتى يصير الشيء لا رائحة له ومساحته باقية بحسبها فصح يقينا ان المساحة للملون والذى له الرائحة والطعم والمجسة لا للون ولا للطعم مكان ولا للرائحة ولا للمجسة وقد نجد جسما طويلا عريضا عميقا لالون له وهو الهواء ساكنة ومتحركه وبالضرورة ندري انه لو كان له لون لم يزد ذلك في مساحته شيئاً

﴿قال أبو محمد﴾ فان بلغ الجهل بصاحبه الى ان يقول ليس الهواء جسما سألناه عما في داخل الزق المنفوخ ماهو وعما يلقي الذى يجرى فرساً جواداً بوجهه وجسمه فانه لاشك في انه جسم قوى متكثر محسوس وبرهان آخر ٭ وهو ان كل أحد يدرى ان الطول والعرض والعمق لو كان لكل واحد منهما طول وعرض وعمق لاحتاج كل واحد منهما أيضاً الى طول آخر وعرض آخر وعمق آخر وهكذا مسلسلا الى مالا نهاية له وهذا باطل فبطل قول ابراهيم وهشام وبالله تعالى التوفيق وأما قول ضرار ان الاجسام مركبة من الاعراض فقول فاسد جداً لان الاعراض قد صح كما ذكرنا انها لاطول لها ولا عرض ولا عمق ولا تقوم بنفسها وصح ان الاجسام ذات أطوال وعروض واعماق وقائمة بأنفسها ومن

المحال ان يجتمع مالا طول له ولاعرض ولا عمق مع مثله فيتقوم منها ماله طول وعرض وعمق وانما غلط فيها من توهم ان الاجسام مركبة من السطوح وان السطوح مركبة من الخطوط والخطوط مركبة من النقط

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا خطأ على كل حال لان السطوح المطلقة فانما هي تناهي الجسم وانقطاعه في تماديه من أوسع جهاته وعدم امتداده فقط وأما الخطوط المطلقة فانما هي تناهي جهة السطح وانقطاع تماديها وأما النقط فهى تناهي جهات الجسم من أحد نهاياته كطرف السكين ونحوه فكل هذه الابعاد انما هي عدم التمادى ومن المحال ان يجتمع عدم فيقوم منه موجود وانما السطوح المجسمة والخطوط المجسمة والنقط المجسمة فانما هي ابعاض الجسم وأجزاؤه ولا تكون الاجزاء أجزاء الا بعد القسمة فقط على مانذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى

﴿قال أبو محمد﴾ وذهب قوم من المتكلمين الى اثبات شئ سموه جوهراً ليس جسما ولا عرضاً وقد ينسب هذا القول الى بعض الاوائل وحد هذا الجوهر عند من أثبته انه واحد بالذات قابل للمتضادات قائم بنفسه لايتحرك ولا له مكان ولا له طول ولا عرض ولا عمق ولا يتجزى وحده بعض من ينتمى الى الكلام بانه واحد بذاته لاطول له ولا عرض ولا يتجزى وقالوا انه لايتحرك وله مكان وانه قائم بنفسه يحمل من كل عرض عرضا واحداً فقط كاللون والطعم والرائحة والمجسة

﴿قال أبو محمد﴾ وكلا هذين القولين والقول الذى اجتمعا عليه في غاية الفساد والبطلان أول من قال ذلك انها كلها دعاوي مجردة لايقوم على صحة شئ منها دليل أصلا لا برهاني ولا اقناعى بل البرهان العقلي والحسي يشهدان ببطلان كل ذلك وليس يعجز احد ان يدعى ماشاء وما كان هكذا فهو باطل محض وبالله تعالى نتأيد وأما نحن فنقول انه ليس فى الوجود الا الخالق وخلقه وانه ليس الخلق الا جوهرا حاملا لاعراضه واعراضا محمولة في الجوهر لاسبيل الى تعدى أحدهما عن الآخر فكل جوهر جسم وكل جسم جوهر وهما اسمان معناهما واحد ولا مزيد وبالله تعالي التوفيق ﴿قال أبو محمد﴾ ونجمع ان شاء الله تعالى كل شيء أوقعت عليه هتان الطائفتان اسم جوهر لا جسم ولا عرض ونبين ان شاء الله

تعالى فساد كل ذلك بالبراهين الضرورية كما فعلنا في سائر كلامنا وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ حققنا ما أوقع عليه بعض الاوائل ومن قلدهم اسم جوهر وقالوا انه ليس جسما ولا عرضا فوجدناهم يذكرون الباري تعالي والنفس والهيولي والعقل والصورة وعبر بعضهم عن الهيولي بالطينة وبعضهم بالخميرة والمعني في كل ذلك واحد الا ان بعضهم قال المراد بذلك الجسم متعريا من جميع اعراضه وابعاده وبعضهم قال المراد بذلك الشيء الذى منه كون هذا العالم ومنه تكون على حسب اختلافهم في الخالق أو في انكاره وزاد بعضهم في الجوهر الخلا والمدة اللذين لم يزالا عندهم يعنى بالخلا المكان المطلق لا المكان المعهود ويعني بالمدة الزمان المطلق لا الزمان المعهود

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذه أقوال ليس شيء منها لمن ينتمي الى الاسلام وانماهى للمجوس والصابئين والدهرية والنصارى في تسميتهم الباري تعالي جوهراً فانهم سموه في امانتهم التي لا يصح عندهم دين لملكي ولا لنسطوري ولا ليعقوبي ولا لهاروني الا باعتقادها والا فهو كافر بالنصرانية قطعاً حاشا تسميته الباري تعالي جوهراً فانه للمجسمة أيضاً وحاشا القول بان النفس جوهر لا جسم فانه قد قال به العطار أحد رؤساء المعتزلة وأما المنتمون الي الاسلام فان الجوهر الذي ليس جسما ولا عرضاً ليس هو عندهم شيئاً الا الاجزاء الصغار التي لا تتجزؤ اليها تنحل الاجسام بزعمهم وقد ذكر هذا عن بعض الاوائل أيضاً فهذه ثمانية أشياء كما ذكرنا لا نعلم أحداً سمي جوهراً ليس جسماً ولا عرضاً وغيرها الا ان قوما جهالا يظنون في القوي الذاتية انها جواهر وهذا جهل منهم لانها بلا خلاف محمولة فيما هي غير قائمة بنفسها وهذه صفة العرض لا صفة الجوهر بلا خلاف

﴿ قال أبو محمد ﴾ فاما الخلا والمدة فقد تقدم افسادنا لهذا القول في صدر ديواننا بالبراهين الضرورية وفي كتابنا الموسوم بالتحقيق في نقض كتاب العلم الالهي لمحمد بن زكريا الطيب وحللنا كل دعوى أوردها هو وغيره فى هذا المعني بابين شرح والحمد لله رب العالمين كثيراً وأثبتنا في صدر كتابنا هذا وهنالك انه ليس في العالم خلا البتة وانه كله كرة مصمتة لا تخلل فيها وانه وليس وراءها خلاء لا ملاء ولا شيء البتة وان المدة ليست للامد أحدث الله الفلك بما فيه من الاجسام الساكنة والمتحركة وأعراضها وبينا في كتاب التقريب لحدود الكلام ان الآلة المسماة الزرافة وسارقة الماء والآلة التي تدخل في احليل من به أسر

البول براهين ضرورية بتحقيق ان لا خلاء في العالم أصلا وان الخلاء عند القائلين به انما هو مكان لا تمكن فيه وهذا محال بما ذكرنا لانه لو خرج الماء من الثقب الذي فى أسفل سارقة الماء وقد شد أعلاها لبقي مكانه خالياً بلا متمكن فيه فاذا لم يمكن ذلك أصلا ولا كان فيه بنية العالم وجوده وقف الماء باقيا لا ينهرق حتي اذا فتح أعلاها ووجد الهواء مدخلا خرج الماء وانهرق لوقته وخلفه الهواء وكذلك الزرافة والآلة المتخذة لمن به أسر البول فانه اذا حصلت تلك في داخل الاحليل وأول المثانة ثم جبذ الزر المغلق ليقها الى خارج اتبعه البول ضرورة وخرج اذ لم يخرج لبقي ثقب الآلة خاليا لا شيء فيه وهذا باطل ممتنع وقد بينا فى صدر كتابنا كما اعترض به الملحدون المخالفون لنا في هذا المكان فاغني عن اعادته فان قال قائل فالماء الذى اخترعه الله عز وجل معجزة من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمر الذى اخترع له والثريد الذى اخترع له من أين اخترعه وهى أجسام محدثة والعالم عندكم ملأ لا خلا فيه ولا تخلخل ولا يكون الجسمان في مكان واحد قلنا وبالله تعالى التوفيق لا يخلو هذا من احد وجهين لا ثالث لهما اما أن يكون الله عز وجل اعدم من الهواء مقدار ما اخترع فيه من التمر والماء والثريد واما ان يكون الله عز وجل أحال أجزاء من الهوى ماء وتمرا وثريدا فالله أعلم أي ذينك كان والله على كل شيء قدير فسقط قولهم في الخلا والمدة والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأما الصورة فكيفية بلا شك وهي تخليط الجواهر وتشكلها الا انها قسمان أحدهما ملازم كالصورة الكلية لا تفارق الجواهر البتة ولا توجد دونها ولا تتوهم الجواهر عارية عنها والآخر تتعاقب انواعه وأشخاصه على الجواهر كانتقال الشيء عن تثليث الى تربيع ونحو ذلك فصح انها عرض بلا شك وبالله تعالي التوفيق وأما العقل فلا خلاف بين أحد له عقل سليم في انه عرض محمول في النفس وكيفية برهان ذلك انه يقبل الاشد والاضعف فنقول عقل أقوي من عقل وأضعف من عقل وله ضد وهو الحمق ولا خلاف في الجواهر انها لا ضد لها وانما التضاد في بعض الكيفيات فقط وقد اعترض في هذا بعض من يدعي له علم الفلسفة فقال ليس فى العقل ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه فقلت للذى ذكرلى هذا البحث ان هذه سفسطة وجهل لو جاز له هذا التخليط لجاز لغيره ان

يقول ليس للعلم ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه ولا لشيء من الكيفيات ضد ولكن لوجودها ضد وهو عدمها فيبطل التضاد من جميع الكيفيات وهذا كلام يعلم فساده بضرورة العقل ولا فرق بين وجود الضد للعقل وبين وجوده للعلم ولسائر الكيفيات وهي باب واحد كله وانما هي صفات متعاقبة كلها موجودة فالعقل موجود ثم يعقبه الحمق وهو موجود كما أن العلم موجود ويعقبه الجهل وكما ان النجدة موجودة ويعقبها الجبن وهو موجود وهذا أمر لا يخفى على من له أقل تميز وكذلك الجواهر لا تقبل الاشد والا ضعف في ذواتها وهذا أيضا قول كل من له أدني فهم من الاوايل والعقل عند جميعهم هو تمييز الفضائل من الرذائل واستعمال الفضائل واجتناب الرذائل والتزام مايحسن به المغبة في دار البقاء وعالم الجزاء وحسن السياسة فيما يلزم المرء في دار الدنيا وبهذا أيضا جاءت الرسل عليهم السلام قال الله عز وجل * أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها * وقال تعالي * كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون * وقال تعالى * أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا * وقال تعالى * ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون * وقال تعالى * واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بانهم قوم لا يعلمون * وقال تعالى * ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون * فصح ان العقل هو الايمان وجميع الطاعات وقال تعالى عن الكفار * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * ومثل هذا في القرآن كثير فصح ان العقل فعل النفس وهو عرض محمول فيها وقوة من قواها فهو عرض كيفية بلا شك وانما غلط من غلط في هذا لانه رأى لبعض الجهال المخلطين من الاوائل ان العقل جوهر وان له فلكا فعول على ذلك من لا علم له وهذا خطأ كما أوردنا وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان لفظة العقل غريبة أتى بها المترجمون عبارة عن لفظة أخرى يعبر بها في اليونانية أو في غيرها من اللغات عما يعبر بلفظة العقل عنه في اللغة العربية هذا مالا خفاء به عند احد ولفظة العقل في لغة العرب انما هي موضوعة لتمييز الاشياء واستعمال الفضائل فصح ضرورة انها معبرة بها عن عرض وكان مدعى خلاف ذلك رديء العقل عديم الحياء مباهتا بلا شك ولقد قال بعض النوكي الجهال لو كان العقل عرضاً لكانت الاجسام أشرف منه فقلت للذي أتاني بهذا وهل للجوهر شرف الابا عراضه وهل شرف

جوهر

جوهر قط على جوهر الا بصفاته لا بذاته هل يخفى هذا على أحد ثم قلنا ويلزمهم هذا نفسه على قولهم السخيف في العلم والفضائل أن لا يخالفونا في انها اعراض فعلي مقدمتهم السخيفة يجب أن تكون الاجسام كلها أشرف منها وهذا كما ترى وأما الهيولي فهو الجسم نفسه الحامل لأعراضه كلها وانما أفردته الأوائل بهذا الاسم اذ تكلموا عليه مفرداً في الكلام عليه عن سائر أعراضه كلها من الصورة وغيرها مفصولا في الكلام عليه خاصة عن اعراضه وان كان لا سبيل الى أن يوجد خالياً عن أعراضه ولا متعرياً منها أصلا ولا يتوهم وجوده كذلك ولا يتشكل في النفس ولا يتمثل ذلك أصلا بل هو محال ممتنع جملة كما ان الانسان الكلى وجميع الاجناس والانواع ليس شيء منها غير أشخاصه فقط فهى الاجسام بأعيانها ان كان النوع نوع أجسام وهي أشخاص الاعراض ان كان النوع نوع أعراض ولا مزيد لان قولنا الانسان الكلى يزيد النوع انما معناه أشخاص الناس فقط لا أشياء أخر وقولنا الحمرة الكلية انما معناه أشخاص الحمرة حيث وجدت فقط فبطل بهذا تقدير من ظن من أهل الجهل ان الجنس والنوع والفصل جواهر لا أجسام وبالله تعالى التوفيق لكن الاوائل سمتها وسمت الصفات الاوليات الذاتيات جوهريات لا جواهر وهذا صحيح لانها منسوبة الى الجواهر لملازمتها لها وانها لا تفارقها البتة ولا يتوهم مفارقتها لها وبالله تعالى التوفيق فبطل قولهم في الخلا والمدة والصورة والعقل والهيولي والحمد لله رب العالمين واما الباري تعالى فقد اخطأ من سماه جوهراً من المجسمة ومن النصارى لان لفظة الجوهر لفظة عربية ومن أثبت الله عز وجل فقرض عليه اذ اقر انه خالقه والاهه ومالك امره الا يقدم عليه في شيء الا بعهد منه تعالي والا يخبر عنه الا بعلم متيقن ولا علم ههنا الا ما اخبر به عز وجل فقط فصح يقيناً ان تسمية الله عز وجل جوهراً والاخبار عنه بأنه جوهر حكم عليه تعالى بغير عهد منه واخبار عنه تعالى بالكذب الذى لم يخبر قط تعالى به عن نفسه ولا سمي به نفسه وهذا اقدام لم يأتنا قط به برهان باباحته وايضاً فان الجوهر حامل لاعراض ولو كان البارى تعالى حاملا لعرض لكان مركباً من ذاته واعراضه وهذا باطل واما النصارى فليس لهم ان يتسوروا على اللغة العربية فيصرفوها عن موضعها فبطل ان يكون تعالى جوهراً ابراءته عن حد الجوهر وبطل ان يسمي جوهراً لأنه تعالى لم يسم نفسه به وبالله تعالى التوفيق فبطل

قول من سمي الله تعالى جوهراً واخبر عنه انه تعالى جوهر ولله تعالى الحمد فلم يبق الا النفس والجزء الذى لايتجزأ ونحن ان شاء الله تعالى نتكلم فيهما كلاماً مبيناً ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ قال أبو محمد ﴾ اختلف الناس في النفس فذكر عن أبي بكر عبد الرحمن ابن كيسان الاصم انكار النفس جملة وقال لا اعرف الا ما شاهدته بحواسي وقال جالينوس وابو الهذيل محمد ابن الهذيل العلاف النفس عرض من الاعراض ثم اختلفا فقال جالينوس هي مزاج مجتمع متولد من تركيب اخلاط الجسد وقال ابو الهذيل هي عرض كسائر اعراض الجسم وقالت طائفة النفس هي النسيم الداخل الخارج بالتنفس فهى النفس قالوا والروح عرض وهو الحياة فهو غير النفس وهذا قول الباقلانى ومن اتبعه من الاشعرية وقالت طائفة النفس جوهر ليست جسما ولا عرضاً ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا هي فى مكان ولا تتجزأ وانها هي الفعالة المدبرة وهي الانسان وهو قول بعض الاوائل وبه يقول معمر بن عمر والعطار احد شيوخ المعتزلة وذهب سائر اهل الاسلام والملل المقرة بالميعاد الي ان النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة مميزة مصرفة للجسد

﴿ قال ابو محمد ﴾ وبهذا نقول والنفس والروح اسمان مترادفان لمسمي واحد ومعناهما واحد.

﴿ قال ابو محمد ﴾ اما قول ابي بكر ابن كيسان فانه يبطله النص وبرهان العقل اما النص فبقول الله تعالي «ولو ترى اذا الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم الآية» فصح ان النفس موجودة وانها غير الجسد وانها الخارجة عند الموت

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما البرهان العقلي فانا نرى المرء اذا اراد تصفية عقله وتصحيح رأيه اوفك مسألة عويصة عكس ذهنه وافرد نفسه عن حواسها الجسدية وترك استعمال الجسد جملة وتبرأ منه حتى انه لايرى من بحضرته ولايسمع مايقال امامه فحينئذ يكون رأيه وفكره اصفى ما كان فصح ان الفكر والذكر ليسا للجسد المتخلى منه عند ارادتهما وايضاً فالذى يراه النائم مما يخرج حقاً على وجهه وليس ذلك الا اذا تخلت النفس عن الجسد فبقي الجسد كجسد الميت ونجده حينئذ يرى فى الرؤيا ويسمع ويتكلم ويذكر وقد بطل عمل بصره الجسدى وعمل أذنيه الجسدى وعمل ذوقه الجسدى وكلام لسانه الجسدى فصح يقيناً ان العقل المبصر

السامع

السامع المتكلم الحساس الذائق هو شئ غير الجسد فصح أنه المسمي نفساً اذ لاشيء غير ذلك وكذلك ماتتخيله نفس الاعمى والغائب عن الشيء مما قد رآه قبل ذلك فيتمثله ويراه في نفسه كما هو فصح يقيناً ان ههنا متمثلا مدركا غير الجسد اذ لا أثر للجسد ولا للحواس في شئ مما ذكرنا البتة ومنها انك ترى المريد يريد بعض الأمور بنشاط فاذا اعترضه عارض ما كسل والجسم بحسبه كما كان لم يتغير منه شيء فعلمنا ان ههنا مريداً الاشياء غير الجسد ومنها أخلاق النفس من الحلم والصبر والحسد والعقل والطيش والخرق والنزق والعلم والبلادة وكل هذا ليس لشيء من أعضاء الجسد فاذ لاشك فى ذلك فانما هو كله للنفس المدبرة للجسد ومنها مايرى من بعض المحصرين ممن قد ضعف جسده وفسدت بنيته وتراه حينئذ أحد ما كان ذهناً وأصح ما كان تميزاً وأفضل طبيعة وأبعد عن كل لغو وأنطق بكل حكمة وأصحهم نظراً وجسده حينئذ في غاية الفساد وبطلان القوى فصح أن المدرك للامور المدبر للجسد الفعال المميز الحي هو شيء غير الجسد وهو الذى يسمى نفساً وصح ان الجسد مؤذ للنفس وانها مذ حلت في الجسد كأنها وقعت في طين مخمر فانساها شغلها بها كلما سلف لها وأيضاً فلو كان الفعل للجسد لكان فعله متماديا وحياته متصلة في حال نومه وموته ونحن نرى الجسد حينئذ صحيحاً سالماً لم ينتقض منه شيء من أعضائه وقد بطلت أفعاله كلها جملة فصح ان الفعل والتمييز انما كان لغير الجسد وهو النفس المفارقة وان الفعال الذاكر قد باينه وتبرأ منه وأيضا فانا نرى أعضاء الجسد تذهب عضواً عضواً بالقطع والفساد والقوى باقية بحسبها والاعضاء قد ذهبت وفسدت ونجد الذهن والتدبير والعقل وقوي النفس باقية أوفر ما كان فصح ضرورة ان الفعال العالم الذاكر المدبر المريد هو غير الجسد كما ذكرنا وان الجسد موات فبطل قول ابن كيسان والحمد لله رب العالمين وأما قول من قال أنها مزاج كما قال جالينوس فان كل ماذكرنا مما أبطلنا به قول أبي بكر بن كيسان فانه يبطل أيضاً قول جالينوس وأيضاً فان العناصر الأربعة التي منها تركب الجسد وهى التراب والماء والهواء والنار فانها كلها موات بطبعها ومن الباطل الممتنع والمحال الذى لايجوز البتة أن يجتمع موات وموات وموات وموات فيقوم منها حي وكذلك محال أن تجتمع بوارد فيقوم منها حار اوحوار فيجتمع منها بارد أوحى وحى وحي فيقوم منها موات فبطل أن تكون النفس مزاجاً وبالله تعالى التوفيق

وأما قول من قال انها عرض فقط وقول من قال انما النفس النسيم الداخل والخارج من الهواء وان الروح هو عرض وهو الحياة فان كلى هذين القولين يبطلان بكل ماذكرنا ابطال قول الأصم بن كيسان وأيضاً فان أهل هذين القولين ينتمون الى الاسلام والقرآن يبطل قولهم نصاً قال الله تعالى* الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضي عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمي* فصح ضرورة أن الانفس غير الاجساد وان الأنفس هي المتوفاة في النوم والموت ثم ترد عند اليقظة وتمسك عند الموت وليس هذا التوفي للاجساد أصلا وبيقين بدرى كل ذي حس سليم ان العرض لايمكن أن يتوفي فيفارق الجسم الحامل له ويبقى كذلك ثم يرد بعضه ويمسك بعضه هذا مالا يكون ولا يجوز لان العرض يبطل بمزايلته الحامل له وكذلك لايمكن أن يظن ذو مسكة من عقل ان الهواء الخارج والداخل هو المتوفي عند النوم وكيف ذلك وهو باق فى حال النوم كما كان في حال اليقظة ولا فرق وكذلك قوله تعالى* والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون* فانه لايمكن أن يعذب العرض ولا الهواء وايضاً فان الله عز وجل يقول* واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى* الآية

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذه آية ترفع الاشكال جملة وتبين ان النفس غير الجسد وانما هي العاقلة المخاطبة المكلفة لانه لايشك ذو حس سليم في ان الاجساد حين أخذ الله عليها هذا العهد كانت مبددة في التراب والماء والهواء والنار ونص الآية يقتضي ماقلنا فكيف وفيها نص ان الاشهاد انما وقع على النفوس وما أدري كيف تنشرح نفس مسلم بخلاف هذه النصوص وكذلك أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأي عند سماء الدنيا ليلة أسرى به عن يمين آدم وعن يساره نسم بنيه فأهل السعادة عن يمينه وأهل الشقاوة عن يساره عليه السلام ومن الباطل ان تكون الاعراض باقية هنالك او ان يكون النسيم هنالك وهو هواء متردد في الهواء

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولو كان ماقاله أبو الهذيل والباقلاني ومن قلدهما حقاً لكان الانسان يبدل فى كل ساعة الف الف روح وازيد من ثلاث مائة الف نفس لان العرض عندهم لايبقي وقتين بل يفني ويتجدد عندهم أبداً فروح كل حى على قولهم في كل وقت غير روحه التي كانت قبل ذلك وهكذا تتبدل أرواح الناس عندهم بالخطاب وكذلك بيقين يشاهد كل أحدان الهواء الداخل

بالتنفس ثم يخرج هو غير الهواء الداخل بالتنفس الثاني فالانسان يبدل على قول الاشعرية انفسا كثيرة في كل وقت ونفسه الآن غير نفسه آنفاً وهذا حمق لاخفاء به فبطل قول الفريقين بنص القرآن والسنة والاجماع والمشاهدة والمعقول والحمد لله رب العالمين هذا مع تعريهما من الدليل جملة وانها دعوي فقط وما كان هكذا فهو باطل وقد صرح الباقلاني عند ذكره لما يعترض في أرواح الشهداء وأرواح آل فرعون فقال هذا يخرج على وجهين بان يوضع عرض الحياة في أقل جزء من أجزاء الجسم وقال بعض من شاهدناه منهم توضع الحياة في عجب الذنب واحتج بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن أدم يأكله التراب الاعجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية منه خلق وفيه يركب

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تمويه من المحتج بهذا الخبر لانه ليس في الحديث لانص ولادليل ولا اشارة يمكن ان يتأول على ان عجب الذنب يحيا وانما في الحديث ان عجب الذنب لا يأكله التراب وانه من خلق الجسد وفيه يركب فقط فظهر تمويه هذا القائل وضعفه والحمد لله رب العالمين قال الباقلاني واما ان يخلق لتلك الحياة جسد آخر فلا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا مذهب أصحاب التناسخ بلا مؤونة واحتج لذلك بالحديث المأثور ان نسمة المؤمن طير يعلف من ثمار الجنة ويأوي الى قناديل تحت العرش وفي بعضها أنها في حواصل طير خضر

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولا حجة لهم في هذا الخبر لان معنى قوله عليه السلام طائر يعلف هو على ظاهره لا على ظن أهل الجهل وانما أخبر عليه السلام ان نسمة المؤمن طائر بمعنى أنها تطير في الجنة فقط لا أنها تنسخ في صور طير فان قيل ان النسمة مؤنثة قلنا قد صح عن عربي فصيح أنه قال أتتك كتابي فاستخففت بها فقيل له أتؤنث الكتاب فقال أوليس صحيفة وكذلك النسمة روح فتذكر لذلك وأما الزيادة التى فيها أنها في حواصل طير خضر فانها صفة تلك القناديل التي تأوى اليها والحديثان معاً حديث واحد وخبر واحد

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولم يحصل من هذين الوجهين الفاسدين الا على دعوى كاذبة بلا دليل يشبه الهزل أو على كفر مجرد فى المصير الى قول أصحاب التناسخ وعلى تحريف الحديث عن وجهه ونعوذ بالله من الخذلان فبطل هذان القولان والحمد لله رب العالمين وأما قول من

قال ان النفس جوهر لاجسم من الاوائل ومعمر وأصحابه فانهم موهوا بأشياء اقناعيات فوجب ايرادها ونقضها ليظهر البرهان على وجه الانصاف للخصم وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ قالوا لو كان النفس جسماً لكان بين تحريك المحرك رجله وبين ارادته تحريكها زمان على قدر حركة الجسم وثقله اذ النفس هي المحركة للجسد والمريدة لحركته قالوا فلو كان المحرك للرجل جسماً لكان لايخلو اما أن يكون حاصلا في هذه الاعضاء واما جائياً اليها فان كان جائياً اليها احتاج الى مدة ولابد وان كان حاصلا فيها فنحن اذا قطعنا تلك العصبة التي بها تكون الحركة لم يبق منها في العضو الذي كان يحرك شيء أصلا فلو كان ذلك المحرك حاصلا فيه لبقي منه شيء في ذلك العضو

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا لا معنى له لان النفس لاتخلو من أحد ثلاثة أوجه لارابع لها اما ان تكون مجللة لجميع الجسد من خارج كالثوب واما أن تكون متخللة بجميعه من داخل كالماء في المدرّة واما أن تكون في مكان واحد من الجسد وهو القلب أو الدماغ وتكون قواها منبثة في جميع الجسد فأي هذه الوجوه كان فتحريكها لما يريد تحريكه من الجسد يكون مع ارادتها لذلك بلازمان كادراك البصر لما يلاقي في البعد بلا زمان واذا قطعت العصبة لم ينقطع ما كان من جسم النفس مخللا لذلك العضو ان كانت متخللة لجميع الجسد من داخل أو مجللة له من خارج بل يفارق العضو الذى يبطل حسه فى الوقت وينفصل عنه بلا زمان وتكون مفارقتها لذلك العضو كمفارقة الهواء للآناء الذى ملئ ماء وأما ان كانت النفس ساكنة في موضع واحد من الجسد فلا يلزم على هذا القسم ان يسلب من العضو المقطوع بل يكون فعلها حينئذ في تحريكها الاعضاء كفعل حجر المغنطيس في الحديد وان لم يلصق به بلا زمان فبطل هذا الالزام الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسماً لوجب أن نعلم ببعضها أو بكلها

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا سؤال فاسد تقسيمه والجواب وبالله تعالى التوفيق انها لاتعلم الا بكلها أو ببعضها لان كل بسيط غير مركب من طبائع شتى فهو طبيعة واحدة وما كان طبيعة واحدة فقوته في جميع أبعاضه وفي بعض أبعاضه سواء كالنار تحرق بكلها وببعضها ثم لاندري ما وجه هذا الاعتراض علينا بهذا السؤال ولا ما وجه استدلالهم منه على انها غير

جسم ولو عكس عليهم في ابطال دعواهم انها جوهر لا جسم لما كان بينهم وبين السائل لهم بذلك فرق أصلا وقالوا ان من شأن الجسم انك اذا زدت عليه جسماً آخر زاد في كميته وثقله قالوا فلو كانت النفس جسماً ثم داخلت الجسم الظاهر لوجب أن يكون الجسد حينئذ أثقل منه دون النفس ونحن نجد الجسد اذا فارقته النفس أثقل منه اذا كانت النفس فيه

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا شغب فاسد ومقدمة باطلة كاذبة لانه ليس كل جسم كما ذكروا من أنه اذ ازيد عليه جسم آخر كان أثقل منه وحده وانما يعرض هذا فى الاجسام التى تطلب المركز والوسط فقط يعني التي فى طبعها ان تحرك سفلا وترسب من المائيات والارضيات وأما التي تحرك بطبعها علوا فلا يعرض ذلك فيها بل الامر بالضد وإذا اضيف جسم منها الى جسم ثقيل خففه فانك ترى انك لو نفخت زقا من جلد ثور أو جلد بعير لو أمكن حتى يمتلئ هو آثم وزنته فانك لاتجد على وزنه زيادة على مقدار وزنه لو كان فارغا أصلا وكذلك ما صعد من الزقاق ولو أنه ورقة سوسنة منفوخة ونحن نجد الجسم العظيم الذي اذا أضفته الي الجسم الثقيل خففه جداً فانك لو رميت الزق غير المنفوخ في الماء الرسب فاذا نفخته ورميت به خف وعام ولم يرسب وكذلك يستعمله العائمون لانه يرفعهم عن الماء ويمنعهم من الرسوب وهكذا النفس مع الجسد وهو باب واحد كلى لان النفس جسم علوي فلكى أخف من الهواء وأطلب للعلو فهى تخفف الجسد اذا كانت فيه فبطل تمويههم والحمد لله رب العالمين وقالوا أيضاً لو كانت النفس جسماً لكانت ذات خاصية اما خفيفة وأما ثقيلة وأما حارة وأما باردة وأما لينة وأما خشنة

﴿ قال أبو محمد ﴾ نعم هى خفيفة في غاية الخفة ذاكرة عاقلة مميزة حية هذه خواصها وحدودها التي بانت بها عن سائر الاجسام المركبات مع سائر اعراضها المحمولة فيها من الفضائل والرذائل وأما الحر واليبس والبرد والرطوبة واللين والخشونة فانما هي من اعراض عناصر الاجرام التى دون الفلك خاصة ولكن هذه الاعراض المذكورة مؤثرة فى النفس اللذة أو الالم فهى منفعلة لكل ما ذكرنا وهذا يثبت انها جسم قالوا إنما من كان الاجسام فكيفياته محسوسة وما لم تكن كيفياته محسوسة فليس بجسم وكيفيات النفس انما هي الفضائل والرذائل وهذان الجنسان من الكيفيات ليسا محسوسين فالنفس ليست جسما

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا شغب فاسد ومقدمة كاذبة لان قولهم ان مالا تحس كيفياته فليس جسما دعوى كاذبة لا برهان عليها اصلا لاعقلي ولا حسي وما كان هكذا فهو قول ساقط مطروح لايعجز عن مثله أحد ولكنا لانقنع بهذادون ان نبطل هذه الدعوى ببرهان حسي ضروري بعون الله تعالى وهو ان الفلك جسم وكيفياته غير محسوسة واما اللون اللازوردي الظاهر فانما يتولدفيما دونه من امتزاج بعض العناصر ووقوع خط البصر عليها وبرهان ذلك تبدل ذلك اللون بحسب العوارض المولدة له فمرة تراه أبيض صافي البياض ومرة ترى فيه حمرة ظاهرة فصح ان قولهم دعوى مجردة كاذبة وبالله تعالى التوفيق وايضاً فان الجسم تتفاضل انواعه في وقوع الحواس عليه فمنه مايدرك لونه وطعمه وريحه ومنه مالايدرك منه الا المجسة فقط كالهواء ومنها النارفي عنصرها لايقع عليها شيءٌ من الحواس اصلا بوجه من الوجوه وهي جسم عظيم المساحة محيط بالهواء كله فوجب من هذا ان الجسم كل مازاد لطافة وصفاء لم تقع عليه الحواس وهذا حكم النفس وما دون النفس فاكثره محسوس للنفس لاحس البتة الا للنفس ولا حساس الاهي فهي حساسة لامحسوسة ولم يجب قط لابعقل ولابحس ان يكون كل حساس محسوساً فسقط قولهم جملة والحمد لله رب العالمين وقالوا ان كل جسم فانه لايخلو من ان يقع تحت جميع الحواس أوتحت بعضها والنفس لاتقع تحت كل الحواس ولا تحت بعضها فالنفس ليست جسما

﴿قال ابو محمد﴾ وهذه مقدمة فاسدة كما ذكرنا آنفا لان ماعدم اللون من الاجسام لم يدرك بالبصر كالهواء وكالنار في عنصرها وان ماعدم الرائحة لم يدرك بالشم كالهواء والنار والحصى والزجاج وغير ذلك وماعدم الطعم لم يدرك بالذوق كالهواء والنار والحصا والزجاج وماعدم المجسة لم يدرك باللمس كالهواء الساكن والنفس عادمة اللون والطعم والمجسة والرائحة فلا تدرك بشيءٍ من الحواس بل هي المدركة لكل هذه المدركات وهي الحساسة لكل هذه المحسوسات فهي حساسة لامحسوسة وانما تعرف بآثارها وبراهين عقلية وسائر الاجسام والاعراض محسوسة لاحساسة ولا بد من حساس لهذه المحسوسات ولا حساس لها غير النفس وهي التي تعلم نفسها وغيرها وهي القابلة لاعراضها التي تتعاقب عليها من الفضائل والرذائل المعلومة بالعقل كقبول سائر الاجرام لما يتعاقب عليها من الاعراض بالعقل والنفس هي المتحركة

باختيارها المحركة لسائر الاجسام هي مؤثرة فيها تألم وتلتذ وتفرح وتحزن وتغضب وترضى وتعلم وتجهل وتحب وتكره وتذكر وتنسى وتنتقل وتحل فبطل قول هؤلاء ان كل جسم فلا بد من ان يقع تحت الحواس اوتحت بعضها لانها دعوى لادليل عليها وكل دعوى عريت من دليل فهي باطلة وقالوا كل جسم فانه لا محالة يلزمه الطول والعرض والعمق والسطح والشكل والكم والكيف فان كانت النفس جسما فلا بد ان تكون هذه الكيفيات فيها أو يكون بعضها فيها فاي الوجهين كان فهي اذا محاط بها وهي مدركة بالحواس أو من بعضها ولا نرى الحواس تدركها فليست جسما

﴿قال أبو محمد﴾ هذا كله صحيح وقضايا صادقة حاشا قضية واحدة لبست فيها وهي قولهم وهي مدركة من الحواس اومن بعضها فهذا هو الباطل المقحم بلا دليل وسائر ذلك صحيح وهذه القضية الفاسدة دعوى كاذبة وقد تقدم أيضاً افسادنا لها آنفاً مع تعريها عن دليل يصححها ونعم فالنفس جسم طويل عريض عميق ذات سطح وخط وشكل ومساحة وكيفية يحاط بهاذات مكان وزمان لان هذه خواص الجسم ولابد والعجب من قلة حياء من أقحم مع هذا فهي اذا مدركة بالحواس وهذا عين الباطل لان حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس لا يقع شيءٌ منها لا على الطول ولا على العرض ولا على العمق ولا على السطح ولا على الشكل ولا على المساحة ولا على الكيفية ولا على الخط وانما تقع حاسة البصر على اللون فقط فان كان في شيءٍ مماذكرنا لون وقعت عليه حاسة البصر وعلمت ذلك الملون بتوسط اللون والا فلا وانما تقع حاسة السمع على الصوت فان حدث في شيءٍ مما ذكرنا صوت وقعت عليه حاسة السمع حينئذ وعلمت ذلك المصوت بتوسطه والا فلا وانما تقع حاسة الشم على الرائحة فان كان في شيءٍ مما ذكرنا رائحة وقعت عليها حينئذ حاسة الشم وعلمت حامل الرائحة بتوسط الرائحة والا فلا وان كان لشيءٍ مماذكرنا طعم وقعت عليه حينئذ حاسة الذوق وعلمت المذوق بتوسط الطعم والا فلا وان كان في شيءٍ مما ذكرنا مجسة وقعت عليها حاسة اللمس حينئذ وعلمت الملموس بتوسط المجسة والا فلا وقالوا ان من خاصة الجسم ان يقبل التجزي واذاجزىءَ خرج منه الجزؤ الصغير والكبير ولم يكن الجزء الصغير كالجزء الكبير فلا يخلو حينئذ من أحد أمرين اما ان يكون كل جزؤ منها نفساً فيلزم من ذلك ان

لاتكون النفس نفساً واحدة بل تكون حينئذ أنفساً كثيرة مركبة من أنفس واما ان لا يكون كل جزؤ منها نفساً فيلزم ان لا تكون كلها نفسا

﴿قال أبو محمد﴾ أما قولهم ان خاصة الجسم احتمال التجزى فهو صدق والنفس محتملة للتجزي لانها جسم من الاجسام وأما قولهم ان الجزؤ الصغير ليس كالكبير فان كانوا يريدون في المساحة فنعم وأما في غير ذلك فلا وأما قولهم انها ان تجزأت فاما ان يكون كل جزؤ منها نفساً والزامهم من ذلك انها مركبة من أنفس فان القول الصحيح فى هذا ان النفس محتملة للتجزي بالقوة وان كان التجزى بانقسامها غير موجود بالفعل وهكذا القول في الفلك والكواكب كل ذلك محتمل للتجزي بالقوة وليس التجزي موجوداً في شئ منها بالفعل وأما قولهم انها مركبة من أنفس فشغب فاسد لاننا قد قدمنا في غير موضع ان المعاني المختلفة والمسميات المتغايرة يجب ان يوقع على كل واحد منها اسم يبين به عن غيره والا فقد وقع الاشكال وبطل التفاهم وصرنا الى قول السوفسطائية المبطلة لجميع الحقائق ووجدنا العالم ينقسم قسمين أحدهما مؤلف من طبائع مختلفة فاصطلحنا على ان سمينا هذا القسم مركباً والثاني مؤلف من طبيعة واحدة فاصطلحنا على ان سمينا هذا القسم بسيطا ليقع التفاهم في الفرق بين هذين القسمين ووجدنا القسم الاول لا يقع على كل جزؤ من أجزائه اسم كله كالانسان الجزئي فانه متألف من أعضاء لا يسمى شئ منها انسانا كالعين والانف واليد وسائر أعضائه التي لا يسمي عضو منها على انفراده انسانا فاذا تألفت سمي المتألف منها انساناً ووجدنا القسم الثاني يقع على كل جزؤ من أجزائه اسم كله كالارض والماء والهواء وكالنار وكالفلك فكل جزء من النار نار وكل جزء من الماء ماء وكل جزء من الهواء هواء وكل جزء من الفلك فهو فلك وكل جزء من النفس نفس وليس ذلك موجباً ان تكون الأرض مؤلفة من أرضين ولا ان يكون الهواء مؤلفاً من أهوية ولا أن يكون الفلك مؤلفاً من أفلاك ولا ان تكون النفس مؤلفة من أنفس وحتي لو قيل ذلك بمعنى ان كل بعض منها يسمى نفساً وكل بعض من الفلك يسمى فلكا فما كان يكون في ذلك مايعترض به على أنها جسم كسائر الاجسام التي ذكرنا وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضاً طبع ذات الجسم أن يكون غير متحرك والنفس متحركة فان كانت هذه الحركة التي فيها من قبل البارى تعالى فقد وجدنا

لها حركات فاسدة فكيف يضاف ذلك الى البارى تعالى

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا الكلام فى غاية الفساد والهجنة ولقد كان ينبغى لمن ينتسب الى العلم ان كان يدرى مقدار سقوط هذه الاعتراضات وسخفها ان يصون نفسه عن الاعتراض بها لرذالتها وان كان لا يدرى رذالتها فكان ألاولى به ان يتعلم قبل ان يتكلم فاما قوله ان طبع ذات الجسم ان تكون غير متحركة فقول ظاهر الكذب والمجاهرة لان للافلاك والكواكب أجساما وطبعها الحركة الدائمة المتصلة ابداً الى أن يحيلها خالقها عن ذلك يوم القيامة وان للعناصر دون الفلك اجساما وطبعها الحركة الى مقرها والسكون فى مقرها واما النفس فلانهاحية كان طبعها السكون الاختيارى والحركة الاختيارية حيناً وحيناً هذا كله لا يجهله احد به ذوق وأما قولهم ان لها حركات ردية فكيف تضاف الى البارى تعالى فانما كان بعض حركات النفس رديا بمخالفة النفس أمر باريها في تلك الحركات وانما أضيفت الى البارى تعالى لانه خلقها فقط على قولنا اولانه تعالي خلق تلك القوى التي بها كانت تلك الحركات فسقط الزامهم الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا أيضاً ان الاجسام في طبعها الاستحالة والتغير واحتمال الانقسام أبداً بلا غاية ليس شئ منها الا هكذا أبداً فهي محتاجة الى من يربطها ويشدها ويحفظها ويكون به تماسكها قالوا والفاعل لذلك النفس فلو كانت النفس جسما لكانت محتاجة الى من يربطها ويحيها فيلزم من ذلك أن تحتاج الى نفس أخرى والاخري الى أخرى والاخري كذلك الى مالا نهاية له ومالا نهاية له باطل

﴿قال أبو محمد﴾ هذا أفسد من كل قول سبق من تشغيباتهم لان مقدمته مغشوشة فاسدة كاذبة اما قولهم ان الاجسام في طبعها الاستحالة والتغير على الاطلاق كذب لان الفلك جسم لا يقبل الاستحالة وانما تجب الاستحالة والتغير في الاجسام المركبة من طبائع شتي بخلعها كيفياتها ولباسها كيفيات أخرى وبانحلالها الى عناصرها هكذا مدة ما أيضاً ثم تبقي غير منحلة ولا مستحيلة واما النفس فانها تقبل الاستحالة والتغير في اعراضها فيتغير ويستحيل من علم الى جهل ومن جهل الى علم ومن حرص الى قناعة ومن بخل الى جود ومن رحمة الى قسوة ومن لذة الى ألم هذا كله موجود محسوس واما ان تستحيل في ذاتها فتصير ليست نفساً فلا وهذا الكوكب هو جسم ولا يصير غير كوكب والفلك لا يصير غير فلك واما قوله ان الاجسام

محتاجة الى مايشدها ويربطها ويمسكها فصحيح واما قوله ان النفس هي الفاعلة لذلك فكذب ودعوى بلا دليل عليها اقناعى ولا برهاني بل هو تمويه مدلس ليجوز باطله على أهل الغفلة وهكذا قول الدهرية وليس كذلك بل النفس من جملة الاجسام المحتاجة الى مايمسكها ويشدها ويقيمها وحاجتها الى ذلك كحاجة سائر الاجسام التي في العالم ولا فرق والفاعل لكل ذلك في النفس وفي سائر الاجسام والممسك لها والحافظ لجميعها والمحيل لما استحال منها فهو المبدى للنفس ولكل مافي العالم من جسم أو عرض والمتمم لكل ذلك هو الله الخالق الباري المصور عز وجل فبعض أمسكها بطبائعها التي خلقها فيها وصرفها فضبطها لما هى فيه وبعض أمسكها برباطات ظاهرة كالعصب والعروق والجلود لافاعل لشيء من ذلك دون الله تعالى وقد قدمنا البراهين على كل ذلك في صدر كتابنا هذا فاغني عن ترداده والحمد لله رب العالمين * وقالوا أيضاً كل جسم فهو اماذونفس واما لاذو نفس فان كانت النفس جسما فهى متنفسة اي ذات نفس واما لامتنفسة اى لاذات نفس فان كانت لامتنفسة فهذا خطأ لانه يجب من ذلك ان تكون النفس لانفساً وان كانت متنفسة اى ذات نفس فهى محتاجة الى نفس وتلك النفس الى اخرى والاخرى الى اخرى وهذا يوجب مالا نهايه له وما لانهاية له باطل

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذه مقدمة صحيحة ركبوا عليها نتيجة فاسدة ليست منتجة على تلك المقدمة واما قولهم ان كل جسم فهو اما ذو نفس واما لاذو نفس فصحيح وأما قولهم ان النفس أن كانت غير متنفسة وجب من ذلك ان تكون النفس لانفسا فشغب فاسد بارد لايلزم لان معنى القول بان الجسم ذونفس انما هو ان بعض الاجسام أضيفت اليه نفس حية حساسة متحركة بارادة مدبرة لذلك الجسم الذى استضافت اليه ومعنى القول بان هذا الجسم غير ذى نفس انما هو انه لم يستضف اليه نفس فالنفس الحية هي المتحركة المدبرة وهي غير محتاجة الى جسم مدبر لها ولا محرك لها فلم يجب ان يحتاج الى نفس ولا ان تكون ليست نفسا ولا فرق بينهم فى قولهم هذا وبين من قال ان الجسم يحتاج الى جسم كما قالوا انه يجب ان تحتاج النفس الى نفس أو قال يجب ان يكون الجسم لاجسما كما قالوا يجب ان تكون النفس لانفسا وهذا كله هوس وجهل والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسما لكان الجسم نفسا

قال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا من الجهل المفرط المظلم ولو كان لقائل هذا الجنون أقل علم بحدود الكلام لم يأت بهذه الغثاثة لان الموجبة الكلية لاتنعكس البتة انعكاساً مطرداً الاموجبة جزئية لاكلية وكلامهم هذا بمنزلة من قال لما كان الانسان جسما وجب ان يكون الجسم انسانا ولما كان الكلب جسما وجب ان يكون الجسم كلباً وهذا غاية الحمق والقحة لكن صواب القول فى هذا ان يقول لما كانت النفس جسما كان بعض الاجسام نفساً ولما كان الكلب جسما وجب ان يكون بعض الاجسام كلباً وهذا هو العكس الصحيح المطرد اطراداً صحيحاً أبداً وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضاً ان كانت النفس جسما فهي بعض الاجسام واذا كانت كذلك فكلية الاجسام أعظم مساحة منها فيجب ان تكون أشرف منها

﴿ قال أبو محمد ﴾ من عدم الحياء والعقل لم يبال بما نطق به لسانه وهذه قضية في غاية الحمق لانها توجب ان الشرف انما هو بعظم الاجسام وكثرة المساحة ولو كان كذلك لكانت القضية والبابية وكان الحمار والبغل وكدس العذرة أشرف من الانسان المنباء والفيلسوف لان كل ذلك أعظم مساحة منه ولكانت الغرلة أشرف من ناظر العين والالية أشرف من القلب والكبد والدماغ والصخرة أشرف من اللؤلؤة وأف لكل علم ادى الي مثل هذا نم فان كثيراً من الاجسام اعظم مساحة من النفس وليس ذلك موجباً انها أشرف منها مع ان النفس الرذلة المضربة عما أوجبه التمييز وعن طاعة ربها الى الكفر به فكل شيء فى العالم أشرف منها ونعوذ بالله من الخذلان وقالوا ان كانت النفس جسما آخر مع الجسم فالجسم نفس وشيء آخر واذا كان كذلك فالجسم أتم واذا كان أتم فهو أشرف

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا جنون مردد لانه ليس بكثرة العدد يجب الفضل والشرف ولا بعموم اللفظ يجب الشرف بل قد يكون الاقل والاخص أشرف ولو كان ماقالوه لوجب ان تكون الاخلاق جملة شرف من الفضائل خاصة لان الاخلاق فضائل وشيء آخر فهى أتم فهى على حلمهم السخيف أشرف وهذا مالايقوله ذوعقل وهم يقرون ان النفس جوهر والجوهر نفس وجسم فالجوهر أشرف من النفس لانه نفس وشيء آخر وقد قالوا ان الحى يقع تحت النامى فيلزمهم ان النامى أشرف من الحي لانه حى وشيء آخر وهذا تخليط وحماقة ونعوذ بالله من الوسواس وقالوا أيضا كل جسم يتغذى والنفس لاتتغذى فهى غير جسم

﴿قال أبو محمد﴾ ان كان هؤلاء السخفاء اذ اشتغلوا بهذه الحماقات كانوا سكارى بل سكر الجهل والسخف اعظم من سكر الخمر لان سكر الخمر سريع الأفاقة وسكر الجهل والسخف بطيء الافاقة اتراهم اذ قالوا كل جسم فهو متغذ الم يروا الماء والارض والهواء والكواكب والفلك وان كل هذه أجسام عظام لاتتغذى وانما يتغذى من الاجسام النوامي فقط وهى أجساد الحيوان السكان فى الماء والارض والشجر والنبات فقط فاذا كان عند هؤلاء النوكى مالايتغذى ليس جسما فالارض والحجارة والكواكب والفلك والملائكة ليس كل ذلك جسما وكفى بهذا جنونا وخطأ ونحمد الله على السلامة وقالوا لو كانت النفس جسما لكانت لها حركة لان لكل جسم حركة ونحن لانري للنفس حركة فبطل ان تكون جسما

﴿قال ابو محمد﴾ هذه دعوي كاذبة وقد تناقضوا أيضاً فيها لانهم قد قالوا قبل هذا بنحو ورقة في بعض حججهم ان الاجسام غير متحركة والنفس متحركة وهنا قلبوا الامر فظهر جهلهم وضعف عقولهم واما قولهم لانرى لها حركة فمخرقة وليس كل مالايرى يجب ان ينكر اذا قام على صحته دليل ويلزمهم اذ ابطلوا حركة النفس لانهم لايرونها ان يبطلوا النفس جملة لانهم أيضاً لايرونها ولا يسمعونها ولا يلمسونها ولا يذوقونها وحركة النفس معلومة بالبرهان وهو ان الحركة قسمان حركة اضطرار وحركة اختيار فحركة الاضطرار هي حركة كل جسم غير النفس هذا مالا يشك فيه فبقيت حركة الاختيار وهى موجودة يقينا وليس في العالم شيء متحرك بها حاشا النفس فقط فصح ان النفس هي المتحركة بها فصح ضرورة ان للنفس حركة اختيارية معلومة بلاشك واذ لا شك في ان كل متحرك فهو جسم وقد صح ان النفس متحركة فالنفس جسم فهذا هو البرهان الضروري التام الصحيح لاتلك الوساوس والاهذار ونحمد الله على نعمه عزوجل وقالوا لو كانت النفس جسما لوجب ان يكون اتصالها بالجسم اما على سبيل المجاورة واما على سبيل المداخلة وهي الممازجة

﴿قال ابو محمد﴾ فبعد هذا ماذا ونعم فان النفس متصلة بالجسم على سبيل المجاورة ولا يجوز سوى ذلك اذ لايمكن ان يكون اتصال الجسمين الا بالمجاورة واما اتصال المداخلة فانما هى بين العرض والعرض والجسم والعرض على مابينا قبل وقالوا أيضاً ان كانت النفس جسما فكيف يعرف الجسم بمماسة أم بغير مماسة

﴿قال أبو محمد﴾ الاجسام كلها حاش النفس موات لاعلم لها ولا حس ولا تعلم شيئاً وانما العلم والحس للنفس فقط فهي تعلم الاجسام والاعراض وخالق الاجسام والاعراض الذي هو خالقها ايضاً بما فيها من صفة الفهم وطبيعة التميز وقوة العلم التي وضعها فيها خالقها عز وجل وسؤالهم بارد وقالوا أيضا ان كل جسم بدأ في نشوة وغاية ينتهي اليها وأجود مايكون الجسم اذا انتهي الى غايته فاذا أخذ في النقص ضعف وليست الانفس كذلك لاننا نرى أنفس المعمرين أكثر ضياء وأنفذ فعلا ونجد أبدانهم اضعف من ابدان الاحداث فلو كانت النفس جسما لنقص فعلها بنقصان البدن فاذا كان هذا كما ذكرنا فليست النفس جسما

﴿قال ابو محمد﴾ هذه مقدمة فاسدة الترتيب اما قولهم ان الجسم اجود مايكون اذ انتهي الى غايته فخطأ اذا قيل على العموم وانما ذلك في النوامي فقط وفي الاشياء التي تستحيل استحالة ذبولية فقط كالشجر واصناف أجساد الحيوان والنبات واما الجبال والحجارة والارض والبحار والهواء والماء والافلاك والكواكب فليس لها غاية اذا بلغتها اخذت في الانحطاط وانما يستحيل بعض مايستحيل من ذلك على سبيل التفتت كحجر كسرته فانكسر ولو ترك لبقي ولم يذبل ذبول الشجر والنبات وأجسام الحيوان وكذلك النفس لاتستحيل استحالة ذبول ولا استحالة تفتت وانما تستحيل اعراضها كما ذكرنا فقط ولا نماء له وكذلك الملائكة والفلك والكواكب والعناصر الاربعة لانماء لها وكل ذلك باق على هيئته التي خلقه الله تعالى عليها اذ خلق كل ذلك والنفس كذلك منتقلة من عالم الابتداء الى عالم الانتهاء الى عالم البرزخ الى عالم الحساب الى عالم الجزاء فتخلد فيه أبداً بلا نهاية وهى اذا تخلصت من رطوبات الجسد وكدره كانت أصفي نظراً وأصح علما كما كانت قبل حلولها في الجسد نسأل الله خير ذلك المنقلب بمنه آمين

﴿قال أبو محمد﴾ هذا ماموهوا به من كل نطيحة ومتردية قد تقصيناه لهم وبينا ان كله فساد وحماقات وتقصيناه بالبراهين الضرورية والحمد لله رب العالمين

﴿قال أبو محمد﴾ فاذا بطل كل ماشغب به من يقول ان النفس ليست جسما وسقط هذا القول لتعريه عن الادلة جملة فنحن ان شاء الله تعالى نوضح بعون الله عز وجل وقوته البراهين الضرورية على انها جسم وبالله تعالى نتأيد وذلك بعد ان نبين بتأييد الله عزوجل شغبين يمكن

ان يعترض بهما ان قال قائل اتمو النفس فان قلتم لا قلنا نحن نجدها تنشأ من صغر الى كبر وترتبط بالجسد بالغذاء واذا انقطع الغذاء انحلت عن الجسد ونجدها تسوء أخلاقها ويقل صبرها بعدم الغذاء فاذا تغذت اعتدلت اخلاقها وصلحت

﴿قال أبو محمد﴾ لا تتغذى ولا تمو اما عدم غذائها فالبرهان القائم انها ليست مركبة من الطبائع الاربع وانها بخلاف الجسد هذا هو البرهان على انها لا تتغذى وهو ان ما تركب من العناصر الاربعة فلا بد له من الغذاء ليستخلف ذلك الجسد أو تلك الشجرة أو ذلك النبات من رطوبات ذلك الغذاء أو أرضياته مثل ما تحلل من رطوباته بالهواء والحر وليست هذه صفة النفس اذ لو كانت لها هذه الصفة لكانت من الجسد او مثله ولو كانت من الجسد أو مثله لكانت مواتا كالجسد غير حساسة فاذ قد بطل ان تكون مركبة من طبائع العناصر بطل ان تكون متغذية نامية واما ارتباطها بالجسد من أجل الغذاء فهو امر لا يعرف كيفيته الا خالقها عز وجل الذى هو مدبرها الا انه معلوم انه كذلك فقط وهو كطحن المعدة للغذاء لا يدرى كيف هو وغير ذلك مما يوجد الله عز وجل يعلمه ومن البرهان على ان النفس لا تتغذى ولا تمو ان البرهان قد قام على انها كانت قبل تركيب الجسد على آباد الدهور وانها باقية بعد انحلاله وليس هنالك في ذينك العالمين غذاء يولد نماء أصلا وأما ما ظنوه من نشأتها من صغر الى كبر فخطأ وانما هو عودة من النفس إلى ذكرها الذى سقط عنها باول ارتباطها بالجسد فان سأل سائل اتموت النفس قلنا نعم لان الله تعالى نص على ذلك فقال «كل نفس ذائقة الموت» وهذا الموت انما هو فراقها للجسد فقط برهان ذلك قول الله تعالى «اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون» وقوله تعالى «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» فصح ان الحياة المذكورة انما هي ضم الجسد الى النفس وهو نفخ الروح فيه وأن الموت المذكور انما هو التفريق بين الجسد والنفس فقط وليس موت النفس مما يظنه أهل الجهل وأهل الالحاد من إنها تعدم جملة بل هي موجودة قائمة كما كانت قبل الموت وقبل الحياة الاولى ولا انها يذهب حسها وعلمها بل حسها بعد الموت أصح ما كان وعلمها أتم ما كان وحياتها التي هي الحس والحركة الارادية باقية بحسبها أكمل ما كانت قط قال عز وجل «وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» وهي راجعة الى البرزخ حيث رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عن الميمنة من آدم عليه

عليه السلام ومشئمته الى ان تحيا ثانية بالجمع بينها وبين جسدها يوم القيامة وأما أنفس الجن وسائر الحيوان فحيث شاء الله تعالى ولا علم لنا الا ما علمنا ولا يحل لاحد ان يقول بغير علم وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ فلنذكر الآن البراهين الضرورية على ان النفس جسم من الاجسام فمن الدليل على ان النفس جسم من الاجسام انقسامها على الاشخاص فنفس زيد غير نفس عمرو فلو كانت النفس واحدة لا تنقسم على ما يزعم الجاهلون القائلون انها جوهر لا جسم لوجب ضرورة ان تكون نفس المحب هي نفس المبغض وهي نفس المحبوب وان تكون نفس الفاسق الجاهل هي نفس الفاضل الحكيم العالم ولكانت نفس الخائف هي نفس المخوف منه ونفس القاتل هي نفس المقتول وهذا حمق لا خفاء به فصح انها نفوس كثيرة متغايرة الاماكن مختلفة الصفات حاملة لاعراضها فصح انها جسم بيقين لا شك فيه وبرهان آخر هو ان العلم لا خلاف في أنه من صفات النفس وخواصها لا مدخل للجسد فيه أصلا ولا حظ فلو كانت النفس جوهراً واحداً لا تتجزى نفوساً لوجب ضرورة ان يكون علم كل أحد مستوياً لا تفاضل فيه لان النفس على قولهم واحدة وهي العالمة فكان يجب ان يكون كلما علمه زيد يعلمه عمرو لان نفسهما واحدة عندهم غير منقسمة ولا متجزئة فكان يلزم ولا بد ان يعلم جميع أهل الارض ما يعلمه كل عالم في الدنيا لان نفسهم واحدة لا تنقسم وهي العالمة وهذا مالا انفكاك منه البتة فقد صح بما ذكرنا ضرورة ان نفس كل أحد غير نفس غيره وان أنفس الناس أشخاص متغايرة تحت نوع نفس الانسان وان نفس الانسان الكلية نوع تحت جنس النفس الكلية التي يقع تحتها أنفس جميع الحيوان واذ هي أشخاص متغايرة ذات أمكنة متغايرة حاملة لصفات متغايرة فهى أجسام ولا يمكن غير ذلك البتة وبالله تعالى التوفيق وأيضاً فان العالم كله محدود معروف أجسام وأعراض ولا مزيد فمن ادعى أن ههنا جوهراً ليس جسماً ولا عرضاً فقد ادعى مالا دليل عليه البتة ولا يتشكل في العقل ولا يمكن توهمه وما كان هكذا فهو باطل مقطوع على بطلانه وبالله تعالى التوفيق وأيضاً فان النفس لا تخلو من أن تكون خارج الفلك أو داخل الفلك فان كانت خارج الفلك فهذا باطل اذ قام البرهان على تناهي جرم العالم فليس وراء النهاية شيء ولو كان وراءها شيء لم تكن نهاية

فوجب ضرورة انه ليس خارج الفلك الذى هو نهاية العالم شيء لاخلاء ولا ملاء وان كانت في الفلك فهى ضرورة أما ذات مكان وأما محمولة في ذي مكان لانه ليس في العالم شيء غير هذين أصلا ومن ادعي ان في العالم شيئاً ثالثاً فقد ادعى المحال والباطل ومالا دليل له عليه وهذا لايعجز عنه أحد وماكان هكذا فهو باطل بيقين وقدقام الدليل على ان النفس ليست عرضا لانها عالمة حساسة والعرض ليس عالما ولا حساساً وصح انها حاملة لصفاتها لامحمولة فاذ هى حاملة متمكنة فهى جسم لاشك فيه اذ ليس الاجسم حامل أوعرض محمول وقد بطل ان تكون عرضاً محمولا فهي جسم حامل وبالله تعالى التوفيق وأيضاً فلاتخلو النفس من ان تكون واقعة تحت جنس أولا فان كانت لا واقعة تحت جنس فهي خارجة عن المقولات وليس في العالم شيء خارج عنها ولا في الوجود شيء خارج عنها الا خالقها وحده لاشريك له وهم لايقولون بهذا بل يوقعونها تحت جنس الجوهر فاذهي واقعة تحت جنس الجوهر فانا نسألهم عن الجوهر الجامع للنفس وغيرها اله طبيعة أم لا فان قالوا لا وجب ان كل ماتحت الجوهر لاطبيعة له وهذا باطل وهم لايقولون بهذا فان قالوا لاندري ما الطبيعة قانا لهم اله صفة محمولة فيه لايوجد دونها أم لا فلا بد من نعم وهذاهو معني الطبيعة وان قالوا بل له طبيعة وجب ضرورة ان يعطى كل ماتحته طبيعة لان الاعلى يعطي لكل ماتحته اسمه وحدوده عطاء صحيحاً والنفس تحت الجوهر فالنفس ذات طبيعة بلا شك واذ صح ان لها طبيعة فكل ماله طبيعة فقد حصرته الطبيعة وماحصرته الطبيعة فهو ذونهاية محدود وكل ذى نهاية فهواما حامل واما محمول والنفس بلا شك حاملة لاعراضها من الاضداد كالعلم والجهل والذكاء والبلادة والنجدة والجبن والعدل والجور والقسوة والرحمة وغير ذلك وكل حامل فذومكان وكل ذى مكان فهو جسم فالنفس جسم ضرورة وأيضاً فكل ماكان واقعاً تحت جنس فهونوع من أنواع ذلك الجنس وكل نوع فهو مركب من جنسه الاعلى العام له من أنواعه ومركب أيضاً مع ذلك من فصله الخاص به المميز له من سائر الانواع الواقعة معه تحت جنس واحد فانه موضوع وهو جنسه القابل لصورته وصورة غيره وله محمول وهو صورته التي خصته دون غيره فهو ذو موضوع ومحمول فهو مركب والنفس نوع للجوهر فهي مركبة من موضوع ومحمول وهي قائمة بنفسها فهي جسم ولا بد

قال

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذه براهين ضرورية حسية عقلية لامحيد عنها وبالله تعالى التوفيق وهذا قول جماعة من الاوائل ولم يقل ارسطاطاليس ان النفس ليست جسماً على ماظنه أهل الجهل وانما نفي أن تكون جسما كدراً وهو الذي لايليق بكل ذي علم سواه ثم لوصح انه قالها لكانت وهلة ودعوي لا برهان عليها وخطأ لايجب اتباعه عليه وهو يقول فى مواضع من كتبه اختلف أفلاطون والحق وكلاهما الينا حبيب غير ان الحق أحب الينا واذا جاز أن يختلف أفلاطون والحق فغير نكير ولا بديع أن يختلف ارسطاطاليس والحق وما عصم انسان من الخطأ فكيف وماصح قط انه قاله

﴿ قال أبو محمد ﴾ انما قال ان النفس جوهر لاجسم من ذهب الى انها هي الخالقة لمادون الله تعالى على ماذهب اليه بعض الصابئين ومن كني بها عن الله تعالى

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكلا القولين سخف وباطل لان النفس والعقل لفظتان من لغة العرب موضوعتان فيها لمعنيين مختلفين فاحالتهما عن موضوعهما في اللغة سفسطة وجهل وقلة حياء وتلبيس وتدليس

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأما من ذهب الى ان النفس ليست جسماً ممن ينتمي الى الاسلام بزعمه فقول يبطل بالقرآن والسنة واجماع الامة فاما القرآن فان الله عز وجل قال * هنالك تبلو كل نفس ماأسلفت * وقال تعالى * اليوم تجزي كل نفس ما كسبت لاظلم اليوم * وقال تعالى * كل أمرىء بما كسب رهين * فصح ان النفس هي الفعالة الكاسبة المجزية المخطئة وقال تعالى * ان النفس لامارة بالسوء * وقال تعالى * ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب * وقال تعالى * ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون * وقال تعالى * ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله * فصح ان الانفس منها مايعرض على النار قبل يوم القيامة فيعذب ومنها مايرزق وينعم فرحا ويكون مسروراً قبل يوم القيامة ولاشك ان اجساد آل فرعون واجساد المقتولين في سبيل الله قد تقطعت أوصالها وأكلتها السباع والطير وحيوان الماء فصح ان الانفس منقولة من مكان الى مكان ولاشك في أن العرض لايلقي العذاب ولا يحس فليست عرضاً وصح انها تنتقل في الاماكن قائمة بنفسها وهذه صفة الجسم لاصفة

الجوهر عند القائل به فصح ضرورة انها جسم وأما من السنن فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة وقوله صلى الله عليه وسلم انه رأي نسم بني آدم عند سماء الدنيا عن يمين آدم ويساره فصح ان الانفس مرئية في أماكنها وقوله عليه السلام ان نفس المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء وفعل بها كذا ونفس الكافر اذا قبضت فعل بها كذا فصح انها معذبة ومنعمة ومنقولة في الاماكن وهذه صفة الاجسام ضرورة وأما من الاجماع فلا خلاف بين احد من أهل الاسلام في ان انفس العباد منقولة بعد خروجها عن الاجساد الى نعيم أو الي صنوف ضيق وعذاب وهذه صفة الاجسام ومن خالف هذا فزعم ان الانفس تعدم أوانها تنتقل الى أجسام أخر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال بخرقه الاجماع ومخالفته القرآن والسنن ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد ذكرنا في باب عذاب القبر ان الروح والنفس شيء واحد ومعني قول الله تعالى * ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي * انما هولان الجسد مخلوق من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم عظما ثم لحما ثم أمشاجا وليس الروح كذلك وانما قال الله تعالى أمر اله بالكون كن فكان فصح ان النفس والروح والنسمة اسماء مترادفة لمعنى واحد وقد يقع الروح أيضاً على غير هذا فجبريل عليه السلام الروح الامين والقرآن روح من عند الله وبالله تعالى التوفيق فقد بطل قولهم في النفس وصح انها جسم ولم يبق الا الكلام في الجزء الذي ادعوا انه لايتجزي

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهب جمهور المتكلمين الى أن الاجسام تحل الى اجزاء صغار لايمكن البتة أن يكون لها جزء وان تلك الاجزاء جواهر لاأجسام لها وذهب النظام وكل من يحسن القول من الاوائل الى انه لاجزء وان دق الاوهو يحتمل التجزي ابداً بلا نهاية وانه ليس في العالم جزؤ لا يتجزء وان كل جزء انقسم الجسم اليه فهو جسم أيضاً وان دق أبداً

﴿ قال ابو محمد ﴾ وعمدة القائلين بوجود الجزء الذى لايتجزأ خمس مشاغب وكلها راجعة بحول الله وقوته عليهم ونحن ان شاء الله تعالى نذكرها كلها ونتقصي لهم كل ما موهوا به ونرى بعون الله عز وجل بطلان جميعها بالبراهين الضرورية ثم نرى بالبراهين الصحاح صحة القول بأن كل جزء فهو يتجزأ ابداً وانه ليس في العالم جزؤ لايتجزأ أصلا كما فعلنا بسائر الاقوال

والحمد

والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ فأول مشاغبهم ان قالوا اخبرونا اذا قطع الماشي المسافة التي مشي فيها فهل قطع ذا نهاية او غير ذى نهاية فان قلتم قطع غير ذى نهاية فهذا محال وان قلتم قطع ذا نهاية فهذا قولنا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان القوم أتوا من احد وجهين اما انهم لم يفهموا قولنا فتكلموا بجهل وهذا لا يرضاه ذو ورع ولا ذو عقل ولا حياء واما انهم لما عجزوا عن معارضة الحق رجعوا الى الكذب والمباهتة وهذه شر من الأولى وفي أحد هذين القسمين وجدنا كل من ناظرناه منهم في هذه المسألة وهكذا عرض لنا سواء مع المخالفين لنا في القياس المدعين لتصحيحه فانهم أيضاً أحد رجلين اما جاهل بقولنا فهو يقوّلنا مالا نقوله ويتكلم في في غير ما اختلفنا فيه واما مكابر ينسب الينا مالا نقوله مباهتة وجراءة على الكذب وعجزا عن معارضة الحق من انا ننكر اشتباه الاشياء وانا ننكر قضايا العقول وانا ننكر استواء حكم الشيئين فيما اوجبه لهما ما اشتبها فيه وهذا كله كذب علينا بل نقر بذلك كله ونقول به وانما ننكر ان نحكم في الدين لشيئين بتحريم او ايجاب او تحليل من اجل انهما اشتبها في صفة من صفاتهما فهذا هو الباطل البحت والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمه * ونقول على هذا السؤال الذى سألوناعنه اننا لم نرفع النهاية عن الاجسام كلها من طريق المساحة بل نثبتها ونعرفها ونقطع على ان كل جسم فله مساحة ابداً محدودة ولله الحمد وانما نفينا النهاية عن قدرة الله تعالى على قسمة كل جزء وان دق وأثبتنا قدرة الله تعالى على ذلك وهذا هو شيء غير المساحة ولم يتكلف القاطع بالمشي او بالذرع او بالعمل قسمة ما قطع ولا تجزئته وانما تكلف عملا او مشى في مساحة معدودة بالميل او بالذراع او الشبر او الاصبع اوما اشبه ذلك وكل هذا له نهاية ظاهرة وهذا غير الذي نفينا وجود النهاية فيه فبطل الزامهم والحمد لله كثيراً ثم نعكس هذا الاعتراض عليهم فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق نحن القائلون بأن كل جسم فله طول وعرض وعمق وهو محتمل للانقسام والتجزئ وهذا هو اثبات النهاية لكل جزء انقسم الجسم اليه من طريق المساحة ضرورة وانتم تقولون ان الجسم ينقسم الى اجزاء ليس لشئ منها عرض ولا طول ولا عمق ولا مساحة ولا يتجزأ وليست أجساماً وان الجسم هو تلك الاجزاء نفسها ليس هو شئ غيرها اصلا وان تلك الاجزاء ليس

لشيء منها مساحة فلزمكم ضرورة اذ الجسم هو تلك الاجزاء اوليست اجساماً وان الجسم هو تلك الاجزاء وليس هو غيرها وكل جزء من تلك الاجزاء لا مساحة له ان الجسم لامساحة له وهذا امر يبطله العيان واذا لم تكن له مساحة والمساحة هي النهاية فى ذرع الاجسام فلانهاية لما قطعه القاطع من الجسم على قولهم وهذا باطل والاعتراض الثاني ان قالوا لابد ان يلي الجرم من الجرم الذى يليه جزء ينقطع ذلك الجرم فيه قالوا وهذا اقرار بجزء لايتجزأ

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تمويه فاسد لاننا لم ندفع النهاية من طريق المساحة بل نقول ان لكل جرم نهاية وسطحاً ينقطع تماديه عنده وان الذى ينقطع به الجرم اذا جزئ فهو متناه محدود ولكنه محتمل للتجزى أيضاً وكل ماجزئ فذلك الجزء وهو الذى يلي الجرم الملاصق له بنهايته من جهته التي لاقاه منها لاماظنوا من أن حد الجرم جزء منه وهو وحده الملاصق للجرم الذى يلاصقه بل هو باطل بما ذكرنا لكن الجزء وهو الملاصق للجرم بسطحه فاذا جزئ كان الجزء الملاصق للجرم بسطحه هو الملاصق له حينئذ بسطحه لا الذى خر عن ملاصقته وهكذا أبداً والكلام في هذا كالكلام في الذى قبله ولا فرق والاعتراض الثالث ان قالوا هل الف اجزاء الجسم الا الله تعالى فلا بد من نعم قالوا فهل يقدر الله على تفريق اجزاء حتى لايكون فيها شيء من التأليف ولا تحتمل تلك الاجزاء التجزئ أم لا يقدر على ذلك قالوا فان قلتم لايقدر عجزتم ربكم تعالى وان قلتم يقدر فهذا اقرارمنكم بالجزء الذى لايتجزأ

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا هو من اقوى شبههم التي شغبوا بها وهو حجة لنا عليهم والجواب اننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ان سؤالكم سؤال فاسد وكلام فاسد ولم تكن قط اجزاء العالم متفرقة ثم جمعها الله عز وجل ولا كانت له اجزاء مجتمعة ثم فرقها الله عز وجل لكن الله عز وجل خلق العالم بكل مافيه بان قال له كن فكان او بان قال لكل جرم منه اذا اراد خلقه كن فكان ذلك الجرم ثم ان الله تعالى خلق جميع ما اراد جمعه من الاجرام التى خلقها مفترقة ثم جمعها وخلق تفريق كل جرم من الاجرام التي خلقها مجتمعة ثم فرقها فهذا هو الحق لاذلك السؤال الفاسد الذي اجملتموه واوهمتم به اهل الغفلة ان الله تعالى الف العالم من اجزاء خلقها متفرقة وهذا باطل لانه دعوى بلا برهان عليها ولا فرق بين من

قال ان الله تعالى الف اجزاء العالم وكانت متفرقة وبين من قال بل الله تعالى فرق العالم اجزاء وانما كان جزأ واحداً وكلاهما دعوى ساقطة لا برهان عليها لا من نص ولا من عقل بل القرآن جاء بما قلناه نصاً قال تعالى * انما أمرنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون * ولفظة شيء تقع على الجسم وعلى العرض فصح ان كل جسم صغر او كبر وكل عرض في جسم فان الله تعالى اذا أراد خلقه قال له كن فكان ولم يقل عز وجل قط انه الف كل جرم من أجزاء متفرقة فهذا هو الكذب على الله عزوجل حقاً فبطل ماظنوا انهم يلزمونا به ثم نقول لهم ان الله تعالى قادر على ان يخلق جسما لاينقسم ولكنه لم يخلقه في بنية هذا العالم ولايخلقه كما انه تعالى قادر على ان يخلق عرضاً قائما بنفسه ولكنه تعالى لم يخلقه في بنية هذا العالم ولا يخلقه لانهما مما رتبه الله عزوجل محالا في العقول والله تعالى قادر على كل مايسأل عنه لانحاشي شيئاً منها الا انه تعالى لايفعل كل مايقدر عليه وانما يفعل مايشاء وماسبق في علمه انه يفعله فقط وبالله تعالى التوفيق * ثم نعطف هذا السؤال نفسه عليهم فنقول لهم هل يقدر الله عزوجل على ان يقسم كل جزء وينقسم كل قسم من اقسام الجسم أبداً بلا نهاية ام لا فان قالوا لايقدر على ذلك عجزوا ربهم حقاً وكفروا وهو قولهم دون تأويل ولا الزام ولكنهم يخافون من أهل الاسلام فيملحون ضلالتهم باثبات الجزء الذي لايتجزاء جملة * وان قالوا انه تعالى قادر على ذلك صدقوا ورجعوا الى الحق الذي هو نفس قولنا وخلاف قولهم جملة ونحن لانخالفهم قط فى ان اجزاء طحين الدقيق لايقدر مخلوق في العالم على تجزئة تلك الاجزاء وانما خالفناهم في ان قلنا نحن ان الله تعالى قادر على مالا نقدر نحن عليه من ذلك وقالوا هم بل هو غير قادر على ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وقولهم في تناهي القدرة على قسمة الله تعالى الاجزاء هو القول بان الله تعالى يبلغ من الخلق الى مقدار ماثم لايقدر على الزيادة عليه ويبقى حسيراً عاجزاً تعالى الله عن هذا الكفر ولعمري ان أبا الهذيل شيخ المثبتين للجزء الذي لايتجزاء ليحن الى هذا المذهب حنيناً شديداً وقد صرح بان لما يقدر الله عليه كلا وآخرا لوخرج الى الفعل لم يكن الله تعالى قادراً بعده على تحريك ساكن ولا تسكين متحرك ولاعلى فعل شيء أصلا ثم تدارك كفره فقال ولايخرج ذلك الآخر أبداً الي حد الفعل

﴿ قال ابو محمد ﴾ فيقال له ما المانع من خروجه والنهاية حاصرة له والفعل قائم فلابد مع طول الزمان من البلوغ الى ذلك الآخر

﴿ قال أبو محمد ﴾ نعوذ بالله من الضلال والاعتراض الرابع هو ان قالوا أيما أكثر أجزاء الجبل أو أجزاء الخردلة وأيما أكثر أجزاء الخردلة أو أجزاء الخردلتين قالوا فان قلتم بل أجزاء الخردلتين وأجزاء الجبل صدقتم وأقررتم بتناهي التجزي وهو القول بالجزء الذى لايتجزء وان قلتم ليس أجزاء الجبل أكثر من أجزاء الخردلة ولا أجزاء الخردلتين أكثر من أجزاء الخردلة كابرتم العيان لانه لايحدث في الخردلة جزؤ الا ويحدث في الخردلتين جزآن وفي الجبل أجزاء وادعوا علينا انا نقول ان في كل جسم أجزاء لانهاية لعددها ولا آخر لها وان من قطع بالمشى مكانا ما أو قطع بالجلمتين شيئا فانما قطع مالا نهاية لعدده وقالوا ان عمدة حجتكم على الدهرية هو هذا المعنى نفسه في الزامكم اياهم وجوب القلة والكثرة في عدد الاشخاص واوقات الزمان وايجابكم ان كل ما حصره العدد فذو نهاية وانكاركم على الدهرية وجود أشخاص وازمان لانهاية لعددها قالوا ثم نقضتم كل ذلك في هذا المكان

﴿ قال أبو محمد ﴾ هو الذى قلنا انهم اما لم يفهموا كلامنا في هذه المسألة فقولونا مالا نقوله بظنونهم الكاذبة واما انهم عرفوا قولنا فحرفوه قلة حياء واستحلال الكذب وجراءة على عمل الفضيحة لهم في كذبهم وعجزا منهم عن كسر الحق ونصر الباطل فاعلموا ان كل مانسبوه الينا من قولنا ان من قطع مكاناً أو شيئاً بالمشي أو بالجلمتين فانما قطع مالا نهاية له فباطل ماقلناه قط بل ماقطع الا ذا نهاية بمساحته وزمانه وأما احتجاجنا على الدهرية بما ذكروا فصحيح هو حجتنا على الدهرية وأما ادعاؤهم انا نقضنا ذلك في هذا المكان فباطل والفرق بين ماقلناه من ان كل جزء فهو يتجزأ أبداً بلا نهاية وبين ما احتججنابه على الدهرية من ايجاب النهاية بوجود القلة والكثرة في اعداد الاشخاص والازمان وانكارنا عليهم وجود أشخاص وأزمان لانهاية لها بل هو حكم واحد وباب واحد وقول واحد ومعني واحد وذلك ان الدهرية أثبتت وجود أشخاص قد خرجت الى الفعل لانهاية لعددها ووجود أزمان قد خرجت الى الفعل لانهاية لها وهذا محال ممتنع وهكذا قلنا في كل جزء خرج الى أحد الفعل فانها متناهية العدد بلا شك ولم نقل قط ان أجزائه موجودة

منقسمة لانهاية لعددها بل هذا باطل محال ثم ان الله تعالى قادر على الزيادة في الاشخاص وفي الازمان وفي قسمة الجزء ابداً بلا نهاية لكن كل ما خرج الى الفعل أو يخرج من الاشخاص اوالازمان أو تجزئة الاجزاء فكل ذلك متناه بعدده اذا خرج وهكذا أبداً وأما مالم يخرج الى حد الفعل بعد من شخص أو زمان أو تجزى فليس شيئاً ولا هو عدداً ولا معدوداً ولا يقع عليه عدد ولا هو شخص بعدولا زمان ولا جزؤ وكل ذلك عدم وانما يكون جزء اذا جزئ بقطع أو برسم مميز لاقبل أن يجزء وبهذا تتبين غثاثة سؤالهم في أيما أكثر أجزاء الخردلة أو أجزاء الجبل أو أجزاء الخردلتين لان الجبل اذا لم يجزأ والخردلة اذا لم تجزأ والخردلتان اذا لم تجزآ فلا أجزاء لها أصلا بعد بل الخردلة جزؤ واحد والجبل جزؤ واحدو الخردلتان كل واحدة منهما جزؤ فاذا قسمت الخردلة على سبعة أجزاء وقسم الجبل جزأين وقسمت الخردلتان جزئين جزئين فالخردلة الواحدة بيقين أكثر أجزاء من الجبل والخردلتين لانها صارت سبعة أجزاء ولم يصر الجبل والخردلتان الا ستة أجزاء فقط فلو قسمت الخردلة ستة أجزاء لكانت أجزاؤها وأجزاء الجبل والخردلتين سواء ولو قسمت الخردلة خمسة أجزاء وكانت اجزاء الجبل والخردلتين اكثر من اجزاء الخردلة وهكذا في كل شيء فصح انه لايقع التجزى في شيء الا اذا قسم لاقبل ذلك فان كانوا يريدون في ايهما يمكننا التجزئة اكثر فى الجبل والخردلتين ام في الخردلة الواحدة فهذا ما لاشك فيه ان التجزى امكن لنا في الجبل وفى الخردلتين منه في الخردلة الواحدة لان الخردلة الواحدة عن قريب تصغر اجزاؤها حتي لانقدر نحن على قسمتها ويتمادي لنا الامر في الجبل كثيراً حتي انه يفني عمر احدنا قبل ان يبلغ تجزئته الى اجزاء تدق عن قسمتنا واما قدرة الله عز وجل على قسمة ماعجزنا نحن عن قسمته من ذلك فباقية غير متناهية وكل ذلك عليه هين سواء ليس بعضه اسهل عليه من بعض بل هو قادر على قسمة الخردلة ابداً بلا نهاية وعلى قسمة الفلك كذلك ولا فرق وبالله تعالى التوفيق ونزيد بياناً فنقول ان الشيء قبل ان يجزأ فليس متجزئاً فاذا جزء بنصفين او جزئين فهو جزءآن فقط فاذا جزء على ثلاثة اجزاء فقط فهو ثلاثة اجزاء وهكذا ابداً واما من قال اوظن ان الشيء قبل ان ينقسم وقبل ان يتجزأ انه منقسم بعد ومتجزء بعد فوسواس وظن

كاذب لكنه محتمل الانقسام والتجزى وكل ماقسم وجزأ فكل جزؤ ظهر منه فهو معدود متناه وكذلك كل جسم فطوله وعرضه متناهيان بلا شك والله تعالى قادر على الزيادة فيهما أبداً بلا نهاية الا ان كل مازاده تعالى في ذلك واخرجه الى حد الفعل فهو متناه ومعدود ومحدود وهكذا ابداً وكذلك الزيادة في اشخاص العالم وفى العدد فان كل ماخرج الى حد الفعل من الاشخاص ومن الاعداد فذو نهاية والله تعالى قادر على الزيادة في الاشخاص ابداً بلا نهاية والزيادة في العدد ممكنة ابداً بلا نهاية الا ان كل ماخرج من الاشخاص والاعدادالى الفعل صحبته النهاية ولا بد ثم نعكس هذ السؤال عليهم فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق انفضل عندكم قدرة الله تعالى على قسمة الجبل على قدرته على قسمة الخردلة وهل تأتى حال يكون الله فيها قادراً على قسمة أجزاء الجبل غير قادر على قسمة اجزاء الخردلة أم لا فان قالوا بل قدرة الله تعالى على قسمة الجبل اتم من قدرته على قسمة الخردلة وأقروا بانه تأتى حال يكون الله تعالى فيها قادرا على قسمة اجزاء الجبل غير قادر على قسمة اجزاء الخردلة كفروا وعجزوا ربهم وجعلوا قدرته محدثة متفاضلة متناهية وهذا كفر مجرد وان أبوا من هذا وقالوا ان قدرة الله تعالى على قسمة الجبل والخردلة سواء وانه لاسبيل الى وجود حال يقدر الله تعالى فيها على تجزئة اجزاء الجبل ولا يقدر على تجزئة أجزاء الخردلة صدقوا ورجعوا الى قولنا الذي هو الحق وما عداه ضلال وباطل والحمد لله رب العالمين * والاعتراض الخامس هو أن قالوا هل لاجزاء الخردلة كل أم ليس لها كل وهل يعلم الله عدد أجزائها أم لا يعلمه * فان قلتم لا كل لها نفيتم النهاية عن المخلوقات الموجودات وهذا كفر وان قلتم ن الله تعالى لايعلم عدد أجزائها كفرتم وان قلتم ان لها كلا وان الله تعالى يعلم أعداد أجزائها أقررتم بالجزء الذي لايتجزأ

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تمويه لانح ينبغى التنبيه عليه لئلا يجوز على أهل الغفلة وهو أنهم اقحموا لفظة كل حيث لا يوجد كل وسألوا هل يعلم الله تعالى عدد مالاعدد له وهم في ذلك كمن سأل هل يعلم الله تعالى عدد شعر لحية الاحلس أم لا وهل يعلم جميع أولاد العقيم أم لا وهل يعلم كل حركات أهل الجنة والنار أم لا فهذه السؤالات كسؤالهم ولا فرق * وجوابنا في ذلك كله ان الله عز وجل انما يعلم الاشياء على ماهي عليه لا على خلاف ماهي عليه لان من علم الشيء

على ماهو عليه فقد علمه حقا وأما من علم الشيء على خلاف ماهو عليه فلم يعلمه بل جهله وحاشا لله من هذه الصفة فما لا كل له ولا عدد له فانما يعلمه الله عز وجل ان لا عدد له ولا كل وما علم الله عز وجل قط عدداً ولا كلا الا لماله عدد وكل لا لما لا عدد له ولا كل وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد شعر لحية الاطلس ولا علم قط ولد العقيم فكيف ان يعرف لهم كلا وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد أجزاء الجبل ولا الخردلة قبل ان يجزآ لانهما لا اجزاء لهما قبل التجزئة وانما علمهما غير متجزئين وعلمهما محتملين للتجزي فاذا جزئا علمهما حينئذ متجزئين وعلم حينئذ عدد أجزائهما ولم يزل تعالى يعلم انه يجزء كل مالا يتجزء ولم يزل يعلم عدد الاجزاء التي لاتخرج في المستأنف الى حد الفعل ولم يزل يعلم عدد ماتخرج من الاشخاص بخلقه فى الابد الى حد الفعل اولم يزل يعلم انه لا اشخاص زائدة على ذلك ولا اجزاء لما لم ينقسم بعد وكذلك ليس للخردلة ولا للجبل قبل التجزي أجزاء أصلا واذ ذلك كذلك فلا كل هاهنا ولا بعض فهذا بطلان سؤالهم والحمد لله رب العالمين ثم نعكس عليهم هذا السؤال فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اخبرونا عن الشخص الفرد من خردلة اووبرة اوشعرة او غير ذلك اذا جزأنا كل ذلك جزئين او اكثر متي حدثت الاجزاء احين جزئت ام قبل ان يجزؤا فان قالوا قبل ان يجزؤا ناقضوا اسمج مناقضة لانهم اقروا بحدوث اجزاء كانت قبل حدوثها وهذا سخف وان قالوا انما حدثت لها الاجزاء حين جزئت لا قبل ذلك سألناهم متى علمها الله تعالى متجزئة حين حدث فيها التجزى ام قبل ان يحدث فيها التجزى فان قالوا بل حين حدث فيها التجزى صدقوا وأبطلوا قولهم فى اجزاء الخردلة وان قالوا بل علم انها متجزئة وان لها اجزاء قبل حدوث التجزى فيها جهلوا ربهم تعالى اذا خبروا انه يعلم الشيء بخلاف ماهو عليه ويعلم اجزاء لما لا اجزاء له وهذا ضلال وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ هذا كل ماموهوا به لم ندع لهم منه شيئاً الا وقد اوردناه وبينا انه كله لا حجة لهم في شيء منه وانه كله عائد عليهم وحجة لنا والحمد لله رب العالمين ثم نبتدىء بحول الله تعالى وقوته بايراد البراهين الضرورية على ان كل جسم في العالم فانه متجزؤ محتمل للتجزئة وكل جزء من جسم فهو أيضاً جسم محتمل للتجزي وهكذا أبداً وبالله تعالى نتايد

﴿قال أبو محمد﴾ يقال لهم وبالله تعالى نستعين اخبرونا عن هذا الجزء الذي قلتم انه لا يتجزى أهو

في العالم أم ليس في العالم ولا سبيل الي قسم ثالث فان قالوا ليس هو في العالم صدقوا وأبطلوه الا أنهم يلزمهم قول فاحش وهو انهم يقولون ان جميع العالم مركب من أجزاء لا تتجزأ والكل ليس هو شيئاً غير تلك الاجزاء فان كانت تلك الاجزاء ليست في العالم فالعالم عدم ليس في العالم وهذا تخليط كما ترى وان قالوا بل هو في العالم قلنا لهم لايخلوا ان كان في كرة العالم من ان يكون أما قائماً بنفسه حاملا واما ان يكون محمولا غير قائم بنفسه لابد ضرورة من أحد الامرين اذ ليس العالم كله الا على هذين القسمين فان كان محمولا غير قائم بنفسه فهو عرض من الاعراض وان كان حاملا قائماً بنفسه ذا مكان فهو جسم وثم يقال لهم اخبرونا عن الجزء الذى ذكرتم انه لايتجزأ وهو على قولكم في مكان لانه بعض من أبعاض الجسم هل الملاقي منه للمشرق هو الملاقى للمغرب أم غيره وهل المحازي منه للسماء هو المحازى منه للارض أم هو غيره فان قالوا كل ذلك واحد والملاقي منه للمشرق هو الملاقي منه للمغرب والمحازى منه للسماء هو المحازى منه للارض أتوا باحدي العظائم وجعلوا جهة المشرق منه هي جهة المغرب وجعلوا السماء والارض منه في جهة واحدة وهذا حمق لايبلغه الا الموسوس ومكابرة للعيان لا يرضاها لنفسه سالم البنية وان قالوا بل الملاقي منه للمشرق هو غير الملاقي منه للمغرب وان السماء والارض منه فى جهتين متقابلتين فوق وأسفل صدقوا وهكذا جهة الجنوب والشمال فاذ ذلك كذلك بلا شك فقد صح انه ذو جهات ست متغايرة وهذا اقرار منهم بانه ذو أجزاء اذ قطعوا بان الملاقي منه للمغرب غير الملاقى منه للمشرق ومن للتبعيض وبطل قولهم من قرب والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ فان أرادوا الزامنا مثل هذا في العرض قلنا ليس للعرض جهة ولا له مكان ولا يقوم بنفسه ولا يحاذى شيئا وانما يحاذى الاشياء حامل العرض لا العرض اذ لو ارتفع العرض لبقي حامله مالئاً لمكانه كما كان محاذيا من جميع جهاته ما كان يحاذى حين حمله للعرض سواء سواء ولو ارتفع في قولكم الجزء الذي لايتجزأ لبقى مكانه خالياً منه وقد أوضحنا ان عرضين واعراضاً تكون في جسم واحد فى جهة واحدة منه وهم لايختلفون في ان جزئين كل واحد منهما لايتجزأ فلا يمكن البتة ان يكونا جميعاً في مكان واحد بل لكل واحد منهما عندهم مكانا غير مكان الآخر وبرهان آخر وهو انهم يقولون ان الجزء الذي لايتجزأ

لاطول له ولا عرض ولا عمق فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اذا أضفتم الى الجزء الذي لايتجزأ عندكم جزأً آخر مثله لايتجزأ أليس قد حدث لهما طول فلابد من قولهم نعم لايختلفون في ذلك ولو انهم قالوا لايحدث لهما طول للزمهم مثل ذلك فى اضافة جزء ثالث ورابع وأكثر حتى يقولوا ان الاجسام العظام لاطول لها ويحصلوا في مكابرة العيان فنقول لهم اذا قلتم ان جزأً لايتجزأ لاطول له اذا ضم اليه جزء آخر لايتجزأ ولا طول له فأيهما يحدث له طول فقولوا لنا هل يخلو هذا الطول الحادث عندكم من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها اما ان يكون هذا الطول لاحدهما دون الآخر أو لا لواحد منهما ولكليهما فان قلتم ليس هذا الطول لهما ولا لواحد منهما فقد أوجبتم طولا لا لطويل وطولا قائما بنفسه والطول عرض والعرض لايقوم بنفسه وصفة والصفة لايمكن ان توجد الا في موصوف بها ووجود طول لا لطويل مكابرة ومحال وان قلتم ان ذلك الطول هو لاحد الجزئين دون الآخر فقد أحلتم وأتيتم بما لاشك بالحس وضرورة العقل في بطلانه ولزمكم ان الجزء الذي لايتجزأ له طول واذا كان له طول فهو بلا شك يتجزأ وهذا ترك منكم لقولكم مع انه أيضاً محال لانه يجب من هذا انه يتجزى ولا يتجزى وان قلتم ان ذلك الطول للجزئين معا صدقتم وأقررتم بالحق في ان كل جزء منهما فله حصته من الطول والحصة من الطول طول بلا شك واذا كان كل واحد منهما له طول فكل واحد منهما يتجزأ وهذا خلاف قولكم انه لايتجزى وهذا برهان ضروري أيضاً لامحيد عنه وبالله تعالى التوفيق برهان آخر

﴿ قال أبو محمد ﴾ ونقول لهم أيما أطول جزآن لايتجزأ كل واحد منهما وقد ضم أحدهما الى الآخر أم أحدهما غير مضموم الى الآخر فلا يجوز ان يقول أحد الا ان الجزئين المضمومين أطول من أحدهما غير مضموم الى الآخر فاذ ذلك كذلك فمن المحال الممتنع الباطل ان يقال في شيء هذا أطول من هذا الا وفي الاخر طول دون طول ما هو أطول منه فقد صح ضرورة ان الطول موجود لكل جزء قالوا فيه انه لايتجزأ واذا كان له طول فهو منقسم بلا خلاف من أحد منا ومنهم وهكذا القول في عرضهما ان ضم أحدهما الى الآخر وفي عمقهما كذلك ولابد من ان يكون لكل واحد منهما حصة من العرض والعمق واذ ذاك كذلك ضرورة فكل جزء قالوا فيه انه لايتجزى فلابد من ان يكون له طول وعرض

وعمق واذ ذلك كذلك فهو جسم يتجزأ ولا بد وهذا أيضاً برهان ضروري لامحيد عنه وبالله
تعالى التوفيق * وقد رام أبو الهذيل التخلص من هذا الالزام فبعد ذلك عليه لانه رام محالا
فقال ان الطول الحادث للجزئين عند اجتماعهما انما هو كالاجتماع الحادث لهما ولم يكن لهما ولا
لاحدهما اذ كانا منفردين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا تمويه ظاهر لان الاجتماع هو ضم أحدهما الى الآخر نفسه ليس هو
شيئاً آخر ولم يكونا قبل الضم والجمع مضمومين ولا مجتمعين وليس معنى الطول والعرض
والعمق كذلك بل هو شيء آخر غير الضم والجمع وانما هو صفة للطويل مضموما كان الى غيره
او غير مضموم ولا يوجب الجمع والضم طولا لم يكن واجبا قبل الضم والجمع فلم يزد ابو الهذيل
على ان قال لما اجتمعا صارا مجتمعين وصارا طويلين وهذه دعوى فاسدة ونظر منحل لان
قوله لما اجتمعا صارا مجتمعين صحيح لاشك فيه وقوله وصارا طويلين دعوى مجردة من الدليل
جملة وما كان هكذا فهو باطل وأيضاً فان الاجتماع لماحدث بينهما بطل معنى آخر كان موجوداً
فيهما وهو الافتراق الذي هو ضد الاجتماع فاخبرونا اذا حدث الطول بزعمكم فاي شيء هو
المعنى الذي ذهب بوجود الطول وعاقبة الطول ولا سبيل لهم الى وجوده فصح ان الطول
كان موجوداً في كل جزء على انفراده وكذلك العرض والعمق ثم لما اجتمعا زاد الطول
والعرض والعمق وهكذا أبدا وبالله تعالى التوفيق وهذا هو الذى تشهد له الحواس
والمشاهدة والعقل والحمد لله رب العالمين * وبرهان آخر وهو ان الجرم اذ كان أحمر فكل
جزؤ من أجزائه أحمر بلا شك فان قالوا ليس أحمر قلنا لهم فلعله أخضر أو أصفر أو غير
ذى لون وهذا عين المحال لان الكل قد بينا انه ليس هو شيئاً غير أجزائه فلو كان لون أجزائه
غير لونه كله لكان لونه غير لونه وهذا محال فاذ لاشك فيما ذكرنا فالجزؤ الذي يدعون
انه لايتجزأ هو ذو لون بلا شك واذ هو ذو لون فهو جسم لايعقل غير ذلك فهو يتجزى

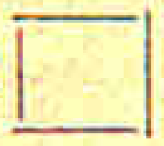
﴿ قال أبو محمد ﴾ وقالت الاشعرية ههنا كلاما ظريفا وهو انهم قالوا هو ذو لون واحد

﴿ قال أبو محمد ﴾ كل ملون فهو ذو لون واحد لاذو ألوان كثيرة الا ان يكون أبلق أوموشى
برهان آخر ان وجود شيء في العالم قائم بنفسه ليس جسما ولا عرضاً ولا قابلا للتجزئ ولا
طول له ولا عرض ولا عمق فهو محال ممتنع اذ هذا المذكور ليس هو شيئاً غير البارى

تعالى

تعالى وجل تعالى ان يكون له في العالم شبه وبهذا بان عزوجل عن مخلوقاته ولم يكن له كفواً
أحد وليس كمثله شيء برهان آخر

﴿ قال أبو محمد ﴾ كل شيء يحتمل ان يكون له أجزاء كثيرة فبالضرورة ندرى انه يحتمل ان
يجزأ الى أقل منها هذا مالاتختلف العقول والاحساس فيه كشيء احتمل ان يقسم على أربعة
أقسام فلا شك انه يحتمل ان يقسم على ثلاثة وعلى اثنين وهكذا في كل عدد ومن دافع في
هذا فانما يدافع الضرورة ويكابر العقل فلو أقمت خطا من ثلاثة أجزاء كل جزء منها
لايتجزأ على قولهم أو يعمل ذلك الخط من عشرة أجزاء وكذلك ومن الف جزء كذلك
او مما زاد فانه لايختلف احد في ان الخط الذي هو من ثلاثة اجزاء فانه ينقسم اثلاثا في
موضعين وان الذى هو اربعة اجزاء فانه ينقسم ارباعاً في ثلاثة مواضع وان الذي من
الف جزؤ فانه ينقسم اعشاراً وبنصفين واذ لاشك في هذا فبيقين لامحيد عنه يدرى كل ذي
حس سليم ولو انه عالم او جاهل ان ماانقسم اثلاثا فانه ينقسم نصفين مستويين وما انقسم
ارباعا فانه ينقسم اثلاثا مستوية وان ماكان من الخطوط فله اعشار واخماس ونصف واثلاث
واسداس واسباع متساوية فاذ لاشك في هذا فان القسمة لابد ان تقع في نصف جزء منها
اوفي اقل من نصفه فصح ان كل جسم فهو يتجزأ ضرورة وان الجزء الذي لا يتجزأ باطل
معدوم من العالم وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر

﴿ قال ابو محمد ﴾ بلا شك نعلم ان الخطين المستقيمين المتوازيين لايلتقيان أبداً ولو مدا عمر العالم
ابدا بلا نهاية ــــ وانك ان مددت من الخط الاعلى الى الخط المقابل له خطين مستقيمين
متوازيين قام منهما مربع بلا شك  فاذا اخرجت من زاوية ذلك المربع خطامنحدرا
من هنالك الى الخط الاسفل فان تلك الخطوط المخرجة من الضلع الذى ذكرنا وتلك
الخطوط المخرجة من الزاوية لاتمر مع الخط الاعلى ابدا لانها غير موازية له فاذ ذلك كذلك
فذلك الضلع منقسم ابد الابد ماخرجت الخطوط بلا نهاية * برهان آخر

﴿ قال ابو محمد ﴾ وبالضرورة ندرى ان كل مربع متساوى الاضلاع فان الخط القاطع من
الزاوية العليا الى الزاوية السفلى التي لايوازيها يقوم منه في المربع مثلثان متساويان  وانه
لاشك أطول من كل ضلع من أضلاع ذلك المربع على انفراده فنسألهم عن مائة جزء

لايتجزأ رتبت متلاصقة عشرة عشرة فبالضرورة نجد فيما ماذكرنا فبيقين نعلم حينئذ أن كل جزء من الاجزاء المذكورة لولا ان له طولا وعرضاً لما كان الخط المار بها القاطع للمربع القائم منها على مثلثين متساويين أطول من الخط المار بكل جهة من جهات ذلك المربع على استواء وموازاة للخطوط الاربعة المحيطة بذلك المربع وهو أطول منه بلا شك فصح ضرورة ان لكل جزء منها طولا وعرضاً وأن ماله طول وعرض فهو متجزء بلا شك فصح أيضاً بما ذكرنا أن كل جزء مر عليه الخط المذكور فقد انقسم  برهان آخر وأيضاً فاننا لو أقمنا خطاً من أجزاء لاتتجزأ على قولهم مستقيما ثم أدرناه حتي يلتقي طرفاه ويصير دائرة فبالضرورة يدري كل ذى حس سليم ان الخط اذا أدير حتى يلتقي طرفاه فان ماقابل من أجزائه مركز الدائرة أضعف مما قابل منها خارج الدائرة فاذ ذلك كذلك فهذا لازم في هذا الخط المدار بلا شك واذ لاشك في هذا فقد فضل من أحد طرفى الجزء الذى لايتجزأ عندهم فضلة على طرفه الآخر وهكذا كل جزء من تلك الاجزاء بلا شك فصح ضرورة أنه محتمل للانقسام ولا بد وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر نسألهم عن دائرة قطرها أحد عشر جزءاً لايتجزأ كل واحد منها عندهم أو أى عدد شئت على الحساب فأردنا أن نقسمها بنصفين على السواء ولا خلاف في أن هذا ممكن فبالضرورة ندرى أن الخط القاطع على قطر الدائرة من المحيط الى ماقابله من المحيط ماراً على مركزها لايقع البتة الا في انصاف تلك الاجزاء فصح ضرورة أنها تتجزأ ولولم يمر ذلك الخط على أنصافها لما قسم الدائرة بنصفين وبالله تعالى التوفيق * وبرهان آخر وهو أن نسألهم عن الجزء الذى لايتجزأ الذى يحققونه اذا وضع على سطح زجاجة ملساء مستوية هل له حجم زائد على سطحها أم لا حجم له زائدا على سطحها فان قالوا لاحجم له زائدا على سطحها أعدموه ولم يجعلوا له مكانا ولاجعلوه متمكناً أصلا فنسألهم عن جزأين جملا كذلك فلا بد من قولهم ان لهما حجما فنسألهم عن ذلك الحجم ألهما معاً أم لاحدهما فأى ذلك قالوا أثبتوا ولا بد الحجم لهما وللجزء الذي هو احدهما واذا كان للجزء الذي لايتجزأ حجم زائد فالذي لاشك فيه له ظلا واذا صح يقينا ان له ظلا فلا شك في أن الظل يزيد وينقص ويمتد ويتقاص ويذهب اذا سامته الشمس فاذ ذلك كذلك فبيقين ندرى ان ظله ينقص حتي يكون اقل من قدره

واذ

واذ ذلك فقد ظهر ووجب ان له تجزياً ومقداراً متبعضا وبرهان آخر وهو انا نسألهم عن جزؤ لايتجزا من الحديد او من الذهب وجزؤ لايتجزا من خيط قطن هل ثقلهما ووزنهما سواء ام الذى من الذهب أو الحديد أثقل من الذى من القطن فان قالوا ثقلهما ووزنهما سواء كابروا ولزمهم هذا في الف جزؤ كذلك من الذهب انهما ليستا أثقل من ألف جزؤ من القطن مجتمعة كانت الاجزاء أو متفرقة وهذا جنون ومكابرة وان قالوا بل الذي من الذهب أوزن وأثقل صدقوا وأوجبوا ان له تجزيا يتفاضل الوزن ضرورة ولابد

« قال أبو محمد » فهذه براهين ضرورية قاطعة بأن كل جزء فهو يتجزأ أبداً بلا نهاية وان جزاء لايتجزأ ليس في العالم أصلا ولا يمكن وجوده بل هو من المحال الممتنع وبالله تعالى التوفيق

« قال أبو محمد » أما أبو الهذيل فخلط في هذا الباب وحق لمن رام نصر الباطل ان يخلط فقال ان الجزؤ الذي لايتجزأ ذوحركة وسكون يتعاقبان عليه وان يشغل مكانا لايسع فيه معه غيره وانه أقرب الى السماء من مكانه الذي هو عليه من الارض وهذا غاية التناقص اذ ما كان هكذا فله مساحة بلا شك وهو ذوجهات ست فالمساحة أجزاء من نصف وثلث وأقل وأكثر وماكان ذاجهات فالذي منه في كل جهة غير الذي منه في الجهة الاخرى بلا شك وما كان هذا فهو محتمل للتجزي بلا شك وماعدا هذا فوسواس نعوذ بالله منه

« قال أبو محمد » في تخليطهم هذا اختلافا ظريفا أيضاً فاجمعوا انه اذا ضم جزؤ لايتجزء الى جزؤ لايتجزا فصارا أثنين فقد حدث لهما طول ثم اختلفوا متي يصير جسماً له طول وعرض وعمق فقال بعضهم اذا صار جزئين صار جسما وهو قول الاشعرية وقال بعضهم اذا صارا أربعة أجزاء وقال بعضهم بل اذا صارا ستة أجزاء واتفقوا على أنه اذا صارا ثمانية أجزاء فقد صار جسماً له طول وعرض وعمق وكل هذا تخليط ناهيك به وجهل شديد كان الاولى باهله ان يتعلموا قبل أن يتكلموا بهذه الحماقات برهان ذلك أنهم لم يختلفوا أنهم اذا سفوا أربعة أجزاء لايتجزا وتحتها أربعة أجزاء لايتجزا فانه قد صار عندهم الجميع من هذه الاجزاء جسماً طويلا عريضاً عميقاً

« قال أبو محمد » وهذا الذي طابت نفوسهم عليه وانست عقولهم اليه في الثمانية وسهل على بعضهم دون بعض في ثلاثة أجزاء تحتها ثلاثة أجزاء وفي جزئين تحتها جزآن ومنعوا كلهم

من ذلك في جزؤ على جزؤ حاشا الاشعرية فانه بعينه موجود على أصولهم المتحدولة وأقوالهم المرذولة في جزؤ على جزؤ على جزؤ سواء سواء بعينه وذلك ان أربعة أجزاء على أربعة أجزاء فاما الحاصل منها جزؤ على جزء فقط من كل جهة فاذا جعلوا الاربعة على الاربعة طولا فانما جعلوه في جزؤ الى جنب جزؤ كذلك فعلوا فى العرض وكذلك فعلوا في العمق واذ هو كذلك والطول عندهم يوجد في جزء الى جنب جزء والعرض يوجد جنب الطول لان العرض لايكون أكثر من الطول أصلا والعمق موجود فيهما أيضاً فظهر ان لكل جزء منها طولا وعرضاً وعمقا ومكانا وجهات ووجب ضرورة بهذا انه يتجزأ ولاح جهلهم وخبطهم وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذا قد بطل قولهم في الجزء الذى لايتجزأ وفى كل ما أوجبوه انه جوهر لاجسم ولا عرض فقد صح ان العالم كله حامل قائم بنفسه ومحمول لايقوم بنفسه ولايمكن وجود أحدهما متخلياً فالمحمول هو العرض والحامل هو الجوهر وهو الجسم سمه كيف شئت ولا يمكن فى الوجود غيرهما وغير الخالق لهما تعالى وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقال هؤلاء الجهال ان العرض لايبقى وقتين وانه لايحمل عرضاً

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد كلمناهم في هذا وتقرينا كتبهم فما وجدنا لهم حجة في هذا أصلا أكثر من ان بعضهم قال لو بقي وقتين لشغل مكانا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذه حجة فقيرة الى حجة ودعوى كاذبة نصر بها دعوى كاذبة ولا عجب أكثر من هذا ثم لو صحت لهم للزمهم هذا بعينه فيما جوزوه من بقاء العرض وقتاً واحداً ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال لو بقي العرض وقتاً واحداً لشغل مكانا وبيقين يدرى كل ذى حس سليم انه لافرق في اقتضاء المكان بين بقاء وقت واحد وبين بقاء وقتين فصاعدا فان أبطلوا بقاءه وقتاً لزمهم انه ليس باقياً أصلا واذا لم يكن باقياً فليس موجوداً أصلا واذ لم يكن موجوداً فهو معدوم فحصلوا من هذا التخليط على نفي الاعراض ومكابرة العيان ويقال لهم ماالفرق بينكم وبين من قال بل يبقى وقتين ولا يبقى ثلاثة أوقات اذلو بقي ثلاثة أوقات لشغل مكانا وكل هذا هوس وليس من أجل البقاء وجب اقتضاء الباقي المكان لكن من أجل انه طويل عريض عميق فقط ولا مزيد وقد قال بعضهم ان الشيء في حين

خلق الله تعالى له ليس باقياً ولا فانياً وهذه دعوى في الحمق كما سلف لهم ولا فرق وهي مع ذلك لاتعقل ولا يتمثل في الوهم ان يكون في الزمان أو في العالم شيء موجود ليس باقياً ولا فانياً

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولا عجب أعجب من حمق من قال ان بياض الثلج وسواد القار وخضرة البقل ليس شيء منها الذي كان آنفاً بل يفني في كل حين ويستعيض الف الف بياض وا كثر والف الف خضرة وأكثر هذه دعوى عارية من الدليل الا انها جمعت السخف مع المكابرة

﴿ قال أبو محمد ﴾ والصحيح من هذا هو ماقلناه ونقوله ان الاعراض تنقسم أقساماً فمنها مالا يزول ولا يتوهم زواله لانفساد ماهو فيه لو امكن ذلك كالصورة الكلية أو كالطول والعرض والعمق ومنها مالا يزول ولا يتوهم زواله الا بانفساد حامله كالاسكار في الخمر ونحو ذلك فانها ان لم تكن مسكرة لم تكن خمرا وهكذا كل صفة يجدها ماهي عليه ومنها مالا يزول الا بفساد حامله الا انه لو توهم زائلا لم يفسد حامله كزرق الازرق وفطس الافطس فلو زالا لبقي الانسان انسانا بحسبه ومنها مايبقى مدداطوالا وقصاراً وربما زايل ماهو فيه كسواد الشعر وبعض الطعوم والخشونة والاملاس في بعض الاشياء والطيب والنتن في بعضها والسكون والعلم وكبعض الالوان التي تستحيل ومنها مايسرع الزوال كحمرة الخجل وكمدة الهم وليس من الاعراض شيء يفني بسرعة حتى لايمكن ان يضبط مدة بقائه الا الحركة فقط على انها بضرورة العقل والحس ندري ان حركة الجزء من الفلك التى تقطع الفلك بنصفين من شرق الى غرب أسرع من حركة الجزء منه الذي حوالي القطبين لان كل هذين الجزأين يرجع الى مكانه الذي بدأ منه في أربع وعشرين ساعة وبين دائرتيهما في الكبر مالا يكون مساحة خط دائرة أو خط مستقيم أكثر منه في العالم وبيقين يدرى ان حركة المذعورة في طيرانها أسرع من حركة السلحفاة في مشيها وان حركة المنساب في الحدور اسرع من حركة الماء الجاري فى مسيل النهر وان حركة العصر في الجرى اسرع من حركة الماشي فصح يقينا ان في خلال الحركات ايضاً بقاء اقامة يتفاضل في مدته لان الحركات كلها انما هي نقلة من مكان الى مكان فللمتحرك مقابلة ولا بد لكل جرم مر عليه فى تلك المقابلات يكون التفاضل في السرعة أو في البطء الا أنه لايحس أجزاؤه ولا تضبط دقائقه الا بالعقل فقط الذى به يعرف زيادة

الظل والشمس ولا يدرك ذلك بالحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما فانه حينئذ يعرف بحس البصر كما لا يدرك بالحواس نماء النامي الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكما يعرف بالعقل لا بالحس ان لكل خردلة جزءاً من الاثقال فلا يحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكذلك الشبع والري وكثير من أمراض العالم فتبارك خالق ذلك هو الله أحسن الخالقين وأما قولهم ان العرض لايحمل العرض فكلام فاسد مخالف للشريعة وللطبيعة وللعقل وللحواس ولاجماع جميع ولد آدم لانا لانختلف في أن نقول حركة سريعة وحركة بطيئة وحمرة مشرقة وخضرة أشد من خضرة وخلق حسن وخلق مسيء وقال تعالى «ان كيدكن عظيم» وقال تعالى «فصبر جميل» وحسبك فساداً بقول أدى الى هذا ومن أحال على العيان والحس والمعقول وكلام الله تعالى فقد فاز قدحه وخسرت صفقة من خالفه

﴿قال أبو محمد﴾ ولسنا نقول ان عرضا يحمل عرضاً الى ما لانهاية له بل هذا باطل ولكن كما وجد وكما خلق البارى تعالى ماخلق ولا مزيد وما عدا هذا فرقة دين وضعف عقل وقلة حياء ونعوذ بالله من هذه الثلاث وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الكلام في المعارف

﴿قال أبو محمد﴾ اختلف الناس في المعارف فقال قائلون المعارف كلها باضطرار اليها وقال آخرون المعارف كلها باكتساب لها وقال آخرون بعضها باضطرار وبعضها باكتساب

﴿قال أبو محمد﴾ والصحيح في هذا الباب ان الانسان يخرج الى الدنيا ليس عاقلا لامعرفة له بشيء كما قال عز وجل «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً»

﴿قال أبو محمد﴾ فحركاته كلها طبيعية كأخذه الثديين حين ولادته وتصرفه تصرف البهائم على حسبها في تألمها وطربها حتى اذا كبر وعقل وقويت نفسه الناطقة وأنست بما صارت فيه وسكنت اليه وبدت رطوباته تجف بدأت تميز الامور في الدار التى صارت فيها فيحدث الله تعالى لها قوة على التفكر واستعمال الحواس في الاستدلال وأحدث الله تعالى لها الفهم بما تشاهد وما تخبر به فطريقه الى بعض المعارف اكتساب في أول توصله اليها لانه بأول فهمه ومعرفته عرف ان الكل أكثر من الجزء وان جسما واحداً لايكون في مكانين وانه لايكون قاعداً

قائماً معاً وهو ان لم يحسن العبارة عن ذلك فان أحواله كلها تقتضي تيقنه كل ماذكرنا وعرف أولا صحة ما أدرك بحواسه ثم انتجت له بعد ذلك سائر المعارف بمقدمات راجعة الى ماذكرنا من قرب أو بعد فكل ماثبت عندنا ببرهان وان كان بعيد الرجوع الى ماذكرنا فمعرفة النفس به اضطرارية لانه لورام جهده أن يزيل عن نفسه المعرفة بما ثبت عنده هذا الثبات لم يقدر فاذ هذا لاشك فيه فالمعارف كلها باضطرار اذ مالم يعرف بيقين فانما عرف بظن وما عرف ظناً فليس علماً ولا معرفة هذا مالاشك فيه الا أن يتطرق الى طلب البرهان بطلب وهذا الطلب هو الاستدلال ولو شاء أن لايستدل لقدر على ذلك فهذا الطلب وحده هو الاكتساب فقط وأما ماكان مدركا بأول العقل وبالحواس فليس عليه استدلال أصلا بل من قبل هذه الجهات يبتدي كل أحد بالاستدلال وبالرد الى ذلك فيصح استدلاله أو يبطل وحد العلم بالشيء وهو المعرفة به أن نقول العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد وهو اعتقاد الشيء على ماهو عليه وتيقنه به وارتفاع الشكوك عنه ويكون ذلك اما بشهادة الحواس وأول العقل واما ببرهان راجع من قرب أو من بعد الى شهادة الحواس أو أول العقل واما باتفاق وقع له في مصادفة اعتقاد الحق خاصة بتصديق ما افترض الله عز وجل عليه اتباعه خاصة دون استدلال وأما علم الله تعالى فليس محدوداً أصلا ولا يجمعه مع علم الخلق حد فلا حس ولا شيء أصلا وذهبت الاشعرية الى أن علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حد واحد

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا خطأ فاحش اذ من الباطل أن يقع مالم تزل النهايات وعلم الله تعالى ليس هو غير الله تعالى على مابينا قبل وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ قالت طوائف منهم الاشعرية وغيرهم من اتفق له اعتقاد شيء على ما هو به عن غير دليل لكن بتقليد أو تميل بارادته فليس عالماً به ولا عارفا به ولكنه معتقد له وقالوا كل علم ومعرفة اعتقاد وليس كل اعتقاد علما ولا معرفة لان العلم والمعرفة بالشيء انما يعبر بهما عن تيقن صحته قالوا وتيقن الصحة لا يكون الا ببرهان قالوا وما كان بخلاف ذلك فانما هو ظن ودعوى لا تيقن بها اذ لو جاز ان يصدق قول بلا دليل لما كان قول أولى من قول ولكانت الاقوال كلها صحيحة على تضادها ولو كان ذلك لبطلت الاقوال ولبطلت الحقائق كلها لان كل قول يبطل كل قول سواه فلو صحت الاقوال كلها لبطلت كلها لانه لو

كان يكون كل قول صادقاً في ابطاله ما عداه

﴿ قال أبو محمد ﴾ فنقول وبالله تعالى التوفيق ان التسمية والحكم ليس الينا وانما هما الى خالق اللغات وخالق الناطقين بها وخالق الاشياء ومرتبها كما شاء لااله الا هو قال عزوجل منكراً على من سمى من قبل نفسه *ان هي الا أسماء سميتموها انتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان* وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم فنهي الله عز وجل كل أحد عن أن يقول ماليس له به علم فوجدناه عزوجل يقول في غير موضع من القرآن *ياأيها الذين آمنوا* وقال تعالى *وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا* وقال تعالى *فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين* فخاطب الله تعالى بهذه النصوص وبغيرها و كذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم كل مؤمن في العالم الى يوم القيامة وبيقين ندرى انه قد كان في المؤمنين على عهده عليه السلام ثم من بعده عصراً عصراً الى يوم القيامة المستدل وهم الاقل وغير المستدل كمن اسلم من الزنج ومن الروم والفرس والآماء وضعفة النساء والرعاة ومن نشأ على الاسلام بتعليم أبيه او سيده اياه وهم الاكثر والجمهور فسماهم عز وجل مؤمنين وحكم لهم بحكم الاسلام وهذا كله معروف بالمشاهدة والضرورة وقال تعالى *آمنوا بالله ورسوله* وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لااله الا الله واني رسول الله ويؤمنوا بما أرسلت به فصح يقيناً انهم كلهم مامورون بالقول بجميع ماجاء به النبي صلي الله عليه وسلم وان كل من صد عنه فهو كافر حلال دمه وماله فلو لم يؤمن بالقول بالايمان الا من عرفه من طريق الاستدلال لكان كل من لم يستدل ممن ذكرنا منهياً عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وعن القول بتصديقه لانه عند هؤلاء القوم ليسوا عالمين بذلك وهذا خلاف القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة المتيقن أما القرآن والسنة فقد ذكرناهما وأما اجماع الامة فمن الباطل المتيقن ان يكون الاستدلال فرضاً لا يصح ان يكون احد مسلماً الا به ثم يغفل الله عز وجل ان يقول لاتقبلوا من احد انه مسلم حتي يستدل اتراه نسي تعالى ذلك او تعمد عزوجل ترك ذكر ذلك اضلالا لعباده وبترك ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم اما عمداً أو قصداً الى الضلال والاضلال اونسياناً لما اهتدى له هؤلاء ونبهوا اليه وهم من هم بلادة وجهلا وسقوطاً هذا لايظنه الا كافر ولا يحققه الا مشرك فما قال قط رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم لاهل قرية او حلة اوحي ولا لراع ولا لراعية ولا للزنج ولا للنساء لااقبل اسلامكم حتى أعلم المستدل من غيره فاذا لم يقل عليه السلام ذلك فالقول به واعتقاده افك وضلال وكذلك اجمع جميع الصحابة رضي الله عنهم على الدعاء الى الاسلام وقبوله من كل احد دون ذكر استدلال ثم هكذا جيلا فجيلا حتي حدث من لاقدر له فان قالوا قد قال الله عز وجل *قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين* قلنا نعم وهذا حق وانما قاله الله عزوجل لمن خالف الحق الذى امر عزوجل الجن والانس باتباعه وهكذا القول ان كل من قال قولا خالف فيه ماامر الله عزوجل باتباعه فسواء استدل بزعمه اولم يستدل هذا مبطل غير معذور الا من عذره الله عزوجل فيما عذره فيه كالمجتهدين من المسلمين يخطأ قاصداً الى الحق فقط مالم يقم عليه الحجة فيعاند واما من اتبع الحق فما كلفه الله عزوجل قط برهاناً والبرهان قد ثبت بصحة كل ماامر الله تعالى به فسواء علمه فتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعلمه حسبه أنه عالم بالحق معتقد له موقن به وان جهل برهانه الذى قد علمه غيره وهذا خلق الله عز وجل الايمان والعلم في نفسه كما خلقه في نفس المستدل ولا فرق قال تعالى *اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا* فسماهم داخلين في دينه وان كانوا أفواجا وما شرط الله عزوجل قط ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك باستدلال بل هذا شرط من شرط ذلك ممن قذفه ابليس فى قلبه وعلى لسانه ليخرجه الى تكفير الامة ولا عجب أعجب من اصفاق هذه الطائفة الضالة المخذولة على انه لايصح لاحد ايمان حتى يستدل على ذلك ولا يصح لاحد استدلال حتي يكون شاكا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم غير مصدق بها فاذا كان ذلك صح له الاستدلال والا فليس مؤمناً فهل سمع بأحمق أو ادخل في الحمق والكفر من قول من قال لايؤمن أحد حتي يكفر بالله تعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم وان من آمن بهما ولم يكفر بهما قط فهو كافر مشرك نبرأ الى الله تعالى من كل من قال بهذا

﴿ قال أبو محمد ﴾ فهذان طريقان لاثالث لهما كل طريق منها تنقسم قسمين أحدهما من اتبع الذى امره الله عزوجل باتباعه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مؤمن عالم حقا سواء استدل او لم يستدل لانه فعل ما امره الله تعالى به ثم ينقسم هؤلاء قسمين احدهما من لم يتبع قط غيره عليه الصلاة والسلام ووافق الحق بتوفيق الله عز وجل فهذا له

في كل عقد اعتقده اجران واما ان يكون حرم موافقه الحق وهو مريد في امره ذلك اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا معذور مأجور اجراً واحداً مالم تقم عليه الحجة فيعاندها وهذا نص قوله عليه السلام في الحاكم المجتهد المصيب والمخطي والطريق الثانية من اتبع غير الذى امره الله باتباعه فهذا سواء استدل أو لم يستدل هو مخطي ظالم عاص لله تعالى وكافر على حسب ماجاءت به الديانة في أمره ثم ينقسم هؤلاء قسمين أحدهما أصاب ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير قاصد الى اتباعه عليه الصلاة والسلام فيه والآخر لم يصبه فكلاهما لاخير فيه وكلاهما آثم غير مأجور وكلاهما عاص لله عز وجل أوكافر على حسب ماجاءت به الديانة من أمره لانهما جميعا تعديا حدود الله عز وجل فيما أمرهم به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه» ولا ينتفع باصابته الحق اذ لم يصبه من الطريق التي لم يجعل الله طلب الحق وأخذه الا من قبلها وقد علمنا ان اليهود والنصارى يوافقون الحق في كثير كاقرارهم بنبوة موسي عليه السلام وكتوحيد بعضهم لله تعالى فما انتفعوا بذلك اذ لم يعتقدوه اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك من قلد فقيها فاضلا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عقده انه لايتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان وافق قوله قول ذلك الفقيه فهذا فاسق بلا شك ان فعله غير معتقد له وهو كافر بلا شك ان اعتقده بقلبه أو نطق به بلسان لمخالفته قول الله تعالى «فلا وربك لايؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما» فنفي الله عز وجل عن أهل هذه الصفة الايمان واقسم على ذلك ونحن ننفي مانفي الله عز وجل عمن نفاه عنه ونقسم على ذلك ونوقن اننا على الحق في ذلك وأما من قلد فقيها فاضلا وقال انما اتبعه لانه اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مخطي لانه فعل من ذلك مالم يأمره الله تعالى به ولا يكفر لانه قاصد الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخطي للطريق في ذلك ولعله مأجور بنيته أجراً واحداً مالم تقم الحجة عليه بخطاء فعله فان ذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث فتنة القبر وأما المنافق أو المرتاب فانه يقال له ماقولك في هذا الرجل يعني رسول الله صلي الله عليه وسلم فيقول لاأدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا حق على ظاهره كما أخبر رسول الله عليه وسلم انه لايقول هذا الا المنافق أو المرتاب لا المؤمن الموقن بل المؤمن الموقن ذكر في هذا الحديث انه يقول هو عبد الله ورسوله أتانا بالهدى والنور أو كلاماً هذا معناه فانما أخبر عليه السلام عن موقن ومرتاب لاعن مستدل وغير مستدل وكذلك نقول ان من قال في نفسه أو بلسانه لولا انى نشأت بين المسلمين لم أكن مسلما وانما اتبعت من نشأت بينهم فهذا ليس مؤمنا ولا موقنا ولا متبعا لمن أمره الله تعالى باتباعه بل هو كافر

﴿ قال أبو محمد ﴾ واذا كان قد يستدل دهره كله من لايوفقه الله تعالى للحق وقد يوفق من لايستدل يقينا لو علم ان أباه أو أمه أو ابنه أو امرأته أو أهل الارض يخالفونه فيه لاستحل دماءهم كلهم ولو خير بين أن يلقي في النار وبين ان يفارق الاسلام لاختار أن يحرق بالنار على ان يقول مثل هذا قلنا فاذ هو موجود فقد صح ان الاستدلال لامعنى له وانما المدار على اليقين والعقد فقط وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ وانما يضطر الى الاستدلال من نازعته نفسه اليه ولم يسكن قلبه الى اعتقاد مالم يعرف برهانه فهذا يلزمه طلب البرهان حينئذ ليقي نفسه ناراً وقودها الناس والحجارة فان مات شاكا قبل أن يصح عنده البرهان مات كافراً مخلدا في النار أبداً

﴿ قال أبو محمد ﴾ ثم نرجع الى ما كنا فيه هل المعارف باضطرار ام باكتساب فنقول وبالله تعالى التوفيق ان المعلومات قسم واحد وهو ماعقد عليه المرء قلبه وتيقنه ثم هذا ينقسم قسمين أحدهما حق في ذاته قد قام البرهان على صحته والثاني لم يقم على صحته برهان واما مالم يتيقن المرء صحته في ذاته فليس عالما به ولا له به علم وانما هو ظان له واما كل ماعلمه المرء ببرهان صحيح فهو مضطر الى علمه به لانه لامجال للشك فيه عنده وهذه صفة الضرورة واما الاختيار فهو الذي ان شاء المرء فعله وان شاء تركه

﴿ قال أبو محمد ﴾ فعلمنا بحدوث العالم وان له بكل مافيه خالقا واحدا لم يزل لايشبهه شيء من خلقه في شيء من الاشياء والعلم بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة كل ماأتى به مما نقله الينا الصحابة كلهم رضى الله عنهم ونقله عنهم الكواف كافة بعد كافة حتي بلغ الينا أو نقله المتفق على عدالته عن مثله وهكذا حتي بلغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كله علم

حق متيقن مقطوع على صحته عند الله تعالى لان الاخذ بالظن في شيء من الدين لايحل قال الله تعالى﴿ ان الظن لايغني من الحق شيئاً ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وقال تعالى﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ فصح ان الدين محفوظ لماضمن الله عز وجل حفظه فنحن على يقين انه لايجوز أن يكون فيه شك وقد أمر الله تعالى بقبول خبر الواحد العدل ومن المحال ان يأمر الله عز وجل بان نقول عليه مالم يقل وهو قد حرم ذلك أو ان نقول عليه مالا نعلم انه تعالى قد حرم ذلك بقوله﴿ وان تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ فكل ماأمرنا الله عزوجل بالقول به فنحن على يقين من انه من الدين وان الله تعالى قد حماه من كل دخل وكذلك أخذنا بالزايد من الاثنين المتعارضين ومن الخبرين الثابتين المتعارضين وقد علمنا صحة ان الحق في فعلنا ذلك علم ضرورة متيقن ولا أعجب ممن يقول ان خبر الواحد لايوجب العلم وانما هو غالب ظن ثم نقطع به ونقول انه قد دخلت في الدين دواخل لاتميز من الحق وانه لاسبيل الى تمييز ماأمر الله تعالى به فى الدين مما شرعه الكذابون هذا أمر نعوذ بالله منه ومن الرضاء به

﴿ قال أبو محمد ﴾ واما مااجتمعت عليه الجماعات العظيمة من أرايهم مما لم يأت به نص عن الله عزوجل ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل عند الله بيقين لانه شرع في الدين مالم يأذن به الله عزوجل وقال على الله تعالى مالم يقله وبرهان ذلك انه قد يعاوض ذلك قول آخر قالته جماعات مثل هذه والحق لايتعارض والبرهان لايناقضه برهان آخر وقد تقصينا هذا في كتابنا المرسوم بكتاب الاحكام في أصول الاحكام فاغني عن ترداده والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ فكل من كان من أهل الملل المخالفة فبلغته معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وقامت عليه البراهين في التوحيد فهو مضطر الى الاقرار بالله تعالى وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من قام على شيء ماأى شيء كان عنده برهان ضروري صحيح وفهمه فهو مضطر الى التصديق به سواء كانت من الملل أو من النحل أو من غير ذلك وانما أنكر الحق في ذلك أحد ثلاثة اما غافل معرض عما صح عنده من ذلك مشتغل عنه بطلب معاشه أو بالتزيد من مال أو جاه أو صوت أو لذة أو عمل يظنه صلاحاً أو ايثارا للشغل بما يتبين له

من ذلك عجزاً وضعف عقل وقلة تميز لفضل الاقرار بالحق أو مسوف نفسه بالنظر كحال كل طبقة من الطبقات الذين نشاهدهم في كل مكان وكل زمان واما مقلد لاسلافه أو لمن نشأ بينهم قد شغله حسن الظن بمن قلد اواستحسانه لما قلد فيه وغمر الهوى عقله عن التفكر فيما فهم من البرهان قد حال ماذكرناه بينه وبين الرجوع الى الحق وصرف الهوى ناظر قلبه عن التفكر فيما يتبين له من البرهان ونفر عنه وأوحشه منه فهو اذا سمع برهاناً ظاهراً لامدفع فيه عنده ظنه من الشيطان وغالب نفسه حتي يعرض عنه وقالت له نفسه لابد ان هاهنا برهانا يبطل به هذا البرهان الذى أسمع وان كنت أنا لاأدريه وهل خفي هذا على جميع أهل ملتي وأهل نحلتي أو مذهبي أو على فلان وفلان ولا بد انه قد كان عندهم مايبطلون به هذا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا عام في أكثر من يظن انه عالم في كل ملة وكل نحلة وكل مذهب وليس واحد من هاتين الطائفتين الا والحجة قد لزمته وبهرته ولكنه غلب وساوس نفسه وحماقاتها على الحقايق اللايحة له ونصر ظنه الفاسد على يقين قلبه الثابت وتلاعب الشيطان به وسخر منه فاوهمه لشهوته لما هو فيه ان هاهنا دليلا يبطل به هذا البرهان وانه لو كان فلان حياً أو حاضراً لابطل هذا البرهان وهذا أعظم مايكون من السخافة لما لايدرى ولا سمع به وتكذيب لما صح عنده وظهر اليه ونعوذ بالله من الخذلان والثالث منكر بلسانه ماقد تيقن صحته بقلبه اما استدامة لرياسة أو استدرار مكسب أو طمعاً فى أحدهما لعله يتم له أولا يتم ولو تم له لكان خاسر الصفقة في ذلك أو أثر غروراً ذاهباً عن قريب على فوز لا بد او يفعل ذلك خوف أذى أو عصبية لمن خالف ماقد قام البرهان عنده أو عداوة لقايل ذلك القول الذى قام به عنده البرهان وهذا كله موجود في جمهور الناس من أهل كل ملة وكل نحلة وأهل كل رأى بل هو الغالب عليهم وهذا أمر يجدونه من أنفسهم فهم يغالبونها

﴿ قال أبو محمد ﴾ ويقال لمن قال ممن ينتمي الى الاسلام ان المعارف ليست باضطرار وان الكفار ليسوا مضطرين الى معرفة الحق فى الربوبية والنبوة اخبرونا عن معجزات الانبياء عليهم السلام هل رفعت الشك جملة عن كل من شاهدها وحسمت عللها وفصلت بين الحق والباطل فصلا تاماً ام لا فان قالوا نعم أقروا بان كل من شاهدها مضطر الى المعرفة بانها من

عند الله تعالى حق شاهد بصدق من أتي بها ورجعوا الى الحق الذى هو قولنا ولله الحمدوان قالوا لا بل الشك باق فيها ويمكن ان تكون غير شاهدة بانهم محقون قطع بان الانبياء عليهم السلام لم يأتوا ببرهان وان الشك باق في امرهم وان حجة الله تعالى لم تقع على الكفار ولا لزمهم قط له تعالى حجة وان الانبياء عليهم السلام انما أتوا بشيء ربما قام فى الظن انه حق وربما لم يقم وهذا كفر مجرد من دان به او قاله وهكذا نسألهم في البراهين العقلية على ايات التوحيد وفي الكواف الناقلة أعلام الانبياء عليهم السلام حتى يقروا بالحق بان حجج الله تعالى بكل ماظهرت وبهرت واضطرت الكفار كلهم الى تصديقها والمعرفة بانها حق أو يقولوا انه لم تقم لله حجة على احد ولا تبين قط لاحد تعين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانما نحن في الاقرار بذلك على ظن الا انه من الظنون قوى وقد يمكن ان يكون بخلاف ذلك ومن قال بهذا فهو كفر مجرد محض شرك لاخفاء به ونعوذ بالله من الخذلان

﴿قال أبو محمد﴾ ومن أنكر ان يكون الكفار وكل مبطل مضطرين الى تصديق كل ماقام به برهان بعد بلوغه اليهم وقال انما اضطر المرء الى معرفته فلا سبيل له الى انكاره اريناه كذب قوله فى تكوين الارض والافلاك ومدار الشمس والقمر والنجوم وتناهي مسافة كل ذلك وأكثر الناس على انكار هذا ودفعه الحق فى ذلك وكذلك من دان بالقياس والرأي اودليل الخطاب وسمع البراهين في ابطالها فهو مضطر الى معرفة بطلان ماهو عليه مكابر لعقله في ذلك مغالط لنفسه مغاب ليقينه مغاب اظنونه

﴿قال أبو محمد﴾ وعلم الملائكة عليهم السلام وعلم النبيين عليهم السلام بصحة ماجاءتهم به الملائكة واوحي اليهم به وأروه في منامهم علم ضرورى كساير ما أدركوه بحواسهم واوايل عقولهم وكعلمهم بان أربعة أكثر من اثنين وان النار حارة والبقل أخضر وصوت الرعد وحلاوة العسل ونتن الحلتيت وخشونة القنفذ وغير ذلك ولو لم يكن الامر كذلك لكان عندالملائكة والنبيين شكا في امرهم وهذا كفر ممن أجازه الا أن الملائكة لاعلم لهم بشيء الا هكذا ولا ظن لهم اصلا لانهم لايخطئون ولا ركبوا من طبايع متخالفة كما ركب الانسان فان قال قائل فاذالعلم كله باضطرار والاضطرار فعل الله تعالى في النفوس فكيف يوجر الانسان او يعذب على فعل الله تعالى فيه قلنا نعم لا شيء في العالم الا خلق الله تعالى وقد صح

البرهان بذلك على ماأوردنا في كلامنا في خلق الافعال في ديواننا والحمد لله رب العالمين وما نقل حافظ نصا ولا برهان عقل بالمنع من أن يعذبنا الله تعالى ويؤجرنا على ماخلق فينا والله تعالى يفعل مايشاء لايسأل عما يفعل وهم يسألون

﴿قال أبو محمد﴾ وكيف ينكر اهل الغفلة ان يكون قوم يخالفون ماهم الى المعرفة به مضطرون وهم يشاهدون السوفسطائية الذين يبطلون الحقائق جملة وكما يعتقد النصارى وهم أمم لايحصي عددهم الا خالقهم ورازقهم ومضلهم لااله الاهو وفيهم علماء بعلوم كثيرة وملوك لهم التدابير الصائبة والسياسات المعجبة والاراء المحكمة والفطنة في دقائق الامور وبصر بغوامضها وهم مع ذلك يقولون ان واحداً ثلاثة وثلاثة واحد وان احد الثلاثة اب والثاني ابن والثالث روح وان الاب هو الابن وليس هو الابن والانسان هو الاله وهو غير اله وان المسيح اله تام وانسان تام وهو غيره وان الاول الذى لم يزل هو المحدث الذي لم يكن ولا هو هو

﴿قال أبو محمد﴾ وليس في الجنون أكثر من هذا واليعقوبية منهم وهم مئين ألوف يعتقدون ان الباري تعالى عن كفرهم ضرب بالسياط واللطام وصلب ونحرومات وسقى الحنظل وبقي العالم ثلاثة أيام بلا مدبر وكاصحاب الحلول وغالية الرافضة الذين يعتقدون فى رجل جالس معهم كالحلاج وابن أبي العزانه الله والاله عندهم قد يبول ويسلح ويجوع فيا كل ويعطش فيشرب ويمرض فيسوقون اليه الطبيب ويقلع ضرسه اذا ضرب عليه ويتضرر اذا أصابه دمل ويجامع ويحتجم ويفتصد وهو الله الذي لم يزل ولا يزال خالق هذا العالم كله ورازقه ومحصيه ومدبره ومدبر الافلاك المميت المحيي العالم بما فى الصدور ويصبرون في جنب هذا الاعتقاد على السجون والمطابق وضرب السياط وقطع الايدي والارجل والقتل والصلب وهتك الحريم وفيهم قضاة وكتاب وتجاروهم اليوم الوف وكما يدعي طوائف اليهود وطوائف من المسلمين ان ربهم تعالى جسد في صورة الانسان لحم ودم يمشي ويقعد كالاشعرية الذين يقولون ان هاهنا احوالا لامخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معلومة ولا مجهولة ولاحق ولا باطل وان النار ليست حارة والثلج ليس بارداً وكما يقول بعض الفقهاء واتباعه ان رجلا واحداً يكون ابن رجلين وابن امرأتين كل واحداً منهما امه وهو ابنها بالولادة

﴿قال أبو محمد﴾ اترى كل من ذكرنا لاتشهد نفسه وحسه ولا يقر عقله بأن كل هذا باطل

بلى والذى خلقهم ولكن العوارض التي ذكرنا قبل سهلت عليهم هذا الاختلاط وكرهت عليهم الرجوع الى الحق والاذعان له

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأما العناد فقد شاهدناه من كل رأيناه في المناظرة في الدين وفي المعاملات في الدنيا أكثر من أن يحصي ممن يعلم الحق يقيناً ويكابر على خلافه ونعوذ بالله من الخذلان ونساله الهدى والعصمة

﴿ قال أبو محمد ﴾ لايدرك الحق من طريق البرهان الا من صفى عقله ونفسه من الشواغل التي قدمنا ونظر من الاقوال كلها نظرا واحدا واستوت عنده جميع الاقوال ثم نظارفيها طالبا لما شهدت البراهين الراجعة رجوعاً صحيحاً غير مموه ضرورياً الى مقدمات مأخوذة من اوايل العقل والحواس غير مسامح في شيء من ذلك فهذا مضمون له بعون الله عز وجل الوقوف على الحقائق والخلاص من ظلمة الجهل وبالله تعالى التوفيق * واما ماتقله اثنان فصاعدا نوقن انهما لم يجتمعا ولا تساررا فاخبرا بخبر واحد راجع الى ماأدركه بالحواس من أي شيء كان فهو حق بلا شك مقطوع على حيته والنفس مضطرة الى تصديقه وهذا قول احد الكافة واولها اذلا يمكن البتة اتفاق أثنين في توليد حديث واحد لايختلفان فيه عن غير تواطؤ وأما اذاتواطأت الجماعة العظيمة فقد تجتمع على الكذب وقدشاهدنا جماعات يشكرون ولاتهم وهم كاذبون الا ان هذا لايمكن ان يتفقوا على ظنه أبداً ومن انكر ما تنقله الكافة لزمه أنلا يصدق انه كان في الدنيا احد قبله لانه لايعرف كون الناس الا بالخبر

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد يضطر خبر الواحد في بعض الاوقات الى التصديق يعرف ذلك من تدبر امور نفسه كمنذر بموت انسان لدفنه وكرسالة من عند السلطان يأتي بها بريد وككتاب وارد من صديق بديهة وكمخبر يخبرك ان هذا دار فلان وكمنذر بدرس عند فلان وكرسول من عند القاضي والحاكم وسائر ذلك من أخبار بان هذا فلان بن فلان ومثل هذا كثيرجداً وهذا لاينضبط بأكثر ممايسمع ومن راعي هذا المعني لم يمض له يوم واحد قطعاً حتي يشاهد في منزله وخارج منزله من خبر واحد مايضطر الى تصديقه ولابد كثيراً جداً وأما في الشريعة فخبر الواحد الثقة موجب للعلم وبرهان شرعى قد ذكرناه في كتابنا الاحكام لاصول الاحكام وقد ادعى المخالفون ان ما اتفقت عليه أمتنا باراءها فهي معصومة

بخلاف سائر الامم ولا برهان على هذا وقال النظام ان خبر التواتر لايضطر لان كل واحد منهم يجوز عليه الغلط والكذب وكذلك يجوز على جميعهم ومن المحال ان يجتمع ممن يجوز عليه الكذب وممن يجوز عليه الكذب من لايجوز عليه الكذب ونظر ذلك باعمى وأعمى وأعمى فلا يجوز ان يجتمع مبصرون

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تنظير فاسدلان الاعمى ليس فيه شيء من صحة البصر وليس كذلك المخبرون لان كل واحد منهم كما يجوز عليه الكذب كذلك يجوز عليه الصدق ويقع منه وقد علم بضرورة العقل ان أثنين فصاعداً اذا فرق بينهما لم يمكن البتة منهما ان يتفقا على توليد خبر كاذب يتفقان في لفظه ومعناه فصح انهما اذا أخبرا بخبر فاتفقا فيه انهما أخبرا عن علم صحيح موجود عندهما ومن أنكر هذا لزمه ان لايصدق بشيء من البلاد الغائبة عنه ولا بالملوك السالفين ولا بالانبياء وهذا خروج الى الجنون بلا شك أو الى المكابرة في الحس وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل كيف أجزتم ههنا اطلاق اسم الضرورة والاضطرار ومنعتم من ذلك في أفعال الفاعلين عند ذكركم الاستطاعة وخلق الله تعالى أفعال العباد وكل ذلك عندكم خلق الله تعالى في عباده قلنا ان الفرق بين الامرين في ذلك لائح وهو ان الفاعل متوهم منه ترك فعله لو اختار تركه وممكن منه ذلك وليس ممكنا منه اعتقاد خلاف ماتيقنه بان يرفع عن نفسه تحقيق ماعرف انه حق فهكذا أوقعناها هنا اسم الاضطرار ومنعنا منه هنالك وبالله تعالى نتأيد

الكلام على من قال بتكافؤ الادلة

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهب قوم الى القول بتكافؤ الادلة ومعني هذا انه لايمكن نصر مذهب على مذهب ولا تغليب مقالة على مقالة حتي يلوح الحق من الباطل ظاهراً بيناً لا اشكال فيه بل دلائل كل مقالة فهي مكافئة لدلائل سائر المقالات وقالوا كلما ثبت بالجدل فانه بالجدل ينقض وانقسم هؤلاء الى أقسام ثلاثة فيما أنتجه لهم هذا الاصل فطائفة قالت بتكافؤ الادلة جملة في كل ما اختلف فيه فلم تحقق البارى تعالى ولا أبطلته ولا أثبتت النبوة ولا أبطلتها وهكذا في جميع الاديان والاهواء لم تثبت شيئاً من ذلك ولا أبطلته الا انهم قالوا انا نوقن ان الحق في أحد هذه الاقوال بلا شك الا انه غير بين الى أحدالبتة ولا ظاهرولا متميز أصلا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكان اسمعيل بن يونس الاعور الطبيب اليهودى تدل أقواله ومناظراته دلالة صحيحة على انه كان يذهب الى هذا القول لاجتهاده في نصر هذه المقالة وان كان غير مصرح بانه يعتقدها وقالت طائفة أخرى بتكافؤ الادلة فيما دون البارى تعالى فاثبتت الخالق تعالى وقطعت بانه حق خالق لكل مادونه بيقين لاشك فيه ثم لم تحقق النبوة ولا أبطلتها ولا حققت دين ملة ولا أبطلته لكن قالت ان في هذه الاقوال قولا صحيحا بلا شك الا انه غير ظاهر الى أحد ولا بين ولا كلفه الله تعالى أحداً وكان اسمعيل بن القراد الطبيب اليهودى يذهب الى هذا القول يقيناً وقد ناظرنا عليه مصرحا به وكان يقول اذادعوناه الى الاسلام وحسمنا شكوكه ونقضنا علاه الانتقال في الملل تلاعب

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد ذكر لنا عن قوم من أهل النظر والرياسة في العلم هذا القول الا انالم يثبت ذلك عندنا عنهم وطائفة قالت بتكافؤ الادلة فيما دون البارى عز وجل ودون النبوة فقطعت ان الله عزوجل حق وانه خالق الخلق وان النبوة حق وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً ثم لم يغلب قولا من أقوال أهل القبلة على قول بل قالوا ان فيها قولا هو الحق بلا شك الا انه غير بين الى أحد ولا ظاهر وأما الاقوال التي صاروا اليها فيما يثبتوا عليها منها فطائفة لزمت الحيرة وقالت لاندرى مانعتقد ولا يمكننا أخذ مقالة لم يصح عندنا دون غيرها فنكون مغالطين لانفسنامكابرين لعقولنا لكنا لاننكر شيئاً من ذلك ولا نثبته وجمهور هذه الطائفة مالت الى اللذات وأمراح النفوس في الشهوات كيف مامالت اليه بطبايعها وطايفة قالت على المرء فرض لموجب العقل الا يكون سدا بل يلزمه ولا بد ان يكون له دين يرد جربه عن الظلم والقبائح وقالوا من لادين له فهو غير مأمور في هذا العالم على الافساد وقتل النفوس غيلة وجهراً وأخذ الاموال خيانة وعصباً والتعدى على الفروج تحيلا وعلانية وفى هذا هلاك العالم باسره وفساد البنية وانحلال النظام وبطلان العلوم والفضايل كلها التي تقتضى العلوم بلزومها وهذا هو الفساد الذى توجب العقول التحرز منه واجتنابه قالوا فمن لادين له فواجب على كل من قدر على قتله أن يسارع الى قتله واراحة العالم منه وتعجيل استكفاف ضره لانه كالافعى والعقرب أو أضر منهما ثم انقسم هؤلاء قسمين فطايفة قالت فاذ الامر كذلك فوجب على الانسان لزوم الدين الذى نشأ عليه أو ولد عليه لانه هو الدين الذي تخيره

الله له فى مبدأ خلقه ومبدأ نشئته بيقين وهو الذي أثبته الله عليه فلا يحل له الخروج عما رتبه الله تعالى فيه وابتداه عليه أى دين كان وهذا كان قول اسماعيل بن القداد وكان يقول من خرج من دين الى دين فهو وقاح متلاعب بالاديان عاص لله عز وجل المتعبد له بذلك الدين وكان يقول بالمسألة الكلية ومعنى ذلك الا يبقى أحد دون دين يعتقده على ماذكرنا آنفاً وقالت طائفة لاعذر للمرء في لزوم دين أبيه وجده أو سيده وجاره ولا حجة له فيه لكن الواجب على كل أحد أن يلزم مااجتمعت الديانات باسرها والعقول بكليتها على صحته وتفضيله فلا يقتل أحداً ولا يزنى ولا يلوط ولا يبغ به ولا يسع في افساد حرمة أحد ولا يسرق ولا يغصب ولا يظلم ولا يجر ولا يجن ولا يغش ولا يغتب ولا ينم ولا يسفه ولا يضرب أحداً ولا يستطيل عليه ولكن يرحم الناس ويتصدق ويؤدى الامانة ويؤمن الناس شره ويعين المظلوم ويمنع منه فهذا هو الحق بلا شك لانه المتفق عليه من الديانات كلها ويتوقف عما اختلفوا فيه ليس علينا غير هذا لانه لم يلح لنا الحق في شيء منه دون غيره

﴿ قال أبو محمد ﴾ فهذه أصولهم ومعاقدهم وأما احتجاجهم في ذلك فهو انهم قالوا وجدنا الديانات والآراء والمقالات كل طائفة تدعى انها إنما اعتقدت مااعتقدته عن الاوايل وبراهين باهرة وكل طائفة منها تناظر الاخرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبتها الاخرى في مجلس آخر على حسب قوة نظر المناظر وقدرته على البيان والتحلل والتشغب لهم في ذلك كالمتحاربين يكون الظفر سجالا بينهم قالوا فصح انه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان لما اشكل على احد ولم يختلف الناس في ذلك كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا في الحساب وفي كل شيء عليه برهان لائح قالوا ومن المحال أن يبدو الحق الى الناس فيعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك في الدنيا والآخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل طائفة انما تتبع اماماً نشأت عليه واماما يخيل لاحدهم انه الحق دون تثبيت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من أهل كل ملة وان كان فيها مالاشك في سخافته وبطلانه وقالوا أيضاً انا نرى الجماعة الكثيرة قد طلبوا علم الفلسفة وتبحروا فيها ووسموا أنفسهم بالوقوف على الحقائق وبالخروج عن جملة العامة وبانهم قد أشرفوا على الصحيح بالبراهين وميزوه من الشغب والاقناع ونجد اخرين قد تمهروا في علم الكلام وافنوا فيه دهرهم ورسخوا فيه ونخروا بانهم قد وقفوا على الدلايل

الصحاح وميزوها من الفاسدة وانهم قد لاح لهم الفرق بين الحق والباطل بالحجج والانصاف ثم نجدهم كلهم يعني جميع هاتين الطائفتين فلسفيهم وكلاميهم في أديانهم التي يقرون انها نجاتهم او هلكتهم مختلفين كاختلاف العامة واهل الجهل بل أشد اختلافا فمن يهودى يموت على يهوديته ونصراني يتهالك على نصرانيته وتثليثه ومجوسي يستميت على مجوسيته ومسلم يستقتل في اسلامه ومناني يستهلك في مانونيته ودهرى ينقطع في دهريته قد استوى العامى المقلد من كل طائفة في ذلك مع المتكلم الماهر المستدل بزعمه ثم نجد أهل هذه الاديان في فرقهم أيضا كذلك سواء سواء فان كان يهودياً فاما رباني يتقد غيظاً على سائر فرق دينه وأما صابئي يلعن سائر فرق دينه وأما عيسوى يسخر من سائر فرق دينه وأما سامرى يبرأ من سائر فرق دينه وان كان نصرانياً فاما ملكى يتهالك غيظا على سائر فرق دينه وأما نسطورى يقد اسفا على سائر فرق دينه وأما يعقوبى يسخط على سائر فرق دينه وان كان مسلما فاما خارجي يستحل دماء سائرا هل ملته وأما معتزلي يكفر سائر فرق ملته وأما شيعي لايتولى سائر فرق ملته وأما مرجئي لا يرضي عن سائر فرق ملته وأما سني ينافر فرق ملته قد استوى في ذلك العامى والمقلد الجاهل والمتكلم بزعمه المستدل وكل امريء من متكلمى الفرق التي ذكرنا يدعي انه انما أخذ ما أخذ وترك ماترك ببرهان واضح ثم هكذا نجدهم حتي في الفتيا اما حنيفى يجادل عن حنيفيته واما مالكى يقاتل عن مالكيته واما شافعي يناضل عن شافعيته واما حنبلي يضارب عن حنبليته واما ظاهرى يحارب عن ظاهريته واما متحير مستدل فهنالك جاء التحازب حتي لايتفق اثنان منهم على مائة مسألة الا في الندرة وكل امرئ ممن ذكرنا يزرى على الاخرين وكلهم يدعي انه أشرف على الحقيقة وهكذا القائلون بالدهر أيضاً متباينون متنابذون مختلفون فيما بينهم فمن موجب ان العالم لم يزل وان له فاعلا لم يزل ومن موجب أزلية الفاعل واشياء أخر معه وان سائر العالم محدث ومن موجب أزلية الفاعل وحدوث العالم امبطل للنبوات كلها كما اختلف سائر أهل النحل ا ولا فرق قالوا فصح ان جميعهم اما متبع للذى نشأ عليه والنحلة التي تربي عليها واما متبع لهواه قد تخيل له انه الحق فهم على ماذكرنا دون تحقيق قالوا فلو كان للبرهان حقيقة لما اختلفوا فيه هذا الاختلاف ولبان على طول الايام وكرور الزمان ومرور الدهور

وتداول

وتداول الاجيال له وشدة البحث وكثرة ملاقاة الخصوم ومناظراتهم وافنائهم الاوقات وتسويدهم القراطيس واستنفاذ وسعهم وجهدهم أين الحق فيرتفع الاشكال بل الامر واقف بحسبه أو متزيد في الاختلاف وحدوث التجاذب والفرق قالوا وأيضاً فانا نري المرء الفهم العالم النبيل المتيقن في علوم الفلسفة والكلام والحجاج المستنفد لعمره في طلب الحقائق المؤثر للبحث عن البرهان على كل ماسواه من لذة أو مال أو جاه المستفرغ لقوته في ذلك النافر عن التقليد يعتقد مقالة ما ويناظر عنها ويحاجج دونها ويدافع امامها ويعادى من خالفها مجداً في ذلك موقنا بصوابه وخطأ من خالفه منافرا له مضللا أو مكفرا فيبقى كذلك الدهر الطويل والاعوام الجمة ثم انه تبدو له بادية عنها فيرجع أشد ماكان عداوة لما كان ينصر ولاهل تلك المقالة التي كان يدين بصحتها وينصرف يقاتل فى ابطالها ويناظر فى افسادها ويعتقد من ضلالها وضلال أهلها الذى كان يعتقد من صحتها ويعجب الآن من نفسه أمس وربما عاد الى ما كان عليه أوخرج الى قول ثالث قالوا فدل هذا على فساد الادلة وعلى تكافؤها جملة وان كل دليل فهو هادم الآخر كلاهما يهدم صاحبه وقالوا أيضاً لايخلو من حقق شيئا من هذه الديانات أو المقالات من ان يكون صح له أو لم يصح له ولا سبيل الى قسم ثالث قالوا فان كان لم يصح له بأكثر من دعواه أو من تقليده مدعياً فليس هو أولى من غيره بالصواب وان كان صح له فلا يخلو من ان يكون صح له بالحواس أو ببعضها أو بضرورة العقل وبديهته أو صح له بدليل ماغير هذين ولا سبيل الى قسم رابع فان كان صح له بالحواس أو ببعضها أو بضرورة العقل وبديهته فيجب ان لايختلف فى ذلك أحد كما لم يختلفوا فيما أدرك بالحواس وبديهة العقل من أن ثلثة أكثر من اثنين وانه لايكون المرء قاعداً قائما معا بالعقل فلم يبق الا ان يقولوا انه صح لنا بدليل غير الحواس فنسألهم عن ذلك الدليل بماذا صح عندكم بالدعوى فلستم بأولى من غيركم في دعواه أم بالحواس وبديهة العقل فكيف خولفتم فيه هذا ولا يختلف في مدركاته أحد أم بدليل غير ذلك وهكذا أبداً الى مالا نهاية له قالوا وهذا مالا مخلص لهم منه قالوا ونسألهم أيضا عن علمهم بصحة ماهم عليه أيعلمون نهم يعلمون ذلك أم لا فان قالوا لانعلم ذلك أحالوا وسقط قولهم وكفونا مؤونتهم لانهم يقرون انهم لايعلمون انهم يعلمون ماعلموا وهذا هوس وافساد لما يعتقدونه وان قالوا بل نعلم ذلك

سأناهم أبعلم علموا ذلك أم بغير علم وهكذا أبدا وهذا يقتضي ان يكون للعلم علم ولعلم العلم علم الى مالا نهاية له وهذا عندهم محال

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا كل ما موهوا به مانعلم لهم شغبا غير ماذكرنا ولا لهم متعلق سواه أصلا بل قد زدناهم فيما رأينالهم وتقصيناه لهم بغاية الجهد كما فعلنا بأهل كل مقالة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذا الذي موهوا به منحل بيقين ومنتقض بابين برهان بلا كثير كلفة ولم نجد احدا من المتكلمين السالفين اورد بابا خالصا في النقض على هذه المقالة ونحن ان شاء الله تعالى ننقض كل ما موهوا به بالبراهين الواضحة وبالله تعالى التوفيق وذلك بعد ان نبين فساد معاقد هذه الطوائف المذكورة ان شاء الله عز وجل

﴿ قال ابو محمد ﴾ فنقول وبالله تعالى نتأيد اما الطائفة المتحيرة فقد شهدت على انفسها بالجهل وكفت خصومها مؤنتها في ذلك وليس جهل من جهل حجة على علم من علم ولا من لم يتبين له الشيء غبارا على من تبين له بل من علم فهو الحجة على من جهل هذا هو الذى لايشك أحد فيه في جميع العلوم والصناعات وكل معلوم يعلمه قوم ويجهله قوم ولا أحمق ممن يقول لما جهلت أنا أمر كذا ولم أعرفه علمت ان كل أحد جاهل به كجهلي وهذه صفة هؤلاء القوم نفسها ولو ساغ هذا لاحد لبطلت الحقائق وجميع المعارف وجميع الصناعات اذ لكل شيء منها من يجهله من الناس نعم ومن لايتحجج فيه ولايفهمه وان طلبه هذا أمر مشاهد بالحواس فهم قد أقروا بالجهل وندعي نحن العلم بحقيقة مااعترفوا بجهلهم به فالواجب عليهم أن ينظروا في براهين المدعين للمعرفة بما جهلوه نظرا صحيحا متقصي بغير هوى فلابد يقينا من أن يلوح حقيقة قول المحق وبطلان قول المبطل فتزول عنهم الحيرة والجهل حينئذ فسقطت هذه المقالة بيقين والحمد لله رب العالمين. وأما من قطع بان ليس هاهنا مذهب صحيح أصلا فان قوله ظاهر الفساد بيقين لااشكال فيه لانهم أثبتوا حقيقة وجود العالم بما فيه وحقيقة مايدرك بالحواس وباول العقل وبديهته ثم لم يصححوا حدوثه ولا أزليته ولا أبطلوا حدوثه وأزليته معا ولم يصححوا ان له خالقا ولا انه لاخالق له وأبطلوا كلا الامرين وأبطلوا النبوة وأبطلوا ابطالها فقد خرجوا يقينا الى المحال والى أقبح قول السوفسطائية وفارقوا بديهة العقل وضرورته التي قد حققوها وصدقوا موجبها اذ لاخلاف بين أحد له مسكة عقل في ان كل

مالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن باطلا فانه حق وان اثنين قال أحدهما في قضية واحدة في حكم واحد قال نعم والاخر لا فاحدهما صادق بلاشك والاخر كاذب بلاشك هذا يعلم بضرورة العقل وبديهته واما قول قائل هذا حق باطل معا من وجه واحد في وقت واحد وقول من قال لاحق ولاباطل فهو بين باطل معلوم بضرورة العقل وبديهته فواجب باقرارهم ان من قال ان العالم لم يزل وقال الاخر هو محدث ان أحدهما صادق بلاشك وكذلك من أثبت النبوة ومن نفاها فظهر بيقين وضرورة العقل يقينا فساد هذه المقالة الا ان يبطلوا الحقائق ويلحقوا بالسوفسطائية فيكلمون حينئذ بما تكلم به السوفسطائية مما ذكرناه قبل وبالله تعالى التوفيق وأما من مال الى اللذات جملة فانه ان كان من احدى هاتين الطائفتين فقد بطل عقده وصح يقينا انه على ضلال وخطأ وباطل وفساد في اصل معتقده الذى أداه الى الانهماك واذا بطل شيء بيقين فبيقين قد بطل ما تولد منه وان مال الى أحد الاقوال الاخر فكلها مبطل للزوم اللذات والانهماك فصح ضرورة بطلان هذه الطريقة وان صار الى تحقيق الدهرية كلم بما تكلم به الدهرية مما قد اوضحناه والحمد لله واما من قال بالزام المرء دين سلفه والدين الذى نشأ عليه فخطأ لاخفاء به لاننا نقول لمن قال بوجوب ذلك ولزومه اخبرنا من اوجبه ومن ألزمه فالايجاب والالزام يقتضي فاعلا ضرورة ولا بد منها فمن الزم ما ذكرتم من أن يلزم المرء دين سلفه أو الدين الذى نشأ عليه الله ألزم ذلك جميع عباده أم غير الله تعالى أوجب ذلك اما انسان واما عقل واما دليل فان قال بل ماألزم ذلك الامن دون الله تعالى قيل له ان من دون الله تعالى معصي مخالف مرفوض لاحق له ولا طاعة الا من أوجب الله عز وجل له فيلزم طاعته لان الله أوجبها لا لانها واجبة بذاتها وليس من أوجب شيئا دون الله تعالى بأولى من آخر ابطل ماأوجب هذا واوجب بطلانه وفي هذا كفاية لمن عقل ولا ينقاد للزوم من دون الله تعالى الا جاهل مغرور كالبهيمة تقاد فتنقاد ولا فرق وان قال ان العقل ألزم ذلك قيل له انك تدعى الباطل على العقل اذا دعيت عليه ماليس في بنيته لان العقل لايوجب شيأ وانما العقل قوة تميز النفس بها الاشياء على ماهي عليه فقط ويعرف ماصح وجوبه مما أوجبه من تلزم طاعته مما لم يصح وجوبه مما لم يوجبه من يجب طاعته ليس في العقل المراد به المتميز شيء غير هذا أصلا وأيضا فان قائل هذا مجاهر بالباطل لانه لايخلو ان

يكون يزعم أن العقل أوجب ذلك ببديهته او ببرهان راجع الى البديهة من قرب او من بعد فان ادعي أن العقل يوجب ذلك ببديهته كابر الحس ولم ينتفع بهذا أيضاً لانه لايعجز عن التوقح بمثل هذه الدعوى أحد في أى شيء شاء وان ادعى انه أوجب ذلك برهان راجع الى العقل كلف المجيء به ولا سبيل اليه أبدا فان قال ان الله عز وجل أوجب ذلك سئل الدليل على صحة هذه الدعوى التي أضافها الى البارى عز وجل وهذا مالاسبيل اليه لان ماعند الله عز وجل من الزام لايعرف البتة الا بوحي من عنده تعالى الى رسول من خلقه يشهد له تعالى بالمعجزات واما بما يضعه الله عزوجل في العقول وليس في شيء من هذين دليل على صحة دعوي هذا المدعى واما احتجاجه بانه هو الدين الذي اختاره الله عز وجل لكل أحد وانشأه عليه فلا حجة له في هذا لانا لم نخالفه في ان هذا درب على هذا الدين وخلقه الله عزوجل مع من دربه عليه بل نقر بهذا كما نقر بان الله خلقه في مكان ما فى صناعة ما وعلى معاش ما وعلى خلق ما وليس في ذلك دليل عند احد من العالم على انه لايجوز له فراق ذلك الخلق الى ما هو خير منه ولا على انه لزمه لزوم المكان الذي خلق فيه والصناعة التي نشأ عليها والقوت الذي كبر عليه بل لايختلف اثنان في ان له مفارقة ذلك المكان وتلك الصناعة وذلك المعاش الى غيره وانّ فرضا عليه لزوال عن كل ذلك اذ كان مذموماً الى المحمود من كل ذلك وأيضاً فان جميع الاديان التي أوجبها كلها هذا القائل وحقق جميعها فكل دين منها فيه انكار غيره منها واهل كل دين منها تكفر سائر اهل تلك الاديان وكلهم يكذب بعضهم بعضا وفي كل دين منها تحريم التزام غيره على كل احد فلو كان كل دين منها لازماً ان يعتقده من نشاء عليه لكان كل دين منها حقا واذا كان كل دين منها حقاً منها يبطل سائرها وكل ما ابطله الحق فهو باطل بلا شك فكل دين منها باطل بلا شك فوجب ضرورة على قول هذا القائل ان جميع الاديان باطل وان جميعها حق فجميعها حق باطل معاً فبطل هذا القول بيقين لاشك فيه والحمد لله رب العالمين واما من قال اني الزم فعل الخير الذي اتفقت الديانات والعقول على انه فضل واجتنب ما اتفقت الديانات والعقول على أنه قبيح فقول فاسد مموه مضمحل أول ذلك انه كذب ولا اتفقت الديانات ولا العقول على شيء من ذلك بل جميع الديانات الا الاقل منها مجموعون على قتل من خالفهم وأخذ أموالهم

وكل دين منها لاتحاشي ديناً قائل باحكام هي عند سائرها ظلم وأما المنانية فانها وان لم تقل بالقتل فانها تقول بترك النكاح الذى هو مباح عند سائر الديانات ويقولون باباحة اللياطة والسحق وسائر الديانات محرمة لذلك فما اتفقت الديانات على شئ أصلا ولا على التوحيد ولا على ابطاله لكن اتفقت الديانات علي تخطئته وتكفيره والبراءة منه اذا لم يعتقد ديناً فبيناه بطلب موافقة جميع الديانات حصل على مخالفة جميعها وهكذا فليكن السعي المضلل وكذلك طبائع جميع الناس مؤثرة للذات كارهة لما يلتزمه أهل الشرائع والفلاسفة فبطل تعلقهم بشئ مجمع عليه ولم يحصل الا على طمع خائب مخالفاً لجميع الديانات غير متعلق بدليل لاعقلي ولا سمعي وقد قلنا أن العقول لاتوجب شيئاً ولا تقبحه ولا تحسنه وبرهان ذلك أن جميع أهل العقول الا يسيراً فانهم أصحاب شرائع وقد جاءت الشرائع بالقتل وأخذ المال وضرب الانسان وذبح الحيوان فما قال قط أصحاب العقول أنها جاءت بخلاف مافي العقول ولا ادعي ذلك الا أقل الناس ومن ليس عقله عياراً على عقل غيره ولو كان ذلك واجباً في العقول لوجده سائر أهل العقول كما قالوا هم سواء سواء فصح ان دعواهم على العقول كاذبة في باب التقبيح والتحسين جملة وهذا أكسر عام لنفس أقوالهم والحمد لله رب العالمين ٥ ثم نذكر ان شاء الله تعالى البراهين على ابطال حججهم الشغبة المموه بها وبالله تعالى نتأيد

﴿ قال أبو محمد ﴾ أما احتجاجهم بأن قالوا وجدنا أهل الديانات والآراء والمقالات كل طائفة تناظر الأخرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبتها الأخرى في مجلس آخر على حسب قوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب فهم في ذلك كالمتحاربين يكون الظفر سجالا بينهم فصح أنه ليس ههنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أشكل على أحد ولا اختلف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوا بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا في الحساب وفي كل شيء عليه برهان لائح واللائح الحق على مرور الزمان وكثرة البحث وطول المناظرات قالوا ومن المحال أن يبدو الحق الى الناس ظاهراً فيعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك في الدنيا والاخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل طائفة تتبع أما مانشأت عليه وأما مايخيل لاحدهم انه الحق دون تثبت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من كل ملة ونحلة وان كان فيها مالا يشك في بطلانه وسخافته

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذه جمل نحن نبين كل عقدة منها ونوفيها حقاً من البيان بتصحيح أو افساد بما لايخفي على أحد صحته وبالله تعالى التوفيق أما قولهم ان كل طائفة من أهل الديانات والاراء يناظر فينتصف وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبتها الاخرى في مجلس آخر على قدر قوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب والتمويه فقول صحيح الا أنه لاحجة لهم فيه على ما ادعوه من تكافؤ الأدلة أصلا لان غلبة الوقت ليست حجة ولا يقنع بها عالم محقق وان كانت له ولا يلتفت اليها وان كانت عليه وانما تحتج بها ويغضب منها أهل المحرفة والجهال وأهل الصياح والتهويل والتشنيع القانعون بان يقال غلب فلان فلانا وان فلانا انظار جدال ولا يبالون بتحقيق حقيقة ولا بابطال باطل فصح ان تغالب المتناظرين لامعني له ولا يجب ان يعتد به لاسيما تجادل أهل زماننا الذين أمالهم نوب معدودة لايتجاوزونها بكلمة واما ان يغلب الصليب الرأس بكثرة الصياح والتوقح والتشنيع والجعات واما كثير الهدر قوى على أن يملأ المجلس كلاماً لايتحصل منه معني وأما الذى يعتقده أهل التحقيق الطالبون معرفة الأمور على ماهي عليه فهو أن يبحثوا فيما يطلبون معرفته على كل حجة احتج بها أهل فرقة في ذلك الباب فاذا نقضوها ولم يبقوا منها شيئاً تأملوها كلها حجة حجة فميزوا الشغبي منها والاقناعى فاطرحوهما وفتشوا البرهاني على حسب المقدمات التي بيناها في كتابنا الموسوم بالتقريب في مائية البرهان وتمييزه مما يظن أنه برهان وليس ببرهان وفي كتابنا هذا وفي كتابنا الموسوم بالاحكام في أصول الاحكام فان من سلك تلك الطريق التي ذكرنا وميز في المبداء مايعرف باول التميز والحواس ثم ميز ماهو البرهان مما ليس برهانا ثم لم يقبل الاما كان برهانا راجعاً رجوعا صحيحاً ضروريا الى ما أدرك بالحواس أو ببديهة التميز وضرورة في كل مطلوب يطلبه فان سارع الحق يلوح له واضحاً ممتازاً من كل باطل دون أشكال والحمد لله رب العالمين وأما من لم يفعل ماذكرنا ولم يكن وكده الا نصر المسألة الحاضرة فقط أو نصر مذهب قد ألفه قبل أن يقوده الى اعتقاده برهان فلم يجعل غرضه الا طلب أدلة ذلك المذهب فقط فبعيد عن معرفة الحق من الباطل ومثل هؤلاء غروا هؤلاء المخاذيل فظنوا ان كل بحث ونظر مجراهما هذا المجرى الذى عهدوه ممن ذكرنا فضلوا ضلالا بعيداً وأما قولهم فصح انه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أشكل على أحد ولما اختلف الناس

فيه كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا في الحساب وفي كل ما عليه برهان لايح فقول أيضاً مموه لانه كله دعوي فاسدة بلا دليل وقد قلنا قبل في ابطال هذه الاقوال كلها بالبرهان بمافيه كفاية وهذا لايمكن فيه تفصيل كل برهان على كل مطلوب لكن نقول جملة ان من عرف البرهان وميزه وطلب الحقيقة غير مايل بهوى ولا الف ولا نفار ولا كسل فمضمون له تمييز الحق وهذا كمن سأل عن البرهان على أشكال اقليدس فانه لا اشكال في جوابه عن جميعها بقول مجمل لكن يقال له سل عن شكل شكل تخبر ببرهانه او كمن سأل ما النحو وأراد أن يوقف على قوانينه جملة فان هذا لايمكن بأ كثر من أن يقال له هو بيان حركات وحروف يتوصل باختلافها الى معرفة مراد المخاطب باللغة العربية ثم لا يمكن توقيفه على حقيقة ذلك ولا الى اثباته جملة الا بالاخذ معه في مسألة مسألة وهكذا في هذا المكان الذى نحن فيه لا يمكن ان نبين جميع البرهان على كل مختلف فيه بأ كثر من أن يقال له سل عن مسألة مسألة نبين لك برهانها بحول الله تعالى وقوته ثم نقول لمن قال من هؤلاء ان ههنا قولا صحيحاً واحداً لاشك فيه اخبرنا من أين عرفت ذلك ولعل الامر كما يقول من قال ان جميع الاقوال كلها حق فان قال لا لانها لو كانت حقاً لكان محالا ممتنعاً لان فيها أثبات الشيء وابطاله معاً ولو كان جميعها باطلا لكان كذلك أيضاً سواء سواء وهو محال ممتنع لان فيه أيضاً أثبات الشيء وابطاله معاً واذا ثبت أثبات الشيء بطل ابطاله بلا شك واذا بطل أثباته ثبت ابطاله بلا شك فاذ قد بطل هذان القولان بيقين لم يبق بلا شك الا أن فيه حقاً بعينه وباطلا بعينه قلنا له صدقت واذا لامر كما قلت فان هذا العقل الذى عرفت به في تلك الاقوال قولا صحيحا بلا شك به تميز ذلك القول الصحيح بعينه مما ليس بصحيح لان الصحيح من الاقوال يشهد له العقل والحواس ببراهين ترده الى العقل والى الحواس ردا صحيحاً وأما الباطل فينقطع ويقف قبل أن يبلغ الى العقل والى الحواس وهذا بين والحمد لله رب العالمين * وأما من ابطل ان يكون في الاقوال كلها قول صحيح فقد اخبرنا انه مبطل للحقائق كلها متناقض لانه يبطل الحق والباطل معاً وبالله تعالى التوفيق اما قولهم لو كان ههنا قول صحيح لما أشكل على أحد ولا اختلف فيه كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم ولا في الحساب فان هذا قول فاسد لان اشكال الشيء على من أشكل

عليه انما معناه انه جهل حقيقة ذلك الشيء فقط وليس جهل من جهل حجة على من علم برهان هذا انه ليس في العالم شيء الا ويجهله بعض الناس كالمجانين والاطفال ومن غمرة الجهال والبلادة ثم يتزيد الناس في الفهم فيفهم طائفة شيئاً لا تفهمه المجانين وتفهم اخرى مالا تفهمه هؤلاء . وهكذا الى أرفع مراتب العلم فكلما اختلف فيه فقد وقف على الحقيقة فيه من فهمه وان كان خفي على غيره هذا أمر مشاهد محسوس في جميع العلوم وآفة ذلك ماقد ذكرنا قبل وهو اما قصور الفهم والبلادة وأما كسل عن تقصي البرهان وأما لالف اونفار تعدابصاحبهما عن الغاية المطلوبة أو تعديا هاوهذه دواعي الاختلاف في كل مااختلف فيه فاذاارتفعت الموانع لاح البرهان بيقين فبطل ماشغبوا به والحمد لله رب العالمين ٭ وأما قولهم كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم وفي الحساب وفيما أدركوه ببداية عقولهم فقول غير مطرد والسبب في انقطاع اطراده هو انه ليس في أكثر ما يدرك بالحواس وبداية العقول شيء يدعو الى التنازع ولا الى تقليد يتها لك في نصره او ابطاله وكذلك في الحساب حتى اذاصرنا الى ما فيه تقليد مما يدرك بالحواس أوباوائل التميز وجد فيه من التنازع والمكابرة والمدافعة وجحد الضرورات كالذى يوجد فيما سواه كمكابرة النصارى واستهلاكهم فى أن المسيح له طبيعتان ناسوتية ولا هوتية ثم منهم من يقول ان تلك الطبيعتين صارتا شيئاً واحداً وصار اللاهوت ناسوتا تاماً محدثاً مخلوقاً وصار الناسوت ألها تاماً خالقاً غير مخلوق ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج العرض بالجوهر ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج البطانة والظهارة وهذا حمق ومحال يدرك فساده بأول العقل وضرورته وكما تهالكت المنانية على ان الفلك في كل أفق من العالم لا يدور الا كما يدور الرحي وهذا أمر يشاهد كذبه بالعيان وكما تهالكت اليهود على ان النيل الذي يحيط بارض مصر وزويلة ومعادن الذهب وان الفرات المحيط بارض الموصل مخرجهما جميعاً من عين واحدة من المشرق وهذا كذب يدرك بالحواس وكما تهالكت المجوس على ان الولادة من انسان وان مدينة واقفة من بنيان بعض ملوكهم بين السماء والارض وكتهالك جميع العامة على ان السماء مستوية كالصحيفة لامقبية مكورة وان الارض كذلك أيضاً وان الشمس تطلع على جميع الناس في جميع الارض في ساعة واحدة وتغرب عنهم كذلك وهذا معلوم كذبه بالعيان وكتهالك الاشعرية وغيرهم ممن يدعى العلم والتوفيق فيه ان النار لا حرفيها وان الثلج لا برد فيه وان

الزجاج والحصا لهما طعم ورائحة وان الخمر لا يسكر وان ههنا أحوالا لا معدومة ولا موجودة ولا هي حق ولا هي باطل ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هى معلومة ولا مجهولة وهذا كله معلوم كذبه وبطلانه بالحواس وباول العقل وضرورته وتخليط لا يفهمه أحد ولا يتشكل في وهم أحد ولو لا اننا شاهدنا أكثر من ذكرنا لما صدقنا ان من له مسكة عقل ينطلق لسانه بهذا الجنون وكتهالك طوائف على ان اسمين يقعان على مسميين كل واحد من ذينك المسميين لاهو الآخر ولاهو غيره وكالسوفسطائية المنكرة للحقائق وأما الحساب فقد اختلف له في أشياء من التعديل ومن قطع الكواكب وهل الحركة لها او لافلاكها وأما الذى لا يخلو وقت من وجوده نخطأ كثير من أهل الحساب في جمع الاعداد الكثيرة حتي يختلفوا اختلافا ظاهراً حتي اذا حقق النظر يظهر الحق من الباطل وهذا نفس ما يعرض في كل مايدرك بالحواس فظهر بطلان تمويههم وتشبيههم جملة والحمد لله رب العالمين وصح ماأنكروه من ان كثيراً من الناس يغيبون عن اعتقاد ماشهدت له الحواس وينكرون أوائل العقول ويكابرون الضرورات أما انهم كسلوا عن طلب البرهان وقطعوا بظنونهم وأما لانهم زلوا عن طريق البرهان وظنوا انهم عليه واما لانهم الفوا ماما لت اليه أهواؤهم لالف شيء ونفار عن آخر وأما قولهم وللاح الحق على مرور الازمان وكثرة البحث وطول المناظرات فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق نعم قد لاح الحق وبان ظن الباطل وان كان كل طائفة تدعيه فان من نظر على الطريق التي وصفنا صح عنده الحق المدعي من المبطل وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم ومن المحال ان يبدو الحق الى الناس فيعاندوه بلا معني ويرضوا بالهلاك في الدنيا والآخرة بلا معني فقول فاسد لانا قد رأيناهم أتوا أشياء بدا الحق فيها الى الناس فعانده كثير منهم وبذلوا مهجهم فيه وكانهم ماشاهدوا الامر الذى ملأ الارض من المقاتلين الذين يعرفون بقلوبهم ويقرون بالسنتهم انهم على باطل يقتلون ويعترفون بانهم بلغوا مهجهم ودماءهم وأموالهم وأديانهم ويوتمون أولادهم ويرملون نساءهم في قتال عن سلطان غائب عن ذلك القتال لا يرجون زيادة درهم ولا يخاف كل امرىء منهم في ذاته تقصيراً به لولم يقاتل أو لم يروا كثيراً من الناس يأكلون أشياء يوقنون بانهم يستضرون بها ويكثرون شرب الخمر وهم يقرون انها قد آذتهم وأفسدت أمزجتهم وانها تؤديهم الى التلاف وهم يقرون مع ذلك انهم عاصون لله تعالى

وكم رأينا من الموقنين بخلود العاصي في النار المحققين لذلك يقر على نفسه انه يفعل مايخلد به في النار فان قالوا ان هؤلاء يستلذون مايفعلون من ذلك قلنا لهم ان استلذاذ من يدين بشيء مايبصره لما يدين به وتعصبه له أشد من استلذاذ الاكل والشرب لما يدرى انه يبلغه من ذلك ثم نقول لهم أخبرونا عن قولكم هذا انه ليس ههنا قول سطعت حجته ولو كان لما اختلف الناس فيه أحق وهى هذه القضية التي قطعتم بها وهل قولك هذا ظاهر الحجة متيقن الحقيقة أم لا فان قالوا لا أقروا بان قولهم لم تصح حجته ولا لاح برهانه وانه ليس حقا ماقالوه وان قالوا بل هو حق قد لاحت حجته قلنا لهم فكيف خولفتم في شيء لاحت حجته حتي صار أكثر أهل الارض يعمون عما لاشك فيه عندكم وعن مالاح الحق فيه حتي اعتقدوا فيكم الضلال والكفر واباحة الدم وهذا هو نفس ما أنكروا قد صرحوا انه حق والحمد لله رب العالمين وأما احتجاجهم بانتقال من ينتقل من مذهب الى مذهب وتهالكه في اثباته ثم تهالكه في ابطاله وورومهم ان يفسدوا بهذا جميع البراهين فليس كما ظنوا لان كل متنقل من مذهب الى مذهب فلا يخلو ضرورة من أحد ثلاثة أوجه اما أن يكون انتقل من خطأ الى خطأ أو من خطأ الى صواب أو من صواب الى خطأ وأى ذلك كان فانما أتي في الانتقالين الاثنين الذين هما الى الخطأ من انه لم يطلب البرهان طلبا صحيحاً بل عاجزاً عنه باحد الوجوه التي قدمنا قبل وأما الانتقال الى الصواب فانه وقع عليه بجد صحيح وطلب صحيح أو بجد وبحث وهذا يعرض فيما يدرك بالحواس كثيراً فيرى الانسان شخصاً من بعيد فيظنه فلانا ويحلف عليه ويكابر ويجرد ثم يتبين له انه ليس هو الذى ظن وقد يشم الانسان رائحة يظنها من بعض الروائح ويقطع على ذلك ويحلف عليه مجداً ثم يتبين له انه ليس هو الذى ظن وهكذا في الذوق أيضاً وقد يعرض هذا في الحساب فقد يغلط الحاسبون في جمع الاعداد الكثيرة فيقول أحدهم ان الجميع من هذه الاعداد كذا وكذا ويخالفه غيره في ذلك حتى اذا بحثوا بحثاً صحيحاً صح الامر عندهم وقد يعرض هذا للانسان فيما بين يديه يطلب الشيء بين متاعه طلبا مردداً المرة بعد المرة فلا يجده ولا يقع عليه وهو بين يديه ونصب عينيه ثم يجده في أقرب مكان منه وقد يكتب الانسان مستملياً أو يقرأ فيصحف ويزيد وينقص وليس هذا بموجب الا يصح شيء بادراك الحواس أبداً ولا الا يصح وجود الانسان شيئاً افتقده أبدا ولا الا يصح

جمع الاعداد أبدا ولا الا يصح حرف مكتوب ولا كلمة مقروءة أبدا لامكان وجود الخطأ في بعض ذلك لكن التثبت الصحيح يليح الحق من الباطل وهكذا كل شيء أخطأ فيه ولا بد من برهان يليح الحق فيه من الباطل ولا يظن جاهل ان هذه المعاني كلها حجة لمبطلى الحقائق بل هي برهان عليهم لائح قاطع لان كل ماذكرنا لايختلف حس أحد في ان كل ذلك اذا فتش تفتيشاً صحيحا فانه يقع اليقين والضرورة بان الوهم فيها غير صحيح وان الحق فيها ولابد فبطل تعلقهم بمن رجع من مذهب الى مذهب ولم يحصلوا الا على ان قالوا انا نرى قوما يخطئون فقلنا لهم نعم ويصيب آخرون فاقرارهم بوجود الخطأ موجب ضرورة ان ثم صوابا لان الخطأ هو مخالفة الصواب فلو لم يكن صوابا لم يكن خطأ ولو لم يكن برهان لم يكن شغب مخالف للبرهان ثم نعكس استدلالهم عليهم فنقول لهم وبالله تعالى نتأيد فاذ قد وجدتم من يعتقد ما أنتم عليه ثم يرجع عنه فهلا قلتم ان مذهبكم هذا كالاقوال الاخر التي أبطلتموها من أجل هذا الظن الفاسد في الحقيقة وهو في ظنكم صحيح فهو لكم لازم لانكم صححتموه ولا يلزمنا لاننا لانصححه ولا صححه برهان

﴿ قال أبو محمد ﴾ وبهذا الذي قلنا يبطل مااعترضوا به من اختلاف المدعين الفلسفة والمنتحلين الكلام في مذاهبهم وما ذكروه من اختلاف المختارين أيضاً في اختيارهم لانا لم ندع ان طبائع الناس سليمة من الفساد لكنا نقول ان الغالب على طبائع الناس الفساد فان المنصف لنفسه أولا ثم لخصمه ثانياً الطالب البرهان على حقيقة العارف به فدليل برهاننا على هذا ماوجدناه من اختلاف الناس واختلافهم كثيرا دليل على كثرة الخطاء منهم وقد وضحنا ان وجود الخطاء يقتضي ضرورة وجود الصواب منهم ولابد وليس اختلافهم دليلا على ان لاحقيقة في شيء من أقوالهم ولا على امتناع وجود السبيل الى معرفة الحق وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بانه لايخلو من حقق شيئاً من الديانات والمقالات والآراء من أن يكون صح له بالحواس أو ببعضها أو ببديهة العقل وضرورته أو بدليل من الادلة غير هذين وانه لو صح بالحواس أو بالعقل لم يختلف فيه والزامهم فى الدليل مثل ذلك الى آخر كلامهم فهذا كله مقرر قد مضي الكلام فيه وقد أريناهم انه قد يختلف الناس فيما يدرك بالحواس وببديهة العقل كاختلافهم في الشخص يرونه ويختلفون فيه ماهو وفي الصوت يسمعونه بينهم فيما هو

ويختلفون فيه وكاقوال النصارى وغيرهم مما يعلم بضرورة العقل فساده ثم نقول لهم ان أول المعارف هو ماأدرك بالحواس وببديهة العقل وضرورته ثم ينتج براهين راجعة من قرب أومن بعد الى أول العقل أو الى الحواس فما صححته هذه البراهين فهو حق ومالم تصححه هذه البراهين فهو غير صحيح ثم نعكس عليهم هـذا السؤال بعينه فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق قولكم هذا باي شيء علمتموه بالعقول أم بالحواس أو بدليل غـيرهما فان علمتموه بالحواس أو العقول فـكيف خولفتم فيه وان كنتم عرفتموه بدليل فذلك الدليل بما عرفتموه أبالحواس أم بالعقول أم بدليل آخر وهكذا أبداً وكل سؤال أفسد حكم نفسه فهو فاسد وعلى ان هذا لهم لازم لانهم صححوه ومن صحح شيئاً لزمه ونحن لم نصحح هذا السؤال فلا يلزمنا وقد اجبنا عنه بما دفعه عنا وأما هم فلا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم نسألهم عن علمهم بما يدعون صحته أتعلمونه أم لافان قالوا لانعلمه بطل قولهم اذا قروابأنهم لايعلمونه وان قالوا بل نعلمه سألناهم أبعلم علمتم علمكم بذلك أم بغير علم وهكذا أبداً فهـذا أمر قد أحكمنا بيان فساده في باب أفردناه في ديواننا هذا على أصحاب معمر في قولهم بالمعاني وعلى الاشعرية ومن وافقهم من المعتزلة في قولهم بالاحوال وانما كلامنا هذا مع من يقول بتكافؤ الادلة

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا السؤال نفسه مردود عليهم كما هو ونسألهم أتعلمون صحة مذهبكم هذا أم لافان قالوا لااقروا بانهم لايعلمون صحته وفي هذا ابطاله والله انما هو ظن لاحقيقة وان قالوا بل نعلمه سألناهم أبعلم تعلمونه أم بغـير علم وهكذا أبداً الا ان السؤال لازم لهم لانهم صححوه ومن صحح شيئاً لزمه واما نحن فلم نصححه فلا يلزمنا وقد اجبنا عنه في بابه باننا نعلم صحة علمنا بعلمنا ذلك بعينه لا بعلم آخر ونعقل أن لنا عقلا بعقلنا ذلك بنفسه وانما هو سؤال من يبطل الحقائق كلها لامن يقول بتكافؤ الادلة فبطل كل ماموهوا به والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ ثم نقول لهم انتم قد أثبتم الحقائق وفي الناس من يبطلها ومن يشك فيها وهم السوفسطائية وعلمتم أنهم مخطئون في ذلك ببراهين صحاح فببراهين صحاح أيضا صح ماأبطلتموه أو شككتم فيه من أن في مذاهب الناس مذهباً صحيحاً ظاهر الصحة فاذا سأل عنها أجيب بها في مسألةمسألة

﴿ قال أبو محمد ﴾ ويقال لمن قال لكل ذي ملة أو نحلة أو مذهب لعلك مخطئ وانت تظن انك مصيب لان هذا ممكن في كثير من الاقوال بلا شك أخبرنا أفي الناس من فسد دماغه وهو يظن انه صحيح الدماغ فان انكر ذلك كابر ودفع المشاهدات وان قال هذا ممكن قيل له لعلك أنت الآن كذلك وانت تظن انك سالم الدماغ فان قال لالان هاهنا براهين تصحح اني سالم الذهن قيل له وهاهنا براهين تصحح الصحيح من الاقوال وتبينه من الفاسد فان سأل عنها أجبت بها في مسألة مسألة

﴿ قال أبو محمد ﴾ فاذ قد بطل بيقين ان تكون جميع أقوال الناس صحيحة لان في هـذا أن يكون الشيء باطلا حقامعاً وبطل ان تكون كلها باطلا لان في هـذا أيضاً أثبات الشيء وضده معاً لان الاقوال كلها انما هي نفي شيء يثبته آخر من الناس فلو كان كلا الامرين باطلا لبطل النفي فى الشيء وأثباته معا واذا بطل أثباته صح نفيه واذا بطل نفيه صح أثباته فكان يلزم من هذا أيضا أن يكون الشيء حقا باطلا معا ثبت بيقين ان في الاقوال حقا وباطلا واذ هذا لاشك فيه فبالضرورة نعرف ان بين الحق والباطل فرقاً موجوداً وذلك الفرق هو البرهان فمن عرف البرهان عرف الحق من الباطل وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل فانكم محيلون علي براهين تقولون ان ذكرها جملة لا يمكن وتأمرون بالجد في طلبها فماالفرق بينكم وبين دعاة الاسماعيلية والقرامطة الذين يحيلون على مثل هذا قلنالهم الفرق بيننا وبينهم برهانان واضحان احدهما ان القوم يأمرون باعتقاد أقوالهم وتصـديقهم قبل ان يعرفوا براهينهم ونحن لانفعل هذا بل ندعوا الى معرفة البراهين وتصحيحها قبل أن نصدق فيما نقول والثانى أن القوم يكتمون اقوالهم وبراهينهم معاً ولا يبيحونها للسبر والنظر ونحن نهتف باقوالنا وبراهيننا لكل احد وندعوا الى سبرها وتقيسها واخـذها ان صحت ورفضها انلم تصح والحمد لله رب العالمين ولسنا نقول انا لانقدر ان نحد براهيننا بحد جامع مبين لها بل نقدر على ذلك وهو ان البرهان المفرق بين الحق والباطل في كل مااختلفوا فيه أن يرجع رجوعاً صحيحا متيقنا الى الحواس او الى العقل من قرب او من بعد رجوعا صحيحا لايحتمل ولا يمكن فيه الا ذلك العمل فهو برهان وهو حق متيقن وان لم يرجع كما ذكرنا الى الحواس أو الى العقل فليس برهانا ولا ينبغي ان تشتغل به فانما هو دعوى كاذبة وبالله تعالى التوفيق

وبهذا سقط القياس والتقليد لانه لايقدر القائلون بهما على برهان في تصحيحهما يرجع الى الحواس أو الى أول العقل رجوعا متيقنا

﴿ قال أبو محمد ﴾ ونحن نقول قولا كافياً بعون الله وقوته وهو ان أول كل مااختلفت فيه من غير الشريعة ومن تصحيح حدوث العالم وان له محدثا واحداً لم يزل ومن تصحيح النبوة ثم تصحيح نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان براهين كل ذلك راجعة رجوعا صحيحاً ضرورياً الى الحواس وضرورة العقل فما لم يكن كذا فليس بشيء ولا هو برهانا وان كان مااختلف فيه من الشريعة بعد صحة جملها فان براهين كل ذلك راجعة الى ماأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى اذ هو المبعوث الينا بالشريعة فما لم يكن هكذا فليس برهاناً ولا هو شيئاً وفي أول ديواننا هذا باب في ماهية البراهين الموصلة الى معرفة الحقيقة في كل مااختلف الناس فيه فاذا أضيف الى هذا ارتفع الاشكال والحمد لله رب العالمين

﴿ الكلام في الالوان ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ الارض غبراء وفيها حمراء وفيها بيضاء وصفراء وخضراء وسوداء وموشاة والماء كله أبيض الا ان يكتسب لونا بما استضاف اليه لفرط صفائه فيكتسي لون انائه أو ما هو فيه وانما قلنا انه أبيض لبراهين * أحدها انه اذا صب في الهواء بهرق ظهر أبيض صافي البياض * والثاني فى انه اذا جمد فصار ثلجا أو برداً ظهر أبيض شديد البياض وأما الهواء فلا لون له أصلا ولذلك لايرى لانه لايرى الا الالوان وقد زعم قوم انه انما لايرى لانطباقه على البصر وهذا فاسد جداً وبرهان ذلك ان المرء يغوص في الماء الصافي ويفتح عينيه فيه فيرى الماء وهو منطبق على بصره لا حائل بينهما ولا يرى الهواء في تلك الحال وان استلقي على ظهره في الماء وهذا أمر مشاهد وأما الذى يرى عند دخول خط ضياء الشمس من كوة فانما هو ان الاجسام تحل منها أبدا اجزاء صغار وهي التي تسمي الهباء فاذا انحصر خط ضياء الشمس وقع البصر على تلك الاجزاء الصغار وهي متكاثفة جداً ولونها الغبرة فهي التي ترى لاما سواها ومن تأمل هذا عرفه يقينا وان البيوت مملوءة من هذا الضياء المنحل من الارض والثياب والابدان وسائر الاجرام ولكن لدقتها لاترى الا ان انحصر خط الشمس فيري مافي ذلك الانحصار منها فقط وأما النار فلا ترى

ايضا لانه لالون لها في فلكها وأما المرئية عندنا في الحطب والفتيلة وسائر مايحترق فانما هي رطوبات ذلك المحترق يستحيل هواء فيه نارية فتكتسب ألوانا بمقدار ماتعطيها طبيعتها فتراها خضراء ولا زوردية وحمراء وبيضاء وصفراء وبالله تعالى التوفيق وهذا يعرض للرطوبات المتولد منها دائرة قوس قزح

﴿ قال أبو محمد ﴾ أجمع جميع المتقدمين بعد التحقيق بالبرهان على انه لايرى الا الالوان وان كل مايرى فليس الا لونا وحدوا بعد ذلك البياض بانه لون يفرق البصر وحدوا السواد بانه لون يجمع البصر

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا حد وقعت فيه مسامحة وانما خرجوه على قول العامة في لون السواد ومعني يجمع البصر انه يقبضه في داخل الناظر ويمنع من انتشاره ومن تشكل المرئيات واذ هذا معني القبض بلا شك فهو معني منع البصر والادراك وكفه ومن هذا سمى المكفوف مكفوفاً فاذا السواد يمنع البصر من الانتشار ويقبضه عن الانبساط ويكفه عن الادراك وهذا كله معني واحد وان اختلفت العبارات في بيانه فالسواد بلا شك غير مرئي اذ لو رؤى لم يقبض خط البصر اذ لا رؤية الا بامتداد البصر فاذ هو غير مرئي فالسواد ليس لونا اذ اللون مرئي ولا بدو مالم يُر فليس لونا وهذا برهان عقلي ضروري وبرهان آخر حسي وهو أن الظلمة اذا اطبقت فلا فرق حينئذ بين المفتوح العينين السالم الناظرين وبين الاعمي المنطبق والمسدود العينين سداً أو كفا فاذ ذلك كذلك فالظلمة لاترى ومن الباطل الممتنع ان تكون ترى الظلمة وبالحس نعلم ان المنطبق العينين فيها بمنزلة واحدة من عدم الرؤية ومع المفتوح العينين فيها والظلمة هي السواد نفسه فمن إدعي انهما متغاير ان فقد كابر العينان وإدعي مالا يأتي عليه بدليل أبداً ونحن نجد ان لو فتح في حائط بيت مغلق كوتان ثم جعل على أحداهما ستر أسود وتركت الاخرى مكشوفة لما فرق الناظر من بعد بينهما أصلا ولو جعل على أحداهما ستر أحمر أو أصفر أو أبيض لتبين ذلك للناظر يقينا من بعد أو قرب وهذا بيان ان السواد والظلمة سواء وبرهان أخر حسي وهو ان خطوط البصر اذا استوت فلا بد من أن تقع على شئ مالم يقف فيه مانع من تماديها ونحن نشاهد من بين يديه ظلمة أو هو فيها لايقع بصره على حائط ان كان فى الظلمة وسواء كان فيها حائط مانع من تمادى خط البصر أولم يكن

فصح يقينا ان الظلمة لاتري بل هي مانعة من الرؤية والظلمة هي السواد والسواد هو الظلمة لم يختلف قط في هذا اثنان لا بطبيعة ولا بشريعة ولا في معني اللغة ولا بالمشاهدة فقد صح ان السواد لايرى أصلا وانه ليس لونا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وانما وقع الغلط على من ظن ان السواد يرى لانه أحس بوقوع خطوط البصر على ماحوالى الشيء الاسود من سائر الالوان فعلم بتوسط ادراكه ماحوالى الاسود أن بين تلك النهايات شيئاً خارجاً عن تلك الالوان فقدر انه يراه ومن هاهنا عظم غلط جماعة ادعوا بظنونهم من الجهة التي ذكرنا انهم يرون الحركات والسكون في الاجرام والامر في كل ذلك وفي الاسود واحد ولا فرق فان قال قائل انه ان كان في جسم الاسود زيادة ناتئة سوداء كسائر جسده رأيناها فلو لم تر لم تعلم بنتوء تلك الهيئة الناتئة له على سطح جسده قيل له وبالله تعالى التوابق هذا أيضاً وهم لانه لما لم يمتد خط البصر عند قبض تلك الهيئة الناتئة له وامتدت سائر الخطوط الى أبعد من تلك المسافة وعامت النفس بذلك توهم من لم يحقق ان هذه رؤية وليست كذلك وتوهموا أيضاً انهم يرون السواد ممازجا لحمرة أو لغبرة أو لخضرة أو لصفرة أو لزرقة فاذا كان هذا هكذا فان البصر يرى مافي ذلك السطح من هذه الالوان على حسب قوتها وضعفها فقط فيتوهمون من ذلك انهم راوا السواد ويتوهمون أيضاً انهم يرونه لانهم قالوا نحن نميز الاسود البراق البصيص واللمعان من الاسود الاكدر الغليظ

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا مكان ينبغى ان نتثبت فيه فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الاملاس هو استواء أجزاء السطح والخشونة هي تباين أجزاء السطح وقد نجد أملس لماعاً وأملس كدراً فاذ ذلك كذلك فالبصيص واللمعان شيء أخر غير استواء أجزاء السطح واذ هو كذلك وهو مرئي فالبصيص بلا شك لون آخر محمول في الملون بالحمرة أو الصفرة أوسائر الالوان وفيما عري من جميع الالوان سواء فاذا قلنا أسود لماع فانما نريد انه ليس فيه من الالوان الا اللمعان فقط فهو لون صحيح وقد عرى من الحمرة ومن الصفرة ومن البياض والخضرة والزرقة ومما تولد من امتزاج هذه الالوان ولعل الكدرة أيضاً لون آخر مرئي كاللمعان وهي أيضاً غيرسائر الالوان فهذا مالا يوجد مايمنع منه بل الدليل يثبت ان الكدرة

أيضاً لون وهو وقوع البصر عليها وهو لايقع الا على لون ومن أبى من هذا كلفناه ان يحد لنا اللمعان والكدرة فانه لايقدر على شيء أصلا غير ماقلنا وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل فانا نرى الثوب الاسود يستبين نسج خيوطه ونتوء مانتأ منها وانخفاض ماانخفض فلولا انه يرى ماعلم ذلك كله فالجواب وبالله تعالى التوفيق انا قد علمنا ان خطوط البصر تخرج من الناظر ولها مساحة ما وبعضها أطول من بعض بلا شك لان الخطوط الخارجة من البصر الى السماء أطول من الخطوط الخارجة من البصر الى الجليس لك بلاشك فلما خرجت خطوط البصر الى الثوب المذكور انقطع تمادى بعضها أكثر من تمادى البعض فبالحس علمنا هذا لالان بصرنا وقع على لون أصلا وأيضاً فان النور هو اللون الذى طبعه بسط قوة الناظر واستخراج قوى البصر حتي انه اذا وافق ناظراً ضعيف البنية بطبعه أو بعرض اجتلب جميعه واستلبه كله أو اقتطفه فعلى قدر قوة النور في اللون المرئى وضعفه فيه يكون وقوع البصر عليه هذا أمر مشاهد بالعيان فكلما قل النور في اللون كان وقوع البصر عليه أضعف وكانت الرؤية له أقل حتي اذا عدم النور جملة ولم يبق منه شيء فقد بطل بالضرورة ان يمتد خطوط البصر اليه وان يقع الناظر عليه اذ لانور فيه ولا يختلف ذو حس في العالم في ان السواد المحض الخالص ليس فيه شيء من النور فاذ لاشك في هذا فلاشك في انه لايرى وبالله تعالى التوفيق وأيضاً فان جبلا ذا لون ما وأرضا ذات لون ما وفيهما غاران مظلمان لا شك ان كل ناظر اليهما فانه لايرى الا ماحول الغارين وانه لايرى ماضمه خط الغارين فاذ هذه كلها براهين ضرورية مشاهدة حسية عقلية فالبرهان لايعارضه برهان أصلا والبرهان لايعارض بالدعوى ولا بالظنون والحمد لله رب العالمين وأما من كلام الله تعالى فالله يقول ﴿ ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾ وقوله تعالى ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ﴾ فصح يقيناً ان الظلمة مانعة من النظر والرؤية جملة وهو السواد بلاشك فهو لايرى ولا خلاف في أن البصر القليل يداوى بالثوب الاسود والقعود في الظلمة وليس ذلك الا لمنعه من امتداد خط بصره فيكل بامتداده وبالله تعالى التوفيق فان قيل السواد غير الظلمة قلنا انا نجد الارمد الشديد الرمد متي صار في بيت مظلم شديد الانطباق لايدخله شيء من الضوء أمكنه فتح عينيه بحسب طاقته ولم يألم بالنظر اليه ومتي جعلناه في بيت مضيء

وعلى وجهه وعينيه ثوب كثيف جداً أسود أمكنه فتح عينيه حسب طاقته ولم يألم بالنظر اليه وكانت حاله في تغطية وجهه بذلك الثوب كحاله في الظلمة التامة سواء سواء وكذلك يعرض لاصحيح البصر في الحالتين المذكورتين ولا فرق ومتى جعلنا على بصر الارمد ثوباً أبيض ألم ألماً شديداً كالمه اذا نظر في الضوء ولا فرق فان جعلنا على وجهه ثوبا أصفر ألم دون ذلك وان كان أحمر ألم دون ذلك فان كان أخضر ألم دون ذلك على قدرهما في اللون من ممازجة البياض له فصح ان السواد والظلام شيء واحد وقال بعض أصحابنا السواد غير الظلمة وهو لا يرى الا ان الزنجي والغراب والثوب ليس شيء من ذاك اسود وكل ذلك يرى ولون كل ما ذكرنا لون غير السواد الا انه سمى باسم السواد مجازاً وقال بعضهم السواد اسم مشترك يقع على الظلمة ويقع على لون الزنجي والغراب والثوب فكل ظلام سواد وليس كل سواد ظلاماً فان عنيت بالسواد لون الزنجي والغراب والثوب فهو يرى وهو غير الظلمة وان عنيت بالسواد الظلمة فهو لا يرى وقال بعضهم الظلمة لا ترى وليست سوداً أصلا والسواد شيء آخر غير الظلمة وهو لون يرى وقال بعضهم الظلمة والسواد شيء واحد وكلاهما يرى وأقروا بان الاعمى والاكمه والمفقوء العينين والمطبق العينين يرى الظلامة

﴿الكلام في المتوالد والمتولد﴾

﴿قال أبو محمد﴾ الحيوان كله ينقسم أقساماً ثلاثة متوالد ولا بد ولا يتولد ومتولد ولا بد لا يتوالد وقسم ثالث يتوالد ويتولد أيضاً فاما المتولد المتوالد فكبنات وردان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكالجعلان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكثير من الحيوان المتولد في النبات وقد رأيناه يتسافد ومثل القمل فانا قد شاهدناه يخرج من تحت الجلد عيانا ويحدث في الرؤس وقد يتوالد وقد نجد بعضه اذا قطع مملوء بيضاً وأما المتولد الذى لا يتوالد فالحيوان المتولد في أصول أشفار العينين وأصول شعر الشارب واللحية والصدر والعانة وهو ذوا رجل كثيرة لا يفارق موضعه وما علمناه يتوالد أصلا ومثل الصفار المتولد في البطن وشحمة الارض وكل هذا لا نعلمه يتوالد البتة وقد شاهدنا ضفادع صغاراً تتولد من ليلتها فتصبح مناقع المياه منها مملوأة ومنها الثلاندرية وهو حيوان كبير يشبه الجراذين الصغار بطيئة الحركة وحيوانات كثيرة منها صغير مفرط الصغر يكاد لصغره لا يتجزأ مثلما كثيراً رأيناه في الدوى والدفاتر وهو سريع

المشى جداً ومنها السوس المتولد في الباقلا والدود المتولد في الجراحات وفي الحمص والبلوط وفي التفاح وبين الحشيش وبين الصنوبر وفي الكنف وهي ذوات الاذناب والحباحب المتولد فى الخضر وهو في غاية الحسن ومنه ما يضيء بالليل كانه شرارة نار والدود ذوات الارجل الكثيرة والذراريح وهذا كثير لا يحصيه لا خالقه عز وجل ومنها الضفادع والحجازب فقد صح عندنا يقيناً لا مجال للشك فيه انها تتولد فى مناقع المياه دويبات صغار ملس شديدة السواد ذوات أذناب تمشى عندنا ثم صح عندنا كذلك انها تكبر فتقطع أذنابها وتتبدل ألوانها وتستحيل أشكالها وتعظم فتصير ضفادع ثم تزيد كبراً واستحالة ألوان فتصير حجازب

﴿قال أبو محمد﴾ قد رأيتها في جميع تنقلها كما وصفنا وقد عرض علينا في مناقع المياه خطوط ظاهرة قيل لنا انها بيض الضفادع وأما الذباب فقد شاهدناها عياناً تتناكح والانثي منها هى الكبار والذكور هى الصغار وشاهدنا البراغيث تتناكح أيضاً والكبار هى الاناث والذكور هى الصغار نشاهد ذلك بان الاعلى هو الصغير أبداً ونجد الانثي مملواءة بيضا اذا وضعت فتلقي بيضها في القباب وفي خلال اجزاء الثياب ثم يخرج

﴿قال أبو محمد﴾ وقد رأينا ذباباً صغاراً جداً وذباباً كباراً مفرط الكبر وشاهدنا بابصارنا الدود الطويل الذنب المتولد فى الكنف وزبول البقر والغنم يستحيل فيصير فراشاً طيارا مختلف الالوان بديع الخلقة من أبيض وأصفر فاقع وأخضر ولازوردى منقط ولا ندري كيف الحال في العقارب والعناكب والرتيلات والبقوقات والدبر الا انا ندرى ان دود الحرير يتوالد يتسافد الذكور منها والاناث وتبيض ثم تحضن بيضها هذا مالا خلاف فيه وما رأى أحد قط دود حرير يتولد من غير بيضه وكذلك النمل فانه يتوالد وقد رأينا بيضه والعرب تسميه المازن وكذلك النحل يتوالد ويوجد في مواضع من بنائه في تضاعيف القبر الذى فيه العسل وكذلك الجراد والعرب تسميه بيضة الصرد

﴿قال أبو محمد﴾ وما رأى أحد قط نحلا يتولد ولا نملا يتولد ولا جراداً يتولد الا في اكذوبات لا تصح وأما سائر الحيوان فتتوالد ولا بد من مني أو بيض فكل ذى أذن بارزة يلد طائراً كان أو غير طائر كالخفاش وغيره وكل ما ليس له أذن بارزة فهو يبيض طائراً كان أو غير طائر كالحيات والجراذين والوزغ وغير ذلك

﴿قال أبو محمد﴾ فطلبنا أن نجد حداً يجمع مايتولد دون مايتوالد أو مايتوالد دون مايتولد فلم نجد الا اننا رأينا كل ذى عظم وفقارات لاسبل البتة الى ان يوجد من غير تناكح كحيوان البحر الذي له العظم والفقارات ورأينا مالا عظم له ولافقار فمنه مايتولد ولا يتوالد ومنه مايتولد ويتوالد معاً وكل ذلك خلق الله عزوجل يخلق ماشاء كما شاء لااله الا هو وليست القدرة في الخلق في خلق ماخلقه الله عزوجل حيواناً ذا أربع أو ذا ريش من بيضة أو من منى باعظم من القدرة من خلقها من تراب دون توسط بيضة ولا منى ولا البرهان عن الصنع والابتداء في احداهما باوضح منه في الآخر بل كل ذلك برهان على ابتداء الخلقة وعلى عظيم القدرة من البارى لااله الا هو

﴿قال أبو محمد﴾ وقد ادعى قوم انه يتولد في الثلج حيوان ويتولد في النار حيوان وهذا كذب وباطل وانما قاسوه على تولد حيوان مافي الارض والماء والقياس باطل لانه دعوى بلا برهان ومالا برهان له فليس بشيء وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ واذا حصلت الامر فالحيوان لايتولد من الماء وحده ولا من الارض وحدها ولكن مما يجتمع من الارض والماء معاً فتبارك الله أحسن الخالقين لامعقب لحكمه لااله غيره عز وجل * تم السفر الثالث بتمام جميع الديوان من الفصل فى الملل والآراء والنحل بحمد الله وشكره على حسن تأييده وعونه * وافق الفراغ منه في تسعة أيام خلت من شهر ذى القعدة سنة ١٢٧١ احدى وسبعين ومائتين بعد الالف * من هجرة من له العز والشرف * على يد الفقير الى الله محمد بن موسى غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

تم بعون الله تعالى وحسن توفيقه طبع كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل على ذمة السيد احمد ناجى الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه في شهر شعبان المعظم من شهور سنة ١٣٢١ هجرية والحمد لله على ذلك كثيراً

﴿ فهرست الجزء الخامس من كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل ﴾

جدول الخطاء والصواب الواقعين في الجزء الخامس من كتاب الفصل

سطر	صحيفة	خطاء	صواب
٢	٢	م لا	أم لا
١	٤	لهجتها	ابهجتها
١٤	»	أنفسنا	بأنفسنا
٢٥	»	كل ذى ذلك	كل ذلك
٤	٥	ملافاة	ملاقاة
٤	٦	بسحرهم	بسحر
١٩	٨	ولامفر	اومفر
٢	٩	شارع	سارع
٤	١٢	وغنصرهم	وعنصرهم
١٥	١٣	ويقرعه	ويفزعه
٦	١٢	اجنحت	جنحت
١	١٥	بها	بهاحيوان
١٢	»	وتفريق	وتفرق
٢٥	١٦	كالفطس	كالفطس
٨	١٧	أبوامحمد	أبو محمد
»	»	نزع	نازع
١٨	»	محارب	تجارب
١٩	١٨	الجن	الجنون
٢٤	١٩	الحسد	الجسد
٤	٢٢	تصيرهم	مصيرهم
٢٢	٢٣	لايجيز	ولايجوز
١٣	٢٧	ونزع	ونازع
١٢	٣٢	لحد	لحمد
٢١	»	ليصل	ليضل
٢	٣٤	اصفق	الطبق
٢٣	»	لايبالون بان يقولوا	لاتبالون بان تقولوا
٧	٣٧	يدبرنا	تدبرنا
١١	٣٧	أفلا كهها	أفلا كها
٢١	»	القفاء	القضاء
٩	٤١	لوندرى	ندرى
١٥	٤٣	العجب	لعجيب
٢	٤٦	انه يدخل	انه لايدخل
٥	٤٧	هذا	هذه
١٢	٤٩	أفهذا	فهذا
١١	٥٠	بقاء	والبقاء
٧	٥٣	غيره غيره	غيره
٧	٥٤	والتميز	وللتمييز
١١	»	ومسمي	وقسم
١١	»	لتشبه ما	لنسبة ما
٤	٥٥	فمن قولهم	فلا بد من قولهم
٢٢	»	ان	انه
١٨	٦٩	أول من قال ذلك	أولا
٢٤	٧٢	غريبة	عربية
٣	٧٨	لو كان	لوكانت
١٤	٨٠	لايحلو	لايخلو
١٨	٨١	يتوسطه	بتوسطه
١	٩٤	أوليست	وليست
١٤	٩٩	ان يجزؤا	ان تجزء
١٤	»	»	»
٤	١٠٤	المحبطة	المحيطة
٢٤	١٠٤	فيه له	فيه انه له
١٠	١٠٥	وان	وانه
٢١	»	سفوا	صفوا
١	١٠٦	المنحدولة	المخذولة
٦	١١٠	فوجدناه	ووجدناه
١٦	١١١	اصفاق	الطباق
٢٤	١١٧	واحداً	واحدة
٦	١٣٠	تعدا	قعدا